د. صالح بن مطر الهطالي

العمل التطوُّعي

خطوات عملية للنهوض بالأمة

الإصدار الأول

١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م

فهرس الكتاب

مقدمة..... ١

١- صورتان لواقع الأمة.....١
٢- أسباب تخلف الأمة.....٩
٣- سفينة النجاة ١٧
٤- مقترحات للاستفادة من هذا الكتاب ١٩
٥- عرض وطلب ٢٠

المبحث الأول: مقدمة عن العمل التطوُّعي ٢٢

تعريف العمل التطوعي ٢٣
العمل التطوعي الفردي ٢٩
العمل التطوعي الجماعي والمؤسسي ٣٣
١- التنظيم ودوره في نجاح المؤسسات ٣٤
٢- استقطاب المتطوِّعين.....٣٥
٣- استغلال طاقات المتطوعين ٣٨
٤- المحافظة على المتطوِّعين.....٣٩
٥- التقييم ودوره في استمرارية المتطوِّعين ونجاح المؤسسات التطوُّعية ٤٠
مسيرة العمل التطوُّعي في المجتمعات الإسلامية في العقود الأخيرة ٤٣
١- معيقات العمل التطوُّعي ٤٥
٢- العقبات والتحديات في مسيرة العمل التطوُّعي ٤٧
الحاجة إلى العمل التطوعي ٤٩
١- العمل التطوُّعي دعوة إلى ترميم بنيان الأمة المتهالك.....٤٩
٢- العمل التطوعي وسيلة لاكتشاف وتفعيل الطاقات الكامنة في هذا الكائن البشري ٥١
٣- العمل التطوعي حماية للمسلم من الموت البطيء ٥٢
٤- كثرة الكوادر ٥٢
٥- تخلِّي الحكومات عن القيام بدعم الأعمال الخيرية.....٥٦

٦- المؤامرات والدسائس الدولية..... ٥٧
نماذج مشرِّفة للعمل التطوُّعي في عالمنا الإسلامي..... ٦٢
١- محمد يونس ومصرف الفقراء في بنجلاديش..... ٦٢
٢- الدكتور عبد الرحمن السميط ٦٤
٣- لجنة رعاية الجرحى الفلسطينيين ٦٦
٤- الجمعية الكويتية لرعاية الأطفال في المستشفى KACCH..... ٦٧
٥- الجمعية الإسلامية الخيرية بالدار البيضاء..... ٦٧

المبحث الثاني: الأعمال التطوعية التي تستهدف الفرد..... ٦٩

الأعمال التي تُقوِّي صلة المرء بخالقه ٧٣
١- الانكباب على القرآن الكريم..... ٧٣
٢- المواظبة على النوافل والأذكار ٧٤
٣- قيام الليل ٧٧
الأعمال التي تبني الفكر وتقوي الثقافة ٨٢
١- الاهتمام بالقرآن الكريم..... ٨٢
٢- الاهتمام بالعلوم الأخرى ٨٢
٣- الاهتمام بالثقافة العامة..... ٨٣
٤- الاهتمام باللغة العربية..... ٨٤
٥- تعلُّم اللغات الأجنبية ٨٨
٦- إتقان المهارات المختلفة..... ٩٣
٧- الاهتمام بالإنتاج الفكري ٩٣
٨- الاهتمام بطباعة ونشر الكتب والمخطوطات ٩٥
٩- إنشاء مواقع للإنترنت..... ٩٦
الأعمال التي تقوي الجسد وتعين على كسب قلوب الناس..... ٩٩
١- حسن المعاملة للناس..... ٩٩
٢- الاهتمام بالصحة والنظافة..... ١٠٠
٣- الاعتناء بنظافة الأسنان ١٠١
٤- القيام بالفحص الدوري الشامل ١٠٢
٥- المحافظة على رشاقة الجسم..... ١٠٢

برنامج تطبيقي رقم (١): برنامج يوم كامل ١٠٥
برنامج تطبيقي رقم (٢): تمارين رياضية مقترحة ١١٨

المبحث الثالث: الأعمال التطوعية التي تستهدف الأسرة ١٢٣

مقدمة ١٢٤
١- مقترحات لتوزيع المهام بين أفراد الأسرة ١٢٥
٢- الاجتماع الشهري ١٢٦
أعمال لخدمة الأسرة ١٢٨
١- الاعتناء بشؤون المنزل ١٢٨
٢- إدارة ميزانية الأسرة ١٢٩
٣- وضع صندوق للاقتراحات ١٣٠
٤- وضع صندوق للتبرعات ١٣٠
أعمال لتحسين صورة الأسرة في المجتمع ١٣٢
١- الارتقاء بالمستوى الإيماني للأسرة ١٣٢
٢- الارتقاء بالمستوى الثقافي والعلمي للأسرة ١٣٣
٣- الارتقاء بالمستوى المالي للأسرة ١٣٥
٤- برنامج لتبادل الزيارات مع الأقارب ١٣٥
٥- الارتقاء بالمستوى الاجتماعي للأسرة ١٣٦
٦- توثيق ما يحدث في الأسرة بالصوت والصورة ١٣٦
٧- إنشاء موقع على الإنترنت لخدمة الأسرة ١٣٧
٨- القيام برحلات أُسَرية ١٣٧
برنامج تطبيقي رقم (٣): إعداد مستلزمات رحلة خلوية ١٤١
أعمال لتقوية صلة الأسرة بالأقارب والأرحام ١٤٧
١- إقامة الدروس العلمية والثقافية ١٤٧
٢- إنشاء صناديق ومشاريع مشتركة لخدمة الأسرة الكبيرة ١٤٧
٣- تقوية الصلات الاجتماعية بين أفراد الأسرة الكبيرة ١٤٨
٤- عقد اجتماع دوري لمناقشة قضايا الأسرة الكبيرة ١٤٨
٥- إنشاء موقع على شبكة الإنترنت خاص بالأسرة الكبيرة ١٤٨

برنامج تطبيقي رقم (٤): مجلس إدارة الأسرة ١٥٠

المبحث الرابع: الأعمال التطوعية التي تستهدف المحيط الذي يعيش فيه الفرد ١٥٣

الاهتمام بالأُسَر الفقيرة ١٥٧
١- إعداد إحصائيات بالأُسَر الفقيرة وبرامج لخدمتها ١٥٩
٢- توفير حافلة لتلبية احتياجات الأُسَر الفقيرة ١٦٠
٣- إيجاد مصادر دخل للأُسَر الفقيرة..... ١٦٣
٤- توعية الأُسَر الفقيرة..... ١٦٤
برنامج تطبيقي رقم (٥): استبانة لدراسة أحوال الأُسَر الفقيرة ١٦٧
رعاية شؤون الأطفال ١٧٠
١- رعاية وكفالة اليتامى ١٧١
٢- مساعدة الأمهات اللواتي يعمَلْن أو يَدْرُسْن أو لديهن أطفال كثيرون ١٧٢
٣- إقامة روضات للأطفال ١٧٣
زيادة الترابط بين أفراد الحي من خلال الأنشطة الرياضية والثقافية والاجتماعية ١٧٦
١- برنامج لتبادل الزيارات بين أهالي الحي ١٧٦
٢- التجمع في مكان عام والمشاركة بالقهوة أو بطبق طعام ١٧٧
٣- إقامة وجبة غداء أو عشاء مشتركة بين أهل الحي..... ١٧٧
٤- يوم ثقافي مفتوح ١٧٨
٥- برنامج لتبادل الهدايا في الأعياد ١٧٨
٦- معرض للصور القديمة..... ١٧٨
٧- ماراثون لأهل الحي ١٧٩
٨- سباق للدراجات الهوائية..... ١٧٩
٩- معسكرات لمساعدة المزارعين في أعمال الفلاحة..... ١٨٠
١٠- صندوق للتكافل بين أهل الحي..... ١٨٠
١١- إقامة مشاريع لخدمة الحي..... ١٨١
رفع المستوى الثقافي والعلمي والفكري في المجتمع..... ١٨٤
١- الاهتمام بتعليم كبار السِّن ١٨٤
٢- رفع مستوى الثقافة حول التقنيات الحديثة والفنون والمهارات المختلفة..... ١٨٦
٣- توزيع الأشرطة والكتيبات..... ١٨٦
٤- إنتاج برامج تثقيفية ١٨٦
٥- رفع مستوى الإنتاجية بين الناس..... ١٨٧

٦- اكتشاف المواهب والاستفادة منها ١٨٨
٧- كلمة لا بُدَّ منها ١٨٩
إقامة لجان ومؤسسات خيرية لرعاية شؤون المجتمع ١٩١
١- إنشاء المكتبات العامة ١٩١
٢- إنشاء النوادي العلمية والثقافية ١٩٣
٣- إقامة مراكز وشبكات للمعلومات ١٩٥
٤- مؤسسات لرعاية المسنِّين ١٩٦
٥- مؤسسات لرعاية المعاقين وذوي الاحتياجات الخاصة ١٩٧
٦- مؤسسات لمساعدة المدمنين وأُسَرِهم ١٩٧
٧- مؤسسات لمساعدة العاطلين عن العمل ١٩٨
٨- إنشاء صناديق وجمعيات مالية ٢٠١
٩- لجان ومؤسسات لرعاية الأوقاف والأملاك التابعة لبيت المال ٢٠٢
١٠- لجان ومؤسسات لرعاية المعالم الأثرية والتاريخية ٢٠٨
١١- مؤسسات للارتقاء بالمستوى التجاري والمؤسسي في المجتمع ٢٠٨
١٢- مؤسسات للاعتناء بالوافدين ٢١٠
المشاركة في مؤسسات المجتمع المختلفة ٢١٣
١- المشاركة في إنماء العملية التدريسية ٢١٣
٢- المشاركة في نشر الوعي الصحي ٢١٥
٣- المشاركة في جمعيات المرأة والطفل ٢١٨
٤- المشاركة في النوادي المختلفة ٢٢٠
رعاية شؤون المساجد ٢٢٣
١- الدروس والمحاضرات ٢٢٥
٢- الأنشطة والفعاليات ٢٢٥
٣- لوحة المسجد ٢٢٦
٤- الزيارات ٢٢٧
٥- صيانة المسجد ٢٢٧
٦- نظافة المسجد ٢٢٨
إقامة المعارض ٢٣٠
١- معارض لبيع منتجات البيئة ٢٣٠
٢- معارض لتمويل المشاريع الخيرية ٢٣١
٣- معارض لبيع الكتب والأشرطة والحواسيب ومستلزمات المدارس ٢٣١
٤- معارض لإبداعات الشباب والفتيات ٢٣٢

٥- معرض الفرص الوظيفية ٢٣٢
إقامة المعسكرات..... ٢٣٤
المراكز الصيفية..... ٢٣٦
١- أسباب عزوف الطلاب عن المشاركة في المراكز الصيفية..... ٢٣٧
٢- من سمات المعلم الناجح..... ٢٣٨
٣- مقترحات للارتقاء بمستوى مدرسي المراكز الصيفية..... ٢٣٩
٤- مقترحات لتفعيل دور المراكز الصيفية ٢٤٠
٥- مقترحات لتقييم المراكز الصيفية ٢٤٧
٦- مقترحات لتمويل المراكز الصيفية ٢٤٨
إقامة الفعاليات الثقافية والاجتماعية في المجتمع ٢٥٣
١- إحياء المناسبات الدينية ٢٥٣
٢- إقامة المسابقات الثقافية والأمسيات الشعرية والمهرجانات الإنشادية..... ٢٥٥
٣- تنظيم الأعراس الجماعية..... ٢٥٥
٤- إقامة الرحلات الجماعية..... ٢٥٨

المبحث الخامس: الأعمال التطوعية التي تمتد لتشمل القطر الذي نعيش فيه ٢٦٠

نشر تاريخ وتراث الأئمة والعلماء والمشاهير ٢٦٢
١- نشر التراث العلمي والأدبي لأعلام القُطر..... ٢٦٢
٢- نشر تاريخ القُطر..... ٢٦٣
٣- التعريف بالمعالم الأثرية ٢٦٣
الاهتمام بأحوال الحجاج والمعتمرين ٢٦٧
الاهتمام بما يجري داخل القطر ٢٦٩
١- تحليل المراسيم والقرارات..... ٢٦٩
٢- التعرُّف على هوية المؤسسات الموجودة داخل القطر..... ٢٧٢
٣- التعرُّف على المؤسسات الخيرية والثقافية والعلمية ٢٧٣
٤- التعرُّف على الفعاليات الثقافية والعلمية والترفيهية..... ٢٧٣
٥- التعرُّف على ما يُعقَد من دورات تدريبية..... ٢٧٥
٦- التعرُّف على السلوكيات غير المرغوبة ومحاولة تخليص المجتمع منها ٢٧٥
٧- رصد تحركات الوافدين وأنشطتهم..... ٢٧٧
٨- دراسة المطاعم والمقاهي والمحلات التجارية ٢٨١

دراسة الظواهر المنتشرة في مجتمعنا ٢٨٤
١- دراسة حوادث السَّيْر ٢٨٤
٢- دراسة الظواهر الطبيعية..... ٢٨٥
٣- دراسة المحاصيل والآفات الزراعية..... ٢٨٥
٤- دراسة التجارة المستترة..... ٢٨٦

المبحث السادس: الأعمال التطوعية التي يمكن القيام بها على مستوى العالم.....٢٨٩

الارتقاء بمستوى الأعمال والأنشطة التطوُّعية القُطْرية لتستهدف العالم بأسره ٢٩٠
التفاعل مع الأحداث العالمية ٢٩٣
رصد وتحليل ما يُنشَر في وسائل الإعلام ٢٩٧
دعم لجان الإغاثة والمؤسسات الخيرية..... ٣٠١
الدعوة إلى الله ٣٠٤
١- دعوة المسلمين ٣٠٤
٢- دعوة غير المسلمين ٣٠٥
الاهتمام بقضايا المسلمين المعاصرة ٣٠٩

المبحث السابع: أدوات للمتطوعين ٣١٣

تمويل المشروعات والفعاليات التطوُّعية ٣١٤
١- الاستفادة من صناديق التبرُّعات التي تتكون داخل كل أسرة..... ٣١٥
٢- الاستفادة من الأوقاف وأملاك بيت المال..... ٣١٦
٣- فرض رسوم على الفعاليات المختلفة ٣١٦
٤- إقامة معارض لتمويل المشاريع الخيرية..... ٣١٧
٥- إنتاج مواد مطبوعة أو سمعية أو مرئية..... ٣١٧
٦- إقامة دورات وورش عمل مدفوعة الثمن ٣١٧
٧- فرض رسوم عضوية للنوادي المختلفة ٣١٨
٨- فرض رسوم على رياض الأطفال ٣١٨
٩- إخراج ألبومات أو حقائب تعالج قضية معينة..... ٣١٨
١٠- تشجيع الناس على المشاركة في مشروع الصدقة الجارية..... ٣١٨
١١- استمتع وادخر ٣١٩

موارد معرفية للمتطوعين..... ٣٢٢
١- كتب في العمل الخيري والتطوُّع..... ٣٢٢
٢- مواقع تهتم بالعمل الخيري والتطوُّع..... ٣٢٣

المبحث الثامن: ملاحق.....٣٢٦

برنامج يوم كامل..... ٣٢٨
إعداد مستلزمات رحلة خلوية ٣٣٣
استبانة لدراسة أحوال الأُسَر الفقيرة ٣٣٦

المراجع.....٣٣٩

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحبه ربنا ويرضاه، الحمد لله على نعمائه، الحمد لله على إحسانه، الحمد لله على الإسلام، الحمد لله على الإيمان، الحمد لله على نعمة الأهل والمال والمعافاة.

أما بعد:

فقد أجلتُ النظر في واقع الأمة فرأيتُ عجبًا؛ رأيتُ صورتين تخجل كلٌّ منهما من الأخرى، وتزدري إحداهما بالثانية. لم تفارق هاتيك الصورتين مخيلتي، ولم تكذِّبني تحليلاتي، ولو مرة واحدة؛ فقد زرتُ بلدانًا إسلامية كثيرة، ووجدتُ الصورتين تتكرران في عاصمة الدولة أو ريفها، بين شبابها وشيبها، بين علمائها وعامتها، بين حاكميها ومحكوميها. وعندما كنتُ أقارن تلكما الصورتين بالواقع الذي تعيشه بلدان الشرق والغرب غير الإسلامية، تزداد الصورتان بريقًا، وتتجلى تفاصيلهما إلى أبعد الحدود.

١- صورتان لواقع الأمة

الصورة الأولى ترسمها مساحات شاسعة من الأراضي يقطنها ما يزيد عن خُمس سكان الأرض، وخيرات وكنوز تغطي ظاهرها وباطنها، ومقومات وروابط تتشابك لتنسج أواصر وعلاقات قلَّ أن تجتمع لأمة غيرها.

فمن الناحية الجغرافية، تمتد الدول الإسلامية على رقعة من الأرض تزيد عن خُمس مساحة اليابسة، وتجري فيها أهم الأنهار وأطولها مثل: النيل وهو أطول أنهار العالم، والنيجر، والسند، وزمبيري، ودجلة، والفرات، وآمو، والسنغال. ويطل العالم الإسلامي على أهم البحار والمحيطات والمضايق البحرية، كمضيق هرمز وباب المندب وجبل طارق؛ وتقع فيه أكبر بحيرات العالم مثل: بحيرة قزوين،

وبحيرة فكتوريا، وبحيرة آرال، وبحيرة تشاد؛ ويضم بعض أكبر جزر العالم مثل: جزيرة بورنيو بماليزيا، وجزيرة سومطره بإندونيسيا.

ومن الناحية السكانية، يبلغ عدد المسلمين في العالم أكثر من ملياري نسمة، ما يقارب ثلثيهم موزعين بين الدول الإسلامية الست والخمسين، والثلث الباقي (الأقليات) يقيم في دول غير إسلامية، أو دول يمكن اعتبارها إسلامية ولكنها لم تنضم بعد إلى منظمة المؤتمر الإسلامي، مثل البوسنة والهرسك، أو دول لا تعتبر نفسها إسلامية رغم أن المسلمين يشكلون فيها أغلبية، مثل أريتريا وأثيوبيا[١]. وبتوزيع السكان حسب المراحل العُمْرية، نلاحظ أن أكثر من نصف سكان العالم الإسلامي يتركزون في الفئة العُمْرية من ١٥ – ٦٤ سنة وبنسبة ٥٧,٢٪، تليها الفئة العُمْرية دون الرابعة عشرة وبنسبة حوالي ٣٩٪، مما يعني أن مجتمعات العالم الإسلامي شابة، تقع أعمار أغلب سكانها بين ١٥ – ٤٠ عامًا[٢].

ومن ناحية الموارد الطبيعية، يتمتع العالم الإسلامي بأراضٍ صالحة للزراعة تقدر بنحو ٢,٧٥٪ من مساحته الإجمالية البالغة ٣,٩٣٥ مليون هكتار، وهي تمثل نصف مساحة العالم القابلة للزراعة[٣]. الكثير من دول العالم الإسلامي غنية بالموارد الطبيعية بشتى أنواعها؛ فالنفط يتوافر في حوالي ٣٥ دولة إسلامية ويشكل إنتاجه ٤٧٪ من الإنتاج العالمي، أما الغاز الطبيعي فيوجد في حوالي ٢٥ دولة إسلامية ويشكل إنتاجه ٨٪ من الإنتاج العالمي. كما أن العالم الإسلامي غني بالعديد من الموارد الأخرى كالمعادن والمياه والأراضي الخصبة، وتنتج دوله ٤٧٪ من الإنتاج العالمي من القصدير[٤].

ومن الناحية الاقتصادية، فصندوق النقد العربي قدَّر منذ سنوات رؤوسَ الأموال العربية المهاجرة خارج الوطن العربي بنحو ٢,٤ تريليون دولار، وأن العالم العربي يحتاج إلى ربع هذه الأموال فقط للخروج

(1) "حالة العالم الإسلامي – أرقام ومؤشرات": أسماء ملكاوي.

(2) "حالة العالم الإسلامي – أرقام ومؤشرات": أسماء ملكاوي.

(3) "مدى إمكانية إلغاء مشكلة الفقر في العالم الإسلامي": حسن محمد الرفاعي.

(4) "حالة العالم الإسلامي – أرقام ومؤشرات": أسماء ملكاوي.

من كل الأزمات الاقتصادية التي يعانيها. أما الإحصائيات المتأخرة فتشير إلى أن قيمة الاستثمارات العربية في الخارج تقدر بنحو ١٤ تريليون دولار[١].

أما الصورة الثانية فتتجسَّد في نفوس مريضة، ونفسيات منهزمة، وسواعد كليلة، وطموحات هزيلة، وإنتاجات متواضعة، وكوادر حائرة، وقطعان بشرية تائهة. "لقد انصرف المسلمون عمليًّا عن المهمَّة الأولى للدعوة الإسلامية في الأرض، انصرفوا عن دعوة الناس إلى الإيمان والتوحيد وإلى حقائق الإسلام في القرآن والسنة بنقائها وصفائها، وبأمانة وصدق، فمنهم من انصرف عن أمر الإسلام كله، ومنهم من انصرف عن أمر الدعوة، ومنهم من شغلته دعوة الناس إلى تكتله وحزبه، أو إلى فكره ومذهبه، أو إلى زعيمه، ومنهم من شغلته الفتن والخلافات، ومنهم- بعد أن تخلَّى عن مهمة الدعوة الحقيقية- أخذ يتأثَّر بالغرب، ثمَّ أخذت أفكار الغرب تتسلل إليه شيئًا فشيئًا"[٢].

فإذا نظرنا إلى الحالة الاجتماعية، وجدنا أن "كثيرًا من المجتمعات الإسلامية، تئنُّ تحت مطارق الفقر والجهل والمرض والبطالة والاستبداد، كما أن شروط العيش الكريم فيها تزداد صعوبة يومًا بعد يوم، وكثير من الشباب الذين قذفت بهم الثانويات والجامعات إلى معترك الحياة، يشعرون بالإحباط وانسداد الآفاق، وهذا كله لا يُشكِّل الوسط الصالح للاستقامة الخُلُقية، ولا لوضوح المُثُل العليا في أذهان الناس"[٣].

ففي مجال التعليم، بلغت الأمية ٢٩٪ من حجم السكان بالنسبة للذكور و ٤٨٪ للإناث، مع انخفاض الإنفاق على التعليم، حيث لا يساوي أكثر من ٤٪ من الناتج المحلي[٤]. أما عدد براءات الاختراع المسجلة في الولايات المتحدة خلال الأعوام ما بين ١٩٨٠ و ٢٠٠٠، فكانت كما يأتي: ١٧١ من المملكة العربية السعودية، و ٧٧ من مصر،و ٥٢ من الكويت، و ٣٢ من الإمارات العربية المتحدة، و ٢٠ من سورية، و ١٥ من الأردن. وفي نفس الفترة سجلت كوريا الجنوبية ١٦,٣٢٨

(1) "الطباع يدعو العرب لطرح أدوات مالية جديدة": وكالة الأنباء الأردنية.

(2) "زُخْرف الحضارة الغربيّة": عدنان علي رضا النحوي.

(3) "العيش في الزمان الصعب": عبد الكريم بكار، ص ٣٥.

(4) "جامعة الأزهر تنظم مؤتمر التنمية المستدامة في العالم الإسلامي": بشر محمد موفق.

براءة اختراع، وإسرائيل ٧,٦٥٢[١]. وعندما قامت الصين في العام ٢٠٠٣ بنشر قائمة لأفضل ٥٠٠ جامعة في العالم، لم تتضمن تلك القائمة حتى ولو جامعة عربية واحدة من بين ما يزيد على ٢٠٠ جامعة تعمل في الدول العربية[٢].

وأما البطالة والفقر، فيشير التقرير الاقتصادي العربي الموحد لعام ٢٠٠٨م إلى أن نسبة البطالة في العالم العربي (لعام ٢٠٠٦) قد بلغت ١٤٪، أي ما يعادل ٤٥,٥ مليون شخص من جملة السكان البالغ عددهم ٣٢٦,١ مليون نسمة، والنسبة قد تكون أعلى إذا أخذنا في الحسبان تعداد المسلمين في العالم. كذلك يشير التقرير نفسه إلى أن الذين يعيشون دون خط الفقر قد تجاوز في بعض البلدان ٤٠٪ من عدد السكان.

وأما إنتاجية المسلم، فحدِّث ولا حرج، ولا حول ولا قوة إلا بالله. تشير التقارير إلى أن إنتاجية العامل العربي في اليوم هو ٢٦ دقيقة فقط، في حين أن إنتاجية كل عامل في الإتحاد الأوربي، مثلًا، توازي إنتاجية عشرين عامل سوري[٣]. أما في مصر فإن إنتاجية العامل المصري لا تتجاوز ١٧ دقيقة يوميًّا[٤]. وإذا كان هذا حالنا، فما حال غيرنا؟ الطلاب اليابانيون المبتعثون للدراسة في أمريكا، مثلًا، يلبثون في مكتبة الجامعة إلى نصف الليل، وربما ينامون وهم جلوس على كراسيهم، ثم يواصلون الدراسة في اليوم التالي من غير ذهاب لبيوتهم. وبعضهم قد يعمل ما لا يقل عن ست عشرة ساعة يوميًّا[٥].

وإذا نظرنا إلى الناحية الاقتصادية، وجدنا أن الاقتصاد الإسلامي يعاني من ضآلة الناتج المحلي الإجمالي حيث يبلغ ٣٤٩٢ مليار دولار وهو ما يعادل ٦٪ فقط من الإنتاج العالمي[٦]. أما الديون الخارجية للدول العربية فقط فقد تجاوزت ١٥٠ مليار دولار. أما خدمة الديون، فقد دفعت الدول

---

(1) "العالم العربي في القرن الحادي والعشرين: هل أصبح حرا أخيرا؟": برنارد لويس.

(2) "العالم العربي في القرن الحادي والعشرين: هل أصبح حرا أخيرا؟": برنارد لويس.

(3) "لماذا لا ندرس البطالة المقنعة في القطاع العام": عبد الرحمن تيشوري.

(4) وكالة الأنباء السعودية (واس)، ٢٦ رمضان ١٤٢٨هـ الموافق ٨ أكتوبر ٢٠٠٧م.

(5) "صناعة الحياة": محمد أحمد الراشد، ص ١١١.

(6) "جامعة الأزهر تنظم مؤتمر التنمية المستدامة في العالم الإسلامي": بشر محمد موفق.

النامية (طبعًا، غالبيتها إسلامية) ما يزيد عن ١٣٤٥ مليار دولار للدول الدائنة بين عامي ١٩٨٢ و ١٩٩٠ فقط[١].

و "خلال الفترة من العام ٢٠٠٢ إلى العام ٢٠٠٦، قامت لجنة من المفكرين العرب، يعملون تحت إشراف الأمم المتحدة، بإنتاج سلسلة من التقارير حول التنمية البشرية في العالم العربي. وبصراحة مذهلة، قام هؤلاء بمراجعة الظروف الاقتصادية، والاجتماعية والثقافية في العالم العربي، وقارنوها بتلك التي تسود في المناطق الأخرى.

وقد كشفت بعض هذه المقارنات، معززة بمدخلات من مصادر دولية أخرى، عن نمط مرعب من الجهل والتخلف السائدين في هذه المنطقة. طوال الربع الأخير من القرن العشرين، هبطت حصة الفرد الحقيقية من الناتج القومي الإجمالي في كامل بقاع العالم العربي. وفي العام ١٩٩٩، وقف الناتج القومي لكافة الدول العربية مجتمعة عند مبلغ ٥٣١,٢ بليون دولار، وهو أقل من نظيره لدى إسبانيا وحدها. واليوم، تصل صادرات كامل العالم العربي من غير البترول (وهو المنطقة التي يقطنها حوالي ٣٠٠ مليون نسمة) إلى أقل من صادرات فنلندا (وهي دولة يسكنها ٥ ملايين نسمة فقط). وخلال كامل عقد التسعينيات، نمت صادرات المنطقة، التي تشكل المنتجات المتصلة بالبترول ما نسبته ٧٠٪ منها، بمعدل يساوي ١,٥٪، وهو أقل كثيرًا من معدل النمو العالمي الذي بلغ ٦٪ لنفس الفترة"[٢].

وأما الوضع السياسي للأمة فليس بأحسن من وضعها الاجتماعي والاقتصادي، فحقوق الإنسان المسلم أصبحت مهدرة، والحريات مقيدة، وتُهَم "التطرُّف" و "الإرهاب" أصبحت العملة الرائجة في سوق النخاسة السياسية. ولو اقتصر الحال على كيد الأعداء "التقليديين" للأمة لقلنا هذا شأنٌ دَرَجنا عليه منذ عهد نبينا- صلى الله عليه وسلم-، ولكن الأمر يتفاقم عندما يصبح اضطهاد المسلم وتكبيله ينبع ممن ينتسبون لهذه الأمة وممن يتصدرون لقيادتها.

---

(1) "الأموالُ العربية المهاجرة.. عندما تُخاصِم أوطانَها": أحمد أبو زيد.

(2) "العالم العربي في القرن الحادي والعشرين: هل أصبح حُرًّا أخيرا؟": برنارد لويس.

وبعد أن انفردت الولايات المتحدة بالقوة والهيمنة على العالم بعد سقوط الاتحاد السوفييتي، رأت أنه لم يبق أمامها من خطر مناسب- على الأقل من الناحية السياسية- إلا الإسلام. لذا، فقد عمِلتْ جاهدة على تدمير كيان الأمة من جميع النواحي:

- **العسكرية**، سواءً كان بشن حروب تقليدية على العديد من الدول كالبوسنة والهرسك وأفغانستان والعراق وفلسطين، وما نتج عن ذلك من تدمير شبه كامل للبنى التحتية لتلك الدول، وإبادة مئات الآلاف من الأرواح، وتلويث صور الحياة المختلفة بالإشعاعات النووية والمخلفات السامة؛ أو كان بضرب المنشآت الهامة لبعض الدول كضرب مصنع الأدوية في السودان والمفاعل النووي في العراق؛ أو كان بخلق الصراعات بين الدول المجاورة، كما هو الحال بين مصر والسودان حول منطقة حلايب، ودولة الإمارات العربية المتحدة وقطر حول جزر أبي موسى.
- **والسياسية**، بنزع الحريات، وتعطيل الأنظمة والأعراف الدولية التي تكفل للإنسان ولو بعض حقوقه. لقد أرادت أمريكا أن تستبدل كل ذلك بأنماط جديدة نابعة من ديمقراطية عرجاء وحرية مزيفة. لكننا عندما نرجع إلى "تاريخ الديمقراطية الأمريكية في مختلف أنحاء العالم، ابتداء من أمريكا اللاتينية ومختلف أقطارها، إلى أفريقيا، وإلى آسيا، لا نجد إلا الفواجع والمآسي والتدمير وقتل الإبادة، حتى انتزعت هذه الديمقراطية كلَّ بسمةٍ على وجه طفل، أو فرحةٍ في قلب أُم، أو كرامةٍ في حياة إنسان، وغرست مكانها الدموع والأنين والدماء والأشلاء والإذلال"[1].
- **والتعليمية**، بما تطلق عليه أمريكا "إصلاح التعليم"، وهو في حقيقته تغريب المناهج، وتجفيف المنابع، وطمس الهوية الدينية في نفوس الناشئة. إن الغرب بأكمله، وأمريكا على وجه الخصوص، يدركون أن لا عزة للمسلمين إلا بالتمسك بتعاليم دينهم، وجعله منهاج حياة لهم في شؤونهم الخاصة والعامة. لذا، رأوا أن لا سبيل لتركيع المسلم، وجعله تبعًا لهم فكرًا وسلوكًا، إلا بتنشئته منذ نعومة أظفاره على ثقافة الولاء للغرب والانبهار بحضارته الزائفة، وفي الوقت نفسه إقصائه عن المنابع التي يستمد منها عزته وثقافته، وهي كتاب الله وسنة نبيه- صلى الله عليه

(1) "مشروع الشرق الأوسط الكبير": عدنان علي رضا النحوي.

وسلم-. يقول عدنان النحوي: "ليس واقع منطقتنا وحده يحتاج إلى إصلاح، إنَّ واقع البشرية اليوم كلَّه يحتاج إلى إصلاح، لإخراجه من ظلمات الفتن والفساد والصدِّ عن سبيل الله. إنَّ العالم كلَّه بحاجة إلى إصلاح عاجل، وإن أول مجتمع يحتاج إلى الإصلاح أمريكا نفسها، وقد طغى فيها الفساد ولم يستطع الزخرف أن يُخْفيَه"[1].

- **والاجتماعية**، بنشر الرذائل والموبقات التي غرق الغرب في أوحالها، وصارت دولة الديمقراطية والحرية تتجرع مآسي ديمقراطيتها وحريتها. لقد هال أمريكا أن يعيش المسلمون في منأى عن تجرُّع ويلات الحرية المزيفة، فأبت إلا أن تنشر في بلاد المسلمين سموم "حضارتها"، من الأمراض الفتاكة والشذوذ الجنسي والانهيار الأسري.
- **والاقتصادية**، بإغراق الأمة في الديون، وفرض شتى أنواع الحصار الاقتصادي، وتحجيم دور الصناعة والإنتاج المحلي، وفرض سياسة الاستيراد والاعتماد على الغير.
- **والإعلامية**، بدعم القنوات الفضائية الإباحية أو تلك التي تبث ثقافة الشعوذة من ناحية والتغريب من ناحية أخرى، ونشر المواقع الإباحية والمجلات الهابطة، وبث فكر الولاء والسيادة لأمريكا وعملائها، وملء أوقات الشباب والفتيات بالمسلسلات الهابطة والرياضات التافهة.

وأما الجانب العقدي والفكري، فللأسف، فحال الأمة في هذا الجانب لا يخفى على أحد؛ فمع كثرة التيارات الفكرية والمذاهب العقدية التي خرجت في محيط هذه الأمة، وصارت تنسب نفسها إلى هذه الأمة زورًا وبهتانًا، مع كل هذه، أصبح مثقفو اليوم يتسابقون لجلب صيحات الغرب، من علمنة وقومية وإلحاد وشيوعية واشتراكية ورأسمالية وديمقراطية وحداثة، وما شئت أن تسمي من التيارات. وظهرت من التيارات التي تدَّعي أنها تريد أن تعيد للأمة عزتها ومجدها بطرق شتى.

فالعلمانيون، رأوا أن سبب تقدم الغرب هو نبذه لدينه وتطويق الدين في حيِّز الكنيسة، وجعله شأنًا فرديًّا لا دخل له بالحياة. من أجل هذا، رأوا وسيلة التقدم لأمتنا وسفينة النجاة لها من تخلفها هو أن تصبح علمانية، ولذا تراهم جاهدين في سلخ هذه الأمة من دينها، وتحجير دور الدين في الحياة.

(1) "مشروع الشرق الأوسط الكبير": عدنان علي رضا النحوي.

وأما الحداثيون، فقد وجدوا أن الحياة قد تقدمت، وأن القوانين والنظم والأفكار قد تطورت، ونظروا إلى حال أمتنا، فرأوا أن غالبية المسلمين ما زالوا يزاولون "طقوسًا" بائدة ويجترُّون أفكارًا قديمة. من هنا، كان سعيهم "المخلِّص" هو إخراج الأمة للعيش في زماننا وليس في زمان الرسول والصحابة والتابعين، ورأوا أن لا سبيل لذلك إلا بمحاربة كل ما هو "تقليدي" و "قديم"، والأخذ بكل ما هو "حديث" و "معاصر". ولا يخفى على عاقل أن مثل هذا التوجه هو حقيقة سلخ الأمة من دينها، وجعلها تعيش بلا دين.

نهجانِ قد ميَّزَ الرحمنُ بينهما نهجُ الضلال ونهجُ الحقِّ والرَّشَدِ
لا يجمعُ الله نهجَ المؤمنين على نهجِ الفسادِ ولا صدقًا على فَنَدِ

والبعض رأى أن سلخ الأمة من دينها بشكل مباشر، كما تفعل الحداثة أو العلمانية، قد يثير غضب بعض عقلاء الأمة، وقد لا تُعجِب موضة "العصرنة" حتى السُّذج من عامة الأمة. لذا، رأوا أنهم بحاجة إلى وسائل تدغدغ مشاعر البلهاء من أبناء هذه الأمة، وفي الوقت نفسه كفيلة لإخراج المسلم من دينه، حتى وإن بقي يحمل اسمه الإسلامي وهيأته الإسلامية. فقام البعض بالدعاية والترويج للفكر الصوفي والطرق الصوفية، وأوهموا بسطاء العقول والدين أن سبب تخلُّف الأمة هو خواء قلوب أتباعها من الروحانيات، ولذا فلا بد لهم من التركيز على هذا الجانب، ولا بأس في الوقت الحاضر من التغاضي عن الجوانب التعبدية والتطبيق الواقعي للدين في الحياة.

أما "القرآنيون" فإنهم ادعوا أن سبب تخلُّف الأمة هو انسياق أتباعها وراء الموروثات الحديثية والروايات التاريخية، وأن الأمة قد ابتعدت عن أصل التشريع والخلاص، وهو القرآن. من هنا، فهم يركزون على محاربة "الروايات" الحديثية والتاريخية، ويقولون بضرورة الاكتفاء بالنص القرآني كسبيل للخلاص من التناقضات الموجودة في تلك "الروايات".

أمّةَ الحقِّ ما دهاكِ فأصْبَحْـ ـتِ شظايا تناثرتْ في النِّجادِ
كلُّما رُمْتِ ملتقىً كُنْتِ في السا حةِ أوْهى من حفنةٍ من رمادِ

٢- أسباب تخلف الأمة

لقد تمنَّيتُ أن أكون مبالغًا في وصفي لتلكما الصورتين، إلا أن هذا الهاجس صار يقلق من لديه أدنى اهتمام بشؤون الأمة، وبات نشيد الخلاص يدغدغ أحلام الكثيرين، ويؤرِّق فئة لا بأس بها من الحريصين على مستقبل هذه الأمة. غير أنه "كثيرون هم الذين يلحظون هذا الواقع، ويجأرون بالشكوى منه، فهم بين الحنين إلى الماضي وأمجاده، والأنين من الواقع ومشكلاته، والخوف من المستقبل ومخبآته. يعيشون حالةً من الاستسلام للواقع بكل سلبياته المذهلة، ومشكلاته المستعصية. لكنهم قلة أولئك الذين لا يقفون عند حد اجترار الأحزان، والنوح على المصائب المتوالية، بل يتعدونها إلى الدعوة الخالصة للخلاص من هذا الواقع من خلال البحث عن الأسباب الحقيقية لهذا التردِّي، ووضع الحلول المناسبة، وبين أيدينا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم"[١].

يقول الدكتور عبد الكريم بكار: "وليس بخافٍ أن كثيرًا من الناس اليوم يقوم بأعمال ليس لها أي تفسير مقنع، وليس لها أي معنى: تجد كثيرين يملكون مئات الملايين، ومع ذلك فهم يكذبون ويغشون ويضيعون بعض الفرائض، ويقطعون أرحامهم، ويغامرون بصحتهم في سبيل الحصول على المزيد من المال الذي لا يعرفون متى سيتمتعون به، ولا مدى حاجتهم إليه، إنه التيه، والغرق في دوامة الضياع، لا ترحم!"[٢].

وقد تفاوتت آراء العلماء والمفكرين المسلمين في أسباب المشكلة، وأيضًا في وسائل الخلاص منها، فمنهم[٣] مَن يرى أن "الخواء الروحي والخراب الداخلي الذي يعاني منه الإنسان الحديث بعد أن تم شطب كل أو معظم ما يقع وراء إدراكات الحواس"، هو أحد الأسباب الرئيسية في تخلف أمتنا وفقدانها لهويتها، فـ "المركز المحوري الذي احتلته (الروح) على مدار آلاف السنين غادرته منذ أكثر من مئة عام، وصار يُنْظَر إليها اليوم على أنها وَهْم أو خرافة من خرافات الماضي". ورغم "أن العالم الإسلامي لم يصل إلى هذا الحد، لكن يصح القول أيضًا: إن الخطط التنموية في معظم البلدان الإسلامية، لا تعكس اهتمامًا خاصًا بهذه المسألة عما ذكرناه لدى الآخرين".

---

(1) "جولة في عقل النحوي": صالح عبد الله.

(2) "عصرنا والعيش في الزمان الصعب": عبد الكريم بكار، ص ٣٠.

(3) "عصرنا والعيش في الزمان الصعب": عبد الكريم بكار، ص ٣١.

هذا الانحطاط في وضعية الروح بالنسبة للغرب- وعلى خطاهم يسير المسلمون- يمثل "خلفية ثقافية للوضعية الخُلُقية التي نشعر أنها هي الأخرى، أخذت تتدرج في مسالك التأزم والانحطاط". ففي العالم الغربي "ذهب معظم الفلاسفة إلى أن واضع القِيَم هو الإنسان، ويذهب بعضهم إلى أن واضعها هو المجتمع، ومحصلة ذلك أن العقل البشري هو الأساس الذي يتشكل عليه الإطار المرجعي لجميع القِيَم؛ وهذا في الحقيقة يجعل الأخلاق والقِيَم أسيرة لأهواء البشر وملوَّنة بألوان البرمجات المحلية ومقولات البيئات الثقافية المختلفة، والمصالح الحيوية"[1]. والمحصلة هي أن كثيرًا من الناس "أخذوا يعوِّضون عن النقص في كينونتهم الإيمانية والأخلاقية بالاتجاه نحو المزيد من الاستهلاك البذخي والترفي، بالإضافة إلى رغبة قوية في الاكتناز بشراء العقارات والقصور وشراء السيارات الفاخرة"[2].

"وهكذا نجد أن إبعاد الأخلاق والسلوك والعلاقات العامة عن فلك الدين، وقطع صلتها بالرؤية العامة للحياة، حرمها من الإطار المرجعي الثابت، ومن المعايير الموضوعية المتفق عليها، وصار بالتالي كل شيء في النهاية ممكنًا حتى الأسس الراسخة والثوابت الشامخة، ويمكن عن طريق التغيرات البطيئة والناعمة أن تتحول إلى مسائل فرعية، أو خلفيات ثقافية، أو مظاهر كياسة!". وللأسف، فقد "انتقل هذا الداء إلى كثير من الدوائر المالية والتجارية وإلى بعض مجالات العلاقات العامة في بلداننا الإسلامية، وسوى من يتأمل في الدورات التي تُقام لمندوبي المبيعات وموظفي الاستقبال والعلاقات العامة، والتعليمات التي يتلقاها هؤلاء من رؤسائهم- أن ما وقع فيه غيرنا قد وقعنا في كثير منه من أجل المزيد من الربح، والمزيد من المكاسب المادية. بل يمكن القول: إن الأسس التي تقوم عليها العلاقات الاجتماعية قد أصابها بعض التبدل، حيث أضحت تقوم- على نحوٍ متصاعد- على تبادل المنافع، وليس على الحب والتقدير والوفاء والتناغم الخلقي والروحي؛ مما يجعل كثيرًا منها يبدو وكأنه من فروع نظام التجارة الغلاّب لكل النظم الأخرى!"[3].

ورغم أن الإيمان- المتمثل في الروح- والأخلاق هما قوام سعادة الإنسان في الدارين، والسبب المباشر والأهم لنجاحه، غير أن هناك مَن يرى أن الأفكار تلعب دورًا مهمًّا في تطور المجتمعات؛ "فهي إما

---

(1) "عصرنا والعيش في الزمان الصعب": عبد الكريم بكار، ص ٣٢.

(2) "عصرنا والعيش في الزمان الصعب": عبد الكريم بكار، ص ٣٧.

(3) "عصرنا والعيش في الزمان الصعب": عبد الكريم بكار، ص ٣٣.

أن تؤثر بوصفها عوامل نهوض بالحياة الاجتماعية، وإما أن تؤثر على عكس ذلك بوصفها عوامل ممْرِضة، تجعل النمو الاجتماعي صعبًا أو مستحيلًا"[١].

وسبب آخر لأزمة أمتنا هو أن الكثير من المسلمين اليوم صار "يعيش دون شعور بالمُثُل الإسلامية العليا، ودون أهداف سامية يسعى إلى تحقيقها؛ فتأمين الحاجات الضرورية هو شغلهم الشاغل، وامتلاك بيت يؤوي الواحد منهم فيه عياله، صار يعد اليوم عبارة عن نصر كبير في معركة شرسة؛ وهذا جعل كثيرًا منهم يقع تحت ضغوط المتطلبات الآنية والأشياء الصغيرة، ويقع فريسة لضروراتها. وقد صار كثيرون منهم أشبه بالحيوان البري الذي يقضي حياته في حديقة حيوانات؛ فهو ليس معزولًا عن بيئته الطبيعة فحسب، بل هو معزول عن أعماق ذاته!"[٢].

ويرى آخرون أن التبعيَّة للأقوى هي التي جعلت من أمتنا تلهث وراء الغير، وعليه فلا "ينبغي أن نختلف أن الدول والشعوب التي تنتج القِيَم المعاصرة، ونُظُم تحقيقها ووسائلها هي الأمم التي تترك أقوى البصمات على العصر الذي نعيش فيه، من خلال ما تضعه من شروط ومواصفات للعيش والارتقاء الحضاري، ومن خلال الهيمنة الأدبية والمادية التي تمكنها من الحراك الأوَّلي والاستفادة من ضعف الضعفاء وجهل الجهلاء واحتراب الخصوم والأعداء"[٣]. ولذا فإن "مشكلة الأمم الضعيفة لا تقتصر اليوم على ضعف إنتاجها الحضاري، وإنما تتجاوز ذلك إلى معاناتها من العجز عن عرض ما لديها من قِيَم وخبرات ونُظُم، وتسويقه في بلاد الأمم المتقدمة المغرورة والمصابة بعقدة الأقوى والأكبر والأصلح"[٤].

ولا ننسى أيضًا أن السواد الأعظم من المسلمين يعاني من "ضعف الإحساس بـ (الواجب)، وهو المبدأ الذي يتجاوز المصلحة المباشرة والفردية؛ ليعكس تسامي الإنسان، وقدرته على الالتزام تجاه غيره، والتضحية في سبيله". كذلك فهناك "فريق كبير من المسلمين، يعاني على الصعيد الحضاري

---

(1) "مشكلة الثقافة": مالك بن نبي، ص ١٤.

(2) "عصرنا والعيش في الزمان الصعب": عبد الكريم بكار، ص ٣٦.

(3) "عصرنا والعيش في الزمان الصعب": عبد الكريم بكار، ص ١١.

(4) "عصرنا والعيش في الزمان الصعب": عبد الكريم بكار، ص ١٢.

من ذبول روح المدنية لديه، وهو ينزع باستمرار إلى نوع من الانطواء على الذات أو الأسرة أو القبيلة، وهو نزوع ذو أثر سلبي على الإحساس بالمصلحة الوطنية؛ والمصلحة العامة"[١].

"إن عالمنا الإسلامي لم ولن يستطيع أن يُفلِت من روح التشاؤم التي وُلِدت في بلاد الغرب، وأخذت تنسَلُّ في كل شبر في الأرض؛ ونظرة واحدة في معظم الدواوين الشعرية الحديثة، وفي الكتابات الحضارية عامة، بل في أحاديث مجالس السَّمَر لدى العامة والخاصة- كافية لتأكيد أن الناس يشعرون أن أفضل أيام البشرية، قد ولى، وأن صنوفًا من الآلام والإخفاقات الهائلة، تنتظر الأجيال القادمة"[٢].

أما أمير البيان، شكيب أرسلان، فيصف حال المسلمين بقوله: "إن حالتهم الحاضرة لا تُرضي لا من جهة الدين ولا من جهة الدنيا، ولا من جهة المادة ولا من جهة المعنى. وإنك لتجد المسلمين في البلاد التي يساكنهم فيها غيرهم متأخرين عن هؤلاء الأغيار لا يساكنهم في شيء إلا ما نزر، ولم أعلم من المسلمين من ساكَنهم أمم أخرى في هذا العصر ولم يكونوا متأخرين عنهم إلا بعض أقوام منهم"[٣]. ويحاول البحث عن الأسباب، فيجد أن السبب الذي عزَّت به أمة الإسلام في الماضي أصبح اليوم مفقودًا. يقول: "إذا فحصنا عن ذلك وجدنا أن السبب الذي به استقام هذا الأمر قد أصبح مفقودًا بلا نزاع، وإن كان بقي منه شيء كباقي الوشم في ظاهر اليد"[٤]. ويوضح الأسباب أكثر، فيقول: "كيف ترى في أمة ينصرها الله بدون عمل ويفيض عليها الخيرات التي كان يفيضها على آبائها، وهي قد قعدت عن جميع العزائم التي قد كان يقوم بها أباؤها؟ وذلك يكون أيضًا مخالفًا للحكمة الإلهية والله هو العزيز الحكيم"[٥]. ثم يقول بعد ذلك: "كل هذا مخالف لما وعد الله به رسله ومخالف للعقل والمنطق، ومخالف لحكمة التشريع، وليس هذا هو البيع[٦] الذي يستبشر به

---

(1) "عصرنا والعيش في الزمان الصعب": عبد الكريم بكار، ص ٣٧.

(2) "عصرنا والعيش في الزمان الصعب": عبد الكريم بكار، ص ٢٥.

(3) "لماذا تأخر المسلمون؟ ولماذا تقدم غيرهم": شكيب أرسلان، ص ٣٩.

(4) "لماذا تأخر المسلمون؟ ولماذا تقدم غيرهم": شكيب أرسلان، ص ٤٢.

(5) "لماذا تأخر المسلمون؟ ولماذا تقدم غيرهم": شكيب أرسلان، ص ٤٣.

(6) يعني هنا قوله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (التوبة: ١١١).

المؤمنون"[1]. ثم يزيد الأمر إيضاحًا، فيقول: "اليوم فَقَد المسلمون أو أكثرهم هذه الحماسة التي كانت عند آبائهم، وإنما تخلَّق بها أعداء الإسلام الذين لم يوصهم كتابهم بها، فتجد أجنادهم تتوارد على حياض المنايا سباقًا، وتتلقى الأسنة والحراب عناقًا، ولقد كان مبلغ مفاداتهم بالنفائس وتحضيتهم للنفوس في الحرب العامة فوق تصوُّر عقول البشر، كما يعلم ذلك كل أحد"[2].

إذًا، المسلمون تخلَّوا عن نصرة دينهم، أما أعداؤهم فقد صاروا أشد حماسًا لدياناتهم- رغم فسادها- من المسلمين. وبحرقة وتحسُّر، يقول الأمير: "فليقل لي قائل: أية أمة مسلمة اليوم تقدُم على ما أقدَم عليه هؤلاء النصارى من بيع النفوس وإنفاق الأموال بدون حساب في سبيل أوطانهم ودولهم حتى نعجب نحن لماذا آتاهم الله هذه النعمة والعظمة والثروة وحرم المسلمين أقل جزء منها؟"[3]. ثم يقول: "ولكن الأمم الإسلامية تريد حفظ استقلالها بدون مفاداة ولا تضحية، ولا بيع أنفس ولا مسابقة إلى الموت، ولا مجاهدة بالمال، وتطالب الله بالنصر على غير الشرط الذي اشترطه في النصر فإن الله سبحانه يقول: ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ﴾ (الحج: ٤٠). ويقول: ﴿ إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ (محمد: ٧).

ومن المعلوم أن الله تعالى غير محتاج إلى نصرة أحد، وإنما يريد بنصرته تعالى إطاعة أوامره واجتناب نواهيه. ولكن المسلمين أهملوا جميع ما أمرهم به كتابهم (في ذلك) أو أكثره، واعتمدوا في استحقاق النصرة على كونهم مسلمين موحدين، وظنوا أن هذا يغنيهم عن الجهاد بالأنفس والأموال. ومنهم من اعتمد على الدعاء والابتهال لرب العزة لأنه يجده أيسر عليه من القتل والبذل.

ولو كان مجرد الدعاء يغني عن الجهاد لاستغنى به النبي- صلى الله عليه وسلم- وصحابته وسلف هذه الأمة فإنهم الطبقة التي هي أولى بأن يسمع الله دعاءها. ولو كانت الآمال تُبلَغ بالأدعية والأذكار، دون الأعمال والآثار، لانتقضت سنن الكون، وبطل التشريع ولم يقل الله تعالى: ﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ (النجم: ٣٩). ولم يقل: ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ﴾ (التوبة: ١٠٥). ولم يقل للمعتذرين عن القتال: ﴿ لا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ

---

(1) "لماذا تأخر المسلمون؟ ولماذا تقدم غيرهم": شكيب أرسلان، ص ٤٤.

(2) "لماذا تأخر المسلمون؟ ولماذا تقدم غيرهم": شكيب أرسلان، ص ٤٥.

(3) "لماذا تأخر المسلمون؟ ولماذا تقدم غيرهم": شكيب أرسلان، ص ٤٦.

وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ﴾ (التوبة: ٩٤). ولم يقل: ﴿ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ ﴾ (آل عمران: ١٩٥). لقد ظن كثير من المسلمين أنهم مسلمون بمجرد الصلاة والصيام وكل ما لا يكلفهم بذل دم ولا مال، وانتظروا على ذلك النصر من الله. وليس الأمر كذلك فإن عزائم الإسلام لا تنحصر في الصلاة والصيام، ولا في الدعاء والاستغفار، وكيف يقبل الله الدعاء ممن قعدوا وتخلفوا، وقد كان في وسعهم أن ينهضوا ويبذلوا"[١].

بعد ذلك استرسل أمير البيان في سرد المزيد من أسباب تأخر المسلمين، فذكر منها[٢]:

- **الجهل**، الذي يجعل فيهم من لا يميز بين الخمر والخل.
- **العلم الناقص**، الذي هو أشد خطرًا من الجهل البسيط، لأن الجاهل إذا قيَّض الله له مرشدًا عالِمًا أطاعه ولم يتفلسف عليه، فأما صاحب العلم الناقص فهو لا يدري ولا يقتنع بأنه لا يدري.
- **فساد الأخلاق**، بفقد الفضائل التي حث عليها القرآن، والعزائم التي حمل عليه سلف هذه الأمة وبها أدركوا ما أدركوه من الفلاح.
- **فساد أخلاق الأمراء**، حيث ظنَّ هؤلاء- إلا من رحم ربك- أن الأمة خُلِقت لهم أن يفعلوا بها ما يشاؤون، وقد رسخ فيهم هذا الفكر حتى إذا حاول محاول أن يقيمهم على الجادة بطشوا به عبرة لغيره.
- **انتشار علماء السوء**، الذين اتخذوا العلم مهنة للعيش، وجعلوا الدين مصيدة للدنيا، فسوغوا للفاسقين من الأمراء أشنع موبقاتهم، وأباحوا لهم باسم الدين خرق حدود الدين، هذا والعامة المساكين مخدوعون بعظمة عمائم هؤلاء العلماء، وعُلوِّ مناصبهم، يظنون فُتياهم صحيحة، وآراءهم موافقة للشريعة، والفساد بذلك يعظم، ومصالح الأمة تذهب، والإسلام يتقهقر، والعدو يعلو ويتنمر، وكل هذا إثمه في رقاب هؤلاء العلماء.

---

(1) "لماذا تأخر المسلمون؟ ولماذا تقدم غيرهم": شكيب أرسلان، ص ٤٦-٤٨.

(2) "لماذا تأخر المسلمون؟ ولماذا تقدم غيرهم": شكيب أرسلان، ص ٧٥-١٤٣.

- **الجبن والهلع**، فبعد أن كانوا أشهر الأمم في الشجاعة واحتقار الموت، يقوم واحدهم للعشرة وربما للمائة من غيرهم، فالآن أصبحوا إلا بعض قبائل منهم يهابون الموت الذي لا يجتمع خوفه مع الإسلام في قلبٍ واحد.
- **اليأس والقنوط** من رحمة الله، فمنهم فئات قد وقر في أنفسهم أن الإفرنج هم الأعلون على كل حال، وأنه لا سبيل لمغالبتهم بوجه من الوجوه، وإن كل مقاومة عبث، وإن كل مناهضة خرق في الرأي، ولم يزل هذا التهيُّب يزداد ويتخمر في صدور المسلمين أمام الأوروبيين [والآن الأمريكان] إلى أن صار هؤلاء يُنصَرون بالرعب، وصار الأقل منهم يقومون للأكثر من المسلمين.
- **الشح عن الإنفاق في سبيل الله**، فهم لا يريدون أن يبذلوا، ولا أن يقتدوا بالإفرنج واليابان في البذل، بل يريدون النصرة بدون سلاح وعتاد، أو السلاح والعتاد بدون بذل الأموال، وإذا تغلَّب العدو عليهم من بعد ذلك صاحوا قائلين: أين المواعيد التي وعدنا إياها القرآن في قوله: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الروم: ٤٧)؟ كأن القرآن ضمن للمؤمنين النصر بدون عمل، وبلا كسب ولا جهاد بالأموال والأنفس، بل بمجرد قولنا أننا مسلمون، أو بمجرد الدعاء والتسبيح؟
- **الإفراط في حب الدنيا**، حيث أن ذلك يَحْرُم الإنسان التمتع بها، وأن الغلو في المحافظة على الحياة تكون عاقبته زيادة التعرض للهلاك، فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ (البقرة: ١٩٥). أي أن عدم إنفاقكم في سبيل الله هو التهلكة بعينها. وقد أصابت المسلمين تهلكة عدم الإنفاق وصدق فيهم ما حذرهم الله منه.
- **التبرؤ من الأصل العربي والإسلامي**، فمثل هؤلاء يأبى إلا أن "يُفرنج المسلمين وسائر الشرقيين ويخرجهم عن جميع مقوماتهم ومشخصاتهم، ويحملهم على إنكار ماضيهم، ويجعلهم أشبه بالجزء الكيماوي الذي يدخل في تركيب جسم آخر كان بعيدًا فيذوب فيه ويفقد هويته". ثم يضرب مثالًا باليهود والنصارى، وأنهم "تعلموا وتقدموا وترقوا وعلوا وطاروا في السماء والمسيحي منهم باقٍ على إنجيله وتقاليده الكنسية، واليهودي باقٍ على وثنه وأرزه المقدس، وكل حزب منهم فرح بما لديه، وهذا المسلم المسكين يستحيل أن يترقى إلا إذا رمى بقرآنه وعقيدته ومآخذه ومتاركه

ومنازعه ومشاربه ولباسه وفراشه وطعامه وشرابه وأدبه وطربه، وغير ذلك، وانفصل من كل تاريخه، فإن لم يفعل ذلك فلا حظ له من الرقي".

- **الجمود على القديم**، "فكما أن آفة الإسلام هي الفئة التي تريد أن تلغي كل شيء قديم، بدون نظر فيما هو ضار منه أو نافع، كذلك آفة الإسلام هي الفئة الجامدة التي لا تريد أن تغير شيئًا". "فالجامد هو الذي مهد لأعداء المدنية الإسلامية الطريق لمحاربة هذه المدنية محتجين بأن التأخر الذي عليه العالم الإسلامي إنما هو ثمرة تعاليمه. والجامد هو سبب الفقر الذي ابتلي به المسلمون لأنه جعل الإسلام دين آخرة فقط. والحال أن الإسلام هو دين دنيا وآخرة، وأن هذه مزية له على سائر الأديان، فلا حصر كسبه فيما يعود للحياة التي وراء هذه كما هي ديانات أهل الهند والصين، ولا زهده في مال الدنيا وملكها ومجدها كتعاليم الإنجيل، ولا حصر سعيه في أمور هذه المعيشة الدنيوية كما هي مدنية أوروبة الحاضرة. والجامد هو الذي شهر الحرب على العلوم الطبيعية والرياضية والفلسفية وفنونها وصناعاتها بحجة أنها من علوم الكفار، فحرم الإسلام ثمرات هذه العلوم، وأورث أبناءه الفقر الذي هم فيه وقص أجنحتهم، فإن العلوم الطبيعية هي العلوم الباحثة في الأرض، والأرض لا تخرج أفلاذها إلا لمن يبحث فيها، فإن كنا طول العمر لا نتكلم إلا فيما هو عائدٌ للآخرة، قالت لنا الأرض: اذهبوا توًّا إلى الآخرة فليس لكم نصيب مني. ثم إننا بحصر كل مجهوداتنا في هذه العلوم الدينية والمحاضرات الأخروية جعلنا أنفسنا بمركز ضعيف بإزاء سائر الأمم التي توجهت إلى الأرض، وهؤلاء لم يزالوا يعلون في الأرض ونحن ننحط في الأرض، إلى أن صار الأمر كله في يدهم، وصاروا يقدرون أن يأفكونا عن نفس ديننا فضلًا عن أن يملكوا علينا دنيانا، ومن ليست له دنيا فليس له دين، وليس هذا هو الذي يريده الله بنا، وهو الذي قال: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ (النور: ٥٥) ". ثم يقول بعد ذلك: "هذا الخلُق هو الذي حبب الكسل إلى كثيرٍ من المسلمين فنجمت فيهم فئة يلقبون "بالدراويش" ليس لهم شغل ولا عمل، وليسوا في الواقع إلا أعضاء مشلولة في جسم المجتمع المسلم".

أنَّى اتَّجَهْتَ إلى الإسلامِ في بلدٍ ... تجدْهُ كالطَّيْرِ مقصوصًا جناحاهُ
كم صرَّفَتْنا يدٌ كنا نُصرِّفها ... وباتَ يحكُمُنا شعبٌ ملَكْناهُ

ويـحَ العروبـةِ كـانَ الكـونُ مـسرحُها مـــا بالُهـــا تتـــوارى في زوايـــاهُ

- **فقدان الثقة بالنفس**، حيث يعتقد معظم المسلمين أنهم لا يصلحون لشيء، وأنهم إن اجتهدوا أو قعدوا فهم لا يقدرون أن يضارعوا الأوروبيين [والأمريكان واليابانيين والصينيين والهنود وغيرهم] في شيء؛ سواءً كان ذلك في الحروب والأمور العسكرية، أو في التجارة والصناعة والاقتصاد أو في أي منحى من مناحي الحياة. ويقول أمير البيان بأن هذا المرض "من أشد الأمراض الاجتماعية وأخبث الآفات الروحية لا يتسلط هذا الداء على إنسان إلا أودى به ولا أمة إلا ساقها إلى الفناء". ويقول أيضًا بأن أية مجادلات مع مَن أصيبوا بهذا المرض لا تجدي شيئًا؛ فلا "يدخل في عقولهم المنطق ولا يعظهم التاريخ ولا ينفع في إقناعهم علم الطبيعة ولا التشريح ولا يحيك بهم استنتاج ولا قياس، وذلك لما غلب عليهم من آفة الذل ومرض الاستخذاء". وعندما أحس الأوروبيون بهذه الحالة عند المسلمين، ورأوها موافقة لمصالحهم الاستعمارية، صاروا يروجونها أكثر لتقوى هذه العقيدة في نفوس المسلمين، مصداقًا لقوله سبحانه: ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾ (البقرة: ١٠). ويعجب الأمير من هؤلاء المسلمين الذين أمرهم الله ليتصفوا بالعزة ويتَّسِموا بالأنَفَة ويستوفوا تمام الرجولة، كيف ينقادون لهذه الأضاليل التي مآلها عبوديتهم للأجانب.

٣- سفينة النجاة

أما المخرج من أزمة أمتنا فلن نستطيع إدراكه إلا إذا علمنا أنه "على مقدار ما تُسهِم الشعوب المقودة في إنتاج قِيَم ونُظُم وأدوات، تسهِّل الحياة، وتحل المشكلات- تترك بصماتها على العصر الذي نعيش فيه، وتبلِّغ رسالتها ورؤيتها في الحياة"[1]. ولا يمكن للأمة أن تُسهِم بشيء في الحضارة الإنسانية إلا إذا تمسكت بدين ربها، وسارت على نهجه، وجعلت العلم مطيتها للرقي والعطاء. فالعالم الإسلامي "يمكنه النهوض والرقي واللحاق بالأمم العزيزة الغالبة إذا أراد ذلك المسلمون ووطَّنوا أنفسهم عليه،

(1) "عصرنا والعيش في الزمان الصعب": عبد الكريم بكار، ص ١٢.

ولا يزيدهم الإسلام إلا بصيرة فيه وعزمًا، ولن يجدوا لأنفسهم حافزًا على العلم والفن خيرًا من القرآن الذي فيه: ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (الزمر: ٣) "[١].

لذا، فإن "الأمم الإسلامية إذا ائتمرت في المعاداة بما أمرها به كتابها كما كان يفعل أباؤها، أو اقتدت على الأقل بما هو دأب الأوروبيين اليوم من بذل النفوس والنفائس في سبيل حفظ بيضتها، وذود المعتدين عنها، لم تقطف من ثمرات التضحية إلا مثل ما قطفه غيرها، وانقلبت بنعمة من الله وفضل لم يمسسها سوء"[٢]. كذلك، "فالعالم قد دخل في مرحلة لا يمكن أن تحل فيها أغلبية مشكلاته إلا على أساس نظم الأفكار، وفي مرحلة كهذه يتحتم على البلاد العربية والإسلامية أن تولي أكبر قدر من اهتمامها لمشكلة أفكارها، وخاصة تلك البلاد التي لا تملك كثيرًا من أدوات القوة المادية"[٣].

"إنَّ سبيل الإصلاح واضح ممتدٌّ أمامنا. إنه نابع من منهاج الله إذا التجأنا إلى الله حق اللجوء، وإذا حاسبنا أنفسنا على ميزان منهاج الله، لنعرف أخطاءنا ولنعرف سبيل علاجها. إن الإصلاح الذي نرجوه، لا ينحصر في تحسين واقعنا المادي، فتحسين الواقع المادي وحده قد تختلف السبل إليه بين أمواج المصالح والأهواء، ولكن الإصلاح الذي نرجوه هو الإصلاح الذي ننجو به من فتنة الدنيا ومن عذاب الآخرة، ولننال القوة والعزة على أساس ذلك، فلهذا الإصلاح سبيل واحد فقط، لا يمكن أن تتعدد السبل له. لا يملك المسلمون اليوم إلا أن يجهروا بدين الله الحقِّ كما أُنزل على محمد – صلى الله عليه وسلم – دون أيِّ تحريف أو تأويل أو تبديل، ليبلِّغوه للناس كافَّة، للبشرية كلِّها، حتى تكون كلمة الله هي العليا.

لا بُدَّ أن يوقف المسلمون جريهم اللاهث وراء زخارف كاذبة من مصطلحات الاشتراكية والديمقراطية والعلمانية، وغير ذلك من المصطلحات التي أخذت تتبدَّل كما تتبدَّلُ "نماذج" الملابس! لا بُدَّ أن يوقف المسلمون مسلسل التنازلات التي طال أمره وأورثنا المذلَّة والهوان والصَّغار. لا بدَّ للمسلمين اليوم أن يربطوا إصلاح الواقع المادِّي بإصلاح سبيلهم إلى الدار الآخرة في أيِّ تصوُّر أو عمل أو موقف، ولا يكونوا كالذين يؤثرون الدنيا على الآخرة: ﴿ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ

---

(1) "لماذا تأخر المسلمون؟ ولماذا تقدم غيرهم": شكيب أرسلان، ص ١٣٣.

(2) "لماذا تأخر المسلمون؟ ولماذا تقدم غيرهم": شكيب أرسلان، ص ٤٦.

(3) "مشكلة الثقافة": مالك بن نبي، ص ١٥.

وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلالٍ بَعِيدٍ ﴾ (إبراهيم: ٣). لا بُدَّ أن ينهجوا هذا النهج وأن يبذلوا من أجله البذل الذي يستحقُّه كما أمرهم الله- سبحانه وتعالى-. ومهما بدى الطريق طويلًا، فإنه الطريق الوحيد لبلوغ الإصلاح الذي نرجوه، وإن هذا الإصلاح لا بُدَّ أن يبتدئ من أنفسنا، ثمَّ يمتدَّ إلى ميادين الحياة كلِّها؛ لتصبح ساحة عبادة لله، ووفاءً بالأمانة، وقيامًا بالخلافة، وعمارةً للأرض بحضارة الإيمان. ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (الأنعام: ١٥٣)"[١].

من هنا "تبرز مسؤولية القلة المؤمنة التي تنعم بالعيش في ظلال الالتزام الصحيح- في التفكير مليًّا في نوعية الظروف الأكثر ملاءمة لدفع السواد الأعظم من المسلمين في اتجاه العيش على مقتضى الآمر الشرعي، والسعي الحثيث إلى توفير ما يمكن توفيره منها؛ وما تلك بالمهمة السهلة؛ ولكن ليس ثمة خيارات أخرى"[٢].

من هنا رأيتُ أنَّ طرح موضوع العمل التطوُّعي قد يساعد على تشويش الصورة الثانية، وإحلالها بالصورة الذهبية البراقة التي تستهوي خيال المصلحين. ولا أَدَّعي أن العمل التطوعي بنفسه سيُخفي الصورة القاتمة لواقع الأمة، وإنما- في تقديري- أنه سبيلٌ واحد فقط من السبل الكثيرة للإصلاح، وجانب متواضع من طرائق البناء. وبالمقابل، فإنني أعتقد بأن العمل التطوعي مطية بمقدور غالبية أبناء الأمة أن يمتطوها، وسهل على الدعاة والمصلحين أن يُحمِّلوها آمالهم وطموحاتهم.

٤- مقترحات للاستفادة من هذا الكتاب

يحق للقارئ الكريم أن يستمتع بما ورد في هذا الكتاب من اقتراحات لأعمال حسبتُ فيها الخير للشخص نفسه ولأمته، وللقارئ أن يختار منها ما يناسب بيئته وأوضاعه. لكنني أعتقد بأن علينا أن نجعل ما ورد في هذا الكتاب مسودَّة لمشروع حضاري يرقى بهذه الأمة. ولهذا فعلى كل واحد منا أن لا يقرأ هذا الكتاب كما يقرأ غيرَه من الكتب، وإنما عليه أن يعمل جهده لتطبيق أكبر عدد من الأعمال المقترحة فيه، أو أية أعمال أخرى تصبُّ في نفس السِّياق.

---

(1) "مشروع الشرق الأوسط الكبير": عدنان علي رضا النحوي.

(2) "عصرنا والعيش في الزمان الصعب": عبد الكريم بكار، ص ٣٠.

ولقد حاولتُ جاهدًا أن أنقل مادة هذا الكتاب من حيِّز التنظير إلى فضاء التطبيق؛ وذلك من خلال التمارين العملية، والبرامج التطبيقية التي ضمَّنتُها هذا الكتاب. وإني لأدعو القارئ بأن يهتم بالقيام بالتمارين التطبيقية، ويجيب على الأسئلة الواردة في ثنايا الكتاب، لكي ترسخ الأفكار المقترحة في ذهنه، وتتجسَّد في واقعه.

كذلك فإني لأتعشَّم بأن يقوم القارئ بنشر الفكر التطوُّعي الذي ندعو إليه من خلال هذا الكتاب؛ وذلك بتحفيز الآخرين، وتشجيعهم على أن يطبِّقوا منه ما يرونه مناسبًا لبيئتهم وظروفهم، بالإضافة إلى الشروع في العمل الجماعي لتشكيل اللجان- ومَن ثَمَّ المؤسسات والمنظمات- التي ورد ذكرها في ثنايا هذا الكتاب. كذلك، فإني أتمنى أن يقوم المدرسون والمدرسات والمثقفون في كل بلدة بنشر الفكر التطوُّعي الذي ندعو إليه من خلال طرح المواضيع الواردة في هذا الكتاب في المدارس والمحاضرات والندوات، وأن يتم التحاور مع الطلاب ومَن يحضرون تلك المحاضرات والندوات حول ما يمكن القيام به من أعمال تطوُّعية. ويمكن للمدرسين والمدرسات أن يطبِّقوا بعض الأعمال التطوُّعية المقترحة في هذا الكتاب في حصص الأنشطة المدرسية وأن يشجِّعوا الطلاب على التفاعل مع البيئة من خلال ما يقومون به من أعمال يتطوَّعون بها لخدمة بيئتهم.

٥- عرض وطلب

كما تعلم أيها القارئ الكريم فإن أيَّ عمل إنساني لا بُدَّ وأن يعتريه النقص؛ فإن الكمال لله سبحانه. لذا فإني أناشدكم يا أخي الفاضل ويا أختي الفاضلة بأن تصفحا عما تجدانه في هذا الكتاب من هفوات وزلات وقصور، وأن تسألا الله سبحانه لي السِّتر والعون على تلافي الأخطاء وتصحيحها فيما يُقبِل بإذن الله من طبعات جديدة.

كذلك، فإني أسألكما أن لا تبخلا عليَّ باقتراحاتكم وانتقاداتكم وتوجيهاتكم، فإن الدال على الخير كفاعله. ويمكنكم التواصل معي عبر البريد الإلكتروني المخصص لهذا الكتاب (vw@alhatali.com) أو عبر البريد العادي على العنوان التالي:

صندوق بريد: ١٣٤
الرمز البريدي: ٦١٧
ولاية الحمراء، سلطنة عمان
www.alhatali.com

هذا، وإني لأسأل الله- سبحانه وتعالى- أن يجعل من هذا الطرح المتواضع منطلقًا لمشاريع كبرى في إعادة صياغة الأمة وفي رسم معالمها وتشييد أركانها، وأسأله- سبحانه- أن يثيب من استفاد من هذا الجهد وطبَّقه ودعا إليه، وأن ننال جميعًا بسببه رضوانه سبحانه، إنه وليُّ ذلك والقادر عليه، نعم المولى ونعم النصير، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

صالح بن مطر بن محمد الهطالي
٤ من شوال ١٤٣١ هـ
١٣ من سبتمبر ٢٠١٠ م

المبحث الأول:

مقدمة عن العمل التطوُّعي

تعريف العمل التطوعي

التطوُّع ظاهرة اجتماعية موجودة على مر العصور منذ بِدْءِ الخلق، وهو يتضمَّن جهودًا إنسانية تُبذَل من أفراد المجتمع، بصورة فردية أو جماعية، ويقوم بصفة أساسية على الرغبة والدافع الذاتي سواءً كان هذا الدافع شعوريًّا أو لا شعوريًّا[1]. وقد جاء في لسان العرب لابن منظور أمثلة منها: جاء طائعًا غير مُكْرَه، وَلْتَفْعَلْهُ طوعًا أو كرهًا؛ كما قال تعالى: ﴿ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ ﴾ (البقرة: ١٨٤)، وفيه إشارة إلى فائدة التطوُّع النفسية الكبيرة للمتطوِّع.

ومصطلح "العمل التطوعي" هو شبيه بمصطلح "العمل الخيري" غير أن الأول أعمّ، حيث أن التطوع قد يكون في الأمور النافعة والضارة، ولا يكون العمل الخيري إلا في الأمور التي تجر نفعًا.

والعمل التطوُّعي ظاهرة مهمة للدلالة على حيوية الناس وإيجابيتهم، ولذلك فهو يُؤخَذ مؤشِّرًا للحكم على مدى تقدُّم الشعوب والمجتمعات. وثقافة التطوُّع[2] في مجتمعاتنا- ولله الحمد- ترتكز على نواة صلبة من عقيدة الإيمان بالله واليوم الآخر، وهي التي دفعت المجتمع الإسلامي على مرِّ الزمن، أفرادًا ومجتمعات، إلى المبادرة بفعل الخير، والسعي طواعية لتقديم العون للآخرين ابتغاء وجه الله تعالى.

وقد حظَّ المولى- سبحانه- ورسوله الأمين- صلى الله عليه وسلم- على فعل الخير للآخرين في آيات وأحاديث كثيرة، نذكر منها ما يلي:

- قوله تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ (المائدة: ٢).
- قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ﴾ (البقرة: ١٩٧)، ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة: ٢١٥)، ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴾ (النساء: ١٢٧).

---

(1) "قضايا التطوع ونظام العمل في الجمعيات": سامي عصر.

(2) يقصد بمفهوم "ثقافة التطوُّع": "منظومة القِيَم والمبادئ والأخلاقيات والمعايير والرموز والممارسات التي تحضُّ على المبادرة بعمل الخير الذي يتعدى نفعه إلى الغير؛ إما بدرء مفسدة أو بجلب منفعة، تطوُّعًا من غير إلزام ودون إكراه" ("مفهوم ثقافة التطوُّع وإشكاليته": مجلة المجتمع الكويتية).

- قوله تعالى: ﴿ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ (الذاريات: ١٩)، ﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ (المعارج: ٢٤-٢٥).
- قوله صلى الله عليه وسلم: ((الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَعْلَاهَا شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا: إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ))[١].
- قوله صلى الله عليه وسلم: ((مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهْرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ))[٢].
- قوله صلى الله عليه وسلم: ((إِنَّ فِي الْمَالِ لَحَقًّا سِوَى الزَّكَاةِ))[٣].
- قوله صلى الله عليه وسلم: ((أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللهِ تَعَالَى أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللهِ تَعَالَى سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلَأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ- يَعْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ- شَهْرًا))[٤].

وقد اعتنى علماء الإسلام بالعمل الخيري التطوُّعي وجعلوه من فروض الكفاية، التي لا بُدَّ من تحققها في المجتمع على يد جماعة من المسلمين. يقول إبراهيم البيومي غانم: "ويتصل التطوع بالفرض، كما تتصل السُّنَّة بالواجب اتصالًا وثيقًا، يصل أحيانًا إلى حد انتقال العمل الواحد من موقع التطوع إلى موقع الفريضة الملزِمة، وذلك في حالات فروض الكفاية؛ التي يتعين القيام بها لمصلحة المجتمع أو الأمة كلها، ويُناط ذلك بفرد أو بجماعة منها أو فئة معينة تكون مؤهلة لهذا العمل على سبيل التطوع، فإن لم ينهض به أحد صار العمل المطلوب فرضًا مُلزمًا، ويأثم الجميع ما لم يقم هذا الفرد أو تلك الفئة أو الجماعة – أو غيرها – بأدائه على الوجه الذي يكفي حاجة المجتمع"[٥].

---

(1) المعجم الأوسط للطبراني (رقم ٩٠٠٤).

(2) أخرجه مسلم وأبو داود وأحمد من حديث أبي سعيد الخدري.

(3) الحديث مروي في سنن الترمذي (رقم ٦٥٩) عن فاطمة بنت قيس- رضي الله عنها.

(4) المعجم الكبير للطبراني (رقم ١٣٦٤٦).

(5) "البحث عن ثقافة التطوع في مجتمعاتنا": إبراهيم البيومي غانم.

وفروض الكفاية، كما يقول يوسف إبراهيم يوسف هي "فروض تكافلية تنموية، تصل بالأمة إلى مرحلة الاكتفاء الذاتي، أو التنمية الذاتية، وحسن التوظيف لطاقاتها، وفوائضها المالية، أمر يخص الأمة كلها، ويتعلق بكيانها ومصلحتها، والمصلحة العامة مقدمة على المصلحة الخاصة، شرعًا وعقلًا"[١].

ويقول جمال الدين عطية: "والقيام بفرض الكفاية قيام بمصلحة عامة، والجميع مطالبون بسدها على الجملة؛ فبعضهم قادر عليها مباشرة وذلك من كان أهلًا لها، والباقون- وإن لم يقدروا عليها- فهم قادرون على إقامة القادرين"[٢]. ويقول: "إن ضعف الشعور بفرضية فروض الكفاية، وما يظنه البعض من أنها أقرب إلى النوافل منها إلى الفرائض، أو أن الغير أو الحكومة مطالبون بها؛ هو الذي أدى إلى إهمالها من الجميع، وضعف الشعور بالإثم العام الذي يقع على الجميع بإهمالها، ولو استيقظ الوعي الفردي والجماعي بأبعاد هذه المسؤولية ومضمونها لأدى ذلك إلى وضع المخططات العملية للقيام بأعبائها مع مراعاة الأولويات والضوابط الشرعية"[٣].

وقد ارتَبَطَتْ بهذه النواة الصلبة للتطوُّع منظومةٌ معرفيةٌ واسعة المدى من الأعمال التطوُّعية التي تبدأ بأبسط الأمور مثل "الابتسامة في وجه الآخر" و "إماطة الأذى عن الطريق"، وتصل إلى التضحية بالنفس والمال في سبيل الله. وتشتمل هذه المنظومة أيضًا على مفاهيم ومبادئ وأخلاقيات تُعلي من شأن عمل الخير والبِرِّ والإحسان وإيثار الآخرين على النفس، والاحتساب والجهاد بالمال والنفس وبالكلمة والرأي الذي ينتصر للحق، وبعض هذه المفاهيم تحوَّلت إلى مؤسسات كان لها دور كبيرٌ في حياة المجتمع الإسلامي، ومن ذلك مفهوم الصدقة الجارية الذي نشأت عنه مؤسسة الوقف بتراثها العريق[٤].

يقول الحسن بن سهل:

فُرِضَتْ عليَّ زكاةُ ما مَلَكَتْ يَدِي ... وزكاةُ جاهي أنْ أُعِينَ وأَشْفَعَا
فإذا مَلَكْتَ فَجِدْ وإنْ لم تستطِعْ ... فاجْهِدْ بِوُسْعِكَ كُلِّهِ أنْ تَنْفَعَا

---

(1) "إنفاق العفو في الإسلام": يوسف إبراهيم يوسف، ص ٢٤.

(2) "قراءة معاصرة لفروض الكفاية": جمال الدين عطية، ص ٥.

(3) "قراءة معاصرة لفروض الكفاية": جمال الدين عطية، ص ٧.

(4) "مفهوم ثقافة التطوُّع وإشكاليته": مجلة المجتمع الكويتية.

والعمل التطوُّعي يختلف في حجمه وشكله واتجاهاته ودوافعه من مجتمع إلى آخر، ومن فترة زمنية إلى أخرى. فمن حيث الحجم يقِلُّ في فترات الاستقرار والهدوء ويزيد في أوقات الكوارث والنكبات والحروب. ومن حيث الشكل فقد يكون جهدًا يدويًّا وعضليًّا أو مهنيًّا أو تبرُّعًا بالمال أو غير ذلك. ومن حيث الاتجاه فقد يكون تلقائيًّا أو موجَّهًا من قِبَل الدولة أو المؤسسات التطوُّعية في أنشطة اجتماعية أو تعليمية أو تنموية. ومن حيث دوافعه فقد تكون دوافع نفسية كحب الآخرين والرغبة في تقديم المساعدة لهم، أو اجتماعية كالحصول على وظيفة أو مهنة، وقد تكون الدوافع سياسية. أما مجالات العمل التطوُّعي فإنها كثيرة؛ منها الطب والتمريض والدعوة إلى الله والإغاثة وجمع التبرُّعات والزكوات والصدقات وتوزيعها على الفقراء والمحتاجين، بالإضافة إلى رعاية المسنِّين والمعاقين وتقديم الخدمة المناسبة لهم.

من الحقائق الثابتة أن المجتمع بكل جوانبه الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية، وقِيَمِهِ الأخلاقية والروحية كلٌّ لا يتجزأ إلا في التجريد العلمي. ولذلك فإن العمل التطوُّعي يجب أن لا ينحصر في جوانب محدودة للمجتمع والإنسان، بل يجب أن يتسع ليشمل كل المجتمع وكل الإنسان؛ بما في ذلك حقوقه الأساسية في الحياة والسلام والحرية، وحقوقه الاجتماعية من مأكل ومشرب ومسكن وملبس وصحة وتعليم، وحقوقه الاقتصادية من حقه في العمل والأجر والراحة والعطلات، وحقوقه السياسية والمدنية بما فيها الحق في المساواة أمام القانون[1].

قبل عقد من الزمان "كان استيعاب مفهوم العمل التطوعي بشتى مظاهره محدودًا. وكان الاعتقاد سائدًا بأن العمل التطوعي، رغم إسهامه بتحقيق الصالح العام، إنما هو عمل يتسم بالارتجال ويقوم به هواة وينخرط فيه أفراد ميسورون من المجتمع بهدف مساعدة فئات السكان المحرومين. وفي معظم البلدان، كانت البنية التحتية التي تسمح بترويج ودعم العمل التطوعي، بما فيها القوانين، ضعيفة أو حتى غير موجودة. كما كان الحوار على كل من المستويات الوطني والإقليمي والدولي فيما بين المنظمات المنخرطة في العمل التطوعي، وبينها وبين أصحاب المصلحة الآخرين، محدودًا. وكانت مشاركة القطاع الخاص بحدها الأدنى، في حين أن وسائل الإعلام لم تكن تولي هذا العمل إلا انتباها

(1) "جدِّد شبابَك بالتطوُّع": محمد هشام أبو القمبز.

ضئيلا. وبشكل عام، نادرا ما كان يتم إبراز الصلة بين العمل التطوعي وبناء وتعزيز رأسمال المجتمع– بما فيه المجتمع المدني– ولم يكن راسمو السياسات الاجتماعية والاقتصادية ينظرون إلى العمل التطوعي كخيار استراتيجي"[١].

لكنه، وبعد أن صار العمل التطوعي أحد أركان الحياة المعاصرة، فإن المهتمين بشؤون العمل التطوعي قد قاموا بالعديد من الدراسات التي استطاعوا من خلالها توسعة مجالات العمل التطوعي لتشمل مختلف القطاعات. مثلًا، وجد بعض العلماء أنه يمكن استخدام العمل التطوُّعي لمعالجة الأفراد المصابين بالاكتئاب والضِّيق النفسي والملل؛ لأن التطوُّع في أعمال خيرية للمجتمع يساعد هؤلاء المرضى في تجاوز محنتهم الشخصية والتسامي نحو خير يمسُّ محيط الشخص وعلاقاته، ليشعروا بأهميتهم ودورهم في تقدُّم المجتمع الذي يعيشون فيه؛ مما يعطيهم الأمل بحياة جديدة أسعد حالًا[٢]. كذلك، فقد أكدت دراسات أنه بوسع العمل التطوعي أن يساهم في الاندماج الاجتماعي والاقتصادي بين الأقليات الإثنية، كالمهاجرين واللاجئين، وأن يُفَعِّل فئاتٍ من المجتمع يندر أن تشارك في هذا المجال، كالمسنين والمصابين بفيروس نقص المناعة (الإيدز)[٣].

وقد رسخ في أفهام الناس– وإلى وقت قريب– أن يكون التطوُّع دون مقابل مادي، وإن حصل على شيء من ذلك فإنه يكون كمكافئة له على عمله وليس مخطَّطٌ له من قِبَل المتطوع. غير أن مفهوم العمل التطوُّعي لدى الغرب– بسبب طغيان المادة عليهم، وتعقُّد أساليب الحياة المعيشية عندهم– قد تطوَّر، فصار المتطوِّع يحصل على مقابل مادي، ولكن ذلك المقابل المادي قد لا يساوي حجم الجهد والوقت الذي يَصْرِفُه المتطوِّع والمخاطر التي قد يتعرَّض لها أثناء تأديته لعمله التطوُّعي. ويُلاحَظ أن وتيرة العمل التطوُّعي لا تتراجع مع انخفاض المردود المادي له، وإنما بتراجع القِيَم والحوافز التي تكمن وراءه، وهي القِيَم والحوافز الدينية والأخلاقية والاجتماعية والإنسانية[٤].

---

(1) "السنة الدولية للمتطوعين.. النتائج ومنظورات المستقبل": الأمم المتحدة.

(2) "دور العمل التطوُّعي في تنمية المجتمع": بلال عرابي.

(3) "السنة الدولية للمتطوعين.. النتائج ومنظورات المستقبل": الأمم المتحدة.

(4) المصدر السابق.

أسئلة وتمارين

- إذا طلب منك أحد والديك أو مسؤوليك القيام بعملٍ معين وقمتَ بما طلبوه منك على خير وجه ولم تحصل من وراء ما قمتَ به على أجر، فهل يعتبر ما قمتَ به عملًا تطوُّعيًّا؟
- اضرب أمثلة على بعض الأعمال التطوعية الضارة.
- كيف يمكن أن يُستَخدم العمل التطوعي لعلاج الأمراض النفسية؟
- هل الحصول على أجرٍ مادي يُخرِج التطوّع عن مفهومه الأصلي؟ وضح ذلك.

العمل التطوعي الفردي

العمل التطوعي الفردي هو: "عمل أو سلوك اجتماعي يمارسه الفرد من تلقاء نفسه وبرغبة منه وإرادة، ولا يبغي منه أي مردود مادي، ويقوم على اعتبارات أخلاقية أو اجتماعية أو إنسانية أو دينية"[1].

وبالرغم من أن تطوُّع الفرد من خلال مؤسسات مجتمعية له فوائد جمَّة، أبرزها تعويده على العمل بروح الفريق الواحد واكتسابه خبرة في العلاقات الاجتماعية والعلاقات العامة والقيادة وتوسيع المدارك وتطوير القدرات في الجوانب الشخصية والعملية، غير أن المتابع لمساهمة الشباب في العمل التطوُّعي العربي سيلاحظ محدودية المشاركة فيه. ففي دراسة ميدانية قامت بها الشبكة العربية للمنظمات الأهلية تبيَّن أن الشباب العربي من سن ١٥ إلى ٣٠ عامًا هم أقل الفئات اهتمامًا بالعمل التطوُّعي[2]. وقد لا تنمُّ عدم مشاركة الشباب في العمل التطوُّعي عن عدم رغبتهم في المشاركة، ولكنها في معظم الأحيان لأنهم لم يتم دعوتهم للمشاركة، ولهذا فلم تدخل في حيِّز اهتمامهم. وقد أشارت الدكتورة أماني قنديل، المديرة التنفيذية للشبكة العربية للمنظمات الأهلية إلى بعض الأسباب الأخرى منها[3]:

- حث الأسرة أبناءها على الاهتمام بالعملية التعليمية دون توجيه اهتمامهم إلى المجتمع المحلي وقيمة التطوُّع ومساندة الآخرين.
- خلوُّ المناهج التعليمية من أنشطة تغرس قيمة التطوُّع ومساعدة المجتمع المحلي في أذهان الطلاب.
- الضغوطات الاقتصادية التي يعايشها معظم الشباب، والتي تفرض عليهم توجيه جُلَّ اهتمامهم في البحث عن عمل يكسبون منه لقمة العيش.

---

(1) "جدِّد شبابَك بالتطوُّع": محمد هشام أبو القمبز.

(2) "تطوُّع الشباب.. شجرة يرويها الانتماء": خالد أبو بكر.

(3) المصدر السابق.

ويعزو بعض الباحثين ضعف مشاركة الشباب في الأعمال التطوُّعية إلى الأسباب التالية[1]:

- قلة تشجيع المجتمع للعمل التطوُّعي؛ مما أدى إلى نشوء حالة من عدم الوعي بمفهوم التطوُّع وفوائد المشاركة فيه على الفرد والمجتمع.
- خوف بعض المؤسسات التطوُّعية من عدم التزام الشباب المتطوِّع بالأعمال التي تُسنَد إليه، وبالتالي فبعضها لا يحاول اجتذابهم إليها، ولهذا فهي تقتصر على مجموعة بعينها تُسنِد إليها الكثير من أعمالها، مما يجعل الشباب الآخرين الذين يتطوَّعون في مثل هذه المؤسسات يشعرون بعدم فاعليتهم فيها.
- تقصير الجمعيات والمؤسسات الأهلية أو التطوُّعية في بلداننا في الدعاية لنفسها والكشف عن برامجها والأهداف والغايات التي تعمل من أجلها بشكل يجعل الشباب يُقبِلون عليها.

أما عن الحلول التي يمكن من خلالها تشجيع تنامي اهتمام الشباب بالعمل التطوُّعي فيمكن تلخيصها في النقاط التالية:

- التخطيط لبرامج تنشيطية تطوُّعية في المدارس والجامعات وإدراجها من ضمن المناهج الدراسية. ويمكن مكافئة الطلاب المتطوِّعين بمنحهم درجات مكافئة لما يقومون به من أعمال تطوُّعية، واعتبار الأوقات التي يقضونها في العمل التطوُّعي مكافئة لأوقات المحاضرات.

- فتح مراكز لتوجيه المتطوِّعين، وهي آلية متوافرة في أغلب الدول المتقدمة وفي بعض البلدان العربية كالأردن وفلسطين. وتعتبر هذه المراكز وسيطًا بين رغبة وإرادة المتطوِّع في تخصيص وقتٍ أو جهدٍ للتطوُّع وبين المجال المناسب الذي يمكنه التطوُّع فيه اعتمادًا على ظروفه وقدراته ومهاراته. كذلك فإن مراكز التطوُّع هذه ستقدِّم التدريب المتخصِّص للمتطوِّعين، مما يرفع من فعالية العمل التطوُّعي وأداء الشباب.

- رصد جوائز إقليمية وقُطْرية لتشجيع الشباب على التطوُّع والانخراط في مشاريع تطوُّعية تعود عليهم وعلى مجتمعاتهم بالخير والنماء.

---

(1) المصدر السابق.

- وضع تشريعات تؤكد مشاركة الشباب في العمل التطوُّعي، مثل تحديد نسبة مشاركة الشباب والفتيات في مجالس إدارة الجمعيات الأهلية، واقتراح إجراءات لتحفيز الشباب والفتيات على المشاركة كوضع تخفيضات في رسوم عضوية الجمعيات والنوادي والمراكز التي تعمل ضمن إطار التطوُّع. ويمكن مكافئة الموظفين من هؤلاء وذلك باعتبار الأوقات التي يقضونها في الأعمال التطوُّعية كجزء من وظيفتهم وعدم خصم الأيام التي يقضونها في الأعمال التطوُّعية من إجازاتهم الاعتيادية.

- حثّ وسائل الإعلام على تبني مسيرة العمل التطوُّعي ضمن رسالتها الإعلامية، والتي يمكن أن تتمثل في تحبيب العمل التطوُّعي لدى الشباب والفتيات، وطرح البرامج التثقيفية والترفيهية التي تغرس قِيَم ومبادئ العمل التطوُّعي وتُعين المتطوِّع على تعلُّم أبجديات العمل التطوُّعي. هذا بالإضافة إلى فتح قنواتٍ إعلامية لإتاحة المجال للمتخصِّصين للتحاور حول العملية التطوُّعية لمحاولة الارتقاء بها محليًّا ودوليًّا، مما تزيد من فاعلية العمل التطوُّعي وتوسع مستوى الثقافة المجتمعية حوله.

يقول عبد الله بن الطاهر:

لـــيس في كُـــلِّ ســـاعةٍ وأوانِ تتهيـــأْ صـــنائعُ الإحـــسانِ
فـــإذا أَمْكَنَـــتْ تَقَـــدَّمْتَ فيهـــا حـــذِرًا مِـــنْ تَعَـــذُّرِ الإمْكـــانِ

أسئلة وتمارين

- اذكر بعض الأسباب المؤدية إلى نفور الشباب والفتيات من العمل التطوُّعي.
- قم بدراسة حول المدارس الموجودة في البيئة التي تعيش فيها ومقدار ونوعية الأنشطة الموجودة حاليًا في مناهج تلك المدارس والتي تستهدف خدمة المجتمع. حاول مناقشة النتائج التي توصَّلْت إليها مع مدراء المدارس ومع مجالس الآباء والأمهات، ومناقشة ما يمكن فعله للارتقاء بمستوى العمل التطوعي في هذه المدارس.
- حاول مع بعض الشباب إقامة فعاليات تطوُّعية تخدم المجتمع. حاول كذلك إقناع مراسلي

الصحف في بلدك بأن يقوموا بتغطية إعلامية لتلك الفعاليات كنوعٍ من التكريم للشباب المشاركين فيها، ولتشجيع الآخرين للقيام بأعمال شبيهة في المستقبل.

- اتفق مع بعض الشباب لكتابة مقالات حول موضوع العمل التطوعي وقوموا بإرسالها إلى الصحف المحلية أو طباعتها وتوزيعها على شكل مطويات بعد الحصول على التراخيص المطلوبة لذلك.
- اذكر بعض الحلول الإيجابية التي يمكن أن ترتقي بمستوى الثقافة والمشاركة في العمل التطوعي في بلداننا العربية والإسلامية.
- ناقش كيف يمكن للعمل التطوُّعي الفردي أن يكون الخطوة الأولى لإعادة بناء الأمة.

العمل التطوعي الجماعي والمؤسسي

إن التطوُّع الفردي مُعَرَّض للشطط من ناحية وللتوقف عند مواجهة أية صعوبات من ناحية أخرى. أما الإطار الجماعي للتطوُّع فإنه يُكْسِب المجموعة المزيد من الاحترام والقوة وبالتالي يُكْسِب أفرادها مناعة ضدَّ التفرُّد أو الأنانية أو الانحراف عن الأهداف الموضوعة. كذلك فإن العمل المؤسسي يُسْهِم في جمع الجهود والطاقات الاجتماعية المبعثرة، وتجعلها متآزرة وذات أثر كبير وفعال.

وقد أشار ديفيد كورتن إلى أن المنظمات التطوعية قد مرت بثلاث مراحل: المرحلة الأولى ظهر فيها الجيل الأول من هذه المنظمات، والذي اعتمد على فكرة تقديم مساعدات تقليدية للفقراء. أما المرحلة الثانية فهي التي ظهر فيها الجيل الثاني من المنظمات التطوعية، والتي كانت تهدف إلى تقوية اعتماد الشرائح الفقيرة على نفسها من خلال إكسابهم مهارات جديدة (تأهيل، تدريب، توفير فرص عمل). وأما المرحلة الثالثة فقد أفرزت جيلًا ثالثًا من المنظمات قادرًا على التأثير على مخرجات السياسة العامة، وطرح نماذج للعمل التنموي قادرة على التأثير في البيئة الاجتماعية والثقافية[1].

إن أي فرد يلتحق بمجموعة تتناسب مع طبيعته لا بُدَّ وأنَّ له حاجات وأهداف معينة يتوقع تحقيقها من خلال مشاركته للمجموعة. ومن جانب آخر، تتوقع المجموعة من الفرد القيام بأعمال معينة لضمان استمراريته ضمن المجموعة. إن عملية توازن توقعات الفرد والمجموعة هو بمثابة الاتفاقية "المعنوية" التي يلتزم بها كل طرف؛ فالفرد يتوقع المعاملة الإنسانية وفُرَص النموِّ، وتتوقع المجموعة الإخلاص وزيادة بذل الجهد والعطاء الفردي. أما إذا اختلت التوقعات بين الفرد والجماعة فإن العلاقات تختل وتتفكك.

إن أهم دعائم وعوامل نجاح العمل التطوُّعي في حقول العمل الخيري داخل الجمعيات والهيئات والمنظمات الخيرية ما يلي:

- الرغبة الصادقة من المتطوِّع عند قيامه بالعمل التطوُّعي.
- الاحترام والتقدير المتبادل بين المتطوِّعين والهيئات والجمعيات الخيرية.

---

(1) "الجمعيات النسائية الخيرية والمساهمة في التنمية الاجتماعية": الجازي بنت محمد بن فهد الشبيكي.

- الثقة المتبادلة بين المتطوّع والمؤسسة؛ من حيث المعلومات المتاحة للمتطوع من قبل المؤسسة، والإخلاص في إنجاز المهام الموكلة.
- إدراك المتطوّع لأهمية التدريب وأثره في اكتساب الخبرات والمهارات.
- قيام المؤسسة بتقديم التوجيه والتدريب والإشراف الضرورية لإنجاز مهمة المتطوع.
- تكريم المتطوّعين وتقديم الشكر والتقدير لمن قدم خدمات تطوُّعية مهما كان حجمها.
- الدور الإعلامي الذي يوضح أعمال وجهود المتطوّعين وآثار تلك الأعمال والجهود.

من كل ما سبق نستخلص أن على المؤسسات التطوُّعية تكييف العمل التطوُّعي وفق الدوافع التي تتلاءم ورغبات المتطوّعين للعمل في أجواء مناخية مناسبة تتيح لهم حرية الاختيار، ومن ذلك توفير النوادي ومراكز التدريب وإقامة الندوات والمحاضرات والبرامج التثقيفية والتأهيلية.

١- التنظيم ودوره في نجاح المؤسسات

إن إحدى الظواهر السلبية في العمل التطوُّعي هو نزوع الفرد إلى التهرُّب من لعب دورٍ محدد واللجوء إلى القيام بعدة أدوار تدخل ضمن مسؤوليات الغير. إن العمل التطوُّعي لو ترك على الطريقة العفوية فحسب فإن العمل سيتحوَّل إلى فوضى، وتصبح الأهداف غامضة ومتقلِّبة، وتصبح مسيرة العمل التطوعي بعد ذلك عرضة للتغيير المتكرر للأهداف والاتجاهات، ويمكن لأيِّ شخص أن يَحْرِفَها عن هدفها الأصلي بحسب نفوذ الشخص والجهد أو المال الذي يبذله، فهي بذلك تسير تحت رحمة إهداء الأشخاص لأوقاتهم وأموالهم.

إن المؤسسات الناجحة تتعامل مع المسألة التنظيمية على اعتبار أن الطاقات الإنسانية ليست موادًّا جامدة جاهزة للصف والتضبيط. إن المسألة التنظيمية تخضع لقوى متضاربة واتجاهات متنافسة لِنَظْم مسيرتها عبر إطارٍ معين تحدِّده ثقافة وقِيَم مشتركة، وشبكة اتصالات وتحالفات، وتأثير وإقناع وتنازل وتراض وقيادة عادلة، وليست آمر ومأمور.

ورغم أن المتطوع عادة لا تكون له في المؤسسات الأهلية حقوق مثل الموظفين في القطاعات الحكومية والخاصة؛ من راتب شهري أو إجازات، غير أنه لا بُدَّ لمؤسسات العمل التطوعي من أن

تجعل العمل التطوُّعي منظمًّا ومقنَّنًا من حيث الواجبات والحقوق وتقرير مبدأ المكافآت المعنوية والتشجيعية والتعويضية نتيجة الإصابات سواءً بالإعاقة أو الوفاة، وفق لائحة تنظيمية متعارف عليها دوليًّا[1]. لكن تبقى مسألة تحديد الأهداف من أهم المهام التي على المؤسسة التطوعية أن تُعيرها اهتمامًا بالغًا قبل أن تَشْرَع في أنشطتها التطوعية. وعملية تحديد الأهداف والتقيُّد بها لها من الفوائد الكثيرة ما لا تخفى على ذي بصيرة، ونذكر منها هنا ما يلي:

- تسهيل عملية تجميع المواهب وتخصيصها في مجالاتها المهمة.
- القدرة على ضبط العمل عبر تنظيم الأدوار بواسطة أشخاص مناسبين.
- القدرة على حل المشاكل واتخاذ القرارات بالإجماع.
- القدرة على إيصال المعلومات اللازمة لمن يحتاجها في مجال معين.
- القدرة على جمع المعلومات والخبرات والأفكار.
- تسهيل عملية اختيار الأفراد وانتخابهم لمسؤوليات أكبر.
- القدرة على التنسيق والتواصل بين المهام المختلفة.
- القدرة على المشاركة الفعالة والالتزام المطلوب وتشجيع الأفراد على المشاركة في التخطيط للأنشطة.
- تسهيل عملية حل الخلافات.
- تسهيل عمليات التقييم الدورية.

٢- استقطاب المتطوِّعين

تعتبر مسألة تحديد الحاجة إلى المتطوِّعين على جانب كبير من الأهمية، لأنها تتصل اتصالًا وثيقًا بمسألة الاستغلال الصحيح لطاقات المتطوِّعين. وقد سُنَّت تشريعات تحكم علاقة المتطوِّع بالمؤسسة التطوُّعية وتضبط مقدار المكافآت المادية والتعويضات التي على المؤسسة منحها للمتطوِّع، مما قلَّص من فرص ابتزاز المؤسسات التطوُّعية لحقوق المتطوِّعين.

(1) "تفعيل العمل التطوُّعي": صالح حمد التويجري.

ويمكن تقسيم المتطوعين إلى الفئات التالية[1]:

- متطوعون بالمال فقط.
- متطوعون بالجهد فقط.
- متطوعون بالجهد والخبرة.
- متطوعون بالوقت.
- متطوعون بالجهد والوقت والمال.

وهذا التقسيم له أهميته في إعانة المؤسسة على استقطاب النوعية التي ترغب فيها من المتطوعين، بحسب أهداف المؤسسة ورسالتها ونوعية أنشطتها. كذلك، فإنه يعين المؤسسة على توجيه كل صنف إلى ما يمكنه القيام به، وحفزه للعطاء لتضمن جودة وفعالية كل متطوع، والانتفاع بما لدى كل صنف مما يجيده. ولو أخذنا هذه التقسيمات في الاعتبار، فيمكن للمؤسسة الحصول على المتطوعين من المصادر التالية[2]:

- بعض سكان المجتمع الذين يستشعرون واجبهم تجاه مجتمعاتهم، أو أنهم مارسوا بعض أعمال الخير في المجتمع.
- الطلاب على مختلف مستوياتهم، خصوصًا أولئك الذين يدرسون العلوم الاجتماعية، وبالأخص طلاب تخصص الخدمة الاجتماعية، لأنهم أكثر إدراكًا لحاجة المجتمع للتطوع.
- أعضاء ينتمون إلى مجالس أسرية، أو تجمعات شبابية.
- النجوم والأبطال الرياضيين الراغبين في تقديم أعمال معينة لمجتمعهم.
- أعضاء الهيئات الدينية أو التنظيمات السياسية في البلاد المسموح لها بالممارسة الديمقراطية.
- قد تستفيد بعض المنظمات من الجهود التطوعية لبعض الذين استفادوا من خدماتها.
- تجنيد متطوعات من النساء، فقد أثبتت التجارب في العالم، أن النساء أقدر على العطاء في مجال التطوع من الرجال.

---

(1) "دور المؤسسات الأهلية في رفع مستوى العمل التطوعي": جعفر محمد العيد.

(2) المصدر السابق.

إنه لكي تسير العملية التطوعية مسيرة صحيحة فلا بُدَّ أن يعي كل طرف توقعات الطرف الآخر منه، وإن أيَّ إخلال في فهم هذه التوقعات سيؤدي حتمًا إلى بتر الأوصال التي تربط بين طرفي العملية التطوعية ومن ثمَّ انفلاتها وفشلها. إن على المؤسسة التطوعية أن تعي أن للفرد دوافعه الخاصة في انخراطه في العمل التطوعي. من تلك الدوافع ما يلي:

- التطوُّع من أجل حب الآخرين وتقديم المساعدة لهم.
- التطوُّع من أجل تكوين علاقات اجتماعية واستثمارها لأمور شخصية كالحصول على وظيفة أو مهنة.
- التطوُّع من أجل اكتساب مهارات وخبرات جديدة قد يحتاجها المتطوِّع مستقبلًا في حياته العملية، والتي قد لا تتوافر له إلا من خلال مؤسسات ومراكز التطوُّع.

كذلك، فإن على المتطوِّع أن يعي ما تريده المؤسسة منه وأن يحاول الوفاء بمتطلباتها والتزاماتها. إن كل مؤسسة تطوعية تأمل من متطوعيها ما يلي:

- الالتزام بالتعهُّدات كتحديد نمط المشاركة والتقيُّد بها.
- الاستيعاب الواضح لأهداف المؤسسة وتطلُّعاتها.
- عدم توريط المؤسسة في مواقف شخصية.
- عدم محاولة استغلال التطوُّع لأهداف أخرى.
- الاندماج الفعلي في المؤسسة (عدم النظرة الفوقية أو اتخاذ موقف دوني).
- المشاركة في الإعداد والتدريب.
- الجِدِّية والمصداقية في العمل الذي يقوم به المتطوِّع.

ويمكن استقطاب المتطوِّعين عن طريق الدعاية والإعلان في وسائل الإعلام، أو عن طريق الأفراد، أو عن طريق المتطوِّعين أنفسهم، وكلما كانت المؤسسة التطوُّعية ذات أهداف واضحة وإدارة جيدة

وسمعة حسنة وعلاقات واسعة، ارتاح المتطوِّع إلى الانتساب إليها والعمل تحت لوائها. لذا فإن الاختيار الصحيح للمتطوِّعين سَيُسْهِم في:

- توفير القدرة على استغلالٍ سليمٍ لطاقات المتطوِّع.
- خفض كلفة إعداد المتطوِّعين.
- تسريع عملية بلوغ المؤسسة لأهدافها.
- منع التضارب والازدواجية في العمل التطوُّعي، والحيلولة دون وقوع المتطوِّع في الإحباط بسبب عدم تناغم الأعمال التطوعية مع رغباته وتطلعاته.
- عدم تحميل المتطوِّع فوق طاقاته.
- تفهُّم المتطوِّع لأهداف وتطلُّعات المؤسسة، ومَن ثَمَّ الوقوف معها ومساندتها في تحقيق تلك الأهداف والتطلعات.

٣- استغلال طاقات المتطوعين

إنه إذا كان من المهم إيجاد متطوِّع، فإنه من الأهم أن نحسن استغلال طاقاته في الجوانب التي[1]:

- تُحقِّق الاحتياجات الأساسية للمؤسسة أو المجتمع.
- تتفق وإمكانات المتطوِّع ورغباته.
- لا تتعارض مع مفاهيمه الثقافية والمجتمعية.
- لا تضعه في خانة الملاحقة القانونية أو التعارض مع المفاهيم الاجتماعية السائدة.

وكما ذكرنا مسبقًا فإنه لن يتأتى للمؤسسة الاستفادة القصوى من متطوِّعيها إلا إذا حدَّدت الأهداف التي تريد تحقيقها وأحسنت اختيار المتطوِّعين أنفسهم. ومن شروط الاختيار الصحيح

(1) "مهارات التحفيز على العمل التطوُّعي": توفيق عسيران.

للمتطوِّعين التعرُّف على مؤهلاتهم وجوانب القصور لديهم، والتي يمكن إزالتها تدريجيًّا من خلال البرامج التدريبية التي تُعدُّها المؤسسة لهذا الغرض. ويلعب التدريب دورًا بارزًا في[1]:

- شد المتطوِّع إلى المؤسسة أو الجماعة.
- استمراره متطوِّعًا لأطول فترة ممكنة.
- استغلال طاقاته بشكل أفضل على كافة الأصعدة.

ومما تذكره الإحصائيات أنه كان في أمريكا في عام ١٩٥٨ (٣٢) محطة تلفاز تعنى بالتعليم والتدريب[2].

٤- المحافظة على المتطوِّعين

من المتفق عليه أن بعض التطوُّع ظرفي لمهلة محددة أو لموضوع محدد، مثل مخيمات العمل التطوُّعية التي تستمر لفترة زمنية محدودة، والبعض الآخر له صفة الاستمرارية والديمومة، وربما كان هذا النوع الأخير هو الأكثر صعوبة في إيجاد العناصر القادرة على متابعة التطوُّع إذا أُحْسِن الاختيار، وقد تكون عودة المتطوِّع للقيام بأعمال تطوُّعية أخرى مرهونة بالارتياح الذي يجده عند تطوُّعه الأول، ولكنه يجب أن يكون لدى المؤسسة أو الجماعة تصوُّرٌ واضح لكيفية الاستفادة من متطوِّعيها خصوصًا إذا أنفقت على إعدادهم وتأهيلهم واكتسبوا خبرات مهمة في جوانب محددة من العمل[3].

وإذا كان من السهل استقطاب المتطوِّعين، فإن الحفاظ عليهم أمرٌ صعبٌ إذ أن أي إهمال من الهيئات والجمعيات للمتطوِّعين أو أي فشل في فهم نفسياتهم وتقدير جهودهم، قد يسبب خروج المتطوِّعين أو انقطاعهم عن العمل الخيري. لذا فإنه ينبغي على الهيئة أو الجمعية الخيرية أن تحافظ على متطوِّعيها من خلال التقدير المادي والمعنوي، المتمثل في المكافآت والحوافز المادية والشهادات التقديرية وخطابات الشكر، إلى غير ذلك من الأمور التي تميِّز المتطوِّع عن غيره.

---

(1) المصدر السابق.

(2) "التدريب وأهميته في العمل الإسلامي": محمد موسى الشريف، ص ٣٣٠.

(3) "تفعيل العمل التطوُّعي": صالح حمد التويجري.

ويلعب التحفيز والتنشيط دورًا بارزًا في المحافظة على المتطوِّع واستغلال طاقاته وخبراته المستجدة سواء على صعيد الجماعة أو المؤسسة. وإن ثمة مجالات عديدة للتحفيز منها[1]:

المشاركة: تعني أن يكون المتطوِّع في صلب العمل الذي تمارسه المؤسسة أو الجماعة وليس على هامشه.

الشفافية: أن يكون عمل المؤسسة أو الجماعة معروفًا مرئيًّا، لا أهداف مستترة فيه.

الإبراز: يجب الاعتراف دائمًا بإنجازات المتطوِّع وعطاءاته.

الاندماج: يجب أن تتاح أمام المتطوِّع فرصة الاندماج في المؤسسة أو الجماعة، فيما لو رغب في ذلك.

التشاور: يجب إتاحة الفرصة للتحاور مع المتطوِّعين وأخذ آرائهم بعين الاعتبار.

إزالة العقبات: أكثر ما يسيء إلى المتطوِّع هو "الروتين"، فقد يأتي المتطوِّع متحمِّسًا ثم يصطدم ببيروقراطية إدارية أو فنية أو غير ذلك مما قد يؤدي إلى تثبيط حماسه، لذلك يجب العمل دائمًا على إزالة مختلف العقبات من أمامه لتشجيعه على مواصلة العمل.

الشكر والتقدير: وهو جزء من الإبراز، ولكن يختلف عنه؛ إذ إن الأول قد يحتاج إلى مناسبات عامة، بينما يقتصر الثاني على كتاب شكر وتنويه، يُرسَل إليه بعد انقضاء الفترة التي تطوَّع خلالها، آملين لقاءه مجدَّدًا في رحاب أخرى من رحاب العمل.

٥- التقييم ودوره في استمرارية المتطوِّعين ونجاح المؤسسات التطوُّعية

المحاسبة والتقييم وسيلة مهمة للارتقاء بالفرد والمؤسسة، على السواء. وكما أنه لا بد من إرساء مبدأ المحاسبة والمساءلة في كل أعمال المسلم، فإن تقييم المؤسسات ومحاسبتها، وكذلك قيام المؤسسات بتقييم العاملين بها- موظفين كانوا أو متطوعين-، ليُعتبر ضرورة لازمة لتحسين الأداء وتجنب العثرات

(1) المصدر السابق.

والمزالق. لكن علينا أن ندرك أنه يجب تقييم جهود المتطوِّعين تقييمًا علميًّا. كذلك، فلا بُدَّ من أن يشترك المتطوِّعون في عملية التقييم من أجل:

- ☒ الوقوف على أهمية عملية التقييم وشفافيتها.
- ☒ التعرُّف على النتائج التي حققها المتطوِّع، واشتراكه في إجراء تقييمٍ ذاتيٍّ لمنجزاته.
- ☒ معرفة المساعدة الفعلية التي قَدَّمها المتطِّوع للمؤسسة أو الجماعة.
- ☒ الاستفادة من النتائج والثغرات في رسم خطط مستقبلية أفضل.

وتقييم المتطوِّعين إما أن يتم في فترات محدَّدة وباستخدام استمارات خاصة معدَّة مسبقًا لذلك الغرض، وإما أن يتم بعد الانتهاء من كل مهمة تطوُّعية، ويمكن دمج الطريقتين. كذلك فلا بُدَّ من مناقشة نتائج التقييم مع المتطوِّعين وأخذ آرائهم فيما يمكن فعله لتحسين مستويات الأداء لديهم ولدى المؤسسة.

أسئلة وتمارين

- قارن بين إيجابيات وسلبيات العمل التطوَّعي الفردي والعمل التطوَّعي المؤسسي.
- ما هي المخاطر التي يمكن أن تحدث فيما لو تُرِك لكل متطوِّع اختيار الأعمال التطوُّعية التي يرغب فيها والأوقات التي ينجز فيها تلك الأعمال؟
- قم بإعداد دراسة عن المعيقات التي تمنع اشتراك الشباب والفتيات في أعمال تطوُّعية. حاول مناقشة النتائج التي توصلتَ إليها مع بعض المؤسسات التي تهتم بالعمل التطوُّعي.
- اذكر بعض الفوائد التي سيحصل عليها المتطوِّع والمؤسسة التطوُّعية في حال ما تم اختيار المتطوِّعين بصورة صحيحة ومدروسة.
- افترض أنك تدير مؤسسة تطوُّعية لرعاية الأطفال اليتامى. تكلَّم عن مواصفات المتطوِّعين الذين ستختارهم للعمل معك وعن الوسائل التي ستستخدمها لتحفيز المتطوُّعين على العمل ولمحاولة المحافظة عليهم لأطول فترة ممكنة.
- اختر نشاطًا تطوُّعيًا معينًا وقم بإعداد استمارة لتقييم المتطوِّعين للقيام بذلك النشاط.

مسيرة العمل التطوُّعي في المجتمعات الإسلامية في العقود الأخيرة

على امتداد تاريخ الأمة وإلى عدة قرونٍ من الآن، كان "أغلب ما يدخل الآن تحت مصطلح "الدولة .. ومؤسساتها"، كان يومئذٍ "أهليًّا"، تقوم عليه مؤسسات أهلية، تموله الأوقاف الأهلية والخيرية، التي كانت تضم معظم ثروة الأمة وأبرز قطاعاتها في ذلك التاريخ"[1]. بعد ذلك تراجع دور المؤسسات الأهلية، ووضعت الحكومات المتعاقبة يدها على مقدرات الأمة، بما فيها الأوقاف. وبقيت مجتمعات المسلمين تمارس بعض الأشكال التقليدية من العمل التطوُّعي؛ كأعمال الخير والصدقات، وكبعض أشكال التضامن الأُسَري والمجتمعي. ويذهب البعض إلى أن منبَت العمل الأهلي والمؤسسي والمدني في المجتمعات الإسلامية في العصر الحديث بدأ من خلال العمل التطوُّعي، وبرز بصورة واضحة في نهاية السبعينات وبداية الثمانينات من القرن الماضي، حيث انتشرت لجان العمل التطوُّعي في الأحياء والقرى.

وقد لعبت الأحزاب السياسية دورًا كبيرًا في تعزيز مفاهيم العمل التطوُّعي وتنظيم حملات المساعدة والمساندة للمواطنين في مواسم الحصاد- خاصة في حالة الكوارث الطبيعية-، وحملات الدعم للمتضرِّرين. وقد كانت مشاركة المرأة في العمل التطوُّعي لا تقل أهمية عن مشاركة الرجل. فمثلًا، كانت المرأة حاضرة على أرض الواقع طيلة سنوات الحروب الأهلية التي عانت منها الكثير من البلدان الإسلامية، حيث شاركت المرأة في نقل المرضى إلى المستشفيات وفي تطبيبهم، وكانت توفر الأكل والمياه وتُؤمِّن الكهرباء ومستلزمات الدفاع المدني للناس.

إلا أن هذه القيمة أخذت في التراجع والانحسار في الآونة الأخيرة؛ حيث فقد العمل التطوُّعي اعتباره بسبب تبدُّل قيم المجتمع وتفاقم الظواهر الاجتماعية السلبية، التي اصطبغت بالنفعية وطغيان المصالح الشخصية على المصلحة العامة، الأمر الذي عمَّق روح اللامبالاة والنظرة الدونية للعمل التطوُّعي لدى فئة الشباب والذين هم عماد العمل التطوُّعي في المجتمعات.

---

(1) "الإسلام والسياسة": محمد عمارة، ص ٥٨.

تشير الإحصائية التالية- والتي تتحدَّث عن واقع العمل التطوُّعي في أمريكا- إلى أرقام في غاية الأهمية بالنسبة للدور الذي يمكن أن يلعبه العمل التطوعي في بلداننا[1]:

- بلغ عدد المتطوِّعين في عام ١٩٩٤م ٩٤,٢ مليون متطوِّع.
- معدل ما يتطوَّع به الفرد هو ٤,٢ ساعة أسبوعيًّا.
- مجموع عدد ساعات التطوُّع يساوي ٢٠,٥ مليار ساعة سنويًّا.
- معدَّل ساعات التطوُّع موازيًا لعمل ٩ ملايين موظف.
- بلغت القيمة الاقتصادية لمجموع ما تم التطوُّع به من الوقت هو ١٧٦ مليار دولار أمريكي.

وتؤكد الدراسات المعنية بالعمل التطوُّعي أنه- في الوقت الذي تمر فيه مسيرة العمل الخيري في كثير من البلدان الإسلامية بحالات من العجز والضمور- يقدم العمل الخيري في بلاد الغرب الكثير والكثير لأداء هذا الدور الإنساني؛ مع أن دوافع فعل الخير في أمتنا وديننا يفترض أن تكون أكبر بكثير مما هو في العالم الغربي. وقد أشارت إحدى الإحصائيات[2] مثلًا إلى أن إجمالي المساهمات التطوُّعية (نقدية وعينية) في الولايات المتحدة الأمريكية في عام ١٩٩٧م قد بلغت ٤٦ مليار دولار. كما قُدِّرت القيمة الكلية للوقت الذي تم التطوع به في أمريكا خلال العام ٢٠٠٣م حوالي ٢٦٦ مليار دولار[3]. أما في بريطانيا، فقد بلغ عدد المتطوعين في عام ٢٠٠٣م ما يزيد عن ٢٠ مليون متطوع، بلغت القيمة الاقتصادية لمجموع ما تطوَّعوا به أكثر من ٢٥ مليار جنيه إسترليني[4]. وتشير دراسات أخرى[5] إلى أن:

- مشاركة المتطوعين في سنغافورة ارتفعت بنسبة ٦٠٪ بين عامي ٢٠٠٠ و ٢٠٠٢.
- العمل التطوعي في النرويج يوفر أكثر من ٦٪ من الناتج الوطني الإجمالي.
- المتطوعون في جنوب أفريقيا يشكلون ٤٣٪ من القوة العاملة في القطاع غير الربحي.

---

(1) "العمل التطوُّعي: رغبة أم ضرورة": أسماء الرويشد.

(2) "نظرات في العمل التطوُّعي": نوري بشير مبارك.

(3) "إحصاءات تطوعية": فهد الزهراني.

(4) المصدر السابق.

(5) "السنة الدولية للمتطوعين.. النتائج ومنظورات المستقبل": الأمم المتحدة.

- جامعة سان كارلوس في غواتيمالا قد أنشأت مدرسة تعنى بالعمل التطوعي الاجتماعي.
- الصين قد أنشأت معهدًا لبحوث العمل التطوعي والرفاه الاجتماعي يقدم المشورة لمسؤولي الحكومة فيما يتعلق بالسياسات المؤيدة للمتطوعين.

وبالمقابل، فإن الإحصائيات المتوافرة[1] تشير إلى أن عدد مؤسسات الإغاثة الإسلامية العربية لا يزيد عن ١١ مؤسسة. أما المؤسسات الأهلية فإنها قد تصل إلى حوالي ٢٣٠ ألف جمعية، لكن ليس من بين أهداف معظمها التوجُّه إلى الخارج لأغراض الإغاثة. كذلك، فإن "بعض تلك الجمعيات لا يضم سوى عددًا محدودًا من الأشخاص، وبعضها الآخر لا ينضوي في عضويتها إلا رئيسها وزوجته، حتى أن بعض الناشطين في مجال حقوق الإنسان أسس عدة منظمات برئاسته وعضويته فقط"[2].

١- معيقات العمل التطوُّعي

إن التراجع في مفاهيم العمل التطوُّعي الذي شهده العالم بصفة عامة والبلدان الإسلامية بصفة خاصة له أسبابٌ كثيرة، من أبرزها:

- غياب الفهم الصحيح لقيمة العمل التطوُّعي عند المتطوِّعين.
- تقصير الجامعات والمؤسسات على حدٍّ سواء في نشر الوعي بأهمية العمل التطوُّعي.
- فشل مؤسسات العمل الخيري في استقطاب الشباب من النساء والرجال للعمل فيها.
- فقدان القوانين والضوابط التي تحكم علاقة المتطوِّع بالمؤسسة الخيرية، مما أدى إلى إجحافٍ كبير بحقوق المتطوِّعين واستغلالٍ لهم من قِبَل المؤسسات التطوُّعية.
- غياب التخطيط السليم للاستفادة من الطاقات الكامنة عند الشباب والفتيات.
- عدم قدرة المؤسسات الخيرية، وخاصة مؤسسات الإغاثة، على توظيف الأحداث للترويج لسمعتها ولتحقيق مكاسب شعبية وسياسية، فمعظم المؤسسات الخيرية ما زالت تفضِّل العمل في صمت ولا تعلن عن مشاريعها. ولو أن مؤسسات الإغاثة الإسلامية قامت بدورها

---

(1) "ثقافة العمل التطوُّعي لدى الجمعيات الخيرية النسائية": قناة الجزيرة.

(2) "الجمعيات الأهلية في سورية بين ضعف التمويل الداخلي ومخاطر التمويل الخارجي": ميشال شماس.

الإعلامي كما تقوم به المؤسسات الغربية لاستطاعت تكذيب المقولات والدعايات الغربية والمتعلقة بدعمها لأنشطة إرهابية.

- غياب استراتيجيات مسبقة تقوم على تنظيم وتدريب فِرَق العمل التطوُّعي في مجال الكوارث.
- الوعود الكاذبة التي تروِّجها بعض المؤسسات التطوُّعية لاستقطاب الكوادر؛ فقد تُقدِّم هذه المؤسسات مثلًا وعودًا لتوفير مواصلات لنقل المتطوِّعين من وإلى أماكن سكناهم، ولكن المتطوِّعين يفاجأون بتعذُّر المؤسسة عن عدم قدرتها على الوفاء بذلك. أيضًا قد تَعِد المؤسسة بصرف مكافآت مادية للمتطوِّعين لديها، لكنها لا تفي بوعودها رغم بقاء المتطوِّعين في خدمتها أشهرًا عديدة ورغم علم تلك المؤسسات بالظروف المادية السيئة التي يعاني منها الكثير من المتطوِّعين لديها.
- غياب المصداقية والشفافية في تعامل مؤسسات العمل التطوُّعي مع المتطوِّعين مما يؤدي إلى انتشار ظاهرة الوساطة والمحسوبية في إدارات المؤسسات التطوُّعية؛ فقد يعمل بعض المتطوِّعين عندها في أعمال وظيفية لمدة طويلة ويأملون في توظيفهم في المؤسسة بسبب ما اكتسبوه من خبرات طيلة تلك المدة، لكنهم يفاجأون بتعيين بعض أقارب المتنفِّذين في تلك المؤسسات، وقد يؤول الأمر إلى الاستغناء عن المتطوِّعين الذين خدموا المؤسسة طيلة تلك المدة دون مقابل يُذكَر.
- تجاهل معظم الدول الإسلامية لأهمية العمل الخيري، وخاصة لما يحدث في العالم من كوارث، وقد يكون السبب في ذلك عدم قدرة الكثير من مؤسسات العمل الخيري في التعاون الأمثل مع حكوماتها، مما أفرز أزمة ثقة بين الحكومات وبين هذه المؤسسات. كما أن بعض الدول تعاني من تضخم في جانب المصروفات العسكرية والتسلُّح، وهذا على حساب الجوانب الأخرى وبالأخص الجوانب التنموية الاجتماعية. إن مؤسسات العمل التطوُّعي يمكن أن تفعل دور الشريك الفاعل للحكومات في مجال التنمية الاجتماعية. إن الفائدة التي ستجنيها الحكومات من جراء مشاركة المنظمات التطوُّعية في المجال الاجتماعي هو أنها ستتيح المجال لتلك الحكومات لتركيز جهودها على الجوانب المهمة الأخرى مثل أمن البلاد الداخلي والخارجي والنمو الاقتصادي والتجاري. إن المشاركة المجتمعية باتت من المسلَّمات التي تفرضها

معطيات النظام العالمي الجديد الذي ألغى مفهوم الدولة ذات الهيمنة على كل المجالات والتي يجب أن تقوم بكل الواجبات.

٢- العقبات والتحديات في مسيرة العمل التطوُّعي

أما عن العقبات التي تعاني منها مسيرة العمل التطوُّعي في العالم الإسلامي في الوقت الحاضر فإنها كثيرة، نذكر منها هنا ما يلي:

- الغياب الكبير للمرأة واقتصار مشاركاتها على التبرُّع العيني أو المالي. أما مشاركتها في الجمعيات الخيرية فتنحصر في إقامة الأسواق الخيرية والمحاضرات والندوات. أما العمل الميداني فنادرًا ما تشارك فيه النساء. وأسباب عدم المشاركة قد لا تعود فقط إلى ثقافة مجتمعية تشجِّع مشاركة الرجال دون النساء، وإنما الأمر قد يعود أيضًا إلى ضرورة توفُّر المحْرَم الشرعي عند خروج المرأة من بيتها، وخاصة عند رغبتها في المشاركة في العمل الميداني. ولكن مع تزايد عدد النساء من ذوات الخبرة- وخاصة المتقاعدات منهن- اللاتي يمكنهن المشاركة، وكذلك مع توفر المحْرَم، فإن الأمر قد لا يحتاج إلا إلى ثقافة تُقْنِع الزوجين أو المحارم بأهمية مصاحبة وليَّتِهم في العمل الميداني. وموضوع المشاركة النسائية قد يرقى- في بعض الأحيان- إلى فرض الكفاية، وخاصة إذا علمنا أن هناك من الحالات- وخاصة في الكوارث- مَن ليس بمقدور الرجال التعامل معهم بدون مشاركة النساء.
- انعدام القنوات الصحيحة الواجب توافرها لتوصيل مواد الإغاثة من المنبع إلى الفئات المستهدفة.
- التحرُّك البطيء لمؤسسات الإغاثة الإسلامية في العمل الميداني في أوقات الكوارث، رغم أن التحرُّك السريع وسرعة اتخاذ القرار والبعد عن الروتين والبيروقراطية لَتُعَدُّ من أهم الخصائص التي تميِّز هذا القطاع. إن الأمر يستلزم مناهجًا غير تقليدية، وسرعةً شديدة في التفاعل، ويستلزم تخطيطًا استراتيجيًّا لاستقطاب متطوِّعين من الرجال والنساء، وتدريبًا عاليًا لهم، ليتمكنوا من التحرُّك بالسرعة الملائمة، وبالشكل الملائم حين الحاجة إليهم.

☒ تراجع أداء المؤسسات الإغاثية والجمعيات الخيرية في العالم الإسلامي بسبب أحداث الحادي عشر من سبتمبر وما أفرزته تلك الأحداث من حصار كامل على أموال وتحرُّكات تلك الجمعيات. وإذا علمنا أن كثيرًا من المؤسسات الخيرية في الدول الإسلامية تركِّز معظم أنشطتها على الجوانب الاجتماعية، فإن حصار هذه المؤسسات قد أضرَّ كثيرًا بالمنافع التي كانت المجتمعات الإسلامية تحصل عليها من خلال هذه المؤسسات الخيرية. كذلك فإن تهمة دعم الإرهاب التي ألصقتها أمريكا وحلفاؤها بالمؤسسات الخيرية في العالم الإسلامي وروَّج لها عملاؤها في الدول الإسلامية قد أضرَّت أيضًا بالدول الإسلامية نفسها؛ فإن المؤسسات الخيرية كانت تحمل قسطًا كبيرًا من هموم المجتمعات الإسلامية واحتياجات شعوبها وخاصة فيما يتعلق بالجوانب الاجتماعية والتعليمية، مما أدى إلى تزايد الضغط الشعبي على تلك الحكومات وجعل الفجوة بين الشعب والدولة تتسع يومًا بيوم.

أسئلة وتمارين

- قم بعمل دراسة عن مشاركات المرأة في المحيط الذي تعيش فيه واستخدم تلك الدراسة في توعية المجتمع- وخاصة النساء- بأهمية المشاركة النسائية.
- إن الوعود الكاذبة وغياب المصداقية والشفافية لتعتبر من السمات البارزة لكثير من المؤسسات التطوعية. ناقش الأضرار المترتبة على انتشار مثل هذه الظواهر في تلك المؤسسات.
- ناقش كيف يمكن أن تقوم مؤسسات العمل التطوعي بدور الشريك مع حكوماتها.
- قم بإعداد دراسة عن الحصار الذي فرضته أمريكا وحلفاؤها على مؤسسات العمل التطوعي في العالم الإسلامي والأضرار التي نجمت عنه.

الحاجة إلى العمل التطوعي

بعد أن رأينا من خلال الفصل السابق كيف أن مسيرة العمل التطوُّعي في البلدان الإسلامية تسير بخطىً متعثِّرة وتواجه عقبات شتى، فإنه لا يبقى لدينا خيارٌ إلا القيام بتفعيل جانب العمل التطوُّعي على جميع الأصعدة وبشتى الوسائل. ولكي يتبيَّن القارئ أهمية العملية التطوُّعية للأمة الإسلامية، فإنا سنلقي في هذا الفصل مزيدًا من الضوء على الجوانب المتاحة للأمة للقيام بالعمل التطوُّعي خير قيام وكذلك على التحدِّيات التي تواجهها الأمة في الوقت الراهن والتي تستوجب منا جميعًا المشاركة في بناء الأمة والذَّود عنها بشتى الوسائل والإمكانيات المتاحة.

١- العمل التطوُّعي دعوة إلى ترميم بنيان الأمة المتهالك

إن كل مسلم ليدرك- بلا شك- أنه جزء من أمة الإسلام الواسعة الممتدة التي بدأ في تشييد صروحها نبي الرحمة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين. وقد اتسعت رقعة هذه الأمة فشملت معظم أرجاء المعمورة، وقوي بنيانها، واشتد عودها بفضل الجهود المضنية التي كان يقوم بها أتباع هذه الأمة عبر القرون. ومما لا شك فيه أن الأمة قد تَبَدَّل حالُها وأصبحت ممزعة الأوصال، منهكة القوى، ضعيفة في بنائها، ضعيفة في إمكانياتها، وذلك يعود إلى أسباب كثيرة سنتطرق إلى بعضها بإذن الله في ثنايا الحديث في الفصول القادمة.

لذلك فإن على عاتق كل واحد منا صغيرًا كان أو كبيرًا، رجلًا أو امرأة، عالِمًا أو جاهلًا، شيخًا أو شابًّا، أفرادًا أو مؤسسات، علينا جميعًا أن نعمل لكي نعيد للأمة الإسلامية صيتَها، ونرمِّم ما اندثر وتهدَّم في بنائها وصرحها، وعلينا فوق ذلك ألا نَقْنَع بأن تقف الأمة فقط على رجليها وتخطو خطوات متعثرة في طريقها، وإنما علينا أن نأخذ بزمام هذه الأمة لا لتصبح في مصاف الأمم فحسب، وإنما لتكون الرائدة والقائدة للعالم أجمع، ولا لتبقى مستهلكة تعتاش وتقتات من فتات الغير، وإنما لتصبح أمة منتجة ومصدِّرة سواء كان ذلك في السلع الاستهلاكية أو في التصورات والاعتقادات أو في الأفكار والمبادئ والقيم.

إذًا علينا جميعًا رسالة ليست بالهيِّنة، رسالة قد أَبَتْ السماوات والأرض والجبال أن يَحْمِلْنَها وأشفقن منها وحملها هذا الإنسان، نعم لقد حملناها نحن، وعلينا ألا نتخلى عنها أو نتعذَّر بأن الأوضاع الحالية لا تسعفنا لحمل تلك الرسالة.

وإذا كانت تلك هي رسالتنا، فما هي الأعمال المطلوب منا القيام بها؟ إنها- بلا شك- أعمال جليلة وكثيرة، وقد تكون طويلة الأمد وتحتاج إلى جهدٍ كبير. إن هذه الأعمال لن تنتهي بخطوة واحدة ولا في يوم واحد، ولكن قد تستمر سنوات وعقودًا إلى أن تصبح الأمة الإسلامية في مكانها الصحيح اللائق بها بإذن الله.

إننا إذا استشعرنا ثقل تلك الأعمال والمهام وكثرتها وعرفنا بالمقابل أن هناك قلة من الناس والمؤسسات والمنظمات التي تقوم حاليًا بشيء من تلك الأدوار التي يجب علينا أن نلعبها، عندها سندرك بُعْدَ الهوة بين وضع الأمة الآن وبين ما ينبغي أن تكون عليه، ومقدار العمل الذي يقدمه أبناؤها في هذا الوقت وما يرجى منهم أن يقدموه في المستقبل. إذا عرفنا كل ذلك أدركنا حجم الأعمال التي على كل واحد منا التطوُّع للقيام بها، وأدركنا أيضًا بأن علينا أن نَكِدَّ ونضنى، وأن نواصل الليل بالنهار في بناء وتشييد وإعمار هذه الأمة.

لذا، فعلينا أن لا نبقى في مكاننا قابعين متخاذلين ننتظر من يأتي إلينا فيُسنِد إلينا عملًا نقوم به أو يدفع لنا أجرًا مقابل شيء من تلك الأعمال، لكن ما علينا القيام به هو أن نبادر بأنفسنا لوضع أية لبنة في ذلك الصرح، في ذلك البناء السامق الشامخ الذي نرجو أن تصل إليه الأمة، علينا ألا ننتظر من الآخرين ليُوكِلوا إلينا مهمات البناء، وإنما علينا أن نبحث عنها بحرصٍ ونقوم بها برغبة.

بقي أن نذكر أنه بسبب وضع الأمة المتردي فقد أصبح أبناؤها وأصبحت مؤسساتها وحكوماتها لا ترى لنفسها حظًّا من نجاحات هذه الحياة، فأصبحنا نعيش أذلاء أرِقَّاء نعتمد في كل احتياجاتنا وفي كل مواردنا واستهلاكاتنا، أو باختصار في كل ما نحتاج إليه في هذه الحياة، أصبحنا نعتمد في كل ذلك على الآخرين، أي على دول الشرق والغرب، وأصبحنا لا نكلف أنفسنا إنتاج شيء، وإنما يكفينا أن نجلب ذلك الشيء من الدول المنتجة له، والتي هي في الغالب غير إسلامية، شرقية كانت أو غربية، دولٍ لا تُصَدِّر إلينا تلك السلع فقط وإنما تُصَدِّر إلينا معها مبادئ وأفكارًا وقيمًا. لذلك، أصبح مجتمعنا يتشكل يومًا بيوم لا ليعود كمجتمع إسلامي، وإنما لينحلَّ ويفسد ويصبح مجتمعًا

شرقيًّا أو غربيًّا، وما ذلك إلا بسبب اعتمادنا على أمم الشرق والغرب في جميع احتياجاتنا الضرورية والكمالية.

من أجل هذا فإن مَن يتطوع لخدمة هذه الأمة، مهما كان نوع الخدمة، فإنما هو يدفع عن الأمة أصنافًا شتى من البلاء الذي حلَّ بها بسبب تخاذل أبنائها وتخليهم عنها، وهو في الوقت نفسه يخطو بالأمة خطوات حثيثة نحو المجد والسؤدد الذي ننشده لها. وإذا كان الله- سبحانه وتعالى- قد اعتبر من يعمل على إحياء نفس واحدة كمَن يعمل على إحياء الناس جميعا[1] فكيف بمن يعمل على إحياء أمة بأكملها؟ إن العمل التطوُّعي الذي ندعو إليه في هذا الكتاب لَيَعِد من يقوم به أجرًا عظيمًا، وقد يكون سببًا في دخول صاحبه بإذن الله إلى جنة عرضها السماوات والأرض، هذا بجانب الخيرات الكثيرة التي سينالها صاحبه في هذا الدنيا بإذن الله.

٢- العمل التطوعي وسيلة لاكتشاف وتفعيل الطاقات الكامنة في هذا الكائن البشري

إن كل واحد منا يدرك تمام الإدراك أن الإنسان من أعظم المخلوقات التي أوجدها الله- سبحانه وتعالى- في هذا الكون، وذلك بما أودعه الله فيه من طاقات وقدرات لا تقرب عندها الطاقات والقدرات التي أودعها الله في غيره من الكائنات. ويكفينا أن نعلم أن الله- سبحانه- قد اختار هذا الإنسان ليكون خليفة له في أرضه وسخَّر له ما في هذا الكون، ولن يكون بمقدور هذا الإنسان التعامل مع ما في هذا الوجود من مخلوقات إلا بقدرات وطاقات أودعها الله فيه.

ورغم إدراك غالبية المسلمين بأنهم خلفاء الله في أرضه وأن الله قد جعل هذا الكون تحت تصرُّفهم، إلا أن غالبيتهم لا يدركون حجم الطاقات المودَعَة في ذواتهم، ولهذا فإن قليلًا منهم من يثق بنفسه وإمكانياته وقدراته في تحقيق ما يشاء. لهذا فإننا نرجو من خلال طرح موضوع العمل التطوُّعي أن نوضِّح مكامن بعض تلك الطاقات ووسائل استغلالها فيما يعود بالنفع على أصحابها وعلى الأمة الإسلامية بشكل عام.

---

(1) وذلك في قوله تعالى: { مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرائيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ } (المائدة:٣٢).

٣- العمل التطوعي حماية للمسلم من الموت البطيء

إن الموت هو النهاية الحتمية لكل إنسان، بل لكل مخلوق في هذا الوجود. وتلك النهاية لن تأتي للإنسان إلا فجأة، كما أخبرنا بذلك سبحانه في كتابه الحكيم[1]. لكن هناك نوع آخر من الموت- وهو ما أحببتُ أن أسميه بالموت البطيء- وهو ما يحدث لكثير من الناس وخاصة عندما يلتحق أحدهم بوظيفة ويتزوج ويستقر في بيته الخاص. عندئذ تصبح حياة أمثال هؤلاء نوعًا من الروتين القاتل ويعزفون عن المشاركة في الحياة العامة إلا بما تتطلبه منهم وظيفتهم أو علاقاتهم الاجتماعية. هنا يبدأ هؤلاء في الركون إلى الراحة وتَقِلُّ حركتهم الجسدية ويتقاصرون تدريجيًّا في استخدام عقولهم مما يجعل عضلات أجسادهم تبدأ في الترهُّل وعضلات أدمغتهم في الضمور، وقد يُعرِّضهم ذلك للشَّلل الجسدي والذهني والإصابة بشتى أنواع الأمراض الجسدية والعقلية. هذا هو ما أسميه بالموت البطيء.

وفتح الأبواب لأمثال هؤلاء لكي يُشغِّلوا أجسادهم وأدمغتهم من خلال الأعمال التطوعية التي سنتعرض إليها- بإذن الله- في الفصول القادمة قد يمنع أو يؤخر الإصابة بالموت البطيء أو الأعراض الجانبية التي تكون سببًا له أو نتيجة عنه.

٤- كثرة الكوادر

إننا كأمة لا نشكو من قلة الكوادر؛ حيث أن عندنا الكثير من السواعد الفتية المؤمنة الصادقة التي يمكن أن تحمل هَمَّ هذه الأمة وأن تشارك في بنائها. أجل إننا لا تنقصنا الكوادر، فعندنا- بحمد الله- الملايين من حملة الشهادات العليا، وعندنا أضعاف تلك الملايين من المثقفين، سواء كانوا في العلوم الشرعية أو الاجتماعية أو الإنسانية أو التطبيقية. لكن علينا أن ندرك أن "المثقف الحق هو من يقوم بدوره كاملًا وذلك عبر التحمل والأداء؛ فإن قيمة المعلومات التي اختزنها والمعرفة التي أتيح له الاضطلاع عليها لن تظهر إلا حين يؤدي زكاة ما جمعه وما اكتنزه من ثقافة امتدت على طول

---

(1) انظر مثلًا قول الله سبحانه وتعالى: { فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ } (الأنعام: ٤٤)، وقوله: { وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ } (الأعراف: ٣٤).

سنوات الخبرة في جامعة الحياة، ولن يشفع له أنه قارئ نهم أو مطلع بل عليه أن يعطينا ثمار معرفته، وإلا كان علمه مما يتعوذ منه؛ فقد استعاذ رسول الله- صلى الله عليه وسلم- من علم لا ينفع"[1].

إن الأمة لديها حشودًا كبيرة من أبنائها المؤهلين للبناء، سواءً كانوا يعيشون في ربوعها وعلى أراضيها، أو غرباء مشردين في بلدان الكفر، بسبب أوضاعهم السياسية والاجتماعية. وبكثير من الأسى، فهناك أناس- من صفوة أبناء هذه الأمة- قضوا سنينًا من عمرهم في الحصول على أعلى الشهادات وأفضل المهارات، ولكنهم عندما رجعوا إلى بلدانهم لم يجدوا مجالًا لتخصصهم، ولا ترحيبًا بذكائهم ونبوغهم، فاضطروا لأن يعملوا في وظائف بعيدة عن تخصصاتهم، وأن يقنعوا باليسير من المال ليحفظوا ماء وجوههم.

وهناك آخرون علِموا أن عودتهم إلى أوطانهم ستكون على حساب نبوغهم وتميزهم فآثروا هجر الأحبة والأوطان على وأد العقول والأذهان. والأمثلة لهؤلاء كثيرة، وإن شئتم فاسألوا "أساتذة الذرة المسلمين، الذين رأوا أن عودتهم إلى ديارهم ستصيبهم بكثير من الإحباط، ففضلوا البقاء في عسل الغرب الممزوج بالسم، على أن يعودوا إلى حنظل خالص أو بيت نحل فارغ"[2]. إن العمل التطوعي سيكون- بإذن الله- لمثل هؤلاء متنفَّسًا لتطبيق ما درسوه، وممارسة ما تعلَّموه، ولا يبقى إلا أن يجدوا المؤسسة الواعية التي تستطيع أن تحتضنهم وتوفر لهم بيئة مناسبة لتفعيل قدراتهم ومهاراتهم.

وفي الأمة كذلك جيوشٌ من المتقاعدين الذين أدَّوْا رسالتهم في حياتهم الوظيفية فبقوا إما قابعين في بيوتهم يقضون كل أوقاتهم في مشاهدة التلفاز وفي القيل والقال، وإما في التفسُّح والسياحة- لمن استطاع أن يدَّخر شيئًا من المال-، أو في التجوال في الشوارع والمحلات، وهم بكل ذلك يقتلون- كما يزعمون- الفراغ القاتل الذي يعانونه بعدما خرجوا من وظائفهم. وفي الصحيح أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قال: ((**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ**))[3]. إن أمثال هؤلاء قد يكونون من أنسب الناس للمشاركة في البناء الذي ننشده؛ وذلك لما اكتسبوه من

---

(1) "دور المثقف.. جهود لا ركود": خباب الحمد.

(2) " التدريب وأهميته في العمل الإسلامي": محمد موسى الشريف، ص ٣٠.

(3) أخرجه البخاري (كتاب الرقاق، رقم ٦٤١٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

خبرات طيلة سِنِيِّ حياتهم الوظيفية، والأعمال التطوعية قد تكون لهم بمثابة العاصم من الموت البطيء الذي أشرتُ إليه سابقًا.

كذلك فإن أمتنا تعاني من مشكلة البطالة، فهناك جيوش من العاطلين عن العمل الذين يبحثون ليل نهار عن عمل- ولو كان بسيطًا- يكسبون منه لقمة العيش. وعلى هؤلاء أن يدركوا أن كل ما في هذا الكون مُقَدَّر بأمر الله سبحانه وتعالى، وأن الله سبحانه ربما قد اختصهم بعدم انشغالهم بوظيفة معينة ليهتموا بما هو أشرف منها، وهو بناء الأمة.

لذلك، فعلى أمثال هؤلاء الذين ما زالوا لم يرتبطوا بعمل وظيفي أن يخصصوا بعض أوقاتهم في المشاركة في العمل التطوعي، وستبقى عندهم أوقاتٌ كثيرة للبحث عن وظائف، وربما تكون مشاركتهم في العمل التطوعي سببًا في توفيق الله- سبحانه وتعالى- لهم وحصولهم على أعمال تعينهم في حياتهم. كذلك فإن قيامهم بالأعمال التطوعية ستُكسِبُهم- بإذن الله- مهارات وخبرات قد تؤهلهم للحصول على وظائف لم يطمحوا أو يحلموا بها من قبل، وفي الوقت نفسه فعمل الخير للناس يرفع من شأن هذا الإنسان عند الله وعند الناس، ويعيد للشخص الثقة بنفسه وقدراته وإمكانياته.

وأذكر هنا أيضًا أن الأمة الإسلامية- وخاصة بعد بزوغ بوادر الصحوة في جميع ربوعها- قد تكونت لديها أفواجٌ من المستقيمين، أو الذين بدؤوا يسلكون طريق الاستقامة. وعلى هؤلاء أن يدركوا أولًا أن رسالة الأمة هم أقدر من يحملها بسبب وعيهم وفكرهم، وبسبب استقامتهم وتوفيق الله- سبحانه وتعالى- لهم، لذلك فإن عليهم أن لا يتقاعسوا عن ذلك الواجب. وعليهم كذلك أن يدركوا أن من أركان استقامتهم القيام بالأعمال التطوعية الخيرية التي لا يريدون من ورائها أجرًا ولا مصلحة ولا منفعة دنيوية، وإنما يحتسبون كل ذلك عند الله سبحانه وتعالى.

وللأسف، فإن كثيرًا من هؤلاء "اكتفوا من الإسلام بالركوع والسجود، والأوراد والأذكار، وإطالة السبحة والتلوُّم في السجدة، وظنوا أن هذا هو الإسلام، ولو كان هذا كافيًا في إسلام المرء وفوزه في الدنيا والآخرة لما كان القرآن [مليئًا] بالتحريض على الجهاد، والإيثار على النفس، والصدق والصبر، ونجدة المؤمن لأخيه، والعدل والإحسان، وجميع مكارم الأخلاق"[1].

---

(1) "لماذا تأخر المسلمون؟ ولماذا تقدم غيرهم": شكيب أرسلان، ص ٧٠.

إن على هؤلاء أن يكونوا سباقين لمثل هذه الأعمال التطوعية، وأن يبادروا إليها قبل غيرهم وأن يكونوا قدوة يحتذي بهم الآخرون، وربما تكون مشاركتهم في الأعمال التطوعية الخيرية سببًا لاستقامة غيرهم وسببًا لتقبل الناس لمبادئ هذا الدين، ولذلك أقول بأن مهمة هؤلاء مضاعفة تفوق المهمات التي على غيرهم القيام بها.

وأخيرًا، أذكر أن معظم أبناء هذه الأمة قد باتوا فقراء يتكفَّفون الأمم الأخرى، وأصبحت أكُفُّهم خالية لا تستطيع أن تجود بمالٍ، وما ذلك إلا بسبب تخاذلهم عن دينهم، وبسبب التشرذم في معتقداتهم وتصوراتهم، وبسبب الأوضاع السياسية والاجتماعية التي تمرُّ بها أمتهم. لكن يبقى أن هناك أناسًا من هذه الأمة- ومنهم حتى المستقيمين والخلصاء من أبنائها- الذين قد رزقهم الله- سبحانه وتعالى- أموالًا طائلة، لا بسبب قوَّتهم أو ذكائهم أو ما يبذلون من جهود، وإنما هي مِنَّة لهم من المولى- سبحانه-، وعليهم أن يُسخِّروها في سبيله، ولا أنفع ولا أفضل من ذلك إلا أن يجعلوها في جوانب العمل التطوعي.

وأقول لهؤلاء بأن الله قد هيأ لكم الفرصة وأتاح لكم المجال لكي تضاعفوا أجوركم وتضاعفوا أيضًا أموالكم، وذلك بأن تُسخِّروا تلك الأموال في طاعة الله تعالى وفي رضاه، بدلًا من أن تملؤوا بها المصارف والبنوك، أو تختزنوها في بيوتكم وخزاناتكم، أو تصرفوها في أعمال وتجارات غير مشروعة لا تَجُرُّ عليكم ولا تأتي لكم- إن لم تتداركوا أنفسكم- إلا بالوبال والدمار في هذه الحياة الدنيا وفي الآخرة.

الله أعطاكَ فابْذُلْ مِن عَطِيَّتِهِ فالمالُ عاريةٌ والعُمْرُ رَحَّالُ
المالُ كالماءِ إنْ تَحْبِسْ سَواقِيَهُ يَأْسَنْ وإنْ يَجْرِ يَعْذَبْ منهُ سِلْسَالُ

إن الدور الذي يمكن أن تلعبوه في بناء الأمة لهو دورٌ عظيم، وخاصة إذا أدركنا قيمة المال والاقتصاد في الحياة المعاصرة. إنكم يا مَن يملكون المال قد حانت الفرصة لكم لكي تبنوا لأنفسكم ولذراريكم أمجادًا في هذه الدنيا وقصورًا وجنات في الآخرة بإذن الله. إن مشاركتكم في مجال العمل التطوُّعي لا تَقِلُّ أهمية- إن لم تكن أهم- عن جوانب المشاركة الأخرى التي ندعو إليها، وإذا جمعتم بين إنفاق المال والمشاركة بالنفس فإن ذلك خيرٌ وأبقى بإذن الله.

٥- تخلِّي الحكومات عن القيام بدعم الأعمال الخيرية

قد يقول قائل بأنه لا حاجة للتطرق لموضوع الأعمال التطوعية لأن حكوماتنا الإسلامية قد عوَّدتنا أن توفر لنا كل الخدمات من تعليم وصحة وبناء للمؤسسات ومن تخطيط وتشييد، ولذلك فما علينا إلا الانتظار لحين قيام هذه الدول بتحقيق ما نتمناه من مؤسسات ومشاريع. لكن المتتبع لمجريات الأحداث في العالم يرى أنه "منذ منتصف الثمانينات الميلادية والعالم يشهد مراجعة تقويمية لدور الدولة في عملية التنمية بشكل عام، والتنمية الاجتماعية على وجه الخصوص، والاتجاه إلى فسح المجال للقطاع الخاص لتولي مهام متعددة والاضطلاع بالمسؤولية الأكبر في تقديم الخدمات الاجتماعية والخدمات العامة الأخرى. من هنا عاد دور المنظمات الأهلية التطوعية للبروز كقطاع ثالث بين نظام الدولة ونظام السوق (القطاع الخاص) ليسد الفجوات المرتبطة بهذا النظام ويستجيب للاحتياجات ويقدم الخدمات التي لا يعيرها نظام السوق (الذي يقوم على آلية العرض والطلب) اهتمامًا"[1].

إن علينا أن ندرك أن زمان البذخ والتودُّد للشعوب قد ولَّى، وقد بدأت الحكومات الإسلامية في التخلِّي عن الاهتمام بالأعمال الخيرية، واقتصر جهدها وإنفاقها على ما يعود عليها بالتمكين والبقاء على مقارعة المصلحين من أبنائها واختراع وجلب الطرق والوسائل التي تُمكِّنها من ذلك. أما أن تقوم بالأعمال التي تعود بالنفع على شعوبها، وتجلب لها الود والاحترام والحب من قِبَلِهم فهي أبعد ما تكون عن ذلك. لهذا، فعلينا ألا نَكِل أمورنا إلى تلك الحكومات، وإنما علينا أن نبادر بأنفسنا بالقيام بالأعمال التي نريد القيام بها.

لقد أصبحت الحكومات الإسلامية تتعلل بقلة مواردها، وشحة أموالها ومصادر دخلها، مع علمنا بأن الحقيقة هي عكس ذلك، حيث أصبحت أموال الأمة وثرواتها تَصُبُّ في جيوب أفراد قلة، وأصبحت تُصْرَف في أعمال ومشاريع هي- كما ذكرتُ- أبعد ما تكون عن إفادة الشعب أو المجتمع. أيضًا فإن هذه الحكومات قد أصبحت واقعة تحت ضغوطات داخلية وخارجية من أجل التخلي عن الاهتمام ببناء هذه الأمة؛ ضغوطات داخلية من قِبَل أفراد منحرفين ومؤسسات

(1) "الجمعيات النسائية الخيرية والمساهمة في التنمية الاجتماعية": الجازي بنت محمد بن فهد الشبيكي.

ومنظمات نذرت أنفسها لمحاربة دين الله سبحانه وتعالى، بسبب ما انغرس في عقلياتها وتصرفاتها من فكر إلحاديٍ أو علمانيٍ أو شيوعيٍ أو اشتراكي.

وبعد أن صارت تلك المؤسسات والمنظمات تتبنى ما يحلو لها من الأفكار الهدامة، أصبحت- بالمقابل- تحارب الفكر الإسلامي الذي هو سبب صلاح المجتمع وسعادة الناس، والذي لولاه لعمَّت الفوضى ولفسدت الأرض. لكن هؤلاء- بسبب ما انغرس في عقولهم وتصوراتهم وبسبب أيضًا ما يأتي إليهم من أفكار وتصورات وسياسات خارجية- يقومون أيضًا بشن حرب على المصلحين من أبناء هذه الأمة ولا يكتفون بذلك وإنما يعملون وُسْعَهم في الضغط على الحكومات الإسلامية لتقوم هي بدورها في الوقوف حجر عثرة أمام أي إصلاح يريده المخلصون من أبناء هذه الأمة.

وعلينا أيضًا أن لا ننسى التغيرات الدولية والسياسات الخارجية التي أصبحت تركز على إبقاء دول العالم الإسلامي متحاربة متصارعة، لكي تبقى شعوبها مفككة ضعيفة ذليلة منهزمة لا تنتج وإنما تعتمد على غيرها، ولا تبني وإنما تستورد الأُجَراء والوسائل التي تقوم بالبناء- إن كان هناك ثَمَّة بناء. وأصبحت هذه السياسات الدولية تضغط بشدة على الحكومات والمؤسسات والمنظمات الإسلامية التابعة أو الموالية لها لتقوم هذه بدورها- كما ذكرت- بعرقلة أي مشروع إسلامي يهدف إلى إعادة صياغة هذه الأمة وإعادة بنائها. من أجل هذا فعلينا أن لا نُعَوِّل كثيرًا على الحكومات الإسلامية في المشاركة في مسيرة العمل التطوُّعي، وعلينا أن لا نرجو منها نفعًا بقدر ما علينا أن نتقي شرورها وبوارها.

٦- المؤامرات والدسائس الدولية

كذلك فإن المؤامرات الدولية والسياسات العالمية الخارجية التي أصبحت تطالعنا بها الصحف ووسائل الإعلام كل يوم تهدف- كما ذكرت- إلى تفتيت سواعد هذه الأمة، وتبديد جهودها، وصرف اهتمامات شباب الأمة في أمور تافهة لا تعود عليهم ولا على أمتهم بأي نفع.

لقد أصبح هذا واضحًا جليًا في تصرفات هؤلاء الشباب سواءً كانت أقوالًا أو أفعالًا أو تصورات، أصبحت تصرفاتهم تافهة حقيرة بسيطةٍ ليست من القوة بمكان بحيث تستطيع المشاركة- أو حتى

التأثير- في مسيرة البناء شيئًا، وفوق ذلك فهي اهتمامات وإنتاجات موجهة في أمور لا تعود عليهم ولا على مجتمعاتهم بالنفع.

لقد أصبح معظم الشباب يصرفون جلّ أوقاتهم في التسكُّع في الطرقات ومراكز التسوق وفي الشواطئ والمنتزهات، وأصبحت فتيات الإسلام قابعة أمام شاشات التلفاز لا تفوتها منها عروض الموضات والأزياء والدعايات الهابطة والبرامج الهدامة التي تهدف إلى تحلُّلِها وانسلاخها من قِيَمِها ومبادئها ودينها، وأصبح شغلها الشاغل أن تقتني أفضل الموضات من الثياب والحلي والأحذية وصَفَّات الشعر وقصاته، وأصبحت تتسابق مع الفتيان في المشاركة في المهرجانات الراقصة والحفلات الماجنة وفي الانتساب إلى المعاهد والكليات المنحرفة الخليعة، وأصبحت تبادر في الحصول على أعمال تجعلها في الواجهة أمام الفتيان، يستنشقون ما يفوح منها من العطورات التي تجِدّ وتجتهد في البحث عنها، ويتمتعون بالمناظر البراقة للأزياء التي ترتديها، أو من قصات شعرها، واحمرار أوجانها وشفائفها بسبب ما تضع عليها من مواد تجميلية صُنِعت لها خصيصًا من قِبَل دول الكفر والإلحاد، وربما بادَرْنا نحن المسلمون إلى فتح مصانع لها في بلداننا الإسلامية لنزيد فتياتنا انحرافًا.

هذا هو حال القسط الأكبر من أولئك الشباب والفتيات، ومن سَلِم منهم من تلك الهفوات والانحرافات فإنه لم يَسْلَم من تضييع أوقاته في الرياضة وفي متابعة الأفلام والمباريات وفي قضاء الساعات الطوال في الدردشة على مواقع الإنترنت وفي الهرج والمرج في منتديات الحوار التي بدأت تتزايد يوميًّا في عددها ونوعها.

شَبَابٌ خُنَّعٌ لا خَيْرَ فيهِ وَبُورِكَ في الشَّبَابِ الطَّامِحِينَا

إن حال هؤلاء الشباب هو ليس مجرد سلوك أو فكر ورثوه عن آبائهم وأجدادهم، أو استقوه من المفسدين في مجتمعاتهم، وإنما القسط الأكبر من ذلك هو بسبب المؤامرات الدولية التي تحاك لصرف هؤلاء الشباب عن جوهر رسالتهم وعما يعود عليهم وعلى أمتهم بالنفع والصلاح. وعلينا أن ندرك أن تلك المؤامرات الدولية والسياسات العالمية تهدف- كما ذكرت- إلى أن تُبقي أمة الإسلام خاضعة لهم، مستكينة لسياساتهم، متكففة لموائدهم، لذلك فهم يعملون كل ما في وسعهم من أجل أن

تصبح إنتاجية الشعوب الإسلامية في أدنى مستوياتها العالمية، وأن لا تُسَخَّر تلك الإنتاجات إلا في ما يعود بالضرر عليهم وعلى مجتمعاتهم.

إن الدعوة إلى العمل التطوُّعي هو في حدِّ ذاته دعوة إلى انتشال الأفواج التائهة من الشباب والفتيات، وإلى توجيه قدراتهم وطاقاتهم فيما يعود بالنفع عليهم وعلى أمتهم. وفي الوقت نفسه، فإن الدعوة إلى العمل التطوُّعي هو أيضًا حملٌ لراية الدفاع عن هذه الأمة وعن مقدراتها، لكي لا تُسلِّم القياد- في غفلة من أبنائها- لأمم الكفر ومنظمات الدمار التي تتربَّص لها بالمرصاد. إن مَن يساهم في هذا المشروع الحضاري- مشروع العمل التطوُّعي- هو في حقيقة الأمر يناضل من أجل أن تبقى للأمة عزتها ومكانتها بين الأمم، ومن أجل أن يوقف ذلك المد الجارف من الانحرافات العقدية والخُلُقية والفكرية التي تضخه أمم الكفر، ويفتح له المنافذ ويوسِّع له المجاري أناس من بني جلدتنا ومَن يتكلمون بلغتنا، كما وصفهم الحبيب عليه الصلاة والسلام[1].

أسئلة وتمارين

- ما هو المقصود بمصطلح "الأمة" في هذا الكتاب؟
- أذكر أمثلة واقعية مشاهَدة تبرهن على أن الأمة بحاجة إلى بناء وترميم.
- حاول أن تفكر في بعض الأعمال التي يمكنك المشاركة بها في بناء الأمة. ناقش هذه الأعمال مع زميل أو صديق لك. حاولا أن تضعا خطة لتنفيذ تلك الأعمال.
- لو تطوَّع كل واحد من أبناء هذه الأمة بساعة واحدة فقط من وقته في كل شهر، فكم ساعة تطوُّعية في العام يمكن الحصول عليها للمساهمة في بناء هذه الأمة؟
- لو أخذنا في الاعتبار النتيجة التي حصلت عليها في إجابتك على السؤال السابق، ولو افترضنا أن كل ساعة تطوُّعية واحدة ستوفِّر للأمة خمسة ريالات، فكم ريال يمكن للأمة أن توفِّر في العام

(1) روى البخاري في صحيحة عن أبي إدريس الخولاني أنه سمع حُذيفة بن اليمان- رضي الله عنه- يقول: كان الناس يسألون رسول الله عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يُدركني؛ فقلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهليّة وشر، وجاء الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: ((نعم))، قلت: وهل بعد هذا الشر من خير قال: ((نعم؛ وفيه دخن)) قلت: وما دخنه؟ قال: ((قوم يستنون بغير سنتي، ويهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر)) قلت: فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: ((نعم؛ دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها))، قلت: يا رسول الله صفهم لنا، قال: ((هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا))، ... إلى آخر الحديث.

أسئلة وتمارين

الواحد؟

- العمل التطوُّعي يعتبر حماية للأمة مما يُسمَّى بالتبعية الفكرية. وضح ذلك.
- عدِّد بعض القدرات التي لديك والتي يمكنك المشاركة بها في أعمال تطوُّعية.
- هل في اعتقادك أن للبيئة دورٌ في تشجيع أو قتل المواهب؟ وهل يمكنك أن تصبح أنت في المستقبل من الفاعلين في بيئتك؟ وضح كيف يمكنك الوصول إلى ذلك.
- ما هو المقصود بالموت البطيء، كما ورد في هذا الفصل؟
- إذا كان كل إنسان بحاجة إلى الراحة الجسدية والعقلية، فلماذا إذًا يتحدَّث هذا الفصل عمَّا يسمى بالموت البطيء؟
- هل تظن أنك فعلًا قد دخلت في مرحلة الموت البطيء؟ كيف يمكنك الخروج من تلك الحالة؟
- ينظر البعض إلى ابتعاد بعض الناس عن المشاركة الاجتماعية والسياسية والفكرية والاكتفاء بالعمل التطوُّعي في محيطهم الشخصي والأُسَري على أنه نوع من الحماية لهم ولأُسَرِهم، حيث يقول هؤلاء بأن تفاعلهم مع المجتمع قد يُعرِّضهم أو يُعرِّض أُسَرَهم للمشاكل والقلاقل من قِبَل الآخرين. هل توافق هذا الرأي؟ ادعم إجابتك بالأدلة.
- قم بمشاركة بعض زملائك بكتابة بحثٍ مصغَّر باستخدام الإنترنت عن هجرة العقول المسلمة إلى الدول الأجنبية. حاولوا التحدُّث في هذا البحث عن عدد حَمَلَة الشهادات العليا في كل بلد إسلامي وأعداد المسلمين من حَمَلَة الشهادات العليا الذين يعيشون في الدول الأجنبية. كذلك حاولوا أن تتتبَّعوا أسباب هجرة تلك العقول من بلدانها الإسلامية إلى الدول الأجنبية وحاولوا أيضًا أن تضعوا حلولًا لهذه الظاهرة. بعد أن تنتهوا من ذلك البحث، شاركوا به إخوانكم وزملائكم وذلك إما بتقديمه على شكل محاضرة أو ندوة وإما بطرحه على مواقع الإنترنت وإما بإخراجه على شكل كُتيِّب وطباعة ونشر ذلك الكُتيِّب.
- اذكر بعض المجالات والأعمال التي يمكن من خلالها الاستفادة من خبرات وتجارب المتقاعدين.
- قم بدراسة مبسطة عن عدد المتقاعدين في المحيط الذي تعيش فيه ومجالات الاستفادة من كل واحدٍ منهم.
- تعتبر ظاهرة البطالة من المشاكل الكبرى التي تُقلِق هَمَّ الكثيرين. هل تتفق مع هذا الرأي؟ أيِّد إجابتك بأرقام تُبيِّن أعداد العاطلين عن العمل في بيئتك.
- اذكر بعض فوائد مشاركة العاطلين عن العمل في الأعمال التطوُّعية.
- ورد في هذا الفصل أن المهمة المناطة على عاتق المستقيمين تعتبر مهمة مضاعفة. وضح ذلك.

أسئلة وتمارين

- اشرح كيف يمكن أن يلعب المال دورًا أساسيًّا في مجال العمل التطوُّعي.
- قم بوضع مقارنة بين إيجابيات استثمار الأموال في الأعمال الخيرية وبين استثمارها في المصارف والبنوك.
- اذكر نماذج وصور توضح من خلالها تخلِّي الحكومات الإسلامية عن دعم العمل الخيري في بلدانها.
- ذُكِر في هذا الفصل أن الحكومات الإسلامية واقعة تحت ضغوطات داخلية وخارجية. اذكر نماذج لتلك الضغوطات.
- إذا كانت الدول الإسلامية فعلًا لا تملك زمام أمورها، فكيف يمكن أن تؤثر الضغوطات الداخلية والخارجية على تسيير شؤون هذه الدول؟
- لو كنتَ زعيمًا لدولة إسلامية فكيف يمكنك أن تحمي بلادك من الوقوع تحت تأثير الضغوطات الداخلية والخارجية؟
- في رأيك، لماذا تحاول الدول الأجنبية التدخُّل في شؤون الدول الإسلامية؟
- كيف يمكن إعادة صياغة الأمة الإسلامية بحيث تصبح مالكة لأمورها ولا تتأثر بالتغيُّرات والسياسات الخارجية؟
- حسب فهمك لما ورد في هذا الفصل، هل يعتبر العمل التطوُّعي دعوة إلى مواجهة الحكومات الإسلامية ومحاولة التخلُّص منها؟ ما هي الرسالة التي يحاول هذا الفصل إيصالها إليك؟
- اذكر خمسة من مظاهر الانحراف عند الشباب والفتيات.
- ما تأثير انحراف الشباب والفتيات على موضوع بناء الأمة؟
- يرى البعض أن أيَّ انحراف في الشباب والفتيات هو نابع من ذوات أنفسهم ولا يمكن لغيرهم أن يؤثر عليهم. وضح كيف يمكن أن يكون ذلك صحيحًا.
- اذكر بعض الأدلة من القرآن والسُّنَّة وأقوال علماء المسلمين التي توضح أن أمم الكفر تحاول جاهدة في أن يبقى الشباب والفتيات من المسلمين بعيدين عن التمسُّك بدينهم.
- شارك مع بعض زملائك في عمل دراسة عن الأعمال التي يقضي فيها الشباب والفتيات أوقاتهم في محيطك الذي تعيش فيه وقارن نتائج تلك الدراسة بما ورد في هذا الفصل.
- ابحث في كتب أخرى أو في مواقع الإنترنت عن نماذج لبعض المؤامرات الدولية التي تهدف إلى انحراف الشباب والفتيات وخاصة المسلمين منهم.

نماذج مشرِّفة للعمل التطوُّعي في عالمنا الإسلامي

إن طرحنا لموضوع العمل التطوُّعي لا يعني أن أمتنا تخلو من مخلصين نذروا أرواحهم وأموالهم في سبيل أمتهم، ولا يعني كذلك أن هذا العمل المتواضع الذي نقدمه في هذه الأطروحة هو بداية لمسيرة العمل التطوُّعي في عالمنا الإسلامي. إن الحقيقة هي أن عالمنا الإسلامي يعج بالنماذج الفذَّة والمشرِّفة لأفراد ومؤسسات استهوتها فكرة العمل التطوُّعي فحرصت على نقلها إلى أرض الواقع ودفعت لها أَنْفَس ما تملك من وقت ومال وجهد، وسنسرد في هذا الفصل صُوَرًا متناثرة لأفراد ومؤسسات اشتهرت في مجال العمل التطوُّعي وخَطَت فيه خطوات حثيثة. وإننا لنأمل في ذكرنا لهذه النماذج الفريدة أن تكون نبراسًا للآخرين ليحذوا حذوها وليقوموا هم أيضًا بمثل ما يقوم به غيرهم.

١- محمد يونس ومصرف الفقراء في بنجلاديش[1]

البروفيسور "محمد يونس" هو أستاذ الاقتصاد السابق في جامعة "شيتاجونج"- إحدى الجامعات الكبرى في بنجلاديش-، ومؤسس بنك جرامين Grameen Bank، البنك الذي يملكه الفقراء والذي يعمل من أجل إحداث تغيرات نوعية في حياة أفقر الفقراء في بلد من أفقر بلاد العالم وهي "بنجلاديش". إن الإنسان لا بُدَّ أن تكون له رسالة في الحياة. لقد وصل محمد يونس إلى هذه النتيجة من خلال ما شاهده من الظروف المعيشية الصعبة التي كانت تمر بها بلده بنجلاديش- وخاصة في مجاعة عام ١٩٧٤م التي قُتِل فيها ما يقرب من مليون ونصف-، ومن تصرُّفات والدته التي ما كانت ترد سائلًا فقيرًا يقف ببابهم.

ولقد لمعت في ذهن محمد يونس فكرة الحل لمشاكل الفقراء في بلده عندما كان يحاور امرأة كانت تقوم بتصنيع كراسٍ من البامبو؛ فقد علم من المرأة أنها لا تملك رأس المال الخاص بها، ومن ثَمَّ فهي تلجأ لاقتراضه من أحد المرابين في القرية لشراء البامبو الخام، وتظل تعمل طوال ١٢ ساعة يوميا في تصنيع الكراسي لرد القرض وفوائده ثم لا يبقى لها بعد ذلك إلا الكفاف لتعيش منه.

(1) "محمد يونس.. لو كان الفقر رجلًا لقتلته" و "تجربة مصرف الفقراء في بنجلاديش": مجدي سعيد.

بدأ محمد يونس مشروعه التطوُّعي الحضاري عندما أقرض ٤٢ امرأة من الفقراء مبلغًا بسيطا من المال من جيبه الخاص بدون فائدة، ودونما تحديد لموعد الرد. ولأنه رأى عدم إمكانية الاستمرار في ذلك فقد مضى يحاول إقناع البنك المركزي أو البنوك التجارية لوضع نظام لإقراض الفقراء بدون ضمانات، وهو ما دعا رجال البنوك للسخرية منه ومن أفكاره، زاعمين أن الفقراء ليسوا أهلًا للإقراض، وعبثًا حاول إقناعهم أن يجربوا، ومن ثم فقد اقترض قرضًا خاصًّا ليبدأ به مشروعًا في قرية جوبرا. وقد نجح مشروعه نجاحًا باهرًا وغيَّر حياة ٥٠٠ أسرة من الفقراء، وفي عام ١٩٧٩م اقتنع البنك المركزي بنجاح الفكرة وتبنى مشروع "جرامين" أي "مشروع القرية". وفي عام ١٩٨١م زاد محمد يونس من حجم المشروع ليشمل ٥ مقاطعات.

وقد أكدت كل مرحلة من تلك المراحل فاعلية نظام القروض المتناهية في الصغر حتى وصل عملاء البنك (أو "مشروع القرية") عام ١٩٨٣م إلى ٥٩ ألف عميل يخدمهم ٨٦ فرعا. وفي تلك المرحلة قرر يونس إنهاء حياته الأكاديمية وأن يمضي في طريقه حيث تم اعتماد بنك جرامين في ذلك العام كمؤسسة مستقلة لترتبط حياته بهذه المؤسسة التي كانت حلمًا فصارت واقعًا واعدًا منذ تلك اللحظة وإلى الأبد.

لقد نجحت فكرة محمد يونس وذلك باعتباره التوظيف الذاتي للفقراء، أي مساعدة الفقراء كي يساعدوا أنفسهم، هو المحرك الأساسي لعجلة التنمية في أي مجتمع، وأن إخراجهم من حالة "اليد السفلى" التي جعلتهم يدمنون تلقي الإحسان والهبات، إلى حالة "اليد التي يحبها الله ورسوله" هو واجب تفرضه النظرة إلى الفقير باعتباره "إنسانًا كامل الأهلية". كذلك، فقد رأى محمد يونس أن المدخل لتحسين حال الأُسَر الفقيرة هو في تحسين أوضاع النساء فيها، وهو ما دعاه لإعادة اكتشافهن كقوة للعمل، وإعادة اكتشاف الأعمال المنزلية كأعمال مُدِرَّة للدخل لتحسُّن أوضاع الفقراء.

وقد اتسعت فكرة محمد يونس لا لتخدم الفقراء على أرض بنجلاديش وحدها بل غيرهم في أراضي العشرات من البلدان من أمريكا في أقصى الغرب إلى الفلبين في أقصى الشرق مرورًا ببوليفيا وتنزانيا وماليزيا. ويكفي أن نعلم أن النموذج الذي قدمه "محمد يونس" من خلال "جرامين" يُعَدُّ الآن طوق النجاة من غائلة الفقر لعشرات الملايين من الفقراء في العالم.

٢- الدكتور عبد الرحمن السميط[1]

بدأ الدكتور عبد الرحمن حمود السميط- الذي ولد في الكويت عام ١٩٤٧م- مشوار عمله التطوعي عندما كان في المرحلة الثانوية، حيث قام مع بعض أصدقائه بجمع مبلغ من المال من مصروفهم اليومي واشتروا سيارة، وكان يقوم أحد أفراد المجموعة بعد انتهاء دوامه بنقل العمال البسطاء إلى أماكن عملهم أو إلى بيوتهم دون مقابل. وعندما كان في الجامعة كان يخصص الجزء الأكبر من مصروفه لشراء الكتيبات الإسلامية ليقوم بتوزيعها على المساجد. وأما في بلاد الغرب- وعندما كان يُكمِل دراساته العليا- فقد كان يجمع من كل طالب مسلم دولارًا شهريًّا ثم يقوم بطباعة الكتيبات ويقوم بتوصيلها إلى جنوب شرق آسيا وأفريقيا.

وبعد عودته إلى بلاده أصبح طبيبًا متخصصًّا في الأمراض الباطنية والجهاز الهضمي، ولكنه لم يكن طبيبا عاديًّا، بل كان طبيبًا فوق العادة؛ إذ كان بعد انتهائه من عمله المهني، كان يتفقد أحوال المرضى في أجنحة مستشفى الصباح (أشهر مستشفيات الكويت)، ويسألهم عن ظروفهم وأحوالهم الأُسَرية والاجتماعية والاقتصادية، ويسعى في قضاء حوائجهم، ويطمئنهم على حالاتهم الصحية.

واستمرت معه عادته وحرصه على الوقوف إلى جانب المعوزين وأصحاب الحاجة، حينما شعر الدكتور السميط بخطر المجاعة يهدد المسلمين في أفريقيا، وأدرك خطورة حملات التنصير التي تجتاح صفوف فقرائهم في أدغال القارة السوداء، وعلى إثر ذلك آثر أن يترك عمله الطبي طواعية، ليجسّد مشروعا خيريًّا رائدًا في مواجهة غول الفقر وخطر التنصير، واستقطب معه فريقًا من المخلصين، الذين انخرطوا في تدشين هذا المشروع الإنساني، الذي تتمثل معالمه في مداواة المرضى، وتضميد جراح المنكوبين، ومواساة الفقراء والمحتاجين، والمسح على رؤوس اليتامى، وإطعام الجائعين، وإغاثة الملهوفين.

شارك في تأسيس ورئاسة جمعية الأطباء المسلمين في الولايات المتحدة الأمريكية وكندا عام ١٩٧٦م، كما شارك في تأسيس فروع جمعية الطلبة المسلمين في مونتريال في الأعوام ١٩٧٤- ١٩٧٦م، ولجنة مسلمي ملاوي في الكويت عام ١٩٨٠م، واللجنة الكويتية المشتركة للإغاثة في عام ١٩٨٧م، وهو عضو مؤسس في الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية، وعضو مؤسس في المجلس الإسلامي العالمي للدعوة

(1) "الدكتور السميط": موقع "لبيك أفريقيا".

والإغاثة، وعضو في جمعية النجاة الخيرية الكويتية، وعضو في جمعية الهلال الأحمر الكويتي، ورئيس تحرير مجلة الكوثر المتخصصة في الشأن الأفريقي، وعضو مجلس أمناء منظمة الدعوة الإسلامية في السودان، وعضو مجلس أمناء جامعة العلوم والتكنولوجيا في اليمن، ورئيس مجلس إدارة كلية التربية في زنجبار ورئيس مجلس إدارة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية في كينيا. كذلك فقد أصدر الدكتور السميط أربعة كتب هي: لبيك أفريقيا، دمعة على أفريقيا، رسالة إلى ولدي، العرب والمسلمون في مدغشقر، بالإضافة إلى العديد من البحوث وأوراق العمل ومئات المقالات التي نشرت في صحف متنوعة.

تركَّز جُلُّ نشاط الدكتور السميط من خلال "لجنة مسلمي أفريقيا" التي تولى منصب الأمين العام فيها عام ١٩٨١م، ثم أصبح رئيس مجلس إدارتها بعد أن تغير اسمها إلى "جمعية العون المباشر" في عام ١٩٩٩م. وكان اهتمامه بأفريقيا بعد أن أكدت دراسات ميدانية للجنة أن ملايين المسلمين في القارة السوداء لا يعرفون عن الإسلام إلا خرافات وأساطير لا أساس لها من الصحة، وبالتالي فغالبيتهم- وخاصة أطفالهم في المدارس- عرضة لخطر التنصير، وقد نتج عن ذلك أن عشرات الآلاف في تنزانيا وملاوي ومدغشقر وجنوب السودان وكينيا والنيجر وغيرها من الدول الأفريقية قد صاروا ينتسبون إلى النصرانية، بينما آباؤهم وأمهاتهم من المسلمين.

وكانت حصيلة المشاريع التي نُفِّذَت في أفريقيا- كما يذكر الدكتور السميط- حتى أواخر عام ٢٠٠٢م: بناء ١٢٠٠ مسجد، دفع رواتب ٣٢٨٨ داعية ومعلمٍ شهريًّا، رعاية ٩٥٠٠ يتيم، حفر ٢٧٥٠ بئرًا ارتوازية ومئات الآبار السطحية في مناطق الجفاف التي يسكنها المسلمون، بناء ١٢٤ مستشفى ومستوصفٍ، توزيع ١٦٠ ألف طن من الأغذية والأدوية والملابس، توزيع أكثر من ٥١ مليون نسخة من المصحف، طبع وتوزيع ٦٠٥ ملايين نسخة من الكتيبات الإسلامية بلغات أفريقية المختلفة، بناء وتشغيل ١٠٢ مركز إسلامي متكامل، عقد ١٤٥٠ دورة للمعلمين وأئمة المساجد، دفع رسوم الدراسة لما يزيد عن ٩٥ ألف طالب مسلم فقير، تنفيذ وتسيير عدة مشاريع زراعية على مساحة ١٠ ملايين متر مربع، بناء وتشغيل ٢٠٠ مركز لتدريب النساء، تنفيذ عدد من السدود المائية في مناطق الجفاف، إقامة عدد من المخيمات الطبية ومخيمات العيون للمحتاجين مجانًا للتخفيف على الموارد الصحية القليلة في إطار برنامج مكافحة العمى، تقديم أكثر من ٢٠٠ منحة دراسية للدراسات العليا في الدول الغربية في تخصصات الطب والهندسة والتكنولوجيا.

وجهود جمعية العون المباشر في أفريقيا التي يترأسها الدكتور السميط مستمرة لإعداد الدراسات اللازمة لإنشاء كلية لتدريب المعلمين في ملاوي وإنشاء ما يزيد عن مائة محطة إذاعية للقرآن الكريم. وتبلغ تكلفة المحطة الواحدة عشرة آلاف دينار كويتي، تتضمن المعدات اللازمة ومصاريف التشغيل عامًا كاملًا. وقام الدكتور السميط أيضًا بمهمة خيرية لإعانة الشعب العراقي، حيث خصَّصت جمعية العون المباشر مليوني دولار لدعم الطلاب العراقيين الفقراء وإغاثة الأسر المتعففة.

وبعد سنوات من العمل الدؤوب في القارة الأفريقية لأكثر من ربع قرن من الزمان، آثر الدكتور أن يكون قريبا من الأرض والشعب الذين أحبهم، فاختار من جزيرة مدغشقر موطنًا جديدًا له، رضي بأن يقضي فيه ما بقي من حياته ليكون أقرب إلى مجال عمله الدعوي. وقد بدأ مشروعه العظيم المسمى بـ (أسلمة قبائل الأنتمور) وهي قبائل ذات أصول عربية حجازية، والتي تعتبر نموذجًا من العرب والمسلمين الضائعين في أفريقيا.

٣- لجنة رعاية الجرحى الفلسطينيين

تُعدُّ هذه اللجنة واحدة من اللجان الكثيرة التي انتشرت على أرض الكنانة (مصر) لمساعدة المتضرِّرين من النكبة الفلسطينية. وتقوم هذه اللجنة باستقبال الجرحى والمرضى الفلسطينيين القادمين بخطابات رسمية للعلاج من قِبَل السلطة الفلسطينية. ويتم علاج هؤلاء في مستشفى معهد ناصر المخصص لاستقبال هؤلاء الجرحى والمرضى. ومعظم من يصل إلى هذا المستشفى هم من المرضى الذين أصيبوا بأورام بسبب استنشاقهم للغاز المحمَّل باليورانيوم الذي يطلقه الإسرائيليون عليهم، والبعض مصابون بحالات تبوُّل لا إرادي بسبب نوبات الخوف والهلع الشديد من جراء ما يشاهدونه يحدث أمامهم في أرض فلسطين وبصفة يومية.

ويقوم على رعاية هؤلاء المرضى والجرحى متطوِّعون غالبيتهم من طلاب الجامعات، ويساهمون في الرعاية النفسية لهؤلاء المرضى من خلال الرحلات الترفيهية التي يأخذونهم إليها. كذلك، يقوم هؤلاء المتطوِّعون باستقبال التبرعات لشراء الأجهزة التعويضية وبعض الأدوية غير المتوفرة في المستشفى. ومن ضمن أنشطة اللجنة أيضًا توفير أماكن لإقامة الجرحى الذين يحتاجون للبقاء لفترة طويلة نسبيًّا لمتابعة العلاج في القاهرة، وأيضًا أماكن لإقامة المرافقين لهؤلاء المرضى. ويقوم المتطوِّعون في أماكن

السكنى هذه بتوفير الطعام والاحتياجات اليومية للمرضى أو مرافقيهم. وفي أحيانٍ كثيرة يتبرَّع أهل المنطقة بوجبات طعام ومواد غذائية وحلوى.

ومن الأنشطة الأخرى التي تقوم بها اللجنة هي إيصال بعض الأدوية الضرورية إلى داخل فلسطين وذلك بإرسالها مع المرضى العائدين إلى فلسطين أو مع مرافقيهم، وذلك لتسريع عملية وصول تلك الأدوية إلى مستحقيها. وفي بعض الأحيان تحصل اللجنة على متبرِّعين بأجهزة تعويضية، ويتم إيصال تلك الأجهزة إلى داخل فلسطين بالطريقة نفسها.

٤- الجمعية الكويتية لرعاية الأطفال في المستشفى KACCH

تأسست هذه الجمعية في الكويت في عام ١٩٨٩م وهي تهدف إلى الاعتناء بنزلاء المستشفيات من الأطفال. وفي إبريل من عام ٢٠٠٥م أطلقت الجمعية مشروع "بيت عبدالله" والذي يهدف إلى رعاية الأطفال الذين يتوقع وفاتهم وهم في سنِّ الطفولة وتقديم الدعم إلى أُسَرهم. وهذا المشروع سيساعد أُسَر أمثال هؤلاء الأطفال على تجاوز اللحظات الأخيرة من عمر أطفالهم بروح راضية وذلك من خلال تخفيف التوتُّر الذي قد ينتاب أقارب هؤلاء الأطفال وتقديم الاستشارات التخصُّصية لهم ولأطفالهم فيما يتعلق بالحالات التي يعاني منها أطفالهم.

٥- الجمعية الإسلامية الخيرية بالدار البيضاء[1]

تأسست هذه الجمعية في عام ١٩٢٧م، وهي بهذا تُعدُّ أول مؤسسة خيرية في المغرب. وتسهر هذه الجمعية على تقديم خدمات لما يزيد عن ٨٠٠ من المعوزين، والذين منهم اللقطاء والأيتام، حيث تشملهم هذه المؤسسة بالرعاية والتكوين والتعليم وتوفر لهم الراحة والاطمئنان حتى يتسنى لهم الاندماج في المجتمع، ويصبحوا أعضاءً فاعلين فيه. كذلك، تتكفل الجمعية بتسيير مركبات اجتماعية من أجل مساعدة الأشخاص المعوزين والعجزة ذكورًا وإناثًا الذين لا أُسَر لهم لإيوائهم والتكفل بهم. وقد تخرَّج بفضل الله ثم بدعم هذه المؤسسة الكثير من الطيارين المدنيين والعسكريين والأطباء

(1) "نحو يوم عربي لرعايتهم: الأيتام واللقطاء.. من يرعاهم؟": محمد الكاسي.

والمهندسين والمحامين ومن لهم باع في مجال المعرفة بالإضافة إلى مجموعة مرموقة من الفنانين والموسيقيين والمسرحيين والرياضيين.

وإضافة إلى الصفوف الدراسية وأقسام الحواسيب والمساكن الداخلية فإن الجمعية تضم أيضًا صالاتٍ لممارسة الرياضات المختلفة، وورشًا خاصة لمزاولة المهن المفيدة والهوايات المرغوبة. وتضم الجمعية أيضًا مستوصفًا طبيًّا وعيادة أسنان وجامع لتأدية الصلوات الراتبة وصلاة الجمعة. وتمتد أيادي الجمعية السخية أيضًا لتشمل العجزة والمعوزين المنتشرين في المجتمع، حيث تقوم المؤسسة برعايتهم وتوفير مركبات خاصة لهم لمساعدتهم على تقضية احتياجاتهم وربطهم بأُسَرهم.

أسئلة وتمارين

- كيف بدأ اهتمام البروفيسور محمد يونس لحل مشكلة الفقراء في بلاده بنجلاديش؟
- وضح كيف اتسعت فكرة بنك جرامين لتشمل ملايين الفقراء في العالم.
- فكر كيف يمكنك التعاون مع بعض أصدقائك لتقوموا بتطبيق فكرة البروفيسور محمد يونس على بعض الأُسَر الفقيرة في المحيط الذي تعيشون فيه.
- ما هي الدوافع التي جعلت الدكتور عبد الرحمن السميط يُركِّز اهتمامه على مسلمي أفريقيا؟
- إذا كنت قد قمت بزيارة لإحدى الدول الإسلامية الفقيرة في العالم، فهل بادرت إلى البدء بمشروع خيري لمساعدة الفقراء في تلك الدولة؟ اسرد بعض المشاريع الخيرية التي يمكنك المشاركة فيها والتي تستهدف الفقراء في تلك الدولة أو في دول إسلامية أخرى.
- لقد عانى الشعب الفلسطيني كثيرًا، فهل فكرت يومًا في مشاريع خيرية يمكنك القيام بها للتخفيف من معاناة ذلك الشعب الأبي؟

المبحث الثاني:

الأعمال التطوعية التي تستهدف الفرد

إن الكوادر البشرية هي عُدة الأمم وزادها في مسيرتها الحضارية والتاريخية. والأمة الإسلامية قد تكون أكثر الأمم من حيث عدد المنتسبين إليها، غير أنها تعاني من مشكلتين:

- المشكلة الأولى تتمثل في فقدان الهوية الإسلامية للمنتسبين إليها، وهي لعمري مشكلة كبرى؛ إذ كيف يمكن لشخص أن يُفني حياته ويبذل الغالي والنفيس في شيء لا يعترف هو بانتمائه إليه، وتشهد كل الوقائع بعكسه، سواءً كان ذلك في التصوُّر أو في التطبيق؟ إننا نرى أبناء هذه الأمة وقد ارتدوا زِيَّها وتكلَّموا بلغتها وعاشوا على ترابها، ولكن أفكارهم مستوردة، وغاياتهم موجَّهة، وإنتاجاتهم- إن وُجِدت- هزيلة ومبتذلة. ويُعدُّ الخواء الروحي وانقلاب موازين الفكر من أهم أسباب هذا الفصام الحاصل بين الدعوى والحقيقة.

- المشكلة الثانية تتمثل في قلة الإنتاج وتدني جودته؛ فبالرغم من وجود المشكلة الأولى وتجسُّدها في الغالبية الكبرى من أبناء هذه الأمة، غير أن هناك قلة لا يُشك في انتمائها للأمة وفي رغبتها في البذل والعطاء، ولكنها لا تحمل المؤهلات القادرة على الإنتاج المضاعف والجودة الشاملة. إن الانتقال من مستوى التبعية في كل شيء إلى مستوى القيادة في كل شيء يتطلب جهودًا مضنية وعقولًا منتجة وقلوبًا نابضة بالحياة، وكلها منعدمة أو قليلة الوجود حاليًا في أبناء الأمة، وذلك عائدٌ إلى فقدان الرابط بين هؤلاء وبين مصدر كل المقومات ومنتهى كل الغايات- وهو الله-، وأيضًا إلى تدني المستوى الفكري والثقافي والمهاراتي لأبنائها.

إن السُّبات العميق الذي غطَّ فيه أبناء الأمة ردحًا من الزمان قد أدى إلى انفلات أبناء هذه الأمة من المقومات التي كانت سببًا في سطوع نجمهم وعلوِّ بنيانهم، ولا يمكن للأمة- ككيان- أن تعود إلى سابق مجدها إلا باستيقاظ أبنائها من هذا السُّبات العميق وشدِّ أحزمة الخلاص والبقاء والتمكين لهم وارتشافهم من المنابع الصافية التي كانت تمدُّهم بمصادر البقاء والعزة في عهودهم الأولى. وإن كانت دعوات المصلحين والمخلصين من أبناء هذه الأمة تهدف إلى تجديدِ كاملِ بنيان هذه الأمة، إلا أن بناء أمة صالحة سليمة يتطلب بناء أبنائها على طراز خاص يتوافق وسمات كيانها المنشود. من أجل هذا جاء تطرُّق هذا المبحث للأعمال التطوُّعية التي تستهدف الشخص نفسه.

وقد يستغرب القارئ أن أدرج الأعمال التي تعود بالنفع على الشخص نفسه- على الأقل ظاهريًّا- من ضمن قائمة الأعمال التطوعية، حيث أنه كيف يتطوع الإنسان للقيام بأعمال يفترض أنه يقوم

بها من باب أول؟ وأجيب بأنه وبسبب الأوضاع الحالية للشعوب الإسلامية، وبسبب الحالة المزرية التي وصل إليها أبناؤها فقد أصبح الواحد منهم لا يدري ما ينفعه وما يضره، وأصبح كذلك- كما ذكرت مسبقًا- لا يهتم بما يعود عليه أو على أمته بالنفع، وإنما يهتم بسفاسف الأمور. كذلك فإننا إذا أردنا من هذا المسلم أن يشارك في أعمال خيرية تطوعية لبناء أمته، وهي أعمال لا تعود عليه بمنافع مادية ظاهرة، فإنه لا بُدَّ أن يكون أولًا مهيَّأً لتقبُّل فكرة العمل التطوعي؛ فكرة البناء الجاد المضني دون الحصول على مقابل. إن الكثير من الناس في هذا الزمان قد لا يقتنع بهذا المبدأ، ولذلك فعلى هؤلاء أن يقوموا أولًا بأعمال تستطيع أن تقنعهم سلوكيًّا وفكريًّا بأن ما يقومون به من أعمال ستعود في الأخير بالنفع عليهم.

والعمل التطوُّعي- كما نعلم- يحتاج إلى بذل الكثير من الأوقات والطاقات- وفي أحيان إلى أموال- مما لا يستطيع تحمُّل أعبائها إلا من درَّب نفسه على ذلك وعوَّدها على حمل الأعباء وبذل الجهد. والقيام بأعمال تطوعية تخدم الشخص نفسه قد تكون المحطة الأولى لاختبار هؤلاء في جِدِّيتهم على البذل وحرصهم على مواصلة الجهد دون توقُّع عائدات مادية- ولا حتى معنوية-.

وأمرٌ آخر يدعونا للبدء بالأعمال التي تخدم الشخص نفسه وهو أن الأعمال التطوُّعية التي ندعو إليها في هذا الكتاب هي أعمال خيرية تستمد شرعيتها من منهج الله سبحانه وتعالى، ولهذا فإن من يرغب في القيام بها فعليه أن يستمد العون والمدد من المصدر الأول وهو الله سبحانه وتعالى، ولن يتأتى للمرء الحصول على عون الله وتوفيقه إلا إن كان على صلة قوية به سبحانه. من أجل ذلك فإن غالبية الأعمال التي سنتعرض لها في هذا المبحث تعالج هذه القضية وتهدف بالدرجة الأولى إلى بناء الشخصية المؤمنة القوية في إيمانها وفكرها وتصوُّراتها وثقافتها.

إن هناك الكثير من الأمور التي يمكن للشخص أن يقوم بها وبصورة مستمرة وتعود عليه بفضل عظيم بإذن الله، ومع ذلك لا يحتاج لمعونة آخرين للقيام بها. كذلك، فإن معظم الأعمال التي سنذكرها في هذا المبحث لا تُكلِّف الشخص جهدًا، ولا تُضيِّع له وقتًا، ولا تتطلب منه مالًا. ولكي يَسْهُل على القارئ تطبيق ما سأذكره من أعمال، فإنني سأقوم بتقسيم تلك الأعمال إلى مجموعات؛ فهناك أعمال تقوي صلة المسلم بخالقه، وأعمال تصقل له فكره وتنمي له ثقافته ومهاراته، وأعمال تكسبه

القبـول بـين النـاس وتجعلـه يـشب سـويًّا معـافى، وأعمـال تثبِّـت أركانـه في الجوانـب الاجتماعيـة والاقتصادية.

أسئلة وتمارين
▪ كيف يكون المرء مسلمًا وفي الوقت نفسه فاقدًا لهويته الإسلامية؟ ▪ ما هو سبيل الخلاص للأمة من السُّبات العميق الذي غطَّ فيه أبناؤها؟ ▪ ما هي المبررات التي ساقها المؤلف لإدراج الأعمال الشخصية من ضمن قائمة الأعمال التطوعية التي يناقشها هذا الكتاب؟

الأعمال التي تُقوِّي صلة المرء بخالقه

أول الأمور التي على كل واحد منا أن يبادر إليها وأن يتطلع للقيام بها هي الاهتمام بأمور الدين. وقد يعجب البعض من الدعوة إلى التطوع للقيام بأمور الدين التي أوجبها علينا الشارع تبارك وتعالى. نعم، لقد أصبحت أمور ديننا تحتاج منا إلى أشخاص يأتوننا ويحاولون إقناعنا للقيام بها، فالجميع يدرك- مثلًا- أن المحافظة على الصلوات الخمس، وخاصة تأديتها في الجماعة وفي أوقاتها المعروفة، هو أمرٌ مفروض على كل مسلم، وأن صلاة الرجل في المسجد تفوق صلاته في بيته بخمس وعشرين مرة أو بسبع وعشرين مرة، كما جاء في الحديث الشريف[1]. ومع ذلك فإنا نرى أن غالبية أبناء هذه الأمة لا يقومون بذلك. إنهم لا يدركون ما ينفعهم لأنهم قاسُوا المنفعة بالنسبة لهم بالمنفعة الدنيوية، ولذلك لا يريد الواحد منهم أن يفرِّط في وظيفته أو دراسته أو تجارته أو في أشغاله الأخرى من أجل الذهاب إلى المسجد وتأدية الصلاة في الجماعة. وإذا كان هذا الشخص لا يستطيع أن يقوم بمثل هذه الأمور، فكيف يمكنه أن يقوم بالأمور الأخرى التي سأتكلم عنها لاحقًا؟

ورغم أن هناك المئات من الأعمال التي يمكن للمرء القيام بها وتكون ذات أثرٍ بالغ في ربط العبد ببارئه برباط التقوى الذي به يستمد العون والتأييد، إلا أنني سأقتصر في هذا الباب على بعض الجوانب فقط والتي- في تقديري- يمكن لمعظم المسلمين القيام بها.

١- الانكباب على القرآن الكريم

من تشريف الله- سبحانه وتعالى- لهذه الأمة وتكريمه لها أن جعل بين يديها خير كتاب أنزل، وأنقى معين تستفيض منه مطهرات الألباب، وتستلهم منه محفِّزات النفوس، وتستمطر من خلاله مقومات البقاء والتمكين. إنه لا يمكن للراغب في الوصول إلى مرضاة الله أن يجعل القرآن وراء ظهره مهجورًا، كما أورد- سبحانه- شكاية الرسول من أمثال هؤلاء في قوله ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي

(1) روى أبو هريرة- رضي الله عنه- أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قال : ((صَلَاةٌ مَعَ الْإِمَامِ أَفْضَلُ مِنْ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ صَلَاةً يُصَلِّيهَا وَحْدَهُ)). وفي رواية لابن عمر- رضي الله عنهما-: ((صَلاَةُ الْجَمَاعَةِ أَفْضَلُ من صَلاَةَ الْفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً)).

اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾ (الفرقان: ٣٠) ، وإنما عليه أن ينكب على كتاب الله تلاوة وترتيلًا وتفكُّرًا وتدبُّرًا وتعلُّمًا ومدارسة. إنه لا بُدَّ لكل واحد منا أن يجعل من ضمن برنامجه اليومي قراءة ولو بضع صفحات من القرآن، وخطوات الوصول إلى الله- سبحانه وتعالى- وروافد الإمداد لمشقات الطريق وغوائلها ستتزايد بمقدار ما نقرأه من كتاب الله، وما نتدبَّره من معانيه وأسراره، وما نطبقه من تعاليمه وأحكامه.

٢- المواظبة على النوافل والأذكار

إنه لا بُدَّ لنا من أن نُحسِّن علاقتنا ببارئنا من أجل أن نستعيد المدد والعون منه سبحانه وتعالى. إن ما بأيدينا من إمكانيات وقدرات لا تأهلنا- ولن تأهلنا- لأن نقوم بأعمال تطوعية إلا إذا لجأنا إلى من بيده القوة المطلقة واستعنا به. إنه جزءٌ من عقيدتنا أن نستمدَّ منه- سبحانه- كل ما نحتاج إليه من إمكانيات وموارد. لذلك، فإن أهم من الأعمال التطوعية الشخصية التي يمكن القيام بها- بعد أداء الفرائض- هو الإكثار من صلوات النوافل ومن ذكر الله- سبحانه وتعالى- في الصباح والمساء، في العمل والشارع، وفي اليقظة وعند النوم. وبالإضافة إلى الأجر العظيم الذي سنحصل عليه عند تأديتنا للنوافل المختلفة، فإن القيام بها والمحافظة عليها يعتبر أول الخطوات التي ستبني في نفوسنا- بإذن الله- روح التطوُّع للقيام بالأعمال الأخرى.

وإنه ليس بخاف على أحد ما في الإكثار من النوافل والأذكار من أثرٍ عظيم في رأب الخلل الذي قد يلحق بالفرائض والواجبات أثناء تأديتنا لها، وما للنوافل والأذكار أيضًا من أجرٍ عظيم يحصل عليه فاعلها والمحافظ عليها. من هذا ما جاء في الحديث: ((إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ))[1]. وجاء في وصف عباد الله قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (آل عمران: ١٩١).

(1) رواه البخاري (رقم ٦٥٠٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وفيما يلي نسوق بعض الآيات والأحاديث التي نستوضح منها الأجر العظيم الذي أُعِدَّ لمن يواظب على بعض هذه النوافل والأذكار:

- صلوات النوافل: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: ((مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هَذَا، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لَا يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ))[1]. وقال- عليه الصلاة والسلام-: ((مَنْ ثَابَرَ عَلَى ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً مِنَ السُّنَّةِ بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الجَنَّةِ))[2]. وفي حديث آخر: ((مَنْ مَشَى إِلَى صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ فِي الْجَمَاعَةِ، فَهِي كَحَجَّةٍ، وَمَنْ مَشَى إِلَى صَلَاةِ تَطَوُّعٍ فَهِي كَعُمْرَةٍ تَامَّةٍ))[3].

- الاستغفار للآخرين: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: ((مَنِ اسْتَغْفَرَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ حَسَنَةً))[4].

- التسبيح: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: ((مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، حُطَّتْ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ))[5]. وقال: ((مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، غُرِسَتْ لَهُ بِهِ نَخْلَةٌ فِي الْجَنَّةِ))[6]. وفي حديث آخر أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قال: ((أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ)) فسأله سائلٌ من جُلَسائه: كيف يكسب أحدنا ألف حسنة؟ قال: ((يُسَبِّحُ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ، فَيُكْتَبُ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ، أَوْ يُحَطُّ عَنْهُ أَلْفُ خَطِيئَةٍ))[7]. وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: ((مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ مِائَةَ مَرَّةٍ، لَمْ يَأْتِ

---

(1) أخرجه البخاري (رقم ١٥٩) ومسلم (رقم ٢٢٦) في صحيحيهما عن عثمان بن عفان.

(2) رواه الترمذي (رقم ٤١٤) وابن ماجه (رقم ١١٤٠) عن عائشة رضي الله عنها.

(3) رواه الطبراني في الكبير (رقم ٧٥٧٨) عن أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعًا.

(4) رواه الطبراني في "مسند الشاميين" (٣/٢٣٤) عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، وفي إسناده ضعف.

(5) رواه البخاري (رقم ٦٤٠٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه. ورواه الترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة أيضًا بلفظ: ((مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ مِائَةَ مَرَّةٍ، غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ، وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ)).

(6) رجاله ثقات رجال الشيخين إلا أبا الزبير فمن رجال مسلم وقد عنعن، وأخرجه ابن أبي شيبة (رقم ١٠/٢٩٠)، والبغوي (رقم ١٢٦) ، والترمذي (رقم ٣٤٦٤) في الدعوات.

(7) رواه مسلم (رقم ٢٦٩٨) عن مصعب بن سعد- رضي الله عنه- عن أبيه. ورواه الترمذي وأحمد بلفظ مشابه.

أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلاَّ أَحَدٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ أَوْ زَادَ عَلَيْهِ))[1]. وجاء أيضًا: ((قُلْ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، يُغْرَسْ لَكَ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ شَجَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ))[2]. وعن جويرية أم المؤمنين- رضي الله عنها- أن النبي- صلى الله عليه وسلم- خرج من عندها بكرة حين صلىَّ الصُّبح وهي في مسجدها، ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة، فقال: ((مَا زِلْتِ عَلَى الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا؟)) قالت: نعم، قال النبي- صلى الله عليه وسلم-: ((لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ))[3].

☒ قول "لا إله إلا الله": قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: ((مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ، يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ إِلَّا رَجُلٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْهُ))[4]. وقال عليه أفضل الصلاة والسلام: ((مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، كَانَ لَهُ عَدْلَ رَقَبَةٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَحُطَّ عَنْهُ عَشْرُ خَطِيئَاتٍ، وَرُفِعَ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ، وَكَانَ فِي حِرْزٍ مِنَ الشَّيْطَانِ حَتَّى يُمْسِيَ، وَإِذَا أَمْسَى فَمِثْلُ ذَلِكَ حَتَّى يُصْبِحَ))[5].

☒ الصلاة على النبي: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: ((مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ عَشْرًا))[6]. وقال: ((مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا))[1].

---

(1) رواه مسلم (رقم ٢٦٩٢) والترمذي (رقم ٣٤٦٩) وأحمد (رقم ٨٨٣٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(2) رواه ابن ماجه (رقم ٣٨٠٧) عن أبي هريرة- رضي الله عنه- أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- مرَّ به وهو يغرِسُ غرسًا فقال: ((يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا الَّذِي تَغْرِسُ؟)) قلتُ: غِراسًا لي، قال: ((أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى غِرَاسٍ خَيْرٍ لَكَ مِنْ هَذَا؟)) قلتُ: بلى يا رسول الله، قال: ((قُلْ: سُبْحَانَ اللَّهِ ...)) وساق الحديث.

(3) رواه مسلم (رقم ٢٧٢٦) عن جويرية أم المؤمنين رضي الله عنها.

(4) رواه البخاري (رقم ٦٤٠٣) ومسلم (رقم ٢٦٩١) ومالك (رقم ٥٢٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(5) رواه ابن ماجه (رقم ٣٨٦٧) عن أبي عياش رضي الله عنه.

(6) رواه مسلم (رقم ٤٠٨) والنسائي (١٢٩٦) وأحمد (رقم ٨٨٥٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

☒ صيام الاثنين والخميس: عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي- صلى الله عليه وسلم- كان أكثر ما يصوم الاثنين والخميس، فقيل له، فقال: ((إِنَّ الْأَعْمَالَ تُعْرَضُ كُلَّ اثْنَيْنِ وَخَمِيسٍ- أَوْ: كُلَّ يَوْمِ اثْنَيْنِ وَخَمِيسٍ- فَيَغْفِرُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِكُلِّ مُسْلِمٍ- أَوْ: لِكُلِّ مُؤْمِنٍ- إِلَّا الْمُتَهَاجِرَيْنِ، فَيَقُولُ: أَخِّرْهُمَا))[٢].

٣- قيام الليل

إن المؤمن الذي يرغب في تقوية صلته بالله لا بُدَّ له من ساعات يختلي بها مع ملك الملوك ومَن بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه، يسكب بين يديه العَبَرات، ويستدرُّ منه الرحمات، ويسأله الوقوف بجانبه في الملمات، ويتملَّق إليه ليحظى من لدنه بقريب الدرجات ووافر العطايا والهبات.

وإنه لا يخفى على عاقل أن الحياة المعاصرة وما يلفُّها من صخب ولَهْو، وما تُحدِثُه في لباب المرء وفكره من خدوش، وما تمتصه وتلتهمه منه من أوقات وطاقات، ليُحتِّم على المؤمن أن يفرَّ إلى رحمان الوجود ورحيمه؛ يستغيث به من حمأة الحياة ووطأتها، ويحتمي منه من جورها وقسوتها، وليس هناك من وقت أفضل من تلك الساعات الأخيرة من الليل يختلس فيها من أنواء الحياة وشقاء ساكنيها، لحظات تسكن فيها نفسه إلى روحانية الأنس باللطيف المنان وقدسية التذلُّل بين يدي الرؤوف الرحيم. يقول ابن القيم: "لما رأى المتيقظون سطوة الدنيا بأهلها، وخداع الأمل لأربابه، وتملُّك الشيطان قياد النفوس، ورأوا الدولة (أي الغلبة والنصر) للنفس الأمارة، لجأوا إلى حصن التضرُّع والالتجاء؛ كما يأوي العبدُ إلى حَرَمِ سيده"[٣].

إذا كَثُرَتْ منكَ الذنوبُ فداوِها ... برفعِ يدٍ في الليلِ والليلُ مظلمُ
ولا تَقْنَطَنْ من رحمةِ اللهِ إنما ... قُنوطُكَ منها من خطاياكَ أعظمُ
فرحمتُهُ للمحسنينَ كرامةٌ ... ورحمتُهُ للمسرفينَ تَكَرُّمُ

---

(1) رواه مسلم (رقم ٣٨٤) وأحمد (رقم ٦٥٦٨) وأبو داود (رقم ٥٢٣) والنسائي (رقم ١٦٥٤) عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه. ورواه الترمذي (رقم ٤٨٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه. ورواه النسائي (رقم ٦٧٨) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(2) رواه أحمد (رقم ٨٣٦١) بسند صحيح.

(3) "الفوائد": ابن قيم الجوزية، ص ٦٣.

ومما يمكن أن يحمسك لقيام الليل هو أن تتذكر قوله- سبحانه-: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[1]، وعندها "تستشعر وتستحضر بقلبك وفكرك أن ربك ومولاك وسيدك الجليل العظيم يدعوك ويناديك- وهو الغني عن طاعاتك سبحانه- إلى القيام بين يديه، واللجوء إليه، والتلذذ بمناجاته في ظلام الليل، فهلَّا أجبتَ نداءَ السماء؟ وناجيتَ ربَّك في الظَّلماء؟ لتكون في الدنيا والآخرة من السعداء"[2]. كذلك، تتذكر قول حبيبك ورسولك العظيم- عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم- وهو يقول: ((أفضل الصلاة بعد الصلاة المكتوبة الصلاة في جوف الليل))[3]، وقوله: ((عليكم بقيام الليل، فإنه دأبُ الصالحين قبلكم، وقُربةٌ إلى الله تعالى، ومنهاةٌ عن الإثم، وتكفيرٌ للسيئات، ومَطْرَدَةٌ للداء عن الجسد))[4].

بكـــي البـــاكون للـــرحمن لـــيلًا وبـــاتوا دمعَهـــم لا يـــسأمونا
بقـــاعُ الأرضِ مـــن شـــوقٍ إلـــيهم تَحِـــنُّ مـــتى عليهـــا يـــسجدونا

وقد كان قيام الليل- على امتداد تاريخ الأمة- المدرسة الربانية التي تخرَّج منها قادة هذه الأمة وعلماؤها ومفكروها، وأولهم محمد- صلى الله عليه وسلم-. كان عمر بن المنكدر يقوم الليل يصلي لربه، فكانت أمه تقول له: إني لأشتهي أن أراك نائمًا، فيقول لها: يا أماه، والله إن الليل ليَرِدُ عليَّ فيهولني، فينقضي عني وما قضيتُ منه أَرَبي (أي ما شبعتُ من صلاة الليل)[5]. ويقول أبو سليمان الداراني: "لَأهل الطاعة في ليلهم ألذُّ من أهل اللهو في لهوهم"[6].

---

(1) الآيتان ١، ٢ من سورة المزمل.
(2) "كيف تتحمس لقيام الليل؟": محمد بن صالح آل عبد الله، ص ١٠.
(3) رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(4) رواه الترمذي والبيهقي والحاكم وصححه، عن بلال رضي الله عنه.
(5) "قيام الليل": محمد بن نصر المروزي، ص ٤٨.
(6) "حلية الأولياء": أبو نعيم الأصفهاني، ج ٩، ص ٢٧٥.

أما حبيبنا- عليه الصلاة والسلام- فلما نزل عليه قول تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾، قام- صلى الله عليه وسلم- وأصحابه حولًا حتى انتفخت أقدامهم وسوقهم، حتى نزلت ﴿ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا ﴾[1] إلى آخر السورة[2].

يقول سيد قطب في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴾[3]:

"﴿ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ ﴾ هي ما ينشأ منه بعد العشاء؛ والآية تقول: ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا ﴾: أي أجهد للبدن، ﴿ وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴾: أي أثبت في الخير كما قال مجاهد، فإن مغالبة هتاف النوم وجاذبية الفراش، بعد كد النهار، أشد وطأ وأجهد للبدن؛ ولكنها إعلان لسيطرة الروح، واستجابة لدعوة الله، وإيثار للأنس به، ومن ثَمَّ فإنها أقوم قيلا، لأن للذكر فيها حلاوته، وللصلاة فيها خشوعها، وللمناجاة فيها شفافيتها. وإنها لتسكب في القلب أُنسًا وراحة وشفافية ونورًا، قد لا يجدها في صلاة النهار وذكره، والله الذي خلق هذا القلب يعلم مداخله وأوتاره، ويعلم ما يتسرب إليه وما يوقع عليه، وأيُّ الأوقات يكون فيها أكثر تفتُّحًا واستعدادا وتهيؤا، وأيُّ الأسباب أعلق به وأشد تأثيرا فيه.

والله- سبحانه- وهو يُعِدُّ عبده ورسوله محمدًا- صلى الله عليه وسلم- ليتلقى القول الثقيل، وينهض بالعبء الجسيم، اختار له قيام الليل، لأن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا، ولأن له في النهار مشاغله ونشاطه الذي يستغرق كثيرا من الطاقة والالتفات"[4].

ويقول في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا * وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴾[5]:

"هذا هو الزاد، اذكر اسم ربك في الصباح والمساء، واسجد له بالليل وسبحه طويلا، إنه الاتصال بالمصدر الذي نزَّل عليك القرآن، وكلفك الدعوة، هو ينبوع القوة ومصدر الزاد والمدد: الاتصال به

---

(1) الآية ١٩ من سورة المزمل.

(2) "قيام الليل": محمد بن نصر المروزي، ص ٢٣.

(3) الآية ٦ من سورة المزمل.

(4) "في ظلال القرآن": سيد قطب، ج ٦، ص ٣٧٤٥.

(5) الآيتان ٢٥-٢٦ من سورة الإنسان.

ذكرا وعبادة ودعاء وتسبيحًا، ليلا طويلا، فالطريق طويل، والعبء ثقيل، ولا بد من الزاد الكثير والمدد الكبير، وهو هناك، حيث يلتقي العبد بربه في خلوة وفي نجاء، وفي تطلع وفي أنس، تفيض منه الراحة على التعب والضنى، وتفيض منه القوة على الضعف والقلة، وحيث تنفض الروح عنها صغائر المشاعر والشواغل، وترى عظمة التكليف، وضخامة الأمانة، فتستصغر ما لاقت وما تلاقي من أشواك الطريق!

إن الله رحيم، كلف عبده الدعوة، ونزَّل عليه القرآن، وعرف متاعب العبء، وأشواك الطريق، فلم يدع نبيه- صلى الله عليه وسلم- بلا عون أو مدد، وهذا هو المدد الذي يعلم- سبحانه- أنه هو الزاد الحقيقي الصالح لهذه الرحلة المضنية في ذلك الطريق الشائك، وهو هو زاد أصحاب الدعوة إلى الله في كل أرض وفي كل جيل، فهي دعوة واحدة، ملابساتها واحدة، وموقف الباطل منها واحد، وأسباب هذا الموقف واحدة، ووسائل الباطل هي ذاتها وسائله، فلتكن وسائل الحق هي الوسائل التي علم الله أنها وسائل هذا الطريق"[1].

من هنا، فإنه لن يتأتى لصاحب الآمال العظام والأحلام الجسام من الوصول إلى مبتغاه، وتحقيقه لآماله وأحلامه، إلا أن ينخرط في قافلة عُمَّار الليل وقُوَّامه، وينضوي في فلك من تبلَّلَت منهم الخدود من كثرة البكاء، وتورَّمَت منهم الأقدام من طول القيام، وجفَّت منهم الألسن من زفرات التوسُّل والمناجاة. إن عليك يا مَن تنشد للأمة مجدًا وعزًّا، ولآخرتك خُلْدًا في جوار المصطفى، أن تنتزع نفسك التي أَلِفَت الحياة وأهواءها والدنيا وملذاتها، لتستلذ بلحظات تقضيها في مناجاة جبار السماوات والأرض، ولن يتحقق لك الوصول إلى غاياتك ومراميك إلا إن تزوَّدْتَ لذلك بزاد التقوى، ولا أفضل منبع ورافد لذلك من قيام الليل. فإذا جنَّ الليل "فسيروا في بَوادي الدُّجى، وأنيخوا بِوادي الذُّل (أي لله تعالى)، واجلسوا في كسر الانكسار، فإذا فُتِح الباب للواصلين، دونكم فاهجموا هجوم الكذابين، وابسطوا كفَّ ﴿ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا ﴾، لعلَّ هاتف القبول يقول: ﴿ لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ﴾"[2].

عرِّج على الدار لا شطَّتْ بك الدارُ ... هنـــاك خـــيَّمَ رهبـــانٌ وأحبـــارُ
وانظـــر هنـــاك رجـــالاتٍ كـــأنهمُ ... خيـلُ الرِّهـانِ جـرى بهـنَّ مـضمارُ

(1) "في ظلال القرآن": سيد قطب، ج ٦، ص ٣٧٨٥.
(2) "المدهش": ابن الجوزي، ج ١، ص ٤٨٤.

شَـــدُّوا الحـــزيم وأرْخَـــوْا أعِنَّـــتَهُمْ وســاعدَتْهُمْ علــى المطلــوبِ أقــدارُ
قــاموا ونُمْــتَ وأرزاقُ الــورى قِــسَمٌ وفي المقـــادير إيـــرادٌ وإصـــدارُ

أسئلة وتمارين

- حاول- ولو لأسبوعٍ واحدٍ- أن تضاعف من المقدار الذي تعوَّدتَ أن تقرأه يوميًّا من كتاب الله، وفكر في أثر ذلك في حياتك.
- اذكر بعض النوافل والأذكار التي لم يتم التطرُّق إليها في هذا الفصل وابحث عن آيات وأحاديث توضح الأجر العظيم لمن يقوم بها.
- قم بإعداد جدول أسبوعي توضح فيه بعض الأذكار والنوافل التي ذُكِرت في هذا الفصل وعدد المرات التي تقوم بها أنت في كل يوم من أيام الأسبوع. استخدم هذا الجدول لتقييم نفسك في هذا الجانب. قم كذلك بنسخ هذا الجدول ووزِّعه على أهلك وأصدقائك ليستفيدوا هم أيضًا منه.
- هل جرَّبت يومًا أن تقوم في ساعة متأخرة من الليل تصلي فيها بعض الركعات وتناجي فيها ربك؟ إذا لم تفعل ذلك من قبل فجرِّب ولو مرة واحدة في كل شهر.

الأعمال التي تبني الفكر وتقوي الثقافة

إن التسلُّح بالإيمان والتزوُّد بالتقوى لا بُدَّ أن يكون أول خطوات النجاة في الدارين بإذن الله. غير أن الحياة المعاصرة قد أصبحت من التعقيد بحيث يتحتم على المرء أن يبني لنفسه كيانًا علميًّا راسخًا وبناءً فكريًّا متينًا، وبدونهما لن تعدو أفعال المرء عن كونها مخزونًا للروحانيات ومستودعًا للطاقات، وفي الوقت نفسه تفتقر إلى مصانع الأعمال ومشاغل الأفكار. من هنا فلا بُدَّ للراغب في القيام بأعمال الخير من أن يتحلَّى بأشرف العلوم وأنفعها ويتزيَّن بأقدس التصوُّرات وأفضلها. ورغم أن دائرة العلوم النافعة قد تكون من الاتساع بحيث يصعب حصرها، إلا أننا سنأتي في هذا الفصل بلمحات للشهير منها والمجُمَع عليه في فضله وتأثيره على حياة المؤمن.

١- الاهتمام بالقرآن الكريم

إن القرآن الكريم هو منهج الحياة الذي اختصه الله- سبحانه وتعالى- لنا، وهو الدستور الذي يجب أن نبني كل تعاملاتنا وأحكامنا عليه. ولا يمكننا أن نقوم ببناء أمة ونحن لا نحمل في صدورنا دستورها ولا نهتم حتى بتلاوته، وإن ما علينا القيام به هو الانكباب على هذا القرآن مدارسةً وتعلُّمًا وتطبيقًا، وأخصُّ هنا بالذكر تعلُّم علم التجويد لأن هناك من الأعمال التطوعية التي سأذكرها لاحقًا تتعلق بهذا الجانب. هذا لا يعني أن نترك العلوم الأخرى من مثل علم التفسير وأسباب النزول وأحكام القرآن. علينا أن نقوم بدراسة كل ذلك لتأهلنا للقيام بالأعمال الأخرى ولتقوي صلتنا بربنا، ولتنفخ فينا روح التضحية والمبادرة والهمة العالية والتي بدونها لن نستطيع القيام بأية أعمال تطوعية.

٢- الاهتمام بالعلوم الأخرى

علينا أيضًا أن لا نقصر اهتمامنا على علوم القرآن فحسب وإنما علينا أن نهتم بعلوم الحديث والفقه وبسيرة نبينا محمد— صلى الله عليه وسلم- وسيرة أصحابه الكرام وتابعيهم الذين حملوا رسالة الإسلام على أعناقهم واستشعروا المهمة الكبرى التي أنيطت بهم. علينا كذلك أن ندرس تاريخ هذه الأمة وتاريخ الشعوب والأمم الأخرى. علينا أن ندرس التاريخ ونمعن النظر فيه، ففيه من العبر والعِضات

ما يمكن أن تخفف عنا ما نجد من آلام وأحزان وهموم بسبب المصائب التي تكاثرت علينا في هذا الوقت، وسنجد فيه أيضًا الخطط والأفكار التي قد أتى بها مَن سبقونا ونفعتهم في إقامة دولهم والتمكين لهم في أوطانهم، وعندها يمكننا أن نقتبس من تلك الأفكار والمبادرات والخطط لتطبيقها في واقعنا الحالي.

٣- الاهتمام بالثقافة العامة

"إن من المجمع عليه الآن أن ما يتعلمه المرء وما يكتسبه من مهارات أهم بكثير مما ورثه من آبائه من ذكاء وألمعية، فالتقدم العلمي الهائل وما أفرزه من وضعيات واعتبارات مختلفة جعل كل ما هو فطري ضئيلًا وقليل الجدوى في التعامل مع الأشياء والنظم المعقدة"[(١)]. إنه لا يمكن لنا أن نقوم بإنتاجات مفيدة وبالقدر والمواصفات المطلوبة بدون وعي وفهم، ولا يمكن لذلك الوعي والفهم أن يأتي إلينا من فراغ، وإنما علينا الاهتمام الجادّ والصحيح بالقراءة والمطالعة، علينا أن نعترف أن شعوب الأمة الإسلامية بمجملها تعاني من مشكلة العزوف عن القراءة. نعم، الأمة الإسلامية كما وصفها أعداؤها أمة لا تقرأ. معظمنا لا يعرف ما يدري حوله، فكيف يستشعر عظمة المهمة والرسالة التي يفترض أن تناط به؟

إن المطالعة والقراءة لها من الفوائد العظيمة التي لا يدركها إلا من امتن الله- سبحانه وتعالى- بها عليه. ولا أخص جانبًا معينًا من المطالعة أو القراءة وإنما علينا الاستفادة من كل شيء، سواءً كانت كتبًا أو مجلات أو مواقعًا للإنترنت. لكن علينا انتقاء المجالات المهمة التي يمكننا القراءة فيها، فهناك من الكتب والمجلات ومواقع الإنترنت ما لا يحصى عدُّه، والكثير منها لا يحمل في مضمونه إلا كل غثٍّ وهزيل، والذي يمكن أن يؤثر على قارئه سلبًا، سواءً كان في تصوراته أو في إنتاجاته.

"ومن القضايا التي يجب على المثقف المسلم أن ينتبه لها ما يسمَّى بأسلمة المصطلحات، فهذه القضيَّة يريد المثقفون الليبراليون أن يمرروا من خلالها كثيرًا من المصطلحات الغربيَّة والمهترئة التي مجَّ بعضها الغرب فقذفوه لنا، ليتلقفها الليبراليون ويبشِّروا بها ويدندنوا على أهميتها في الواقع الإسلامي.

---

(1) "التدريب وأهميته في العمل الإسلامي": محمد موسى الشريف، ص ٣١.

كما أنَّ بعض الإسلاميين يحاولون أن يحققوها في الوجود الإسلامي ولكن بغير (فلترة) لما فيها أو إصلاح خللها فينتج من ذلك مفاسد في التصورات، وعطب في المفاهيم"[1].

سيجد الإنسان الذي يداوم على القراءة أن مداركه قد بدأت تتفتح لأنه سيكتشف كنوزًا لم تخطر على باله من قبل، ومفاتيحًا للحياة لم يسبق إليها علمه، وتجاربًا وخبرات ممن خبروا هذه الحياة وممن أوتوا نصيبًا من العلم ومن عُلُوِّ الهمة ورفعة المكانة. فالقارئ- بلا شك- سيستفيد مما في الكتب والمجلات وفي وسائل المطالعة الأخرى استفادة عظيمة، وستبدأ أفكاره وتصوراته في التشكل والتقوّي، وطاقاته وهممه في الارتقاء والعُلُوِّ، وكل هذه ستعينه على القيام بأعمال أخرى، سواءً كانت شخصية أو لمنفعة الغير.

٤- الاهتمام باللغة العربية

إن لغة كل قوم هي وعاء منسكهم وشعيرتهم ودينهم، وكل قوم يفاخرون بلسانهم، ويدعون إلى لغتهم. واللغات لها ارتباط وثيق بحضارات أصحابها؛ فاللغة والحضارة يتناسبان طردًا، وهذا يعني أن اللغة ظاهرة اجتماعية تعيش مع الإنسان جنبًا إلى جنب؛ تضعف بضعفه، وتنمو وتزدهر بنموه وازدهاره. وكيف يُرْجَى لهذه الأمَّة النهوض والتقدُّم والرِّفعة والرُّقي إذا ما كانت كلَّما نبغ نابغٌ من أبنائها كتب بلغةٍ غير لغة أمَّته وقومِه واختار لغة أُخرى ليكتب بها ويؤلِّف؟

وقد أنعم الله- تعالى- على أمة العرب بأفصح لسان، وأقوى بيان، ثم كان تاج ذلك وتتمته: بعثة أفصح البشر- عليه الصلاة والسلام- منهم، ونزول كلام الله تعالى بلسانهم ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ العَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ المُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾[2]، وقال النبي- عليه الصلاة والسلام-: ((بعثتُ بجوامع الكلم))[3]. وحفظت العربية بحفظ القرآن ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[4]، حتى قيل: (لولا القرآن ما كانت عربية). ولم تحفظ سائر

---

(1) "دور المثقف.. جهود لا ركود": خباب الحمد.

(2) الآيات ١٩٢-١٩٥ من سورة الشعراء.

(3) متفق عليه.

(4) الآية ٤ من سورة الحجر.

لغات البشر، بل كانت عبر العصور تندثر وتتبدل وتتغير، وبقيت عربية اليوم هي عربية صدر الإسلام[1].

وتعلمُّ اللغة العربية من لوازم هذا الدين؛ فهي السبيل إلى فهم كتاب الله وسنة المصطفى- عليه الصلاة والسلام-، وبدونهما لا يصبح انتماء المرء لهذا الدين إلا اسمًا. يقول ابن تيميّة: "اللغة العربية من الدين ومعرفتها فرض واجب؛ فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب". لهذا، كان المساس بها، أو احتقارها احتقارا للدين وللقرآن الذي أُنزل بها، ومحاربتها محاربة للدين، والدعوة إلى غيرها دعوة ضد دين الإسلام. كذلك، فإن التقصير في تعلُّمها هو تقصير في حقِّ هذا الدين، وتقصيرٌ أيضًا في حق أمة الإسلام؛ إذ بدونها لا يستقيم لسان المرء ولا تنضج معرفته بفرائض الدين وواجباته، ومَن ثم لا يستطيع العمل لخدمة الدين وتبليغه لأتباعه.

ولله در الإمام الثعالبي النيسابوري حين قدم لكتابه الرائع (فقه اللغة وسر العربية) بقوله: "أما بعدَ حمدِ الله على آلائه، والصلاة والسلام على محمد وآله، فإن من أحبَّ الله أحبَّ رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم، ومن أحبَّ النبي العربي أحبَّ العرب، ومن أحبَّ العرب أحبَّ اللغة العربية التي نزل بها أفضل الكتب، على أفضل العجم والعرب، ومن أحبَّ العربية عُنِي بها وثابر عليها وصرف همته إليها. ومن هداه الله للإسلام وشرح صدره للإيمان وآتاه حسن سريرة فيه، اعتقد أن محمدًا- صلى الله عليه وسلم- خير الرسل، والإسلام خير الملل، والعرب خير الأمم، والعربية خير اللغات والألسنة"[2].

وللأسف، فقد وعى أعداؤنا أهمية اللغة العربية بالنسبة لانتمائنا لديننا واستقامتنا عليه، ولذا نشطوا في محاربة هذه اللغة وتحييد دورها بشتى الوسائل والسبل؛ فمنهم من دعا إلى كتابتها بالحروف اللاتينية، ومنهم من دعا إلى إلغاء قواعد اللغة جملة، ومنهم من أراد استبدالها باللهجات العامية. وقد نشط المستشرقون وأذناب المستعمرين لإنجاح هذه المحاولات، وبذلوا جهودا مضنية في هذا السبيل المظلم، وتفرغ بعض الأوروبيين لدراسة لهجات مدن مصر والشام، وألفوا كتبا فيها، ووضعوا بزعمهم قواعد لها، ودعا أحدهم إلى أن تكون اللهجة العامية هي اللغة الوحيدة للبلاد المصرية.

---

(1) "محاربة اللغة العربية": إبراهيم بن محمد الحقيل.

(2) "فقه اللغة وأسرار العربية": الثعالبي، ص ٢٩.

وألقى مستشرق محاضرة قال فيها بكل صفاقة ووقاحة: "إن ما يعيق المصريين عن الاختراع هو كتابتهم بالفصحى"[1].

أشـــكُو الزمـــانَ وقلَّـــةَ النُّـــصَرَاءِ وتَوَثُّـــبَ الحُـــسَّادِ والأعـــداءِ[2]
وأرى الحِـــرَابَ تجمَّعَـــتْ لتنُوشَـــنِي وتَعِيْـــثَ في دَوحِـــيْ وفي أفيـــائي
ويَعُقُّـــني مـــنْ كنـــتُ أرجـــو حـــبَّهم ووِدادَهـــم، في الليلـــةِ الظَّلمـــاءِ
وأرى ازوِرارًا في وُجـــوهِ أحبَّـــتِي وتنكُّبًـــا عـــن أيكَـــتي الخـــضراءِ
لكـــنَّ قلـــبي لـــيس يـــصدَعُه ســـوى جَحْـــدِ الحبيـــبِ وقـــسوةِ الأبنـــاءِ
ربَّيْـــتُهُم في دَوحَـــتي أعطيْـــتُهم مـــن جنَّـــتي وكـــسَوْتُهم برِدَائـــي
ومنَحْـــتُهم حُلَـــلَ الفَخَـــارِ قَـــشيبةً فَخـــرًا يجـــاوِزُ جَبهـــةَ الجَـــوْزَاءِ
لكـــنَّهم لم يَـــدْفَعُوا عـــن حُـــرمَتي أو يُعْظِمُـــوا قَـــدري وحـــقَّ وفـــائي
أنـــا أمُّهـــم، أمُّ اللغـــاتِ جميعِهـــا فـــضلٌ خُصِـــصْتُ بـــه علـــى النُّظَـــرَاءِ
إني أنـــا الـــضادُ الـــتي قـــد شُـــرِّفَتْ وتفـــرَّدَتْ بمحاســـنٍ وبهـــاءِ
اللهُ عظَّمهـــا فـــصاغَتْ وَحْيَـــه بـــالمعجزاتِ وبالـــسَّنَا الوُضَّـــاءِ
عَرَضَـــتْه في لفـــظٍ بهـــيٍّ ســـاحرٍ وجمـــالِ إيقـــاعٍ وحُـــسنِ أداءِ
صـــاغَتْه فكـــرًا مُعْجِـــزًا متألِّقًـــا خـــرَّتْ لديـــه أكـــابرُ الفُـــصَحَاءِ
قـد صـارتِ الفُـصحى يتيمًـا ضـائعًا مـــا بـــينَ أبنـــاءٍ لهـــا جُهَـــلاَءِ
لا يعرِفُـــون أصـــولَها وجُـــذورَها أو يَغتَـــذون برَوضِـــها المِعْطَـــاءِ

ولقد صدق مصطفى صادق الرافعي حين يقول: "ما ذلّت لغةُ شعبٍ إلا ذلّ، ولا انحطَّت إلا كان أمره في ذهابٍ وإدبارٍ، ومن هذا يفرض الأجنبيُّ المستعمر لغته فرضًا على الأمّة المستعمَرة، ويركبهم بها، ويُشعرهم عظمته فيها، ويستلحِقهم من ناحيتها، فيحكم عليهم أحكامًا ثلاثةً في عملٍ واحدٍ:

(1) "محاربة اللغة العربية": إبراهيم بن محمد الحقيل.

(2) "ديوان فارس الأحلام القديمة": وليد قصاب، ص ٧٠.

أمّا الأول: فحَبْسُ لغتهم في لغته سجنًا مؤبّدًا، وأمّا الثاني: فالحكم على ماضيهم بالقتل محوًا ونسيانًا، وأمّا الثالث: فتقييد مستقبلهم في الأغلال التي يصنعها، فأمرُهم من بعدها لأمرِهِ تَبَعٌ"[1].

وقد بدت علامات ضعفنا في اللغة العربية عند تلاوة كتاب الله؛ فالكثير من المسلمين يصعب عليه النطق بآيات القرآن، وتجده يلحَن في كل آية أو ربما في كل كلمة. كذلك تجد الواحد منا إذا أتى إلى كتاب أو مجلة فإنه يقرأ الموضوع الذي يقرأه ولا يكاد يخلص منه بنتيجة، لأنه لا يفهم قواعد اللغة العربية ولا مدلولاتها. ومن صور الضعف- أو قل التقصير- أن تجد غالبية المسلمين لا يتكلمون اللغة العربيّة في المؤتمرات العلميّة أو الإسلامية أو الدولية، بينما نجد الآخرين يلتزمون لغاتهم القومية في مثل هذه المؤتمرات.

ونجد في بعض أقطار العالم الإسلامي أن اللغة العربية قد اختفت، واختفت حروفها وقواعدها. ونجد أن اللغة الأجنبية، لغة المحتلّ الظالم الطاغي الذي يحارب الإسلام، سادت في هذا البلد الإسلاميّ أو ذاك. وانتشرت مع هذه الظاهرة بعض العصبيات الجاهلية، وبهتت روح الإيمان والاعتزاز بمقوّمات الإسلام ولغة القرآن والوحي. وانحسرت اللغة العربية في الفنادق والمطاعم وغيرها من مواقع السياحة في كثير من أقطار العالم الإسلامي، وتنحسر كذلك في اللافتات على المحلات التجارية والصناعية وغيرها من المراكز العلميّة والإعلامية[2].

واللغة العربية مهمة أيضًا في مخاطبة الناس ومحاورتهم، وفي توصيل المعرفة إليهم، ولهذا لزم الاستعداد لذلك بالتمُّكن من اللغة العربية نطقًا وكتابة. كذلك، فإننا نحتاج إلى تعلم قواعد اللغة العربية لنضاعف من إنتاجاتنا في جانب التأليف، **فالأمة العربية أمة لا تقرأ وهي أيضًا أمة لا تُألِّف؛ فقليل من أبنائها من يهتمون بجانب التأليف، وقليل من أولئك من يُتقِنون فن التأليف، وقليل من تلك القلة مَن يُألِّفون ما فيه منفعة للناس ورفعًا لشأن الأمة.** لذلك علينا أن لا نحتقر هذا الجانب، وألا نظن أنه جانب ثانوي ليس له أهمية إذا قارناه بغيره من الأعمال التي يجب علينا القيام بها.

---

(1) "وحي القلم": مصطفى صادق الرافعي، ج ٣، ص ٢٩.

(2) "اللغة العربية أمانة ومسؤولية": عدنان علي رضا النحوي.

لقد وعى أعداؤنا- كما ذكرنا سابقًا- أهمية اللغة العربية بالنسبة لارتباطنا بديننا، ولذلك فهم خططوا- وللأسف قمنا نحن بالتنفيذ، والفوري في بعض الأحيان- لإقصاء اللغة عن ساحات العلم، كالمدارس والمعاهد والجامعات، فصارت اللغة الإنجليزية أو الفرنسية هي لغة التخاطب، وباتت اللغة العربية تشتكي ظلم أهلها لها. وإن من أشد الظلم للغة العربية هو وصمها بعدم صلاحيتها وملاءمتها للتدريس الأكاديمي، حيث يدَّعون أن المصطلحات العلمية والتقنية في غاية التعقيد، بحيث يصعب التعبير عنها باللغة العربية.

رَمَوْنِي بعُقْمٍ في الشَّبابِ وليْتَني ... عَقِمْتُ فلَم أَجْزَعْ لقَوْلِ عُداتِي[1]
وَلَدْتُ ولمَّا لمَ أَجِدْ لعَرائِسِي ... رِجالًا وأَكْفاءً وَأَدْتُ بَناتِي
وسِعْتُ كِتابَ اللهِ لَفْظًا وغايَةً ... وما ضِقْتُ عن آيٍ به وعِظاتِ
فكيف أَضِيقُ اليومَ عن وَصْفِ آلَةٍ ... وتَنْسِيقِ أسماءٍ لمُخْتَرَعاتِ

لقد حملت اللغة العربية لواء العلم زهاء عشرة قرون بعد أن جُبِيت إليها ثمار العلوم والفنون من كل لغات الدنيا في حركة للترجمة والتعريب لم يعرف لها التاريخ مثيلًا، حتى لقد بلغت مكافأة ترجمة الكتاب وزنه ذهبًا. لقد وعت العربية تلك العلوم، وتمثلت تلك الفنون، وقدمت للبشرية جمعاء خير حضارة أخرجت للناس بلسان عربي مبين[2].

٥- تعلُّم اللغات الأجنبية

كذلك، فعلينا أيضًا أن نهتم بتعلُّم اللغات الأجنبية، والسبب في ذلك هو أننا نريد أن نبني أمة، وأمة الإسلام ليست محصورة في الشعوب العربية، وإنما هناك مسلمون يتكلمون بمختلف لغات العالم وإذا لم نتمكن من التحدث إليهم والتواصل معهم، فلن نستطيع أن نخدم هذه الأمة بالشكل المطلوب. إن الأعمال التي سنتكلم عنها في هذا الكتاب ليست مقصورة على الناطقين باللغة العربية فقط، وإنما هي موجهة لكل مسلم أيًّا كانت لغته وموطنه.

---

(1) "ديوان حافظ إبراهيم": حافظ إبراهيم، ص ٢٥٣.

(2) "العربية لغة العلم": محمد حسان الطيان.

إن علينا أن لا ننسى كذلك أننا نحمل رسالة عالمية ليست محصورة على جنسٍ أو فئة معينة من البشر. وعلينا أن نعي أن "عالمية رسالة الإسلام، لا تستوي على سوقها إلا من خلال استهدافنا لهداية العالم كله: قريبه وبعيده، حليفه ومنافسه. وهذا الاستهداف يستدعي كياسة في التعامل، وفهمًا عميقًا للآخر"[1]. لهذا فإنه من فرائض ديننا أن نبلغ رسالتنا الخالدة للعالم أجمع، وعلينا أن لا نبرر تقاعسنا عن أداء واجبنا بكون غير المسلمين يعرفون الإسلام. "إن الغرب [والشرق] لا يعرف حقيقة الإسلام؛ زعماؤهم وشعوبهم تجهل حقيقة الإسلام، إلا من تفرَّغ لدراسته من المتخصصين المستشرقين أو الأكاديميين الجامعيين، وهم قلة من ناحية، ومن ناحية أخرى لم يدرسوه من أصوله بقدر ما درسوه من خلال تاريخ غير دقيق وأحداث مضطربة، وربما خالط ذلك نفسية حاقدة تسيء التفسير وتبحث عن العورات، فإذا كان الغرب يتحمل بعض المسؤولية عن جهله بالإسلام، فإن المسلمين يتحملون مسؤولية أكبر"[2].

إنه لن يكون باستطاعتنا إيصال حقيقة الإسلام وفكره السليم إلا إذا أجدنا لغات الأقوام الأخرى، وأتقنا فن التخاطب والتحاور معهم. عندها فقط سنكون في وضع يؤهلنا لمخاطبة أمم الأرض وتعريفهم بمحاسن ديننا. لذلك أقول بأنه مَن تُتاح له الفرصة، وعنده القدرات العقلية والمهارات في تعلم لغات الآخرين، فعليه أن يبادر إلى ذلك ليكون أداة بناء في هذا الجانب.

لقد ترك أجدادنا لنا تراثًا ضخمًا، استطاع الغرب- على ضعف وغفلة من المسلمين- أن يسرقوه ليبنوا لهم به ما نشاهده اليوم من حضارة وتقدم. ومع تكنولوجيا المعرفة والمعلومات أصبح من السهل التواصل مع مؤسسات الغرب، وخاصة المكتبات والجامعات، وبات من اليسير على مَن عنده مهارة اللغة وفنون البحث والتأليف أن يستفيد مما كتبه الغرب عن ديننا وأمتنا وتراثنا؛ وذلك بقراءة ما كتبوه عنا ونقله إلى العربية إما بالترجمة أو بتأليف الكتب والملخصات حوله. كذلك، فعلينا أن ننقل إليهم ما لدينا من تراث، وخاصة فيما يتعلق بتعريفهم بديننا ولغتنا وعاداتنا، فخيرٌ لنا أن نلقنهم ما عندنا بأسلوبنا نحن، من أن نراهم يتعرَّفون علينا من أقلام مستشرقيهم والحاقدين والمغرضين.

---

(1) " عصرنا والعيش في الزمان الصعب": عبد الكريم بكار، ص ١٩.

(2) "زُخْرف الحضارة الغربيّة": عدنان علي رضا النحوي.

وأمرٌ آخر له ارتباط بهذا الجانب، وهو أن نكون على اتصال بالمكتبات الموجودة على الإنترنت، وخاصة تلك المعنية ببيع الكتب الإنجليزية، وعلينا أن نحاول إقناعهم بتسويق الكتب التي تتحدث عنا وعن ديننا ولغتنا، والتي نطمئن إلى ما تحتويه. وإذا كانت مثل هذه المكتبات لا ترتضي بيع كتب باللغة العربية، فيمكننا تبني ترجمة الكتب العربية المناسبة لمخاطبة الغرب، ثم عرضها على هذه المكتبات لتسويقها.

وأمرٌ ثالث يرتبط بفائدة تعلُّم اللغات الأجنبية وهو أن الأمم الأخرى قد أنتجت حضارات وتراثًا فكريًا ضخمًا، وعلينا كأمة أن نبحث عن ضالتنا أينما كانت، والتي قد تكون في ذلك التراث الذي ورَّثته تلك الأمم الأخرى. وعلينا أيضًا أن ندرك أن انعزالنا عن ثقافات تلك الأمم وما أنتجته وأفرزته حضاراتها من فكر وثقافة وعلوم إنما هو تحجير وتحديد للإبداع في التصورات والأفكار التي يمكن أن ينتجها أبناء هذه الأمة. ولقد كانت العربية منذ أن جاء الإسلام وعاءً للقرآن والسنة النبوية والتراث العربي بشتى صوره، وكانت أيضًا وعاءً لثقافات الأمم الأخرى من خلال حركة الترجمة التي أشرنا إليها آنفًا.

يقول د. حسين نصار: "إن أكبر تحدٍّ واجهته العربية كان عندما أخرجها الإسلام من جاهلية غنية كل الغنى في الإبداع الأدبي فقيرة كل الفقر إلى حد الإملاق في الإنتاج العلمي، ثم ألقى بها في القرنين الثاني والثالث الهجريين في بحر زاخر من الحضارات والعلوم والفلسفات والفنون وكل صنوف المعرفة التي ابتكرتها الأمم المتاخمة للجزيرة العربية كالفرس والروم والسريان والمصريين، والأمم البعيدة عنها كالهنود والصينيين والأتراك والبربر وشعوب أسبانية. ولكن العربية ثبتت لهذا التحدي بفضل ما بثه الإسلام في العرب من رغبة في المعرفة وسعي في طلبها وطموح وعزم وتخطيط وتنفيذ وتعاون مع غير العرب من أبناء الشعوب العارفة باللغات الأجنبية واللغة العربية فلم يمض إلا وقت غير طويل حتى نقلت العربية كل ما وجدت عند هذه الأمم إليها، فاستطاع أبناؤها بعدُ أن يتمثلوها فهمًا، ولم يمض كبير وقت حتى شاركوا في الإنتاج والابتكار. فصار ما كتبه هؤلاء المفكرون والعلماء منذ القرن الثالث نبراسًا استضاءت به شعوبُ العالم القديم"[1].

---

(1) من كلمته التي ألقاها بمناسبة حصوله على جائزة الملك فيصل العالمية. مجلة تراثيات، العدد الخامس، ذو الحجة ١٤٢٥- يناير ٢٠٠٥.

لقد استطاعت اللغة العربية أن تستوعب كل علوم الأوائل على اختلاف لغاتهم، حتى لقد وُسِم ذلك العصر بسمة هذه الحركة من الترجمة، فسمي عصر الترجمة الذهبي، وأقيمت للترجمة مؤسسات وبيوتات اشتهر منها بيت الحكمة، وتجاوزت معرفتهم باللغات حدود اللغات السائدة إلى اللغات البائدة، التي لم يبق منها إلا حروفها وباتت أبجديتها تستعمل في تعمية بعض العلوم المضنون بها على غير أهلها[1]. وفي هذا العصر الذي تنفجر فيه المعرفة في شتَّى أقطار الأرض لم يعد أهل أي لغة- مهما بلغوا من العلم- يستغنون عن التَّرجمة، فالتَّأليف والتَّرجمة معا هما الواسِطتان المتآزِرتان للوفاء بالحاجات العلمية، وكل هذه الشعوب السابقة في ميدان العلوم التجريبيَّة والتقنيَّة وغيرها، لا مَعْدى لها عن الاستعانة بالترجمة[2].

إن واقع التأليف والترجمة في العالم العربي- وقس على منواله في العالم الإسلامي- لا يعطي مؤشرات طيبة؛ فعدد الكتب التي تترجم سنويًا إلى اللغة العربية في كامل العالم العربي، تساوي خمس ما يترجم في اليونان إلى اليونانية. وبشكل عام، فإن عدد الكتب، سواء تلك التي كتبت بلغتها الأصلية، أو تلك المترجمة، والمنشورة لكل مليون شخص في العالم العربي، يظل منخفضًا جدًا مقارنة مع الأرقام في المناطق الأخرى[3].

ومن الظلم الذي لحق بالعربية اليوم هو- كما أشرت سابقًا- إقصاؤها عن دور العلم بحجة أنها لا تصلح للتعبير عن العلوم العصرية، وهذا ظلم فاحش. وليس المخرج هو أن نؤلف بلغات الآخرين، فإن ما سنفعله وقتئذٍ هو خدمة تلك اللغات، ومَن ثم حضارات أقوامها. ولكن ما علينا هو شحذ الهمة لإتقان لغات الآخرين، ثم المبادرة الجادة لنقل علوم الآخرين للعربية، ولنا في اليابانيين والصينيين واليهود شاهد لما نقوله هنا. لقد تاقت نفوس اليابانيين لما عند الغرب من علوم ومعارف، وأدركوا أن لا سبيل لنهضتهم إلا بنقل تلك العلوم إلى لغتهم هم. أما الصينيون، فإنهم ما إن يظهر مؤلَّفٌ في العالم إلا انبرى من الصينيين من يقوم بترجمته إلى اللغات الصينية. أما اليهود، فإنهم نفضوا الغبار عن العِبرية التي كادت أن تنقرض، وأصبحت لغة العلم والمعرفة والتخاطب بين اليهود في جميع مؤسساتهم وأنديتهم. ولا ننسى أن غالبية اليهود قد جاءوا من أصقاع شتى، وكان العلماء منهم

---

(1) "العربية لغة العلم": محمد حسان الطيان.

(2) "ضرورة التأليف بالعربية في العلوم التجريبية والتقنية": عبد الرحمن الباني.

(3) "العالم العربي في القرن الحادي والعشرين: هل أصبح حرا أخيرا؟": برنارد لويس.

يدوِّنون بلغاتهم التي نشؤوا عليها، فإذا بهم يتعلمون ويتقنون اللغة العِبرية، وأصبحت مخاطباتهم وتأليفاتهم بهذه اللغة.

فعُـــدْ إلى لغـــةِ القـــرآنِ صـــافيَة تَحْلو لكَ الدَّربَ سهْلًا كانَ أو جبلا[1]
تجلـو صـراطًا سـويًّا لا تـرى عِوجًـا فيـــه ولا فتنـــةً تَلْقـــى ولا خَلـــلا
تجلـــو ســـبيلًا تـــراهُ واحـــدًا أبـــدًا وللمُـــضلّين تْلقـــى عنـــدهُمْ سُـــبُلا

إن "هذه الحالة المزْرية من الكسل في التأليف بالعربيَّة، والعدول عن التَّدريس بها والقعود عن التَّرجمة والاستغناء عن كل عمل جدِّي في هذا المجال باتِّهام لغتنا العربيَّة بالقُصور والجمود، فما أبعدها عن الحقِّ والصَّواب، وما أبعدها عن الخيْر والمصلحة لأجيالِنا وأمَّتِنا، وما أخطرها على مستقبلنا!" [2]. من أجل هذا، فإن ترجمة علوم الآخرين إلى العربية ليست من فضول الأعمال، وإنما هي من الواجبات المهمة التي يجب على المسلمين أن يبادروا إليها.

وهنا يجب أن ننوه إلى ضرورة تنقية ما يصل إلينا من ثقافات الأمم الأخرى، والمحاولة الجادة لتصفيتها ممَّا يعتريها من خلل أو تشويش، "فنحن نعيش في زمن الانفجار المعرفي والذي جعل الكم الهائل من المعرفة والمعلومات متاحة لنا في كل وقت، ومن المؤكَّد أنَّها تحوي الغث والسمين، ووظيفة المثقف حيال ذلك أن ينقي المعلومات من مصدرها، ويقدمها بصورة جيدة سلسة خالية من العيوب والنقائص، وهذا ما نحتاجه في زمن الاتصال الفكري أن يكون هناك علاج للثقافة الوافدة إلينا وتمييز طيبها من خبيثها، فثقافة الأرض لكلِّ الأرض، ومن المهم الانفتاح عليها، ولكن الدور الذي على كاهل المثقف هو التنقية والتصفية لجميع الثقافات وإدخال الحسن منها إلى دائرة المحيط الإسلامي واستبعاد رديئها"[3].

---

(1) "لغتي الجميلة": عدنان علي رضا النحوي.

(2) "ضرورة التأليف بالعربية في العلوم التجريبية والتقنية": عبد الرحمن الباني.

(3) "دور المثقف.. جهود لا ركود": خباب الحمد.

٦- إتقان المهارات المختلفة

وبالإضافة إلى اكتساب الثقافة العامة فعلى كل واحد منا أن يتحلى بمهارات تُمَكِّنه من تفعيل ما تعلَّمه من علوم وما اكتسبه من ثقافات وما تطورت لديه من أفكار وتصورات. نحن نحتاج إلى مهارات للقيام بأعمالنا التطوعية على أكمل وجه، وقد أصبح موضوع المهارات علومًا تُدَرَّس، وكثرت فيها التأليفات والمحاضرات والندوات والدورات، ولا يبقى علينا إلا أن نبادر إلى اقتناء تلك المواد أو حضور تلك المحاضرات أو الندوات أو الدورات ثم البدء في تطبيق تلك المهارات وممارستها إلى أن تصبح جزءًا من حياتنا.

هناك الكثير من المهارات التي يمكننا تعلُّمها وممارستها؛ فتنظيم الوقت مهارة، وتحديد الأهداف التي نريد أن نقوم بها في هذه الحياة مهارة، وتحديد رسالتنا في هذه الحياة هي أيضًا مهارة وتحتاج إلى شغل وجهد ومعرفة، وطريقتنا في التواصل مع الغير تعتبر أيضًا مهارة ونحتاج إلى تعلُّمها وممارستها. كذلك، فإن طريقتنا في إلقاء المحاضرات والدروس مهارة، وطريقتنا في مخاطبة الناس كتابيًّا مهارة، وطريقتنا في الإدارة والتنظيم مهارة، والتخطيط لحاضرنا ومستقبلنا مهارة، واكتشاف وتفعيل الكوادر الفعالة في المجتمع مهارة. والأغرب من ذلك أننا "بحاجة لمن يعلمنا فن الحوار وفن الصمت، ومن يعلمنا الكف عن الإدمان على بعض الأشياء وبعض التصرفات، كما أننا بحاجة إلى من يدربنا إلى إدارة الوقت وإدارة أعمالنا عن طريق الهاتف وعن طريق الأهداف وطريق التفويض، ومن يدربنا على رسم الأهداف، وعلى التخلي عن النزعات العدوانية، ومن يدربنا على حل مشكلاتنا عن طريق التفاوض ومقايضة المصالح، ومن يدربنا على القراءة المثمرة والتفكير المبدع"[1]. كل هذه أمثلة للمهارات الكثيرة التي علينا أن نعرفها ونتعلمها ونمارسها لتكون سلاحًا لنا في مشوار حياتنا، وفي طريقنا لبناء ركب هذه الأمة وصرحها.

٧- الاهتمام بالإنتاج الفكري

كذلك، فعلينا كأفراد أن نبدأ بإنتاج البحوث والمقالات وبإلقاء الدروس والمحاضرات، وإن كان موضوع الدروس والمحاضرات يتعدى كونه عملًا شخصيًّا إلا أني أخص هنا جانب الكتابة، سواءً

(1) "حول التربية والتعليم": عبد الكريم بكار، ص ٣٣٠.

كانت كتابة للبحوث والمقالات، أو مشاركة في مواقع الإنترنت من خلال المشاركة في ساحات الحوار بالمواضيع الهادفة والمناقشات والمحاورات الموجهة النافعة، أو بتصميم مواقع خاصة نبث من خلالها رسالتنا للآخرين.

إن لدى الكثيرين منا تصورات وأفكارًا وخططًا نريد أن نسترجعها من وقت لآخر، وقد تغمرنا الفرحة والسعادة عندما نستشعر بأننا أصحابها، لكن علينا أن ندرك أن المنفعة من تلك الأفكار والتصورات والمبادرات والخطط لن تعم إلا إذا نقلناها إلى حيز الواقع. وأول خطوة لإخراجها من حيِّزها النظري هي أن ندونها. إن علينا أن نُدوِّن كل فكرة تخطر على بالنا أو موضوع يحظى باهتمامنا، أو رأي نرى فيه صوابًا، علينا أن نُدوِّن كل تلك الأمور، وأن نحاول تمحيصها وتنقيحها حتى تخرج على شكل بحوث ومقالات مفصلة مستفيضة ومدونة ومفهومة وواضحة، وربما ترقى لأن تكون كتبًا وتأليفات نشارك بها غيرنا من أبناء هذه الأمة.

إن علينا أولًا أن نهتم- كما ذكرت- بجانب اللغة العربية، وتعلم قواعدها، وأن نكثر من القراءة والمطالعة، لتكون موردًا لأفكارنا وإنتاجاتنا، وعلينا أيضًا أن نتعلم المهارات المختلفة التي ستعيننا على نقل تلك الأفكار إلى حيز الواقع، عن طريق الكتابة أو المحاضرة أو الدرس. ومن أفضل الوسائل في تنمية تلك المهارات هي المشاركة بكتابة البحوث والمقالات والمواضيع المختلفة، سواءً كانت كتابتها في كراسات مستقلة أو المشاركة بها في مواقع الإنترنت المختلفة، ومن كانت لديه موهبة الكتابة فعليه أن ينميها بكثرة الكتابة في المواضيع المختلفة، لأن في ذلك تنمية لمهارات اللغة العربية واسترجاعًا لقواعدها، واسترجاعًا أيضًا للعلوم والفنون الأخرى التي اكتسبها.

الكتابة وسيلة مفيدة جدًّا لعصر الذهن، بحيث يسترجع الشخص عن طريق هذه الكتابة ما قرأه في الماضي وما حفظه من آيات وأحاديث وأشعار وأقوال للعلماء والأدباء والمشهورين. كذلك، فإن الكتابة تعتبر من الأمور الضرورية، نظرًا لقلة الكتابات والتأليفات عند المسلمين بشكل عام والعرب بشكل خاص، وإن مَن يقارن عدد المؤلفات التي تصدر في الدول العربية، يرى أنها لا تساوي شيئًا مع ملايين التأليفات التي تصدر في الدول الغربية والشرقية.

إن المشاركة بالكتابة والتأليف قد بات أمرًا واجبًا لأن فيه تحفيزٌ للآخرين على الإكثار من الكتابات والمؤلفات، وهي أيضًا وسيلة مهمة جدًّا لنقل العلم من العقول إلى السطور، ثم نقله بعد ذلك إلى

أذهان الناس. والكتابة تُعدُّ أيضًا وسيلة مهمة جدًّا للدعوة في سبيل الله سبحانه وتعالى. أما مواقع الإنترنت فإنها بحاجة ملحة أيضًا للكتابات المفيدة، سواءً كانت من خلال مواقع الحوارات أو من خلال المواقع المخصصة لنشر المواضيع والبحوث والدراسات أو من خلال مواقع خاصة ينشئها الأفراد ويُضمِّنونها إنتاجاتهم الأدبية والفكرية.

المشاركة بالكتابة في مواقع الحوارات في الإنترنت مهمة جدًّا لتوصيل المعلومة الصحيحة والفكر الإسلامي الخالص إلى فئة المترددين عليها. كذلك فإن المشاركة في تلك المواقع بالمواضيع الهادفة والبناءة رفعٌ لمستوى الكفاءة والفاعلية لتلك المواقع، حيث أن ما نراه حاليًا هو أن معظم تلك المواقع هي عبارة عن مواقع للدردشة، وفي أحيان كثيرة للسب والشتم والنقيصة من الأفراد والجماعات. لذلك فإن المشاركة في هذه المواقع من قِبَل أصحاب الرؤى الصائبة والفكر السليم يعتبر من ألزم الأعمال التي ينبغي القيام بها.

٨- الاهتمام بطباعة ونشر الكتب والمخطوطات

من الأعمال التطوعية الأخرى التي يمكن للشخص القيام بها هي المشاركة في طباعة الكتب التي خلَّفها لنا الآباء والأجداد. كلنا يعلم بأن تراث الأمة الإسلامية تراث ضخم، غير أن الكثير منه- وللأسف- ما زال مغمورًا في المكتبات الخاصة وفي خزانات الأفراد، وليس بمقدور الكثير من الباحثين الوصول إليه. لذلك فقد أصبح من الضروري إخراج تلك المؤلفات الضخمة والكثيرة من تلك المخازن التي عفا عليها الزمن وغمرتها الأتربة وصارت طُعمًا لدودة الأرض.

إنه ينبغي على كل واحد منا أن يجعل لنفسه برنامجًا للمشاركة في هذا الجانب؛ بحيث يختار شيئًا من الكتب التي يرى فيها أهمية ومنفعة له ولغيره، ثم يتعهد بطباعتها أو تصويرها ضوئيًا، ثم يقوم بنشرها عبر مواقع الإنترنت المختلفة. يمكن للشخص مثلًا أن يضع لنفسه برنامجًا يلتزم فيه بطباعة أو تصوير خمس صفحات أو عشر صفحات يوميًّا بحيث يتمكن من طباعة أو تصوير كتاب واحد في شهر أو أقل من شهر.

وبعد الانتهاء من طباعة أو تصوير ذلك الكتاب يقوم الشخص بإرساله إلى أحد مواقع الإنترنت التي تُعنى بنشر الكتب، سواءً كانت مواقعًا يمتلكها أشخاص أو تشرف عليها مؤسسات. ويمكن

للشخص أن يقوم بطباعة أو تصوير الكتب بمفرده أو بمشاركة آخرين. كذلك، فيمكن للشخص أن ينشر الكتب التي يقوم بطباعتها أو تصويرها في موقع خاص به، أو يقوم بنشرها على شكل حلقات متواصلة عبر ساحات الحوار في المواقع التي لا تمانع من نشر مثل تلك الكتب.

إن التطوع بطباعة أو تصوير الكتب ونشرها تعتبر من الوسائل المفيدة التي يستطيع الشخص ملء فراغه بها، وأيضًا تكسبه الأجر لمحاولته إحياء تراث هذه الأمة الإسلامي، ولكونها صدقة جارية بسبب الاستفادة التي يمكن أن يحصل عليها الآخرون من نشر ذلك الكتاب. ويدخل من ضمن نشر الكتب: نشر الفتاوى والتصنيفات المختلفة كدواوين الشعر.

من الأمور الأخرى المتعلقة بهذا الجانب هي نشر المخطوطات، فهناك أعداد كبيرة من المخطوطات ما زالت مغمورة في خزائن الأفراد والمكتبات ودور العلم لم يُقيِّض الله- سبحانه وتعالى- لها مَن يرعاها بالنشر. لذلك، فيمكن أن يقوم الشخص بالاتفاق مع صاحب المخطوطة— وإن كان الأمر ليس سهلًا— بأن يُصوِّرها أو ينقلها يدويًا أو مباشرة إلى جهاز الكمبيوتر، ثم بعد ذلك يعيدها إلى موضعها بحيث تبقى ملكيتها لصاحبها. بعدها يقوم الشخص بنشر تلك المخطوطة في شيء من مواقع الإنترنت ليسهل فيما بعد تحقيقها إما عن طريق الشخص نفسه أو عن طريق مجموعة من المختصين، فبذلك يكون قد شارك بجهد مشكور.

إن عملية إخراج مثل هذا التراث تحتاج إلى تضافر جهود، ويفضل لو قام الشخص قبل ذلك بإنشاء مؤسسة خاصة لنشر مثل هذه الكتب أو المخطوطات، أو على الأقل التعاقد مع مجموعة من الشباب أو الفتيات الذين عندهم الرغبة والوقت في طباعة هذه الكتب والمخطوطات ونشرها، ويمكنهم أن يُعِدُّوا برنامجًا لنشر تلك الكتب والمخطوطات بحيث ينشرون مثلًا في كل عام عشرة أو اثني عشر كتاب أو مخطوطة، فسيكون لذلك الجهد فائدة عظيمة بإذن الله.

٩- إنشاء مواقع للإنترنت

لقد أصبحت الإنترنت من الوسائل المفيدة والميسرة لنشر المعرفة والثقافة بين فئات المجتمع وأيضًا كوسيلة نافعة لملء فراغ الشباب والفتيات، وأصبح إنشاء مواقع جديدة ومتخصِّصة هواية يمارسها الكثير من الناس. لهذا فإن مَن عنده المعرفة والرغبة في إنشاء مواقع للإنترنت فليفعل، سواءً كانت

تلك المواقع للاستخدام الشخصي أو العائلي أو كانت لخدمة مؤسسات أخرى. ومَن يجد في نفسه الرغبة في المشاركة في هذا الجانب فعليه المبادرة لذلك، ولكن يَلزمه التعرُّف- عن طريق السؤال أو القراءة- عما عليه أن يُضمِّنَه موقعه لكي تحصل منه الفائدة المرجوة ولكي يتجنب الوقوع في الكبوات التي وقعت فيها المواقع الأخرى.

من الأمور التي بمقدور كل فرد القيام بها ويسهل أيضًا نشرها عن طريق مواقع الإنترنت هي تجميع الوقائع التاريخية لحدث معين، كفتح مكة، أو لحقبة زمنية معينة، كالحروب الصليبية، ثم إخراجها على شكل حلقات تبث مباشرة عبر مواقع الإنترنت. كذلك فيمكن إخراج تلك الوقائع باستخدام برامج العرض المختلفة كالباور بوينت أو الفلاش أو غيرها، ثم نشرها في مواقع الإنترنت المختلفة ليسهل للقارئ والمتصفح تتبع تلك الأحداث.

من الأعمال الأخرى التي يمكن القيام بها عبر مواقع الإنترنت هي ما تطرقنا إليه سابقًا من نشر الكتب والمخطوطات بالإضافة إلى نقل المحاضرات المسجلة في الأشرطة إلى أوراق ثم نشرها عبر مواقع الإنترنت المختلفة، وبذلك يسهل على الباحث عملية البحث عن المعلومات التي يرغب في الوصول إليها.

أسئلة وتمارين

- كبداية لك في الاهتمام بالقرآن الكريم، اختر كل يوم آية واحدة واستمع إلى طريقة ترتيلها من مشاهير القُرَّاء، وارجع إلى أحد كتب التجويد لتستخلص منها أحكام التجويد الواردة فيها. بعد ذلك ارجع إلى بعض التفاسير واقرأ شرح تلك الآية فيها. حاول حفظ تلك الآية وقراءتها في الصلاة. تدريجيًا قم بزيادة عدد الآيات التي تركز عليها كل يوم.
- اذهب إلى إحدى المكتبات العامة القريبة من مكان سكنك وقم بإعداد قائمة بكتب التفسير والتجويد والحديث والفقه والسيرة النبوية والتاريخ واللغة العربية التي يمكنك الرجوع إليها عندما ترغب في قراءة كتاب أو إعداد بحث في أحد هذه المجالات. قد تحتاج إلى استشارة بعض ذوي الاختصاص للتعرُّف على الكتب المفيدة والمناسبة لك.
- هل أنت ممَّن يجيدون اللغة العربية تحدُّثًا وكتابة؟ إذا كانت إجابتك بالنفي فبادر الآن بوضع برنامج لتتعلَّم ولو بعض قواعدها.

أسئلة وتمارين

- اذكر بعض الأسباب التي تُحتِّم على أبناء الأمة تعلُّم اللغات الأخرى.
- الكتابة هي من الوسائل المهمة التي تعين على تنمية المهارات المختلفة في نفس الشخص، وبناء عقلية مستنيرة عنده. حاول أن تضع لنفسك برنامجًا يوميًّا لتنمية مهارة الكتابة والتأليف؛ بحيث تكتب في كل يوم موضوعًا، ولو من صفحة واحدة. لا تقلق إن كان أسلوبك في البداية ركيكًا، أو أن المحتوى ضئيل وسطحي. سيتحسن أسلوبك- بإذن الله- تدريجيًّا. حاول أن تعرض ما تكتبه على بعض أصدقائك أو المتخصصين في اللغة العربية، لتستنير من ملاحظاتهم وتوجيهاتهم. احتفظ بما تكتبه في ملف خاص، فقد تحتاج إلى الرجوع إليه في المستقبل، عندما يتحسن مستواك، وتصبح- بإذن الله- من مشاهير الكُتَّاب والمؤلفين.
- حاول التعرُّف على المؤسسات والمراكز الموجودة في المحيط أو القُطْر الذي تسكن فيه والتي تقدم دورات في المهارات المختلفة وحاول أن تُعِدَّ قائمة بتلك الدورات وأسعارها وأوقات تقديمها. قم بنسخ تلك القائمة وتعليقها في الأماكن العامة لتشجيع الناس على الانخراط فيها.
- ما هي المجلات ومواقع الإنترنت المفيدة التي تتصفحها بين كل حين وآخر؟ إذا كنت لا تعرف شيئًا منها فبادر من الآن بسؤال ذوي الخبرة في ذلك واحصل منهم على قائمة بالمجلات والمواقع المفيدة والممتعة.
- اذكر بعض النقاط الإيجابية والسلبية التي تتميّز بها مواقع الإنترنت التي تزورها.
- شارك مع بعض زملائك في تصميم استطلاع للرأي حول نقاط الإيجاب والسَّلب التي يراها متصفحو المواقع العربية في المواقع التي يزورونها. بعد ذلك قوموا بنشر نتائج ذلك الاستطلاع في أحد المواقع لتعم الفائدة.
- قم بزيارة بعض مواقع الإنترنت التي تُعنى بنشر الكتب واسألهم عما يمكنك القيام به لمساعدتهم في عملية النشر. بعدها، ضع لنفسك برنامجًا لطباعة كتاب واحد في كل شهر وإرساله إليهم.
- حاول أن تركِّز على حقبة زمنية معينة في تاريخ الأمة الإسلامية أو في تاريخ القُطْر الذي تعيش فيه، ودوِّن الأحداث التاريخية التي وقعت فيه أو العلماء والمشهورين الذين نبغوا في تلك الفترة. قم بتجميع نبذة مختصرة عن تلك الأحداث أو أولئك المشهورين ورتبها على شكل عرض بالباور بوينت أو الفلاش. بعدها قم بإرسال ذلك العرض بواسطة البريد الإلكتروني إلى من تعرف من زملائك وأصدقائك أو قم بنشره في مواقع الإنترنت المختلفة.

الأعمال التي تقوي الجسد وتعين على كسب قلوب الناس

إن الإنسان– كما يقال– مدني بطبعه، وهذا يعني أنه لا مفر له من أن يختلط بالناس. لكن اختلاط المرء بالآخرين لا يعني قبولهم له، ورغبتهم في القرب منه، أو عدم ممانعتهم لتقرُّبه هو إليهم. ونظرًا لكون غالبية الأعمال التطوُّعية التي سنذكرها في المباحث التالية تحتاج إلى اتصال مباشر ومستمر مع الناس، لذا أصبح من الضروري أن يعرف كل واحد منا ما يحب الناس وما يكرهون، وما يمكن أن يحبِّبنا إليهم أو ينفِّرهم منا. وسأذكر في هذا الفصل بعض الأمور التي على الإنسان القيام بها لتعينه على كسب قلوب الناس لكي يتسنى له القيام بالأعمال التطوعية دون عراقيل من جانبهم، ولكي يحظى بمباركتهم وتأييدهم له ولما يقوم به من أعمال.

١– حسن المعاملة للناس

البعض منا يحب أن يعامله الناس بإحسان ولطف، بينما تجده معهم شديدًا ناقدًا، وفي بعض الأحيان متعالٍ متكبر. إن كسب قلوب الناس لا يتأتى بإغراقهم بالمال، فقليل منا من يستطيع ذلك، ولكن يمكن أن يحصل له كسب قلوبهم بحسن الخلق معهم، كما ورد عن رسول الله– صلى الله عليه وسلم[١]. وحسن الخلق يمكن أن يفتح قلوب الناس له مما يجعلهم يأيدونه فيما يريد إنجازه من أعمال، بل وربما دعموه بالمال والمشاركة. ولا ننسى أيضًا بأن ديننا دين الأخلاق، وأن التحلِّي بها ليس من قبيل المن والتفضُّل على الآخرين وإنما هو أداء لما يريده منا ديننا الحنيف[٢]. ولا ننسى كذلك الأجر العظيم الذي أعدَّه الله لمن أحسن خلقه، والعقاب الوبيل لمن قام بعكس ذلك.

---

(1) جاء في الحديث عن رسول الله– صلى الله عليه وسلم–: " **إِنَّكُمْ لَنْ تَسَعُوا النَّاس بِأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَسَعهُمْ مِنْكُمْ بَسْطُ الْوَجْه وَحُسْنُ الْخُلُق** ". أخرجه البزار وأبو يعلى والطبراني في مكارم الأخلاق من حديث أبي هريرة (حديث رقم ٢٦٧٢).

(2) جاء في كثير من الآيات والأحاديث الحث على مكارم الأخلاق والزَّجر عن مساوئها، فقد روى مالك مرفوعًا أن رسول– صلى الله عليه وسلم– قال: "**بعثتُ لأُتَمِّمْ حُسْنَ الأخلاق**". وعند أحمد عن أبي هريرة– رضي الله عنه– أن رسول الله– صلى الله عليه وسلم– قال: "**إنما بُعِثْتُ لِأُتَمِّمْ صالحَ الأخلاق**".

٢- الاهتمام بالصحة والنظافة

إن أهمية الاعتناء بالصحة لا تقل عن أهمية الاعتناء بالروح والفكر، ففيها تنشيط للجسم وتنشيط للعقل والذهن. والصحة من النعم العظيمة التي وهبنا المولى- عزَّ وجلَّ- إياها ولا يُحسُّ بقيمتها وعظمتها إلا من يفقدها. ومن سنن الله- سبحانه- في هذا الكون أن فقدان النعم لا يأتي فجأة وإنما بسبب مقدمات من كسب أيدي الناس. مثلًا، كثيرًا ما نسمع أن فلانًا من الناس قد أصبح طريح الفراش وأن آخرًا أصيب بنوبة قلبية أو جلطة في الدماغ أو فشل كلوي، وكلها مجرد ظواهر لمشاكل صحية بدَت في داخلنا صغيرة فلم نشعر بها أو شعرنا بشيءٍ منها ولكننا لم نعرها الاهتمام المطلوب.

الكل يعلم أن الإنسان منذ ولادته يتعرض لسيلٍ جارفٍ من السموم التي تدخل جسمه من خلال ما يتنفسه أو يأكله أو يشربه. وقد جهَّز الله- سبحانه- أجسادنا بوسائل حماية ومقاومة تستطيع أن تصدَّ عن هذا الجسد معظم تلك الأجسام الغريبة التي تدخل إلى أجهزة جسمنا، ولكن مع تقادم العمر ونقص المواد الضرورية التي يحتاج إليها الجسم في عملية الوقاية والدفاع تبدأ خلايا الجسم وأجهزته في الضعف وفقدان الحيوية، وهو ما يظهر في شكل أعراض أو مشاكل صحية.

من هنا نقول بأن علينا أن لا نُهمِل أجسادنا إلى أن نقع في المرض وإنما علينا أن نبادر إلى أخذ الاحتياطات اللازمة حينما نكون قادرين على ذلك، وقد قيل بأن "درهم وقاية خيرٌ من قنطار علاج". ومن الاحتياطات اللازمة لكل إنسان هو تجنُّب الأغذية الضارة أو غير المفيدة، وتجنُّب العادات السيئة كالتدخين وتناول المنبِّهات الكثيرة وكثرة النوم وتجنُّب التعرُّض للضائقات النفسية والتوترُّ والقلق، فإنها من الأمراض القاتلة.

ورغم أن الكثير منا لا يهتم كثيرًا بجانب الصحة- وللأسف الشديد-، غير أنه من الملاحظ أن هناك اهتمامًا متناميًا بجانب النظافة، فجانب النظافة يتعلق بنظافة البدن ونظافة الملبس ونظافة المكان، سواء كان بيتًا أو مكتبًا أو سيارة أو غير ذلك. إنه يجب على الإنسان أن يكون نظيفًا مرتبًا في جميع أحواله وفي أي مكان حلّ. والنظافة قد تكون من الضروريات الأساسية التي يجب توافرها لمن يريد الاهتمام بالصحة، ولهذا فعلى الإنسان أن يوجِد البيئة التي تخفف عنه وطأة المرض أو تقلل من

احتمالية الوقوع فيه، والتي من شأنها أيضًا أن تبعث فيه روح الأمل للبقاء والعمل بجدِّية وفكرٍ متجدِّدٍ وإنتاج مبدع ومتميِّز.

ويتعلق بجانب النظافة أيضًا استخدام مزيلات الروائح، حيث أننا نرى الكثير من الناس- وخاصة كبار السِّن منهم- لا يهتمون بهذا الجانب، مما يؤدي إلى نفور الآخرين من مجالستهم ومصاحبتهم. إن الإنسان الناجح يجب أن يكون محبوبًا لدى جميع الناس، ومن الأشياء التي تحبب الناس في الشخص حسن المظهر وطيب الروائح التي تصدر من بدنه وملابسه.

٣- الاعتناء بنظافة الأسنان

من المظاهر الأخرى التي ينبغي التنويه إليها أيضًا في جانب النظافة هو الاعتناء بنظافة الأسنان، وهذا أمرٌ يكاد أن يكون منعدمًا بين فئات كبيرة من الشباب والكبار فضلًا عن الأطفال، رغم أنه يجب على كل واحد منا أن يعتني بهذا الجانب اعتناءً كبيرًا، وذلك لأسباب عدة منها:

- اتقاء الآلام والأوجاع الشديدة التي يمكن أن تنتج عن عدم الاستياك، والتي قد تعيق الإنسان عن تأدية أعماله وتُبدِّد له أوقاته لكثرة تردِّده على المستشفيات.
- التخلُّص من الروائح الكريهة المنبعثة من الفم والتي- في الغالب- ما يكون قلة الاستياك سببًا لها. وللأسف، فكم رأينا أناسًا تنجذب إليهم نفوسنا لحسن هيئتهم وسمت أخلاقهم، ولكننا لا نستطيع القرب منهم والتحدُّث إليهم لما ينبعث من أفواههم من روائح كريهة، ولذا فعلينا أن نحذر من الوقوع في مثل هذا.
- التخلُّص من البقع الصفراء والسوداء التي تتكون في الطبقة الخارجية من الأسنان بسبب اختلاط ماء الشرب بمواد كبريتية، والتي يمكن للاستياك أن يقلِّل أو يمنع من حصولها.

ويمكن اتقاء كل ذلك من خلال وضع برنامج خاص للمحافظة على الأسنان والمتمثل في الاستياك مرتين- على الأقل- يوميًّا، وخاصة قبل النوم وبعد الاستيقاظ منه أو قبل تناول وجبة الفطور. كذلك، فعلى الواحد منا أن يقوم بالفحص الدوري لأسنانه، على الأقل كل ستة أشهر أو كل عام.

٤- القيام بالفحص الدوري الشامل

وعلى غرار الفحص الدوري للأسنان، يحتاج الشخص أن يقوم أيضًا بفحص دوري شامل لجميع جسده ولو مرة واحدة في العام، والذي يمكن من خلاله اكتشاف أمراضٍ في بدايتها بحيث يسهل على الأخصائيين استئصالها ومعالجتها. وهذا النوع من الفحص متوافر في الكثير من المستشفيات والعيادات.

٥- المحافظة على رشاقة الجسم

علينا أن نعلم أن البدانة والسمنة من الأمور التي تنفر الآخرين عن مخالطتنا أو القرب منا. لذا، فإن من الأمور المهمة والمتعلقة بالاعتناء بالصحة هي المحافظة على رشاقة الجسم. وهناك شِقَّين لهذا الموضوع: الأول يتعلق باختيار مقدار ونوع الطعام الذي نتناوله. ففي جانب الاعتدال في الأكل، على الإنسان أن لا يأكل كثيرًا خشية الإصابة بالتخمة، ولا يُعرِّض جسمه للضرر بقلة الأكل. أما فيما يخص اختيار نوع الأطعمة التي يتناولها، فإن الإنسان قد يملأ بطنه بأكل لا يعود على جسده بفائدة، ولذا فعليه أن يختار في وجباته المفيد من المأكولات، وأن يتجنب تلك التي قد تصيبه أو تضاعف من احتمالية إصابته بأمراض العصر المتفشية كالسكري وضغط الدم وأمراض السرطان.

أما الشق الآخر للاعتناء برشاقة الجسم فيكون عن طريق ممارسة الرياضات المختلفة وبشكل متواصل، والكثير من الشباب لا يفرطون في هذا الجانب حيث أنهم يقومون بلعب الكرة وممارسة الرياضات الأخرى كالجري وغيرها. لكن الكثير من الكبار- أو معظمهم- وغالبية النساء فإنهم لا يمارسون الرياضة، وعلى هؤلاء أن يبادروا بوضع برامج لأنفسهم تعينهم على القيام ولو ببعض التمرينات بشكل متواصل، فمثلًا يمكنهم القيام ببعض التمرينات البسيطة في الصباح والمساء أو في الأوقات المختلفة والتي لها دور في تنشيط الدورة الدموية وفي تمرين العضلات والمفاصل. ويمكنهم أيضًا- وخاصة بالنسبة للرجال- ممارسة بعض الرياضات الأخرى كالجري والمشي والسباحة وحتى مزاولة الألعاب المختلفة مثل كرة القدم أو الطائرة.

أما بالنسبة للنساء فيمكنهن الاتفاق مع مجموعة أخرى من النساء والمشي في أوقات مناسبة لهن كفترة المساء، وفي الأماكن التي لا يرتادها الرجال، ففي ذلك تحريك لعضلات الجسم، وتنشيط-

كما قلتُ– للدورة الدموية. ولكن علينا أن ننبه هنا أن كثيرًا من النساء– وخاصة الفتيات– قد اتَّخذن المشي في الشوارع العامة ذريعة للخروج من المنزل ومعاكسة الشباب الذي هم أيضًا يزاولون المشي في هذه الشوارع. وقد رأينا من الفتيات مَن تتجمَّل بأحسن الثياب، وتضع على أثوابها أفضل أنواع العطور، وتخرج من بيتها بدون عباءة ولا جلباب وإنما بزيِّها الذي تلبسه في بيتها، والذي لا يليق لغير زوجها أو محارمها النظر إليه، ثم تتخلَّع في مشيتها وهي تحادث زميلاتها أو تتصل بصويحباتها. ومنهنَّ مَن يصطحبنَ معهنَّ بعض إخوتهنَّ أو أخواتهنَّ الصغار بحجة أنهم محارم لهنَّ. وكما هو معلومٌ، فإنه لا يليق للمرأة الخروج من المنزل بدون محرَم، وأن لا تخرج إلا بلباس شرعيٍّ لا يُلفتْ إليها الأنظار، ولا يجذب إليها انتباه المارة.

يمكن أيضًا لمن كان بمقدوره أن يشترك في أحد نوادي أو مراكز اللياقة البدنية أن يبادر إلى ذلك، فقد يجد الفرصة لممارسة الرياضات المفضلة بشكل متواصل وبحضور ورعاية متخصِّصين في تلك الرياضات. أيضًا، يمكن للشخص الاشتراك في تلك النوادي والمراكز لتعلُّم بعض الرياضات الأخرى الكثيرة والمفيدة، مثل "الكونج فو" و "التكواندو" و "التاي تشي" وغيرها من الرياضات الأخرى، والمعروفة بفائدتها للجسم وتنشيطها للعقل.

وأما مَن كان بمقدوره أن يشتري جهازًا يمارس من خلاله الرياضات والتمارين المختلفة، فعليه القيام بذلك. مثلًا، يمكن شراء جهاز للجري واستخدامه في المنزل، بحيث يقوم الشخص بالجري عليه في كل يوم ربع أو نصف ساعة. وميزة هذا الجهاز أن الشخص لن يُحرَج من الجري أمام الناس بسبب كِبَر سِنِّه أو بسبب مركزه الاجتماعي أو الوظيفي، والمرأة بسبب تحرُّجها من الخروج من المنزل. إن شراء جهاز واحد للتمرين قد يعين جميع أفراد الأسرة من صغير أو كبير للاستفادة منه، وفوق ذلك فإن الشخص يستطيع أن يقوم بممارسة رياضته المفضلة عبر ذلك الجهاز وهو يشاهد التلفاز أو يتحدث إلى أهله وأولاده. إن شراء مثل هذا الجهاز يعتبر استثمارًا للأسرة بأكملها.

أسئلة وتمارين
▪ اذكر بعض القصص التي سمعتَ عنها والتي تتكلم عن أثر حسن الخلق أو سوء الخلق على علاقات الناس.

أسئلة وتمارين

- تكلم عن أهمية الصحة بالنسبة للإنسان.
- ما علاقة الصحة والمرض بكسب قلوب الناس أو نفورهم؟
- اشرح كيف يمرض الإنسان.
- ما هي بعض المقترحات للمحافظة على الصحة وتجنُّب الوقوع في المرض؟
- ضع لنفسك برنامجًا عمليًّا للاهتمام بصحتك بحيث يتضمن الاقتراحات التي أشرنا إليها في هذا الفصل، والتي تتعلق بالأكل والنظافة وممارسة الرياضة. حاول مناقشة ذلك البرنامج مع بعض الأطباء والمختصين، وابدأ بتنفيذه قبل أن يفوت الأوان.
- كيف يمكن للنظافة أن تُكمِّل جانب الصحة؟
- اذكر ما يمكن أن يشمله الفحص الدوري للأسنان.
- اذكر بعض الفحوصات التي قد يشملها الفحص الدوري الشامل.
- قم بالاتصال ببعض المستشفيات والعيادات الخاصة الموجودة في محيطك وتعرَّف عما إذا كانت تقدم خدمة الفحوصات الدورية الشاملة وتكاليف تلك الفحوصات والإجراءات التي تشملها.
- هناك شِقَّين للمحافظة على رشاقة الجسم. تكلم عن كل واحدٍ منهما واربطه ببرامج خاصة بك يمكن أن تستفيد منها في تحقيق ذلك الجانب.
- اكتب بحثًا عن تأثير السمنة والبدانة على علاقات الناس.

برنامج تطبيقي رقم (١):

برنامج يوم كامل

لكي نُخرِج موضوع الأعمال التطوعية المتعلقة بالفرد من حيِّزه النظري فإن على كل شخص أن يضع لنفسه برنامجًا يوميًّا للنوافل والأوراد التي عليه المحافظة عليها والأعمال الأخرى التي عليه القيام بها. نبيِّن في الصفحات التالية برنامجًا عمليًّا يمكن للمسلم أن يُطبِّقه في يومه وليلته، ومعظم ما ورد في هذا البرنامج هي أعمال نوقِشت في هذا المبحث وبعضها سيتم التعرُّض لها في المباحث القادمة. وأُذكِّر القارئ بأنه لكي تحصل الفائدة من هذا البرنامج فعليه الالتزام به بشكل يومي، وأن لا يدع للنفس مجالًا لتأجيله أو اختصاره؛ فإن النفس تميل إلى التسويف والراحة، والراغب في المشاركة في بناء الأمة لا بُدَّ له من أن يكون من ذوي النفوس العَلِيَّة والهمم العالية. يقول الشاعر:

والنَّفْسُ كالطِّفْلِ إنْ تُهْمِلهُ شَبَّ على حُـبِّ الرَّضـاعِ وإن تَفْطِمْـهُ يَـنْفَطِمِ

ويقول ابن نباتة:

حـاول جَـسِيماتِ الأمـورِ ولا تَقُـلْ إنَّ المحامِـــــدَ والعُلـــــى أرزاقُ
وارغـبْ بنفـسِكَ أن تكـون مقـصِّرًا عـــن غايـــةٍ في الطِّـــلابِ سِـــباقُ

بين الاستيقاظ من النوم وصلاة الفجر

- تستيقظ قبل طلوع الفجر بنصف ساعة على الأقل، وتدعو بأدعية الاستيقاظ المأثورة والتي نذكر منها ما يلي:

- **اللهم إني أصبحتُ أُشهِدُك وأُشهِدُ حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك أنك أنتَ الله لا إله إلا أنتَ وحدك لا شريك لك وأن محمدًا عبدُك ورسولُك**[1].
- **الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النُّشور**[2].
- **الحمد لله الذي عافاني في جسدي وردَّ عليَّ روحي وأَذِن لي بذِكره**[3].

- تدخل إلى الحمام، وعند دخولك تدعو بهذا الدعاء: **بسم الله، اللهم إني أعوذ بك من الخُبُث والخبائث**[4].
- تتوضأ وضوء الصلاة ثم تستاك.
- تخرج من الحمام وتقول بعد خروجك منه: **غفرانك**[5]. ثم تقول: **أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين**[6].
- تصلي ركعتين أو أربعًا تدعو الله فيها في سجودك بما تشاء من الأدعية.
- تبقى في مجلسك وتحفظ خمس أو عشر آيات من القرآن (حسب الخطة التي وضعتها لنفسك).
- تصلي سنة الفجر في بيتك.
- تخرج من بيتك إلى المسجد لتأدية فريضة الفجر في الجماعة، وتقول عند خروجك من منزلك: **بسم الله، توكلتُ على الله لا حول ولا قوة إلا بالله. اللهم إني أعوذ بك من أن أَضِلَّ أو**

---

(1) روى أبو داود عن أنس بن مالك- رضي الله عنه- أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قال: ((من قال حين يُصبِحُ أو يُمسي: اللهم إني أصبحتُ أُشهِدُك وأُشهِدُ حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك أنك أنتَ الله لا إله إلا أنتَ وحدك لا شريك لك وأن محمدًا عبدُك ورسولُك، أعتقَ اللهُ رُبُعَهُ من النار، فمَن قالها مرتين أعتق الله نِصْفَه ومَن قالها ثلاثًا أعتقَ اللهُ ثلاثَةَ أرباعِهِ فإن قالها أربَعًا أعتَقَهُ اللهُ من النار)).

(2) رواه أحمد في مسنده عن البراء- رضي الله عنه- برقم (١٧٨٦٠) ورواه أيضًا أبو داود عن حذيفة بن اليمان- رضي الله عنه- برقم (٤٣٩٠).

(3) رواه الترمذي في سننه عن أبي هريرة- رضي الله عنه- برقم (٣٣٢٣).

(4) رواه البخاري برقم (١٣٩) ومسلم برقم (٥٦٣) عن أنس رضي الله عنه.

(5) رواه ابن ماجه عن الحسن وأنس بن مالك- رضي الله عنهما- برقم (٢٩٧).

(6) رواه الترمذي عن عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- برقم (٥٠).

أُضَلَّ أو أَزِلَّ أو أُزَلَّ أو أَظْلِمَ أو أُظْلَمَ أو أجْهَلَ أو يُجْهَلَ عليَّ[1]. بعدها، تدعو بهذا الدعاء: **اللهم اجعل في قلبي نورا وفي لساني نورا واجعل في سمعي نورا واجعل في بصري نورا واجعل من خلفي نورا ومن أمامي نورا ومن فوقي نورا ومن تحتي نورا اللهم أعطني نورا**[2].

- إذا كانت المسافة بين بيتك والمسجد طويلة بعض الشيء فاقرأ في طريقك إلى المسجد سورة الواقعة ففيها منجاة لك من الفقر في ذلك اليوم- كما ورد عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم[3]. أما إذا كانت المسافة بين البيت والمسجد قصيرة فيمكنك أن تذكر الله بما تشاء من الأذكار والأدعية وتقرأ سورة الواقعة بعد دخولك المسجد أو بعد فراغك من صلاة الفجر.
- تدخل المسجد وتدعو بدعاء دخول المسجد: **باسم الله والسلام على رسول الله، اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك**[4]، وتجلس إلى أن تُقام صلاة الفجر وتذكر الله بما تشاء إن كان هناك مُتَّسع.

بعد صلاة الفجر إلى طلوع الشمس

- بعد صلاة الفجر تبقى في مجلسك وتدعو بأذكار الصباح التالية:
  - **سبحان الله** (مائة مرة)، ثم **الحمد لله** (مائة مرة) ثم **الله أكبر** (مائة مرة)[5]

---

(1) روى أبو داود عن أم سلمة أن النبي- صلى الله عليه وسلم- كان إذا خرج من بيتها قال: ((بسم الله، توكلتُ على الله. اللهم إنا نعوذ بك من أن نضِلَّ أو نُضَلَّ أو نَزِلَّ أو نُزَلَّ أو نَظْلِم أو نُظْلَم أو نجهل أو يُجهَل علينا)). وروى أبو داود والترمذي عن أنس- رضي الله عنه- أن النبي - صلى الله عليه وسلم- قال: ((من قال إذا خرج من بيته: بسم الله توكلتُ على الله لا حول ولا قوة إلا بالله، يقال له: كُفِيتَ وهُدِيتَ وتنحَّى عنه الشيطان)).

(2) رواه مسلم عن ابن عباس- رضي الله عنهما- برقم (١٢٨٠).

(3) روى البيهقي عن ابن مسعود- رضي الله عنه- أن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: ((من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة أبدًا)).

(4) رواه أحمد وابن ماجه والطبراني عن فاطمة الزهراء- رضي الله عنها.

(5) روى الإمام أحمد عن أم هانئ بنت أبي طالب- رضي الله عنها- قالت: جئتُ النبي- صلى الله عليه وسلم- فقلتُ: يا رسول الله إني امرأة ثَقُلْتُ فعلِّمْني شيئًا أقولُه وأنا جالسة، قال: ((قولي "الله أكبر" مائة مرة فإنهُ خيرٌ لكِ من مائةِ بَدَنَةٍ مُجَلَّلَةٍ مُتَقَبَّلَةٍ، وقولي "الحمدُ لله" مائة مرة فإنهُ خيرٌ لكِ من مائةِ فَرَسٍ مُسْرَجَةٍ مُلْجَمَةٍ حَمَلْتِيها في سبيل الله، وقولي

- **لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير** (مائة مرة)[١]
- **اللهم أعِنِّي على ذِكرِكَ وشُكرِكَ وحُسْنِ عبادَتك** (مائة مرة)[٢]
- **لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم** (مائة مرة)[٣]
- **سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم** (مائة مرة)[٤]
- **أستغفر الله العلي العظيم من جميع الذنوب والخطايا وأتوب إليه** (مائة مرة)[٥]
- الصلاة على النبي[٦] (مائة مرة)

"سُبْحانَ اللهِ" مائة مرة هو خيرٌ لكِ من مائةِ رَقَبَةٍ من وَلَدِ إسماعيلَ تَعْتِقِينَهُنَّ، وقولي "لا إلهَ إلا اللهُ" مائةَ مرَّةٍ لا تَذَرُ ذَنْبًا ولا يَسْبِقُهُ العمل)).

(1) انظر الحاشية رقم (٤) في صفحة (٧٦).

(2) روى النسائي عن معاذ بن جبل- رضي الله عنه- أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- أخذ بيده وقال له: ((إني لأُحِبُّك يا معاذ)) فقال معاذ: وأنا أحبك يا رسول الله، فقال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: ((فلا تَدَعْ أن تقول في كل صلاة ربِّ أعِنِّي على ذِكْرِكَ وشُكْرِكَ وحُسْنِ عِبادَتِكَ)). وروى أبو داود وأحمد عن معاذ مثل ذلك.

(3) روى البخاري عن أبي موسى الأشعري- رضي الله عنه- أنه قال: لما غزا رسولُ الله- صلى الله عليه وسلم- خَيْبَرَ، أو قال لما تَوَجَّهَ رسول الله- صلى الله عليه وسلم- أشْرَفَ الناسُ على وادٍ فَرَفَعُوا أصواتَهم بالتكبيرِ: اللهُ أكبرُ الله أكبرُ لا إلهَ إلا الله، فقال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: ((ارْبَعُوا على أنفُسِكُمْ، إنكم لا تَدْعُونَ أَصَمَّ ولا غائبًا، إنكم تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا وهوَ مَعَكُمْ)) وأنا خَلْفَ دابَّةِ رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فسمعني وأنا أقول: لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلا باللهِ، فقال لي: ((يا عَبْدَاللهِ بْنَ قَيْسٍ)) قلتُ: لَبَّيْكَ يا رسولَ اللهِ، قال: ((ألا أَدُلُّكَ على كَلِمَةٍ مِنْ كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ؟)) قلتُ: بلى يا رسول اللهِ فَدَاكَ أبي وأُمِّي، قال: ((لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلا باللهِ)). ورواه مسلم عن أبي موسى الأشعري- رضي الله عنه- بهذا النحو.

(4) روى البخاري ومسلم والترمذي واابن ماجه وأحمد عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: ((كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ على اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ في المِيْزَانِ حَبِيبَتَانِ إلى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللهِ العَظِيمِ)).

(5) روى أحمد عن ابن عمر- رضي الله عنهما- قال: كنتُ جالسًا عند النبيِّ- صلى الله عليه وسلم- فسمعتُهُ استغفرَ اللهَ مائةَ مرة، ثم يقول: ((اللهمَّ اغْفِرْ لي وارْحَمْنِي وتُبْ عليَّ إنكَ أنْتَ التوابُ الرَّحيمُ)) أو ((إنَّكَ توابٌ غفورٌ)).

(6) الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بإحدى صيغ الصلوات الإبراهيمية هو الأكمل، ويجوز أن نقول: اللهم صل على محمد، أو صلى الله على محمد ونحو ذلك. وقد وردت صيغ كثيرة للصلاة الإبراهيمية، ومنها ما رواه البخاري ومسلم: ((اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليتَ على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركتَ على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد)).

- **بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيءٌ في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم** (ثلاث مرات)[1]
- **أعوذ بكلمات الله التامَّات من شر ما خلق** (ثلاث مرات)[2]
- **آمنتُ بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد- صلى الله عليه وسلم- نبيًّا ورسولا** (ثلاث مرات)
- **حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلتُ وهو رب العرش العظيم** (سبع مرات)[3]

- بعد أن تنتهي من هذه الأذكار، تبدأ في قراءة وِردك من القرآن، وتستمر في قراءة القرآن إلى أن تطلع الشمس. وبعد طلوع الشمس تواصل القراءة لحوالي ربع ساعة لكي تتأكد من أن الشمس قد صارت قدر قوس أو يزيد.

صلاة الضحى

- بعد طلوع الشمس بحوالي ربع ساعة، تصلي سنة الضحى، وهي ركعتان أو أربع[4].

---

(1) روى الترمذي عن أبانَّ بن عثمان- رضي الله عنهما- عن عثمان بن عفان- رضي الله عنه- يقول: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: ((مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ في صباحِ كُلِّ يومٍ ومَساءِ كُلِّ لَيلَةٍ: بِسْمِ اللهِ الذي لا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ ولا فِي السَّماءِ وَهُوَ السَّمِيعُ العليمُ ثلاثَ مَرَّاتٍ لَمْ يَضُرُّهُ شَيْءٌ)). وروى أبو داود واابن ماجه وأحمد نحو ذلك.

(2) روى مسلم عن سعد بن أبي وقاصٍ- رضي الله عنه- يقول: سمعتُ خولةَ بنتَ حَكيمٍ السُّلَمِيَّةَ تقولُ: سمعتُ رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يقول: ((مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا ثُمَّ قالَ: أعوذُ بِكَلِماتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ ما خَلَقَ لَمْ يَضُرُّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذلكَ)).

(3) روى ابن السني وابن عساكر عن أبي الدرداء- رضي الله عنه- أن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: ((من قال كل يوم حين يصبح وحين يمسي "حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلتُ وهو رب العرش العظيم" سبع مرات كفاه الله ما أهمَّه من أمر الدنيا وأمر الآخرة صادقًا كان بها أو كاذبا)). وروى أبو داود مثل ذلك.

(4) روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: أوصاني خليلي بثلاثٍ: صومِ ثلاثةِ أيامٍ من كل شهرٍ وركعتَيْ الضحى وأن أُوتِرَ قبلَ أن أنامَ.

بعد صلاة الضحى

- بعد فراغك من صلاة الضحى، اخرج من المسجد ولا تنس دعاء الخروج من المسجد: **باسم الله والسلام على رسول الله، اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك**[1].
- بعد خروجك من المسجد، يحسن بك أن تمشي ربع ساعة على الأقل، وإن استطعت نصف ساعة أو أكثر فذلك أفضل، على أن يكون مشيًا سريعًا.
- في أثناء مشيك عليك أن تتفكَّر فيما تشاهده من مبانٍ وشوارع وسيارات ومارة. ويمكنك أن تُشغِل نفسَك بمراجعة ما تحفظه من القرآن، أو باسترجاع بعض القضايا والمواضيع الفكرية أو الاجتماعية أو غيرها وتحاول مناقشتها مع نفسك، وإن حَضَرَتْكَ بعضُ الأفكار المفيدة فلا تنس أن تدوِّنها عند وصولك إلى منزلك. إذا لم يكن في بالك ما تستحضره، فاشغل نفسك بذكر الله.

عند وصولك المنزل

- عند دخولك المنزل تقول: **باسم الله**، وتسلم على أهلك.
- تستحم وتتناول طعام الإفطار، وتقول في بدايته: **اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وقنا عذاب النار، باسم الله**[2]. وتقول بعد الفراغ من الأكل: **الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين**[3].
- أَخرِج دفتر المهام والمواعيد الخاص بك[4] وألق نظرة على المواعيد التي عليك الوفاء بها في ذلك اليوم، والأعمال التي عليك القيام بها.
- تلبس ملابس العمل أو الدراسة وتخرج من بيتك وتدعو بدعاء الخروج من المنزل[1].

---

(1) رواه أحمد وابن ماجه والطبراني عن فاطمة الزهراء- رضي الله عنها.

(2) رواه أحمد عن علي بن أبي طالب- رضي الله عنه.

(3) رواه أبو داود (٣٨٥٠)، والترمذي (٣٤٥٧)، وقال عنه الألباني: ضعيف الإسناد.

(4) رغم أنه لم يتم التعرُّض لهذا الموضوع في الفصول السابقة بشكل مباشر إلا أنه يدخل في موضوع اكتساب المهارات وخاصة تنظيم وإدارة الوقت. وننصح هنا بأنه من لم يلتحق من قبل بدورة في تنظيم وإدارة الوقت فعليه المبادرة إلى ذلك.

- تركب سيارتك وتدعو بهذا الدعاء: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِيْنَ وَإِنَّا إِلَىْ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُوْنَ ﴾[٢].

في طريقك إلى العمل أو الدراسة

- عليك أن تتفكَّر فيما تقع عليه عيناك من مخلوقات الله ومن مشاهد وأحداث وأن تربطها دومًا برسالتك في هذه الحياة ومبدئك ومصيرك.
- إذا كنتَ سائقًا للسيارة فعليك أن تتقيَّد بقوانين المرور وأن لا تنشغل بالحديث في الهاتف أو مع الأشخاص الذين معك في السيارة فتتسبب في وقوع حوادث لك أو لغيرك.
- يمكن أن تُشغِل نفسك بسماع محاضرة أو درس أو نشرة أخبار الصباح، وفي الأوقات الأخرى ابق بين الذكر والدعاء.

بعد وصولك إلى العمل أو الدراسة

- كن حريصًا على القيام بعملك على أكمل وجه. إياك وتضييع أوقاتك فيما لا يعود عليك أو على عملك بالنفع. كن حريصًا على تقديم ما يتطلَّبه منك العمل من وقت وجهد على أمورك الخاصة، وإن كنتَ مضطرًّا لتقضية بعض أمورك الخاصة التي ليس فيها إضرار بالعمل، فقم بها في أوقات الاستراحة فقط. عليك التقليل من التحدُّث في الهاتف لأمورك الخاصة، والتقليل كذلك من زياراتك لزملائك وأصدقائك، إلا بما يتطلَّبه منك العمل. كن حريصًا كل الحرص على **عدم** استخدام الأجهزة والوسائل المتاحة لك في العمل لأمورك الشخصية، وإن كنتَ مضطرًّا لذلك فاستأذن المسؤولين في استخدامها.
- إن كنتَ طالبًا، فاحرص كل الحرص على الذهاب للمحاضرات وعدم التغيُّب أو التأخر عنها. كن منتبهًا لما يقوله الأستاذ، دوِّن كل ما تسمعه أو يخطر ببالك أثناء الدرس، شارك في النقاش والمحاورة، احترم وقت الأستاذ واحترم أوقات زملائك. إياك والعبث بالأدوات والأجهزة أو

---

(1) أنظر الحاشية رقم (١) في صفحة (١٠٧).

(2) الآية ١٣ من سورة الزخرف.

محاولة إتلافها أو إساءة استخدامها. استغل أوقات الفراغ والاستراحات لمراجعة ما دوَّنتَه في ذلك اليوم.

- إذا حضر وقتُ صلاة الظهر، فاستأذن للذهاب للمسجد (إن كان قريبًا من مقر عملك أو دراستك) أو للمصلى. توضأ للصلاة وادخل المسجد وصلِّ تحية المسجد ثم أتبعها بركعتين أو أربعٍ (حسبما يتَّسع الوقت). بعد تأدية فريضة الظهر مع الجماعة، اجلس قليلًا للدعاء والذِّكر ثم صلِّ ركعتين أو أربعًا تنفُّلًا.

بعد الانتهاء من العمل أو الدراسة

- بعد انتهاء عملك أو دراستك، اركب سيارتك وقل دعاء الركوب. إذا كنتَ تشارك آخرين في السيارة فاحترم من يركبون معك. يمكنك أن تقضي وقتك في السيارة في سماع الأناشيد الإسلامية أو في التحدُّث مع زملائك، ولكن مع مراعاة أن لا تنشغل عن السياقة إن كنتَ سائقًا للسيارة.
- بعد وصولك المنزل، قل: **بسم الله**، وسلِّم على أهلك ثم قم بتغيير ملابسك، وتناول وجبة الغداء مع أهلك.
- بعد الانتهاء من الغداء، خذ قسطًا من الراحة إلى وقت أذان العصر.
- بعد استيقاظك من قيلولتك، توضأ واتجه إلى المسجد لتأدية صلاة العصر.
- بعد دخولك المسجد، صلِّ ركعتي تحية المسجد ثم أتبعها بركعتين أو أربع (حسبما يتَّسع الوقت)، وإن كان قد بقي متَّسع من الوقت فأشغله إما بالذكر أو بقراءة القرآن.

بين العصر والمغرب

- بعد تأديتك لفريضة العصر في الجماعة، يمكنك القيام بواحد أو أكثر من الأعمال التالية:
  - حضور شيء من الدروس التي تقام في ذلك المسجد أو في المساجد المجاورة.
  - البقاء في المسجد لحفظ القرآن أو مراجعة ما قمتَ بحفظه في ذلك اليوم والأيام السابقة.
  - الرجوع إلى المنزل والانشغال بمطالعة كتاب أو سماع محاضرة أو كتابة بحث أو تصفُّح موقع مفيد في الإنترنت.

- الذهاب لزيارة أحد الجيران أو الأقارب.
- الذهاب لزيارة أحد المرضى في المستشفى.
- أخذ الأهل والأولاد للنزهة أو لتقضية حاجيات الأسرة، مع مراعاة الآداب الإسلامية منذ الخروج من المنزل وإلى العودة إليه. كذلك فيجب مراعاة وقت صلاة المغرب وأن تحرص على أدائها جماعة في مسجد، وحبَّذا لو كان في مسجد به مصلى للنساء ليقوم الجميع بتأدية الصلاة في الجماعة.
- ممارسة شيء من الرياضات مع مراعاة التقيُّد بآداب الإسلام في اللباس وأثناء الاختلاط بالآخرين أو أثناء مزاولة الرياضة نفسها. كذلك يجب مراعاة أن يتم الانتهاء من الرياضة قبل المغرب بفترة كافية للاستحمام والوضوء والوصول إلى المسجد.
- أية أعمال أخرى ترى فيها طاعة لله ومنفعة لك أو لغيرك.

بين المغرب والعشاء

- حاول أن تصل إلى المسجد قبيل المغرب فذلك من الأوقات المباركة التي عليك أن تشغلها بذكر الله والدعاء.
- إذا كان وصولك إلى المسجد بعد أذان المغرب وكان هناك متَّسعٌ من الوقت لحين إقامة الصلاة، فصلِّ ركعتي تحية المسجد، ثم اشغل نفسك بذكر الله.
- بعد فريضة المغرب، ابق في مجلسك للذكر والدعاء قليلًا، ثم صلِّ سنة المغرب وأتبعها بما تشاء من ركعات التنفُّل.
- بعد صلاة النافلة يمكنك القيام بواحد أو أكثر من الأعمال التالية:
  - البقاء في المسجد ومعاودة أذكار الصباح التي ذكرناها سابقًا.
  - حضور أحد الدروس أو المحاضرات التي تقام في ذلك المسجد أو في المساجد الأخرى.
  - البقاء في المسجد لحفظ القرآن أو مراجعة ما قمتَ بحفظه في ذلك اليوم والأيام السابقة.
  - الرجوع إلى المنزل وإلقاء درس للأسرة.
  - الرجوع إلى المنزل والانشغال بمطالعة كتاب أو سماع محاضرة أو كتابة بحث أو تصفُّح موقع مفيد في الإنترنت.

- حلّ الواجبات أو مذاكرة الدروس (بالنسبة للطلاب).
- زيارة أحد الجيران أو الأقارب أو الأصدقاء.
- الاستماع إلى نشرة أخبار أو برنامج مفيد في الإذاعة أو التلفاز أو تصفح مجلة أو جريدة.
- المشي أو الجري سواءً خارج البيت أو داخله إن كان لديك جهاز للجري.
- أية أعمال أخرى ترى فيها طاعة لله ومنفعة لك أو لغيرك.

- عندما يحين أذان العشاء فيجب الاستعداد للصلاة وذلك بالتبكير للمسجد- إن كنتَ قد خرجتَ منه- وصلاة تحية المسجد بعد الدخول إليه ثم إتباعها بركعتين أو أربع (حسبما يتَّسع الوقت). إن كان في الوقت متَّسع فيمكن الانشغال بقراءة القرآن.
- بعد صلاة الفريضة، يُحبَّذ لك البقاء في مجلسك للذكر والدعاء، ثم بعدها تصلي ركعتين أو أكثر تنفُّلًا. حاول أن تؤخر صلاة الوتر لحين موعد نومك.

بعد صلاة العشاء وإلى أن يحين وقت النوم

- بعد فراغك من صلاة العشاء يمكنك القيام بواحد أو أكثر من الأعمال التالية:
  - حضور أحد الدروس أو المحاضرات التي تقام في ذلك المسجد أو في المساجد الأخرى.
  - البقاء في المسجد لحفظ القرآن أو مراجعة ما قمتَ بحفظه في ذلك اليوم والأيام السابقة.
  - الرجوع إلى المنزل وإلقاء درس للأسرة.
  - الرجوع إلى المنزل والانشغال بمطالعة كتاب أو سماع محاضرة أو كتابة بحث أو تصفُّح موقع مفيد في الإنترنت.
  - حلُّ الواجبات أو مذاكرة الدروس (بالنسبة للطلاب).
  - زيارة أحد الجيران أو الأقارب أو الأصدقاء.
  - الاستماع إلى نشرة أخبار أو برنامج مفيد في الإذاعة أو التلفاز أو تصفح مجلة أو جريدة.
  - المشي أو الجري سواءً خارج البيت أو داخله إن كان لديك جهاز للجري.
  - استرجاع وتقييم الأعمال التي قمتَ بها في ذلك اليوم، وتهنئة نفسك على ما قمتَ به من إنجازات، ومحاسبتها على ما قصَّرَتْ فيه.

- مراجعة جدول الأعمال[1] لليوم التالي.
- أية أعمال أخرى ترى فيها طاعة لله ومنفعة لك أو لغيرك.

عندما يحين وقت النوم

- قم أولًا بالوضوء للصلاة والاستياك.
- بعدها صلِّ صلاة الوِتر ويمكن أن تسبقها بواحد أو أكثر من الأعمال التالية:
  - تأدية بعض الركعات نافلة.
  - الإتيان بأذكار المساء (نفس أذكار الصباح التي ذكرناها سابقًا).
  - قراءة وِردٍ من القرآن.
  - الجلوس للدعاء لك ولأهلك وإخوانك ولعامة المسلمين.
- بعد الفراغ من صلاة الوِتر توجَّه إلى فراشك واجمع كفَّيك ثم انفث فيهما قليلًا واقرأ سورة الإخلاص والفلق والناس، وامسح بيديك وجهَك وسائر جسدك. عاود فعل ذلك ثلاث مرات كما ورد عنه- عليه أفضل الصلاة والسلام[2].
- بعد ذلك نم على جنبك الأيمن وتلفَّظ بالأدعية التالية:
  - تقول: **باسمك ربِّي وضعتُ جنبي وبك أرفعه. إن أمسكتَ نفسي فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادَك الصالحين**[3].
  - تقرأ آية الكرسي[4].

---

(1) انظر الحاشية رقم (٤) في صفحة ١١٠.

(2) روى البخاري ومسلم عن عائشة- رضي الله عنها- أن النبي- صلى الله عليه وسلم- كان إذا آوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما وقرأ فيهما: "قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس" ثم مسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده، يفعل ذلك ثلاث مرات.

(3) عن أبي هريرة-رضي الله عنه- قال: قال الرسول- عليه الصلاة والسلام-: ((إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينفضه بداخلة إزاره، فإنه لا يدري ما خَلَفَهُ عليه، ثم ليضطجع على شقه الأيمن، ثم ليقل: باسمك ربي وضعتُ جنبي، وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين)). رواه البخاري ومسلم وأبو داود.

(4) رواه البخاري عن أبي هريرة- رضي الله عنه- في سردِهِ لقصة أسيره على رسول الله- صلى الله عليه وسلم-.

- تقول: "سبحان الله"، ٣٣ مرة، وبعدها تقول: "الحمد لله"، ٣٣ مرة، وبعدها تقول: "الله أكبر"، ٣٤ مرة[١].
- (إن استطعتَ) تقرأ أواخر سورة البقرة ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ... ﴾[٢] إلى آخر السورة[٣].
- (إن استطعتَ) تقرأ سورة السَّجدة[٤].
- (إن استطعتَ) تقرأ أواخر سورة الحشر ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[٥] إلى آخر السورة[٦].
- (إن استطعت) تقرأ سورة تبارك[٧].

---

(1) عن علي بن أبي طالب- كرَّم الله وجهه- أن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال لابنته فاطمة عندما جاءت إليه تطلب منه خادمًا، فقال لها ولعلي: ((ألا أدلكما على خير لكما من خادم؟ إذا آويتما إلى فراشكما فسبِّحا ثلاثًا وثلاثين، واحمدا ثلاثًا وثلاثين، وكبرا أربعًا وثلاثين، فإنه خير لكما من خادم)). متفق عليه.

(2) الآية ٢٨٥ من سورة البقرة.

(3) عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((اقرأوا هاتين الآيتين اللتين في آخر سورة البقرة فإن ربي أعطانيهما من العرش)) (صحيح الجامع). وروى الطبراني والحاكم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من قرأ عشر آيات أربعًا من أول البقرة وآية الكرسي وآيتين بعدها وخواتيمها لم يدخل ذلك البيت شيطان حتى يصبح)).

(4) مما ورد في فضلها مع سورة الملك ما رواه أحمد والترمذي عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- كان لا ينام حتى يقرأ (ألم تنزيل الكتاب) و(تبارك الذي بيده الملك). وهو حديث صحيح، صححه غير واحد من أئمة أهل العلم، منهم الألباني في صحيح الجامع ٤٨٧٣.

(5) الآية ١٨ من سورة الحشر.

(6) وردت أحاديث كثيرة في فضل خواتيم سورة الحشر، وكلها ضعيفة، منها ما رواه الطبراني: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((من قرأ خواتيم الحشر في ليل أو نهار فمات في ذلك اليوم أو الليلة فقد ضمن الله له الجنة". ومنها "إذا أخذتَ مضجَعَكَ فاقرأ سورة الحشر، إن مت مت شهيدا)).

(7) روى الترمذي عن أَبِي هُرَيْرَةَ عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قالَ: ((إِنّ سُورَةً مِنَ القُرْآنِ ثَلاَثُونَ آيَةً شَفَعَتْ لِرَجُلٍ حَتّى غُفِرَ لَهُ وَهِيَ سورة تَبَارَكَ الّذِي بِيَدِهِ المُلْكُ)). قال أبو عيسى: هذا حديثٌ حسنٌ. ورواه أبو داود وغيره. وروى الحاكم عن ابن عباس: ((وددتُ تبارك الذي بيده الملك في قلب كل مؤمن)).

- تقول: **اللهم أسلمتُ وجهي إليك، وفوَّضتُ أمري إليك، وألجأتُ ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنتُ بكتابك الذي أنزلتَ ونبيك الذي أرسلتَ**[1].

- بعد ذلك تُسلِم نفسك لبارئها ونومًا هنيئًا بإذن الله.

(1) روى أحمد والبخاري ومسلم عن البراء- رضي الله عنه- أن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: ((إذا أتيتَ مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضَّجِع على شِقِّك الأيمن ثم قل: "اللهم أسلمتُ نفسي إليك ..." فإن مِتَّ من ليلتك فأنت على الفطرة واجعلهن آخر ما تتكلم به)).

برنامج تطبيقي رقم (٢):

تمارين رياضية مقترحة

في هذا البرنامج التطبيقي نقدم لك بعض التمارين الرياضية التي يمكنك القيام بها في منزلك أو في صالة رياضية. كذلك، فيمكنك القيام بها بمفردك أو مع بعض أهلك أو زملائك، ويمكنك القيام بجميع هذه التمارين أو ببعضها، حسبما يتسنى لك الوقت. أيضًا، يمكن القيام بها في فترة الصباح، قبل الخروج إلى العمل أو الدراسة، أو بعد العصر، أو بعد المغرب، أو العشاء، حسبما تراه مناسبًا لك.

١- **تمرين التسخين:** قم بالهرولة السريعة دون أن تتحرك من مكانك لحوالي دقيقتين. قم بزيادة المدة تدريجيًّا كل أسبوع، حسب قدرتك.

٢- **تمرين الظهر:**

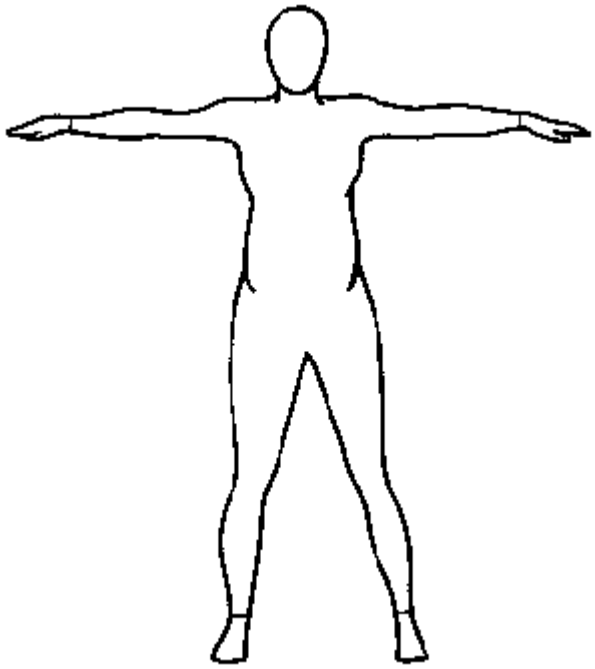

قف منتصبًا وافتح رجليك بانفراج كبير وارفع يديك حتى يكونان مستقيمان. أمِل جسمك إلى الأمام مع إدارته إلى جهة اليمين مع إبقاء رجليك ويديك على وضعهما السابق. حرِّك كامل جسمك إلى جهة اليسار. كرِّر التمرين لحوالي ١٠ مرات، وقم في كل أسبوع بزيادة العدد تدريجيًّا.

٣- **تمرين القفز:**

قم بالقفز في مكانك، وذلك بأن تفتح الرجلين قدر ما تستطيع وفي الوقت نفسه ترفع اليدين إلى أعلى الرأس حتى يتلامسا. أعِد اليدين إلى جانبيك والرجلين إلى وضع الالتصاق، ثم تعيد الكَرَّة مرة أخرى، وهكذا حتى تكمل ٢٠ قفزة في كل مرة، في الأسبوع الأول، ثم تزيد ٥ قفزات في كل تمرين في الأسابيع التالية.

٤- **تمرين الضغط باليدين:**

قم بالنوم على البطن مع نصب القدمين. ضع يديك بمحاذاة رأسك وابدأ بالضغط عليهما إلى أن يرتفع الجسم بكامله مع مراعاة إبقاء الجسم والقدمين واليدين في وضع مستقيم.

وبعد أن يستقيم الجسم وتنتصب اليدان قم بثني اليدين وإنزال الجسم تدريجيًّا إلى أن يَقْرُب الجسم من ملامسة الأرض، وعندها ترفع الجسم مرة أخرى إلى أن تنتصب اليدان، وهكذا. كرِّر التمرين في الأسبوع الأول لحوالي ٥ مرات، وقم بزيادة العدد تدريجيًّا في الأسابيع التالية.

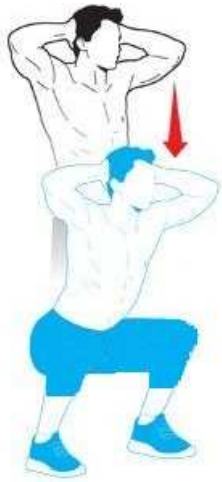

٥- **تمرين الساقين والركبتين:**

ضع يديك على جانبي رأسك واجلس وجسمك منتصبًا على قدميك. ادفع بجسمك بكامله إلى الأعلى إلى أن يصل إلى وضع الانتصاب، وبسرعة اهْوِ بجسمك إلى الأسفل إلى أن تلامس إليَتك قدميك، وبسرعة أيضًا ارفع جسمك إلى الأعلى، وهكذا. كرِّر التمرين لحوالي ٥ مرات ثم قم بزيادة العدد تدريجيًّا في الأسابيع التالية.

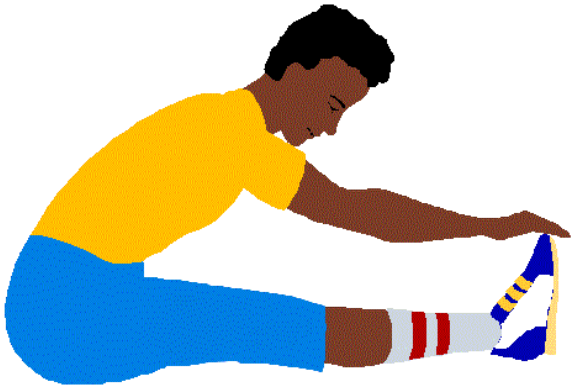

٦- **تمرين شد القدمين:**

اجلس مستويًا على الأرض ومُدَّ رجليك إلى الأمام مع رصِّهما لبعضهما. أمِل جسمك إلى جهة الأمام وحاول لمس أصابع القدمين وشدِّهما إليك إن أمكن ذلك. ابق على ذلك الوضع لحوالي ٢٠ ثانية. بعدها أعِد ظهرك إلى وضع الانتصاب، ثم كرِّر التمرين عدة مرات.

تمرين فتح الرجلين: اجلس مستويًا على الأرض وافتح رجليك بزاوية منفرجة مع محاولة إيصالهما إلى وضع الاستقامة (أي يشكلان خطًّا مستقيمًا)، قدر المستطاع. قم بالتمرينين التاليين وأنت على هذا الوضع:

٧- **تمرين انحناء الجسم إلى الأمام:** ضع يدك اليمنى بامتدادها على رجلك اليمنى ويدك اليسرى على رجلك اليسرى. ادفع بكامل جسمك إلى جهة الأمام، مع مراعاة أن تُبقي على ظهرك وصدرك ورأسك في استقامة واحدة. واصل في دفع جسمك إلى أن يقترب صدرك من الأرض. ستحس باشتداد عضلات الظهر. ابق على هذا الوضع لحوالي ٢٠

ثانية. إن لم تستطع ثني الجسم كثيرًا فاطلب من شخص آخر أن يضغط على ظهرك قليلًا. كرِّر التمرين لعدة مرات. مع تكرار التمرين وبعد مرور أسبوع أو أسبوعين من مزاولة التمرين، ستحس بارتخاء عضلات الجسم وقدرتك على ثنيه بسهولة ودون آلام.

٨- **تمرين انحناء الجسم إلى جهة اليمين واليسار:** ابدأ بوضع جسمك كما هو موصوف في التمرين رقم ٧. ادفع بكامل جسمك باتجاه رجلك اليمنى ومُدَّ يدك اليمنى بطولها على رجلك اليمنى، مع محاولة لمس القدم الأيمن وشدِّه إليك، إن أمكن. ضع يدك اليسرى على ركبتك اليمنى مع محاول الضغط عليها لأسفل. ابق على هذا الوضع لحوالي ٢٠ ثانية. كرِّر نفس التمرين ولكن باتجاه رجلك اليسرى ومع عكس وضع اليدين. يمكن تكرار هذا التمرين بالتناوب مع التمرين السابق.

٩- **تمرين النوم إلى الوراء ١:**

اجلس على رجليك مع افتراش القدمين ثم ادفع بكامل جسمك إلى الوراء وكأنك تحاول النوم على ظهرك.

ستلاحظ أن ركبتيك سترتفعان عن الأرض، لذا فإما أن تطلب من شخص آخر أن يضغط عليهما ليلامسا الأرض أو تقوم بإدخال يديك من تحت ساقيك وشدِّهما وكأنك تريد النهوض من الأرض. ابق على هذا الوضع لحوالي ٢٠ ثانية ثم ادفع بجسمك إلى الأعلى. كرِّر التمرين عدة مرات.

١٠- **تمرين النوم إلى الوراء ٢:** كرِّر التمرين السابق ولكن مع مَدِّ الرجل اليمنى إلى الأمام وافتراش الرجل اليسرى. كرِّر التمرين مرة أخرى، ولكن هذه المرة مع مَدِّ الرجل اليسرى إلى الأمام وافتراش الرجل اليمنى. ابق في كل تمرين لحوالي ٢٠ ثانية.

١١- **تمرين الكوبرى ١:**

نم على بطنك مع مَدِّ رجليك ونصب قدميك.

ارفع بكامل جسمك من الأمام إلى الأعلى إلى أن تنتصب اليدان مع مراعاة رفع الرأس إلى الأعلى والإبقاء على الجزء السفلي من الجسم ملامسًا للأرض. ابق على هذا الوضع لحوالي ٢٠ ثانية ثم قم بإنزال جسمك إلى أن يلامس الأرض. كرِّر التمرين عدة مرات

تمرين الكوبرى ٢: كرِّر نفس التمرين السابق مع استبدال رفع الرأس إلى أعلى بإدارة رأسك إلى جهة اليمين والنظر إلى الوراء إلى أن تشاهد قدميك. ابق على هذا الوضع لحوالي ٢٠ ثانية. كرِّر التمرين مع إدارة رأسك هذه المرة إلى جهة اليسار.

١٢- **تمرين نهائي:** بعد أن تنتهي من التمارين السابقة انتصب قائمًا وقم بإدارة رأسك باتجاه عقارب الساعة وكأنك ترسم دائرة. كرِّر التمرين بعكس اتجاه عقارب الساعة. بعدها قم بالهرولة في مكانك لحوالي دقيقة مع نفض يديك. احنِ جسمك باتجاه الأمام وكأنك تركع للصلاة. كرِّر هذا التمرين بأكمله عدة مرات إلى أن تحس بارتخاء عضلات رقبتك وأطرافك.

المبحث الثالث:

الأعمال التطوعية التي تستهدف الأسرة

مقدمة

للأسرة وظائف كثيرةٌ ومتنوعة لا سيما أنها تُعنى بتنمية ورعاية جميع الجوانب الشخصية للإنسان في مختلف مراحل عمره. وعلى الرغم من اشتراك الأسرة المسلمة مع غيرها من الأُسَر في أداء بعض الوظائف التربوية؛ إلا أن للأُسرة المسلمة بعضًا من الوظائف التربوية المميزة التي من أبرزها ما يلي[1]:

- العمل على تزويد المجتمع المسلم بالذرية الصالحة التي تُحقق قوله صلى الله عليه وسلم: ((تزوجوا الولود الودود؛ فإني مُكاثرٌ بكم الأمم يوم القيامة))[2]، والتي تكون عاملًا قويًّا في تحقق واستمرار الحياة الأُسرية، وضمان استقرارها.
- تحقيق عوامل السكون النفسي والطمأنينة لجميع أفراد الأسرة؛ حتى تتم عملية تربيتهم في جوٍّ مُفعَمٍ بالسعادة بعيدًا عن القلق والتوتر والضياع، ويأتي ذلك تحقيقًا لقوله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[3].
- حُسن تربية الأبناء والقيام بواجب التنشئة الاجتماعية الإيجابية، والعمل على صيانة فطرتهم عن الانحراف والضلال، تحقيقًا لقوله صلى الله عليه وسلم: ((ما مِن مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه))[4].
- توفير مقومات التربية الإسلامية الصحيحة لأفراد الأسرة عن طريق العناية بمختلف الجوانب الشخصية للإنسان (روحيًّا، وعقليًّا، وجسديًّا)، والحرص على توازنها وتكاملها لما لذلك كله من الأثر الكبير في تشكيل وتكوين الشخصية المسلمة السوية، والعمل على تفاعلها وتكيفها مع ما حولها من المكونات، ومَن حولها من الكائنات بصورةٍ إيجابيةٍ ومستمرةٍ طول فترة الحياة .

---

(1) "المؤسسات التربوية في المجتمع": أبو النوف.

(2) أخرجه أبو داود والنسائي والبيهقي وغيرهم عن معقل بن يسار مرفوعا، وأحمد وسعيد بن منصور والطبراني في الأوسط والبيهقي وآخرين عن أنس، وصححه ابن حبان والحاكم.

(3) الآية ٢١ من سورة الروم.

(4) رواه البخاري (رقم ١٣٥٩)، كتاب الجنائز، باب إذا سلم الصبي فمات، ومسلم (رقم ٦٦٩٧)، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة.

- الحرص على توعية أعضاء الأسرة وخاصة الصغار منهم بكل نافعٍ ومفيد، والعمل على تصحيح مفاهيمهم المغلوطة، وحمايتهم من كل ما يُهدد سلامتهم وسلامة غيرهم، وتعليمهم الأخلاق الكريمة، والآداب الفاضلة، والعادات الحسنة.
- إكساب أعضاء الأسرة الخبرات الأساسية والمهارات الأولية اللازمة لتحقيق تكيفهم وتفاعلهم المطلوب مع الحياة، وإكسابهم الثقة بالنفس، والقدرة على التعامل مع الآخرين.

من هنا، فلا بُدَّ للواحد منا أن يهتم بأسرته كما يهتم بنفسه، كرد للجميل الذي يحصل عليه من قِبَلها، وإلا يصبح الشخص أنانيًّا. والمجالات التي يمكن للشخص خدمة أسرته من خلالها مفتوحة وواسعة، وسنتطرَّق في الفصول القادمة- بإذن الله- إلى نماذج من تلك الأعمال.

١- مقترحات لتوزيع المهام بين أفراد الأسرة

يمكن أن توزع المهام المختلفة للأسرة على أفرادها بشكل ثابت أو دوري، كأن يُوكَل أمر متابعة الدروس الأسبوعية إلى شخص معين، بينما يتولى إلقاء الدروس شخص آخر، ويتولى شؤون الميزانية شخصٌ ثالث، ويتكفل بشراء حاجيات المنزل شخص رابع، ويتكفل بإصلاح الأجهزة والأدوات شخصٌ خامس، ويتكفل بإعداد البرامج الثقافية الأخرى شخصٌ سادس، ويتكفل بوضع برنامج الرحلات شخصٌ سابع، ويتكفل بإعداد برنامج الزيارات العائلية شخصٌ ثامن، وهكذا يكون كل فرد في الأسرة قد قام بدوره.

ويمكن أن يتم تشكيل مجلسٍ لإدارة الأسرة (كما هو موضح في البرنامج التطبيقي رقم ٤) وتُوكَل المهام إلى كل فرد من أفراد الأسرة من خلال اللجنة التي يعمل فيها الشخص. وفي حالة أن عدد أفراد الأسرة المؤهلين للقيام بتلك الأدوار لا يكفي فيمكن أن يتولى الشخص الواحد عدة أدوار. إن مثل هذا التوزيع سيساعد على تنمية المواهب والمهارات لكل فرد من أفراد الأسرة، وفيه أيضًا تفعيل لهم وزيادة لترابطهم.

٢- الاجتماع الشهري

يُقتَرح أن يجتمع أفراد الأسرة ولو مرة واحدة في كل شهر لمناقشة شؤون الأسرة وما يستجد من قضايا تهم الأسرة ككل أو تهم بعض أفرادها. ويمكن أن يتولى رب الأسرة أو رئيس مجلس إدارة الأسرة أو مَن يفوضانه للإعداد لذلك الاجتماع بحيث يثمر النتائج المرجوة منه. وفي يوم الاجتماع يقوم جميع أفراد الأسرة بالمرور على جدول الأعمال نقطة نقطة إلى النهاية، وإن احتاجت الأسرة إلى وقت إضافي لإنهاء مناقشة بنود جدول الأعمال فيمكن الاجتماع مرة أخرى في وقت لاحق من ذلك اليوم أو في يوم آخر مع مراعاة عدم تأجيل الاجتماع التالي كثيرًا لكي لا يؤثر على جدول أعمال الشهر التالي. ويمكن أن يتضمن جدول الأعمال البنود التالية:

- الاستماع إلى تقرير بسَيْر العمل في الأسرة؛ إما من خلال الأفراد الموكل إليهم المهام المختلفة للأسرة، أو من خلال رؤساء اللجان، في حالة تشكيل مجلس إدارة للأسرة، على أن يقوم بتلاوة التقرير رئيس كل لجنة أو من ينوب عنه.
- مناقشة أية قضايا استجَدَّت، سواءً كانت تتعلق بأفراد مُعيَّنين في الأسرة أو بقضايا لها ارتباط بالأسرة بأكملها.
- فتح صندوق الاقتراحات (سيأتي تفصيلٌ عنه في فصل لاحقٍ بإذن الله) ومناقشة المواضيع التي تم تجميعها من خلاله.
- تكريم المتميِّزين في ذلك الشهر والذين تم تحديدهم من خلال تزكية رؤساء اللجان لهم أو من خلال تفوقهم في برنامج النقاط (سنذكره لاحقًا)، أو باستخدام وسائل أخرى. ويُحبَّذ أن يتم توزيع جوائز وشهادات تقدير للفائزين لكي تضفي على العمل الأُسَري نوعًا من الجدية والمصداقية والتحفيز.
- أية مواضيع أخرى يريد أفراد الأسرة مناقشتها.
- تحديد موعد الاجتماع القادم والبنود التي يُقترح مناقشتها فيه.

أسئلة وتمارين

- اذكر بعض الأسباب التي تجعلنا نهتم بأُسَرِنا.
- كيف يمكن أن يتم توزيع مهام النظافة والترتيب والصيانة في المنزل على أفراد الأسرة؟
- قم بوضع جدولٍ لتوزيع المهام المنزلية على أفراد أسرتك وناقش ذلك الجدول مع بقية أفراد الأسرة.

أعمال لخدمة الأسرة

١- الاعتناء بشؤون المنزل

من أولى الأعمال التي على كل واحدٍ منا القيام بها هي الاعتناء بشؤون المنزل من نظافة وترتيب وإصلاح، فالبيت- كما نعلم- هو جنة الإنسان في أرضه، وهو المقر الذي تسكن إليه نفسه، وفيه يوجد أحب الناس إليه، وفيه تنمو طموحاته وتتربى أفكاره وتتحقق أحلامه.

على كل واحد منا أن يُولي منزله اهتمامًا خاصًّا من ناحية النظافة، فلا يَدَع هذا الأمر مسؤولية الأم أو الخادمة فقط ويستنكف هو وبقية مَن في البيت عن القيام بذلك. كذلك فإن ترتيب وإصلاح ما يَعطُل في البيت من أجهزة وأدوات هي مهمة كل فرد من أفراده. وإذا كان رب الأسرة- في الغالب- هو مَن يقوم بكل ذلك، فلا يعني هذا أن يتخلى الإخوة والأولاد عن القيام بتلك المهمات.

ويمكن أن يتطوع شخصٌ من الأسرة كالابن أو الأب أو الأخت أو الزوجة بوضع برنامج أسبوعي للاعتناء بترتيب ونظافة مرافق البيت المختلفة، بحيث تكون نظافة كل جزء من أجزاء البيت موكلة إلى فرد من أفراد الأسرة، فمثلًا في هذا الأسبوع توكَل نظافة دورة المياه الفلانية إلى الشخص الفلاني ودورة المياه الأخرى إلى شخص آخر والمطبخ إلى شخص ثالث، وهكذا بالنسبة للصالة والفناء وغيرها من المرافق.

كذلك، فيمكن أن يتطوع أحد أفراد الأسرة بمتابعة تنفيذ البرنامج في كل أسبوع، ويمكن أن يكون من ضمن ذلك البرنامج الأُسَري اختيار أفضل شخص نشيط، أو اختيار أفضل ترتيب في المنزل. ويمكن للأسرة أن تقوم في كل شهر بتكريم من قام بالأعمال المختلفة.

هناك طريقة أخرى يمكن استخدامها لإشراك جميع أفراد الأسرة في أداء مهام المنزل، وذلك بوضع نقاط معينة لكل عمل يراد القيام به في البيت، كالنظافة والترتيب وإصلاح الأجهزة والمعدات والأدوات العاطلة وشراء حاجيات المنزل. بعدها، تترك هذه الأعمال كأنشطة تطوعية، بحيث يحصل

من يقوم بكل نشاط منها على النقاط المرصودة لذلك النشاط، وفي نهاية الشهر يقوم رب الأسرة أو مَن يتولى الإشراف على البرنامج الأسري بتكريم الشخص الذي حصل على أعلى الدرجات والذي يعني أنه قام بأكبر دور في الاهتمام بنظافة وترتيب وتوفير حاجيات المنزل.

ومن الأمور التي قد تحظى بإعجاب غالبية أفراد الأسرة هي إقامة معسكر لتنظيف وترتيب المنزل، حيث يمكن تحديد يوم معيَّن كل عدة أشهر لإقامة مثل هذا المعسكر. وفي هذا اليوم يتم توزيع مهام التنظيف والترتيب على أفراد الأسرة بحسب قدراتهم وأعمارهم، بحيث يشارك جميع أفراد الأسرة في هذه الفعالية. ويمكن أن يستغرق المعسكر فترة الصباح فقط، ويمكن أن يمتدَّ ليوم كامل. كذلك فيمكن أن يتخلَّل المعسكر فقرات ترويحية كتناول وجبة غداء مميَّزة، أو غير ذلك مما تراه الأسرة أمرًا مميَّزًا.

٢- إدارة ميزانية الأسرة

من الأمور الأخرى التي يمكن القيام بها هو وضع خطة سنوية أو خمسية لتسيير شؤون الأسرة والميزانية المتعلقة بتلك الخطة، بحيث يتعاون رب الأسرة مع الإخوة والأخوات والزوجة والأبناء وأفراد الأسرة الآخرين على وضع جدولٍ زمني لشراء الأجهزة والأدوات والحاجيات الأخرى التي تحتاج لها الأسرة كالكتب والأشرطة وأجهزة الفيديو والكمبيوتر. ويُدرَج في الخطة أيضًا برنامج للرحلات العائلية التي يمكن للأسرة القيام بها، سواءً كانت تلك الرحلات داخل المنطقة التي تعيش فيها الأسرة أو خارجها.

ومن الأمور الأخرى التي قد تحتويها الخطة هي وضع جدول زمني لإجراء الإصلاحات أو التحسينات على المرافق الموجودة أو لبناء مرافق جديدة. كذلك، فيجب أن يرافق كل بند من بنود الخطة الميزانية المقترحة لتحقيق ذلك البند.

وبعد أن تكتمل الخطة فعلى أفراد الأسرة جميعًا أن يتعاونوا على مراجعتها والميزانية المصاحبة لها، ثم يُوكَل إلى أحد أفراد الأسرة متابعة تنفيذ الخطة ومراجعتها مع الأسرة بشكلٍ دوري، كأن يجتمع أفراد الأسرة مثلًا في كل شهر أو في كل عدة أشهر- حسب الاتفاق- ويقومون بمناقشة الأمور التي تم

تنفيذها والأخرى التي استجدَّت منذ آخر اجتماع لهم، واقتراح ما تستدعيه الظروف من تعديل في الخطة والميزانية.

٣- وضع صندوق للاقتراحات

من الأمور الأخرى التي قد تُعين على ترابط الأسرة هي إنشاء صندوق للاقتراحات، بحيث يتاح المجال لجميع أفراد الأسرة لاقتراح ما يروه مناسبًا لتحسين جوِّ الأسرة وزيادة الترابط والفاعلية بين أفراده. وفي الاجتماع الدوري للأسرة يقوم رب الأسرة أو مَن يُوكَل إليه أمر الصندوق بفتح الصندوق وقراءة الاقتراحات، ثم مناقشة الاقتراحات ووضع خطة لتنفيذ المفيد منها.

٤- وضع صندوق للتبرعات

من الجوانب الأخرى التي قد تزيد من فاعلية الأسرة وتقوي الصلة بين أفرادها هي تكوين صندوق للتبرعات، والذي قد يكون لاستخدام الأسرة نفسها كإقراض أفراد الأسرة عندما يقع أحدهم في ضائقة مالية أو يحتاج إلى مبالغ لشراء شيءٍ من أموره الشخصية. ويمكن أن يُستَخدم الصندوق أيضًا لمساعدة الفقراء في المحيط الذي تقطن فيه الأسرة أو لإرسال المبالغ التي تتجمع فيه إلى إحدى مؤسسات الإغاثة أو للمساعدة في ترميم مسجد أو في إنشاء مكتبة في أحد المساجد أو لشراء مصاحف وتوزيعها على مساجد الحيِّ. ويمكن للأسرة أن تقوم في الاجتماع الدوري لها بتحديد الأوجه المناسبة التي يمكن أن تستفيد من المبالغ المتجمعة في الصندوق.

أسئلة وتمارين
▪ اقترح وناقش مع أفراد أسرتك إقامة معسكر لترتيب وصيانة منزلكم والمرافق الملحقة به. شاركوا جميعًا في وضع برنامج مناسب لهذا المعسكر وبادروا إلى تفعيله ولو مرة واحدة في كل عام، وخاصة في الإجازة الصيفية. ▪ كيف يمكن لأفراد الأسرة أن يستمتعوا بحياة طيبة خالية من المشاكل والديون؟ ▪ ناقش مع أفراد أسرتك ميزانية الأسرة وضعوا خطة عملية لتحديد البنود التي ينبغي أن تُصرَف فيها.

أسئلة وتمارين
▪ ناقش مع أفراد أسرتك وضع صندوق للاقتراحات وآخر للتبرعات. لا تنسوا أن تقوموا باختيار شخصٍ ما في الأسرة للإشراف على كل صندوق.

أعمال لتحسين صورة الأسرة في المجتمع

إن تميُّز أُسْرة ما على غيرها من أُسَر المجتمع يحتاج إلى تضافر كل أفرادها؛ فشهرة الأسرة في المجتمع إنما تكون لتميُّز مجموعة من أفرادها بخصالٍ يراها المجتمع خصالًا حميدة. لهذا، فلا يكفي أن يكون فردٌ واحدٌ في الأسرة متميِّزًا وإنما على ذلك الفرد أن يعمل جهده على الارتقاء ببقية أفراد أسرته إلى مستوى التميُّز الذي وصل هو إليه. وهناك العديد من المجالات التي يمكن للأسرة أن تتميَّز فيها في المجتمع؛ فهناك من الأُسَر التي اشتهرت بصلاحها، وهناك الأُسَر التي اشتهرت بكرمها أو ثقافتها أو تكاتف أبنائها أو بخدمتها للمجتمع أو بغيرها من الجوانب. وفيما يلي سنتطرق- بإذن الله- إلى بعض الأمور التي ستعين الأُسْرة على التميُّز:

١- الارتقاء بالمستوى الإيماني للأسرة

على الأسرة التي تحرص على أن تظهر في المجتمع بصورة متميِّزة أن تقوم أولًا بتحسين علاقتها بربها وذلك من خلال التقيُّد بمنهجه عزَّ وجل والسَّيْر على طريق نبيه محمد- صلى الله عليه وسلم-. وهناك أعمال كثيرة يمكن للأسرة القيام بها في هذا المضمار. مثلًا، يمكن للأسرة ترتيب صيام جماعي لكل أفراد الأسرة القادرين لبعض الأيام التي يستحب فيها الصيام كالسِّت الأيام من شوال أو يوم عرفة أو العاشر من محرم (يوم عاشوراء) أو يومي الاثنين والخميس. وعند صيام مثل هذه الأيام فعلى الأسرة أن تُرتِّب إفطارًا متميِّزًا، بحيث يتذكره جميع أفراد الأسرة، مما قد يشجعهم على المشاركة في الصوم الجماعي مستقبلًا.

ويمكن للأسرة أيضًا أن ترتب قيام ليلٍ ولو لمرة واحدة في كل عدة أشهر، بحيث تحيي الأسرة ليلة بأكملها كليلة الجمعة، ويتخلَّلها تقديم وجبة متميِّزة للعشاء لتشجيع أفراد الأسرة- وخاصة الصغار منهم- على المشاركة. وتقوم الأسرة بإحياء تلك الليلة حسب برنامج مُعدٍّ لذلك، كأن يحتوي على قراءة للقرآن ودروس قصيرة وصلاة للنوافل والأدعية. وعند منتصف الليل تقوم الأسرة بتناول وجبة العشاء الشهية، ثم بعد ذلك مَن أراد النوم كالأطفال أو مَن كان ليس باستطاعته مواصلة قيام تلك

الليلة فلينَم. أما بالنسبة للراغبين في المواصلة فيمكنهم إكمال تلك الليلة في الذِّكر وصلوات النوافل وقراءة القرآن، وبذلك تكون تلك الليلة متميزة بالنسبة للأسرة.

٢- الارتقاء بالمستوى الثقافي والعلمي للأسرة

إن الأُسَر المسلمة اليوم تواجه الكثير من التحديات فيما يتعلق بالثقافة والفكر. من ذلك ما تجده الأسرة من تأثر أبنائها بما يقرؤون أو يشاهدون أو يسمعون عبر وسائل الإعلام المختلفة، ومِن تَمَثُّلهم لبعض القيم التي قد لا ترضى عنها الأسرة في كثير من الأحيان، وتكون النتيجة أن ما تغرسه الأسرة من قيم أخلاقية تقتلعه تلك الوسائط الأخرى. والحقيقة أن هناك اتجاهين في مواجهة ما يفد إلينا عبر وسائل الإعلام[1]:

أحدها: يتنكر لكل ما يأتي إلينا سواءً اتفق مع شريعتنا أم اختلف معها، وحجة القائلين به أنه في عالم الاقتصاد لا يلجأ الفرد إلى الاستدانة ما دام له رصيد مذخور، والمسلمون لديهم تراث حضاري هائل حتى في العلوم الطبيعية التي استفادت منها النهضة الأوروبية، ويستدلون على ذلك بأن العرب قبل الإسلام كانوا أمة متأخرة فلما جاء الإسلام تقدموا به وجعلهم سادة، فإن أرادوا العزة بغيره أذلهم الله.

ويرى أصحاب هذا الرأي أن ما لدى غيرنا من قيم هي في الغالب تتنافى مع ديننا؛ فمنها ما ينظر إلى الحياة على أنها هي الوجود البشري كله فلا بعث ولا حساب ولا جزاء، فماذا نستفيد من قيم هؤلاء ؟!

أما الرأي الثاني: فعلى عكس الرأي الأول؛ إذ يرى أن نفتح نوافذ المعرفة على كل اتجاه، ونتعرف على كل جديد، ونزن هذا بميزان الشرع والعقيدة، فما تعارف معها قبلناه، وما تناكر معها رفضناه، وحجة القائلين بهذا الرأي أن العلم لا دين له ولا وطن، والمعرفة ليست مِلكًا لدولة ولا حكرًا على أمة، وإنما هي للبشرية كلها، فمن انتفع بقانون "أرخميدس" لم يصبح يونانيًّا، ومن اقتبس نظريات جابر بن حيان والخوارزمي وابن سينا والرازي لم يصبح عربيًّا مسلمًا، ومن اقتبس قانون الجاذبية لنيوتن لم يصبح انجليزيًّا.

---

(1) "المؤسسات التربوية في المجتمع": أبو النوف.

والحقيقة أن هذا الموضوع يتطلب الوعي الكامل على مستوى الأسرة، بل على مستوى الدولة كذلك، فهذه الوسائل التي تحمل إلينا أفكار غيرنا إنما نحن الذين نملكها ونتحكم فيها، وهي أدوات وأجهزة نأخذ منها ما نريد وندع ما نريد، فلا يجب أن تتحكم فينا، بل علينا نحن أن نتحكم فيها، ونربي أبناءنا على ذلك، فلا نرى أو نسمع إلا ما نريده، والمعيار في ذلك هو ميزان عقيدتنا، وذلك لأن الإسلام ليس منفصلًا عن الحياة، والاعتقاد بأن الدين شيء والحياة شيء آخر يفضي بأجيالنا إلى حياة ليست فيها أية علامات تدل على احترامهم لشرائع الله أو إذعانهم لمشيئته.

من أجل هذا، فإن على كل واحدٍ منا أن يتعاون مع أفراد أسرته لوقاية الأسرة مما يمكن أن يغير مسيرتها الإيمانية وهويتها الثقافية. ولا بُدَّ للأسرة من أن تضع لها برنامجًا ثقافيًّا وعلميًّا، يضمن لأفرادها الاستفادة ويتيح لهم القدرة على تنمية مواهبهم وقدراتهم. ويمكن أن يتكون هذا البرنامج من درس أسبوعي يناط به لواحدٍ أو أكثر من أفراد الأسرة؛ إما بحسب السِّن أو المستوى العلمي، وإما عن طريق الاقتراع.

وفي موعد تقديم الدرس يجتمع أفراد الأسرة ويقوم الذي عليه الدور بإلقاء درسه، وحبَّذا لو يقوم الملقي للدرس بطرح أسئلة على بقية أفراد الأسرة ويوزع جوائز أو هدايا بسيطة على الفائزين منهم، سواءً بعد الدرس مباشرة أو في الاجتماع الشهري للأسرة. وليس بالضرورة أن تكون الدروس في أمور الشريعة وإنما يتم تنويعها بحيث تشمل دروسًا في الثقافة العامة كأحوال الأمم والشعوب وفي التاريخ واللغة، بالإضافة إلى مسابقات ثقافية ودورات مبسطة في المهارات. إن لمثل هذه الدروس دورٌ فعال في رفع المستوى الثقافي والعلمي لأفراد الأسرة وفي تنمية المهارات المختلفة لديهم كفنِّ الإلقاء والمحاورة والتحضير للدروس. وينبغي أن يتم اختيار موعد الدرس بعناية بحيث لا يتم عرقلته بسبب المتصلين بالهاتف أو الزوار.

من الأمور الأخرى التي من شأنها رفع المستوى الثقافي والعلمي للأسرة هو التعاون على إنشاء مكتبة مصغرة في المنزل، بحيث تحتوي على الكتب والأشرطة السمعية والمرئية، وبحيث يتم رصد مبلغ معين في كل عام لشراء كتب وأشرطة جديدة لها من خلال معارض الكتب والأشرطة التي تقام في داخل الدولة أو في الدول المجاورة. ويجب مراعاة أن تكون هذه الكتب والأشرطة مناسبة لأفراد الأسرة ككل، بحيث تكون هناك كتب مناسبة للأطفال، وكتب مناسبة للكبار، وكتب متعلقة بعامة أفراد

الأسرة. كذلك فيجب أن تكون هناك أشرطة للمحاضرات وأشرطة أخرى للأناشيد لاستخدامها في الرحلات التي تقوم بها الأسرة أو للاستماع إليها في المنزل. ويمكن للأفراد المثقفين في الأسرة اختيار الكتب والأشرطة المناسبة أو على الأقل اقتراح الكتب والأشرطة ومناقشتها مع بقية أفراد الأسرة.

والجدير بالذكر أنه مع تقدُّم التكنولوجيا فقد أصبحت الكتب الإلكترونية والملفات الصوتية والمرئية في متناول غالبية الناس، سواءً كان باستخدام الهواتف النقالة أو من خلال مواقع الإنترنت المتخصصة لذلك الغرض. وفي حالة رغبة الأسرة في استخدام الملفات الرقمية بدلًا من الكتب المطبوعة والأشرطة المسجلة فإنه يمكن للأسرة الاستعاضة عن المكتبة التقليدية بجهاز حاسوب ذي سعة تخزين عالية، ويتم ملؤه بما يفيد الأسرة من كتب ومقالات ومحاضرات وأناشيد سمعية أو مرئية. لكنه يجب التنبيه إلى أنه إلى وقت كتابة هذه الأسطر فإن الحاجة إلى الكتاب المطبوع ما زالت قائمة لدى هواة القراءة وطلاب العلم. أما الأشرطة التقليدية فقد كادت أن تصير في خبر كان.

٣- الارتقاء بالمستوى المالي للأسرة

ويمكن لأفراد الأسرة أيضًا القيام بمشاريع تجارية مشتركة ولو كانت بسيطة. فمثلًا يمكن للأسرة أن تفتح محلات تجارية أو أن تشتري متجرًا أو منزلًا أو شيئًا من العقارات الأخرى وتقوم بتأجيره ليُوفِّر مصدر دخل للأسرة بأكملها. وفي الغالب فإنه إذا كان في الأسرة عدة أشخاص يعملون في وظائف فإنه يمكنهم بهذه الطريقة توفير رواتبهم عن طريق ما يقومون به من مشاريع استثمارية.

أيضًا، يمكن إنشاء جمعيات تعاونية مالية، بحيث تراعى فيها الحالات الاضطرارية لأفراد الأسرة كالزواج أو الدراسة أو الرغبة في شراء سيارات أو عقارات، أو بناء منازل، أو غير ذلك، فيمكن إعانتهم من هذا الصندوق.

٤- برنامج لتبادل الزيارات مع الأقارب

من الأمور التي لا بُدَّ لها لكل أسرة هي وضع برنامج لزيارة الأقارب وصلة الأرحام؛ حيث أنه- في كثير من الأحيان- ينشأ الأطفال وهم لا يعرفون أقاربهم، وذلك لقلة زيارات الآباء لهؤلاء الأقارب أو

لقيام الآباء بزيارة أولئك الأقارب بدون اصطحاب أطفالهم معهم مما يجعل الأطفال ينشؤون وهم لا يعرفون أقاربهم وقد يأثمون بسبب قطع رحمهم. لذلك، فعلى أفراد الأسرة أن يتنبهوا لهذا الأمر وأن يتداركوا الوقوع فيه وذلك من خلال وضع برنامج لهذه الزيارات.

٥- الارتقاء بالمستوى الاجتماعي للأسرة

وتحتاج الأسرة أيضًا أن تقوم بإعداد برامج ترفيهية بين الحين والآخر. فمثلًا في فترة المناسبات، كعيد الفطر أو الأضحى أو المولد النبوي أو الإسراء والمعراج، يتكفل شخص أو عدة أشخاص من أفراد الأسرة بوضع مهرجان مصغَّر إن صح التعبير، بحيث يُعدُّ لذلك برنامجًا خاصًّا تتخلله مسابقات ثقافية ورياضية، ويساهم فيه الجمهور ببعض الفقرات. ونقصد بالجمهور هنا بقية أفراد الأسرة الذين لم يشاركوا في إعداد المهرجان أو الأقارب الذين يتم دعوتهم لحضور هذا الاحتفال المصغر، إن شاءت الأسرة ذلك.

ويمكن أن يتخلَّل هذا المهرجان بوفيه مفتوح تستطيع الأسرة من خلاله الاستمتاع بأكلات شهية ويكون له دور متميز في تذكُّر تلك المناسبة. ويمكن أن يتخلل فقرات المهرجان أو في نهايته فقرة يتم فيها توزيع الجوائز والهدايا وتكريم الذين ساهموا بإقامة ذلك الحفل أو قاموا بأنشطة متميزة في الأسرة. ويفضل أن يكون هناك تصوير بالفيديو- أو على الأقل بالصور الفوتوغرافية- لتبقى ذكريات هذه المناسبة لسنوات قادمة.

٦- توثيق ما يحدث في الأسرة بالصوت والصورة

وعلى ذكر التصوير فإنه يفضل أيضًا أن يقوم شخص في الأسرة بعمل ألبوم يحتوي على صور لجميع المناسبات والذكريات التي تمر بها الأسرة، وخاصة عندما تُرزَق الأسرة بمولود جديد أو عندما يتخرج أحد أبنائها من الثانوية أو الجامعة أو يقوم أحد أفرادها بالزواج أو حتى الحصول على رخصة قيادة. كذلك، فيمكن أيضًا تصوير الزيارات التي تقوم بها الأسرة لغيرها من الأُسَر أو عندما يزور الأسرة آخرون سواءً كانوا من الأقارب أو كانوا أناسًا مهمين للأسرة.

ومن خلال تلك الصور والألبومات تستطيع الأسرة الاحتفاظ بالذكريات التي تمر بها ليتسنى للصغار والكبار متابعة تلك الأحداث في المستقبل. ويمكن الآن- ومع توفر الكاميرات الرقمية- استخدام أجهزة الحواسيب والألبومات الرقمية للاحتفاظ بما يتم تصويره من فعاليات وزيارات، مما يوفر على الأسرة الكثير من الجهد والمال.

٧- إنشاء موقع على الإنترنت لخدمة الأسرة

ومع انتشار الخدمات الرقمية واتساعها بات من الضروري أن يكون لكل أسرة وجود على شبكة الإنترنت، سواءً كان من خلال موقع خاص للأسرة أو من خلال مجموعة حوار خاصة. ويمكن لهذا الموقع أو مجموعة الحوار أن يحتويان على إنتاجات الأسرة من كتابات وتلخيصات وأفكار جديدة، وما يحصلون عليه أثناء تصفحهم لمواقع الإنترنت أو مجموعات الحوار من معلومات، أو تلخيص لما يقرؤونه من كتب ومقالات، أو ما يستمعون إليه أو يشاهدونه من محاضرات أو مقاطع الفيديو. كذلك، فيمكن لهذا الموقع أو مجموعة الحوار أن يحتويان على ألبوم للصور أو مقاطع الفيديو العائلية، مع مراعاة ضرورة حماية هذه الصور بكلمات مرور خاصة بالأسرة خشية أن يقوم شخص من خارج الأسرة بالوصول إليها.

٨- القيام برحلات أُسَرية

يمكن للأسرة ترتيب رحلات في داخل المحيط أو المنطقة التي تقطن فيها، أو رحلات إلى مناطق أخرى في البلاد التي يسكنونها للتعرُّف على المناطق السياحية أو الأثرية المعروفة في بلادهم. ويمكن كذلك ترتيب رحلات إلى إحدى الدول المجاورة، كرحلات للعمرة أو الحج أو رحلات لزيارة الأصدقاء أو الأقارب الذين يعيشون في تلك البلدان.

وللرحلات العائلية الكثير من الفوائد التي ستعود- بإذن الله- على جميع أفراد الأسرة. نذكر من هذه الفوائد ما يلي[1]:

- التعلم الذاتي، وذلك بزيارة الأماكن التاريخية ومعرفة ثقافات الشعوب وأساليب عيشها.

(1) "الرحلات العائلية": موقع "جنة السعودية".

- تقوية الروابط الأسرية بين الأب وأبنائه.
- فرصة للابتعاد عن وسائل الترفيه الضارة، كالتلفاز والإنترنت وغيرها.
- تعويد الأبناء على تحمل المسؤولية، وذلك بتكليفهم ببعض المهام.
- التفكر في عظمة الخالق عند زيارة الأماكن الغريبة، وكذلك عند زيارة المنتزهات والحدائق.
- تعويد أفراد الأسرة جميعًا، وخاصة الأطفال، على النظام والنظافة والآداب الحسنة.
- معرفة مدى نعمة الله على العبد، وذلك بزيارة الأماكن الفقيرة.
- معرفة خصائص وصفات أفراد الأسرة؛ فمنهم الكسول فيُنَبَّه، ومنهم النشيط فيُوَجَّه.

وصدق الإمام الشافعي حين قال :

تَغَرَّب عَنِ الأَوطانِ في طَلَبِ العُلا وَسافِر فَفي الأَسفارِ خَمسُ فَوائِدِ
تَفَرُّجُ هَمٍّ وَاكتِسابُ مَعيشَةٍ وَعِلمٌ وَآدابٌ وَصُحبَةُ ماجِدِ

وعندما ترغب الأسرة في الخروج في رحلة، يتطوع بعض أفرادها- وبالتشاور مع الآخرين- في إعداد برنامج للرحلة، ورصد تكاليفها المتوقعة، ثم إعداد خطة مناسبة لها يستفيد من خلالها ويستمتع منها جميع أفراد الأسرة. ولكي تؤتي الرحلات ثمارها، فيجب مراعاة النقاط التالية[1]:

- وضع هدف للرحلة.
- إعداد برنامج كامل للرحلة، مع المرونة في ذلك. كذلك، فعند إعداد البرنامج لا بُدَّ من مراعاة التنوع في البرامج، وذلك بتخصيص أوقات للبرامج الجدية، وأوقات لبرامج التسلية المباحة، وأوقات للتنزه، كي لا يطغى على الرحلة الجانب الترفيهي فقط.
- الاستعداد الجيد للرحلة، من جميع النواحي، سواء المادية، أو الشرعية، أو الثقافية، أو الرياضية، أو الأدوات والتجهيزات الأساسية، كالسيارة ومستلزمات الطبخ وغيرها.
- توزيع المهام بين المشاركين، كلٍّ حسب ميوله.
- مشاركة الأبناء في إعداد البرنامج، لتعويدهم على التخطيط، ولزيادة تفاعلهم معه.

(1) المصدر السابق.

وقبل موعد الرحلة بيوم أو أكثر يجتمع المشاركون في الرحلة ويقومون باختيار أمير لها. بعدها، يتولى الأمير مناقشة البرنامج المقترح للرحلة مع الأعضاء المشاركين، وتوزيع فقرات البرنامج عليهم، ثم توزيع مستلزمات الرحلة بينهم. كذلك، يقوم الأمير- إن استدعى الأمر- بالتشاور مع المشاركين لتقسيمهم إلى لجان تعنى بالنظافة أو التغذية أو النظام، وتحديد مسؤولي وأعضاء كل لجنة.

يوضح البرنامج التطبيقي رقم (٣) نموذجًا لمتطلبات رحلة خلوية سواءً كانت من المواد التي يحتاج أفراد الأسرة لاصطحابها معهم أو لبرنامج الرحلة نفسه.

أسئلة وتمارين

- كيف يمكن لأسرة أن تصبح متميِّزة على مستوى المجتمع؟
- تحدَّث عن بعض الأساليب التي يمكن أن تسير عليها الأُسَر لتصل إلى درجة التميُّز في الجانب الإيماني.
- تعاون مع بعض أفراد أسرتك لوضع برنامج متكامل لقيام إحدى الليالي أو لإحياء بعض الليالي أو الأيام المعروفة كليلة القدر أو يوم عرفة.
- هل توجد مكتبة في بيتك؟ إذا كانت لا توجد عندكم مكتبة فاطرح موضوع إنشاء مكتبة منزلية على بقية أفراد أسرتك وضعوا خطة وميزانية لإنشائها وتسييرها بما يخدم جميع أفراد الأسرة. أما إذا كانت المكتبة موجودة فناقش مع أفراد أسرتك وسائل لتطويرها وتحسينها من الناحية الجمالية ومن ناحية نوعية وعدد الكتب والمواد الأخرى التي تحتويها. كذلك، قم وبعض أفراد أسرتك بوضع برامج تثقيفية تستفيد مما في المكتبة من مواد.
- ناقش مع بقية أفراد الأسرة موضوع إقامة دروس أسبوعية تثقيفية وضعوا جدولًا لشهرٍ واحدٍ على الأقل تتضح فيه الأدوار التي على أفراد الأسرة القيام بها فيما يتعلق بإعداد وتقديم الدروس.
- ناقش مع أفراد أسرتك وضع برنامج لزيارة الأقارب والأرحام وحاولوا إشراك جميع أفراد الأسرة فيه وذلك بأن يوكل أمر كل زيارة وما تستدعيه من اتصالات وترتيبات إلى أحد أفراد الأسرة.
- فكر في المناسبات الدينية والاجتماعية التي تقام في محيطك. رتِّب مع بعض أفراد أسرتك وضع برنامج ترفيهي أو مهرجان مصغر لإحياء تلك المناسبات في حيِّز أسرتك.

أسئلة وتمارين

- تعاون مع بعض أفراد أسرتك على وضع تصميم لموقع على شبكة الإنترنت يخدم أفراد الأسرة. بعد الانتهاء من إعداد التصميم أوكِلوا أمر إنشائه إلى أحد أفراد الأسرة إذا كان في الأسرة من يجيد إنشاء مواقع على شبكة المعلومات، أو قوموا بالتعاقد مع أفراد من خارج الأسرة أو مؤسسات متخصِّصة في إنشاء المواقع. بعد اكتمال الموقع قم بتشجيع أفراد الأسرة على ارتياد الموقع وتفعيله بالمشاركات والاقتراحات.

برنامج تطبيقي رقم (٣):

إعداد مستلزمات رحلة خلوية

يستخدم مصطلح "الرحلة الخلوية" عادة للرحلات الكشفية التي تخرج من دائرة السكنى إلى الفضاء، ولكنا سنستخدمها هنا لأية رحلة كانت- عائلية أو شبابية أو كشفية- تتيح للمشترك فيها الخروج من منطقته التي تعوَّد العيش فيها إلى منطقة أخرى. والرحلات الخلوية وسيلة لإراحة النفوس وإسعادها، وترابط القلوب وتآلفها، وهي أيضًا دورة علمية وعملية يمكن أن تؤتي ثمارها إن تم التخطيط والإعداد لها بعناية. ونجاح هذه الرحلات يستلزم مساهمة جميع المشاركين فيها في الإعداد والتنفيذ. ويجب عند إعداد مستلزمات وبرنامج الرحلة مراعاة أحوال المشاركين، من حيث أعمارهم ومستوياتهم العلمية والثقافية، بحيث لا يوضع برنامج الرحلة للكبار ويغفل الأطفال، أو يتم مراعاة الرجال ولا يستفيد منها النساء. كذلك، فإذا كانت الرحلة تشمل الرجال والنساء، فيجب مراعاة أمور الحجاب والاختلاط، سواءً في الحافلة أو في مكان الرحلة.

في الصفحات التالية سنسرد بعض الاقتراحات لمستلزمات وبرنامج الرحلة. نفترض هنا أن تكون الرحلة ليوم واحد وبدون مبيت، وأنها لمسافات قصيرة بحيث لا تزيد المسافة بين المنزل ومكان الرحلة عن مائة كيلومتر. كذلك، سنفترض أن المشاركين في الرحلة قد لا يكونون من أسرة واحدة. نقترح بأن يتم عقد اجتماع تحضيري للرحلة، وأن يكون قبل موعد الرحلة بعدة أيام، ليتسنى تحضير مستلزمات الرحلة وفقرات برنامجها. ولا يلزم أن يحضر جميع المشاركين لهذا الاجتماع، وخاصة النساء والأطفال. وإذا تكفَّل بعض المشاركين بدور الترتيب والإعداد للرحلة، فليس من الضروري حضور بقية المشاركين. ويقترح أن يتم في هذا الاجتماع اختيار أمير للرحلة، ويتم كذلك توزيع المستلزمات والمهام بين المشاركين. وفي حالة فرض رسوم على المشاركين في الرحلة، فيتم تحصيلها في هذا الاجتماع، ليتسنى لأمير الرحلة تصريفها لتجهيز الحافلة، وشراء مستلزمات الرحلة.

أولًا: مستلزمات الرحلة:

يتم توزيع مستلزمات الرحلة على المشاركين بطريقة يتم الاتفاق عليها في الاجتماع التحضيري، على أن يتحمل كل واحد من المشاركين شراء المواد التي عليه إحضارها، أو يقوم بدفع مبلغ معيَّن لتغطية تكلفة المواد. ويقوم أمير الرحلة، الذي تم اختياره في الاجتماع التحضيري، بمتابعة الأشخاص والتأكد من أنهم قادرون على توفير مستلزمات الرحلة قبل موعد المغادرة. تعطي القائمة التالية فقط نماذج لما يمكن أخذه في الرحلة من مستلزمات.

١- **مستلزمات عامة** (صابون، محارم، ماء للشرب، ماء للغسيل، صحون، جوائز للفائزين في المسابقات الثقافية والرياضية).

٢- **مستلزمات الطوارئ والإسعافات الأولية** (مصباح كهربائي، وصلة لسحب السيارة، وصلة تحفيز البطارية، أدوات فك وتوصيل، مسكِّن للأوجاع، ضمادات للجروح).

٣- **مستلزمات الفقرات الثقافية والترفيهية** (مصاحف، كتيبات وقصص للقراءة، أشرطة أناشيد ومحاضرات، كتب وبطاقات سين/جيم للمسابقة الثقافية، دفاتر وأقلام).

٤- **مستلزمات الفقرات الرياضية** (كرات للعب، ملابس رياضية، أحذية رياضية، أدوات وملابس للسباحة، مستلزمات المسابقة الرياضية).

٥- **مستلزمات الطهي والشواء.**

٦- **مستلزمات فقرات التغذية والغداء.**

ثانيًا: برنامج الرحلة:

يتم تحديد فقرات برنامج الرحلة والأشخاص المسؤولين عنها في الاجتماع التحضيري للرحلة، وعلى أمير الرحلة أن يتأكد من قيام كل شخص بتحضير الفقرات المناطة به قبل موعد الرحلة، وكذلك الإشراف على تنفيذ فقرات البرنامج أثناء الرحلة. يمكن الاستفادة من الاستمارات التالية لإعداد برنامج مناسب للرحلة.

قبل الإقلاع:

المهمة	الوقت	الأشخاص المسؤولون عنها
وصول الحافلة التي ستقل المشاركين في الرحلة		
فحص الحافلة للتأكد من صلاحيتها للرحلة		
تجمُّع المشاركين في الرحلة في مكان الإقلاع		
تحميل وترتيب مستلزمات الرحلة داخل الحافلة		
ركوب المشاركين في الحافلة		

بعد الإقلاع مباشرة:

المهمة	الوقت	الأشخاص المسؤولون عنها
الإقلاع		
دعاء الركوب		

من مكان الإقلاع إلى مكان الرحلة:

المهمة	الوقت	الأشخاص المسؤولون عنها
الافتتاح بالقرآن الكريم		
كلمة أمير الرحلة		
فقرة ترفيهية [١]		
فقرة ثقافية [٢]		
فقرة تغذية [٣]		
فقرات إضافية [٤]		

(1) أناشيد أو طرائف أو قصص. وقبل البدء في هذه الفقرة، فعلى أمير الرحلة أن يتأكد من أن الجميع قد أفطروا، إذا كانت الرحلة تبدأ من الصباح الباكر، وخاصة إذا كان في الرحلة أطفال. كذلك، فيمكن أن تخصص هذه الفقرة لقراءة شيء من القرآن، على أن يشارك في التلاوة جميع مَن في الرحلة من الرجال والنساء، على أن يشكل الرجال حلقة تلاوة خاصة بهم، وتشكل النساء حلقة تلاوة خاصة بهن، مع ملاحظة أن تكون التلاوة عند النساء بصوت منخفض لا يسمعه الرجال.

(2) مسابقة ثقافية أو مناظرة شعرية أو كلمات قصيرة.

(3) تناول بعض المرطبات والكعك، أو تناول وجبة إفطار كاملة، إذا تم الاتفاق على ذلك من قبل.

(4) إذا قام أعضاء في الرحلة بإعداد فقرات معينة فيمكن إدراجها هنا. أما إذا لم تكن هناك فقرات إضافية وبقيت مسافة إلى مكان الرحلة فيمكن تغطية ذلك الوقت بواحدة أو أكثر من الفقرات الترفيهية أو الثقافية أو فقرات التغذية.

من الوصول إلى المغادرة:

المهمة	الوقت	الأشخاص المسؤولون عنها
تنظيف المكان		
حمل الأمتعة من السيارة إلى مكان التجمُّع		
كلمة أمير الرحلة		
تقسيم الأشخاص إلى مجموعات		
فقرة ثقافية [١]		
فقرة ترفيهية [٢]		
فقرة تغذية [٣]		
فقرات أخرى [٤]		
فقرة إعداد الغداء [٥]		
فقرة الصلاة [٦]		
فقرة تناول الغداء والنظافة [٧]		
فقرة استراحة وترفيه [٨]		

(1) درس قصير أو مسابقة ثقافية أو دورة مبسطة بحيث لا تزيد مدة الفقرة عن ساعة واحدة.

(2) أناشيد أو طرائف أو قصص أو مسابقات ميدانية كالبحث عن الكنز أو شد الحبل أو مسابقات شرب العصائر. كذلك يمكن تخصيص الفقرة لممارسة رياضة معينة ككرة القدم أو كرة الطائرة أو السباحة (إذا كانت الرحلة بالقرب من مكان مناسب للسباحة كبحر أو نهرٍ أو وادٍ).

(3) يمكن تخصيص هذه الفقرة لتناول القهوة والشاي والعصائر وقد تحتوي على وجبة خفيفة من الساندويشات والعصائر.

(4) إذا كان هناك متسع من الوقت إلى أن يحين وقت الغداء، فيمكن ملؤه بفقرات ثقافية أو ترفيهية. كذلك، فيمكن تخصيص وقت مفتوح يستطيع من خلاله المشاركون في الرحلة أن يقضوه إما في التجوُّل في المنطقة أو في أخذ قسط من الراحة، أو في أي نشاط يتوافق مع آداب الرحلة.

(5) تقوم اللجنة المسؤولة عن التغذية بإعداد الغداء، ويمكن لبقية المشاركين أن يقضوا هذا الوقت فيما هو نافع ومفيد، حسبما يراه أمير الرحلة مناسبًا.

(6) يطلب أمير الرحلة من أحد المشاركين الأذان لصلاة الظهر، ثم يؤم الصلاة أمير الرحلة أو من يطلب منه الأمير ذلك. ويمكن بعد الصلاة أن يقوم الأمير بإلقاء خاطرة قصيرة، وحبَّذا لو تكون وعظية تذكرهم بالله- سبحانه وتعالى- من خلال ما يشاهدونه في البيئة التي هم جالسون فيها.

(7) بعد أن يتناول المشاركون وجبة الغداء، تقوم لجنة النظافة بتنظيف المكان وغسل الأواني.

(8) يمكن لأمير الرحلة أن يخصص ولو ساعة واحدة بعد الغداء لمن يريد أن ينام نومة خفيفة، ويمكن لمن لا يرغب في النوم أن يقضيها فيما هو نافع ومفيد، بحيث يستأذن أمير الرحلة في ذلك. كذلك يمكن في هذه الفترة شرب القهوة أو الشاي أو تناول العصائر أو المثلجات.

المهمة	الوقت	الأشخاص المسؤولون عنها
صلاة العصر		
فقرة رياضية [١]		
فقرات أخرى [٢]		

قبل مغادرة مكان الرحلة:

المهمة	الوقت	الأشخاص المسؤولون عنها
حمل الأمتعة إلى الحافلة		
تنظيف مكان الرحلة [٣]		
ركوب الحافلة		

من مكان الرحلة إلى مكان الإقلاع:

المهمة	الوقت	الأشخاص المسؤولون عنها
دعاء الركوب		
كلمة أمير الرحلة [٤]		
استطلاع رأي المشاركين في الرحلة [٥]		
فقرة ترفيهية [١]		

---

(1) يمكن تحديد فترة ما بين العصر والمغرب للرياضة، سواءً كانت لكرة القدم أو الطائرة، أو غير ذلك كالسباحة أو الجري. ومن لا يرغب في المشاركة في هذه الرياضات، فيمكن قضاء هذه الفترة فيما هو نافع ومفيد.

(2) إذا كان برنامج الرحلة يمتد إلى وقت صلاة العشاء، فيمكن ملء الفترة المتبقية في تأدية صلاة المغرب والعشاء وأية فقرات أخرى يراها الأمير مناسبة، مع مراعاة طرح الفقرات الخفيفة والمسلية، لأن نفسيات المشاركين قد لا تكون متهيئة للفقرات والمواضيع الدسمة والطويلة.

(3) من الأمور البالغة الأهمية في الرحلات الخلوية هو تخصيص وقت قبل مغادرة مكان الرحلة لتنظيف المكان والتأكد من عدم وجود مخلفات. كذلك، فيجب التأكد من إطفاء ما تم إشعاله من فحم أو حطب، لئلا يؤدي بقاء ذلك إلى حرائق.

(4) حبَّذا لو ألقى أمير الرحلة كلمة قصيرة يُجمِل فيها بعض الفوائد التي استفادها المشاركون من الرحلة، وأيضًا بعض الملاحظات الإيجابية أو السلبية حول فقرات الرحلة.

(5) من الأمور المفيدة جدًّا لأمير الرحلة والمشاركين أن يتاح المجال للمشاركين للتعبير عن آرائهم في الرحلة، وما يقترحونه في الرحلات القادمة. حبَّذا لو يقوم أمير الرحلة بتدوين الآراء والملاحظات، للاستفادة منها في الرحلات القادمة.

بعد الوصول إلى مكان الإقلاع:

المهمة	الوقت	الأشخاص المسؤولون عنها
نزول المشاركين من الحافلة		
تنزيل المواد المصطحبة في الرحلة وتوزيعها على أصحابها		
تنظيف الحافلة [٢]		

(1) يمكن أن يستفاد من وقت العودة في أمور تعود بالنفع على المشاركين، وفي الوقت نفسه تزيل الكلل والملل من نفوسهم. يمكن استغلال هذه الفترة، مثلًا، لتوزيع الجوائز على المشاركين، وخاصة الذين قاموا بأدوار ومشاركات متميزة، لتكون حافزًا للباقين في المشاركة في المرات القادمة.

(2) على الأمير أن يكلف أشخاصًا بمهمة تنظيف الحافلة من الداخل. أما تنظيفها بالكامل فيمكن أن يخصص له مبلغًا من مصاريف الرحلة، ويوكل أمره إلى سائق الحافلة أو أيِّ شخص آخر.

أعمال لتقوية صلة الأسرة بالأقارب والأرحام

إذا نظرنا إلى الأسرة على أنها تتكون من الأسرة الصغيرة في البيت والأُسَر الأخرى التي لها علاقة بهذه الأسرة الصغيرة كأُسَر الأقارب والأصحاب وغيرهم، فإنه يمكن القيام بمشاريع وأعمال تزيد من ترابط هذه الأُسَر التي سنطلق عليها مصطلح "الأسرة الكبيرة". من هذه المشاريع والأعمال ما يلي:

١- إقامة الدروس العلمية والثقافية

يمكن توسيع جانب الدروس، بحيث يكون هناك دروس خاصة للأسرة المصغرة في البيت، وكذلك دروس عامة للأسرة الكبيرة. وإذا علمنا أن غالب الرجال في الأسرة الكبيرة هم من غير المحارم بالنسبة للنساء، فإنه يجب مراعاة أن تكون هناك دروس خاصة للنساء ودروس خاصة للرجال بحيث لا يحدث اختلاط، كما يحصل في وقتنا الحاضر بين كثير من أفراد الأُسَر الكبيرة.

٢- إنشاء صناديق ومشاريع مشتركة لخدمة الأسرة الكبيرة

هناك العديد من الصناديق والمشاريع المشتركة التي يمكن إنشاؤها لخدمة الشريحة الكبرى من أفراد الأسرة الكبيرة وتلبي احتياجاتهم. من تلك الصناديق والمشاريع ما يلي:

- صندوق للتكافل الأُسَري يصرف من خلاله على الأفراد الذين يقعون في ضائقات مالية أو يكونون بحاجة إلى قروض بسيطة أو إعانات لشراء بعض المستلزمات. كذلك، فيمكن أن يصرف من هذا الصندوق لأغراض العلاج أو نفقات الزواج أو رسوم الدراسة أو شراء أو بناء العقارات.
- مشاريع تجارية مشتركة بين أفراد الأسرة الكبيرة.
- جمعيات تعاونية مالية لخدمة أفراد الأسرة الكبيرة.
- صندوق للاقتراحات لتقوية الصلات والروابط بين أفراد الأسرة الكبيرة.

٣- تقوية الصلات الاجتماعية بين أفراد الأسرة الكبيرة

من الجوانب الأخرى التي يمكن أن تزيد من ترابط الأسرة الكبيرة هي الإعداد لغداء أو عشاء جماعي بين أفرادها؛ بحيث يكون في كل شهر أو في كل عدة أشهر عند واحدة من الأُسَر الصغيرة. كذلك، فيمكن الاتفاق على القيام برحلة جماعية سواءً كانت في داخل البلاد أو خارجها كرحلات للعمرة أو التنزُّه.

٤- عقد اجتماع دوري لمناقشة قضايا الأسرة الكبيرة

على غرار الاجتماع الدوري الذي يُعقَد شهريًّا بين أفراد الأُسَر الصغيرة، يمكن عقد اجتماع لمناقشة المواضيع المشتركة المتعلقة بالأسرة الكبيرة، على أن يعقد الاجتماع كل عدة أشهر ويحضره شخص أو أكثر من كل أُسْرة صغيرة. وفي هذه الاجتماعات يتم مناقشة البرامج الثقافية التي تقيمها الأسرة الكبيرة كالدروس والمهرجانات المصغرة التي تكلمنا عنها والبرامج الاجتماعية كالرحلات والزيارات العائلية. كذلك، فيمكن مناقشة سيْر العمل في الصناديق والمشاريع المشتركة المتعلقة بالأسرة الكبيرة، بالإضافة إلى ما يتجمَّع في صندوق الاقتراحات الخاص بالأسرة الكبيرة من اقتراحات وأفكار.

٥- إنشاء موقع على شبكة المعلومات خاص بالأسرة الكبيرة

يمكن للأسرة الكبيرة أن تنشئ موقعًا لها على الإنترنت، ويمكن لهذا الموقع أن يحتوي على إنتاجات أفراد الأسرة الكبيرة من كتابات وتلخيصات وأفكار أو أية معلومات أخرى يحصلون عليها أثناء تصفحهم لمواقع الإنترنت أو من خلال مطالعاتهم للكتب والصحف وما يستمعون إليه أو يشاهدونه من محاضرات وبرامج.

ويمكن أن يحتوي الموقع أيضًا على الصور ومقاطع الفيديو المتعلقة بالأسرة الكبيرة، على أن لا تشتمل تلك الصور والمقاطع على صور لنساء من غير ذوي المحارم والتي يمكن للآخرين من أفراد الأسرة الكبيرة أن ينظروا إليها، إلا إن تم تحديد كلمة مرور خاصة لكل أسرة صغيرة، بحيث تشاهد كل أسرة صغيرة ما يجوز لها شرعًا مشاهدته من تلك الصور والمقاطع.

كذلك، يمكن إضافة منتدىً للتحاور بين أفراد الأسرة الكبيرة، ويكون ملتقىً لهم، وخاصة إذا كان أفراد الأسرة الكبيرة يعيشون في مناطق مختلفة، فيمكن من خلال هذا المنتدى التحاور حول شؤون الأسرة الكبيرة، كالمشاريع التي يقومون بتنفيذها، ويكون أيضًا كحلقة وصل بينهم جميعًا، فهذا من باب الاستفادة من التقنيات الحديثة في زيادة ترابط الأسرة.

أسئلة وتمارين

- على ماذا يُطلَق مسمى "الأسرة الكبيرة"؟
- قم بحصر الأُسَر الصغيرة التي تنتمي إلى أسرتك الكبيرة واكتب أسماء الأشخاص البارزين في كلٍّ منها.
- ناقش مع الأفراد البارزين في الأسرة الكبيرة الحاجة إلى تشكيل مجلس لإدارة شؤون الأسرة الكبيرة، وإذا رأيتم ترحيبًا بالفكرة، فبادروا إلى تشكيل المجلس وتحديد مهامه وتفعيله من خلال الأنشطة المختلفة.
- تحدَّث عن كيفية التوفيق بين الرغبة في تفعيل كل أفراد الأسرة الكبيرة وتقوية الصلات بينهم وبين موضوع الاختلاط بين الرجال والنساء من غير المحارم الذي يمكن أن يحدث بينهم.
- ما هي الصناديق والمشاريع المشتركة التي يمكن إنشاؤها لخدمة الأسرة الكبيرة التي تنتمي إليها؟ ناقش هذا الموضوع في اجتماع مجلس إدارة الأسرة الكبيرة.

برنامج تطبيقي رقم (٤):

مجلس إدارة الأسرة

يمكن تشكيل المجلس المقترح هنا لخدمة الأسَر الصغيرة. أما بالنسبة للأسرة الكبيرة فإنها قد تحتاج إلى لجان تختلف في مهامها وطريقة تسيير أمورها عن اللجان الموضحة أدناه، وإن كانت قد تتشابه معها في الأهداف وبرنامج العمل. يتم توزيع المهام المتعلقة بالأسرة على لجان يتولى رئاسة كل منها أحد أفراد الأسرة. ويتكون مجلس إدارة الأسرة من رئيس للمجلس وعضوية رؤساء اللجان المختلفة. وفي حالة عدم توفُّر العدد الكافي من الأشخاص فيمكن لرئيس المجلس أن يكون أيضًا رئيسًا لإحدى اللجان. يتولى مجلس إدارة الأسرة تسيير أمور الأسرة المختلفة ويقوم بترأُس الاجتماع الدوري. يتكون المجلس من:

رئيس المجلس

يتم انتخاب رئيس المجلس من قِبَل مجلس الأسرة ويبقى في منصبه لمدة ثلاثة أشهر غير قابلة للتجديد. ويقوم رئيس المجلس بالمهام التالية:

- الدعوة لعقد الاجتماع الشهري للأسرة أو لعقد الاجتماعات الطارئة التي يتقدَّم بها أعضاء المجلس.
- إدارة اجتماعات مجلس الأسرة.
- متابعة سير العمل في اللجان الأخرى.
- البتّ في المواضيع التي لم يصل فيها المجلس إلى اتفاق.

اللجان الأخرى

يتم اختيار رؤساء اللجان بأغلبية أصوات المجلس ويبقى كل منهم في منصبه لمدة ستة أشهر قابلة للتجديد. ويمكن لمجلس إدارة الأسرة أن يقوم بتنحية أحد رؤساء اللجان من منصبه وتعيين آخر بدلًا منه، على أن يتم ذلك بموافقة غالبية أعضاء إدارة المجلس. واللجان هي:

اللجنة الثقافية والعلمية وتقوم بالمهام التالية:

- ☒ إعداد برنامج لنشر الوعي الديني والثقافي والعلمي بين أفراد الأسرة. ويمكن أن يشمل هذا البرنامج ما يلي:
  - الدروس اليومية أو الأسبوعية
  - حلقات التلاوة
  - المسابقات الثقافية
  - إحياء المناسبات الدينية (كشهر رمضان وغزوة بدر ويوم عرفة ويوم عاشوراء والهجرة النبوية والمولد النبوي والإسراء والمعراج) وذلك بوضع برامج خاصة لها. ويمكن أن تشمل تلك البرامج الإفطار الجماعي والدروس وإحياء الليالي بالصلاة والتلاوة والذكر.
  - تعيين أيام معينة لصيامها جماعيًّا والترتيب مع اللجنة الاجتماعية حول إعداد إفطار جماعي في تلك الأيام.
  - تعيين أيام لقيام الليل ووضع برنامج متكامل لها والتنسيق مع اللجنة الاجتماعية حول الوجبات التي يمكن إعدادها في تلك الليالي.
- ☒ الاهتمام بمكتبات الأسرة المقروءة والمرئية والمسموعة وإعداد برامج لتطويرها والاستفادة منها. ويمكن لتلك البرامج أن تشمل كتابة البحوث والملخصات ومسابقات القراءة.
- ☒ إعداد تقرير حول احتياجات مكتبات الأسرة بحيث يشمل المواد الموجودة والأخرى التي يراد إضافتها. كذلك، فيجب أن يشمل التقرير التحسينات المقترحة لخزانات وأرفف المكتبات المختلفة.

اللجنة المالية وتتولى المهام التالية:

- ☒ الإشراف على الحساب البنكي للأسرة.
- ☒ إعداد ميزانية الأسرة السنوية والخمسية ومناقشتها في الاجتماع الدوري لمجلس الأسرة.
- ☒ إعداد خطة لتسديد ديون الأسرة.
- ☒ رصد واردات الأسرة ومصروفاتها وإعداد تقرير شهري لمجلس الأسرة بذلك.
- ☒ توفير الاحتياجات المالية للجان الأخرى.

اللجنة الاجتماعية وتتولى المهام التالية:

- ☒ إعداد خطة بالزيارات والرحلات والفعاليات التي يمكن للأسرة القيام بها.
- ☒ إعداد برنامج متكامل لكل رحلة أو زيارة أو فعالية تنوي الأسرة القيام بها. ويتم التنسيق في هذا الشأن مع اللجنة الثقافية حول البرنامج الثقافي الذي يمكن تقديمه. كذلك، يمكن التنسيق مع اللجنة المالية حول توفير الاحتياجات المالية.

لجنة الخدمات وتتولى المهام التالية:

- ☒ إصلاح الأجهزة والمعدات والمرافق العاطلة.
- ☒ شراء مستلزمات الأسرة من المواد الغذائية والمواد الضرورية الأخرى.
- ☒ إعداد برنامج لتكليف أفراد الأسرة بتنظيف وترتيب المنزل ومرافقه المختلفة.
- ☒ إعداد خطة حول التحسينات والإضافات التي يراد القيام بها في المرافق المختلفة من المنزل.

المبحث الرابع:

الأعمال التطوعية التي تستهدف المحيط الذي يعيش فيه الفرد

إن الإنسان– كما يقال– مدني بطبعه، فلا يمكن له أن يبقى منطويًا على نفسه، أو يعيش منزويًا في بيته. لذا، فإن عليه أن يوسع دائرة اهتماماته لتشمل المحيط الذي يعيش فيه، والذي نقصد به القرية أو المدينة التي يعيش فيها الشخص، وقد يكون المحيط يتعدى إلى أبعد من ذلك، وقد يكون منحصرًا في حيٍّ من الأحياء وخاصة في المدن والعواصم. ولا شك بأن العمل التطوُّعي له ثمرات إيجابية للمجتمع، قلَّ أن تتحقق من خلال مؤسسات المجتمع الحكومية والخاصة، منها:

- يُسهِم التطوُّع بشكل كبير في سرعة التنمية؛ لما له من جدوى اقتصادية واجتماعية كبيرة.
- يؤدي التطوُّع إلى التقارب بين فئات المجتمع وتماسكها وتنمية الروابط بينها.
- يُسهِم التطوُّع بشكل ملحوظ في مساعدة غير القادرين في المجتمع، في حين أن المؤسسات الحكومية والخاصة في– الغالب– تركز على ذوي القدرات والكفاءات.
- التعرف على الفجوات الموجودة في المجتمع، وتقديم الخدمات المناسبة لردمها وتقليصها.

إن على كلٍّ منا واجبات كثيرة تجاه مجتمعنا. لكن علينا أن ندرك أنه قد يكون من الصعب في الأعمال التطوعية التي تستهدف المجتمع أن يقوم بها فرد بعينه، وإنما الغالب أن تكون هناك مجموعة للعمل التطوُّعي تتكون من عدة أفراد، وربما تمثلها مؤسسة أو نادٍ. لكن ما يستطيع الفرد القيام به في البداية هو إيجاد الأشخاص الذين سيشتركون معه في تلك المجموعة، والذين غالبًا ما تكون لهم اهتمامات مماثلة لما عنده.

ويمكن لكل مجموعة أن تضع لها برنامجًا يتناسب ومجال عملها، بحيث تمارس أعمالها من خلال ذلك البرنامج. وبعد فترة زمنية قد تطول أو تقصر وممارسات عملية في واقع المجتمع، يمكن للمجموعة أن تتحول من مجرد تجمُّع لأفراد لا يجمعهم إلا الرغبة في العمل التطوعي والمجال الذي يعملون فيه، لتصبح ذات كيان إداري أكثر تنظيمًا كأن تتحول إلى جمعية أو مؤسسة خيرية أو ربما منظمة محلية أو قُطرية أو عالمية.

ونستطيع أن نلخص أهداف هذه الجمعية الخيرية أو المؤسسة أو المركز- أو ما شئت أن تسميها- في النقاط التالية[1]:

- تحقيق الترابط الاجتماعي وحسن الجوار وتهيئة وسائل المشاركة الاجتماعية بين سكان الحي الواحد.
- التدخل للإصلاح في القضايا الخلافية التي تنشأ داخل نطاق الحي.
- الإسهام في معالجة المشكلات والظواهر السلبية التي تظهر في الحي في سبيل المحافظة على القيم الإسلامية وتقاليد المجتمع ومقوماته.
- العمل على رفع مستوى الوعي العام لدى السكان وتنمية روح التفاعل مع مكتسبات التنمية بالاستفادة منها والمحافظة عليها وتطوير بيئة الحي.
- العناية بالشباب وتوفير الإمكانيات والدعم لممارسة هواياتهم الهادفة وتنمية قدراتهم واستثمارها فيما يعود عليهم بالنفع.
- استثمار الطاقات النسائية الموجودة في الحي وتوفير الإمكانات اللازمة لتزاول المرأة أنشطة وبرامج هادفة تسهم في بناء الأسرة الصالحة وتنمية المجتمع.
- تقديم النصح والمشورة والمعلومات النافعة لطالبيها من الأفراد والأُسَر في مختلف المجالات الصحية والوقائية والاجتماعية والدينية.

ولا شك أن التحوُّل من العمل التطوعي الغير منظم إلى عمل مؤسسي منظم إداريًّا وماليًّا ومنهجيًّا يتطلب جهودًا مضنية وخاصة في فترة التأسيس نظرًا للإجراءات القانونية التي على المجموعة المرور بها والتكيُّف معها، والخبرات الإدارية والمهاراتية المطلوبة لتسيير شؤون المؤسسة.

غير أنه يجدر بالذكر هنا أن مستوى الإنتاج سيزداد كمًّا وكيفًا بمجرد أن تتحول المجموعة من وضعها الشبه فردي إلى العمل المؤسسي. لذلك، فإن على الأفراد الذين يعملون في إطار جماعي أن يَسْعَوْا جهدهم للوصول إلى مستوى العمل المؤسسي لما فيه من مصلحة ظاهرة وكبيرة لهم ولمجتمعهم.

---

(1) "الدور الأمني لمراكز الأحياء": يحيى بن سيف صالح.

أسئلة وتمارين

- اذكر بعض التحدِّيات والفرص المتعلقة بالعمل التطوُّعي المستهدِف للبيئة التي يعيش فيها الفرد. ناقش هذه التحدِّيات والفرص مع زملائك وحاولوا تحليل جوانبها المختلفة.
- قم بدراسة حول المتطلبات والإجراءات القانونية والبلدية المطلوبة لإنشاء مؤسسة خيرية في بلدك. ناقش ما توصلتَ إليه مع زملائك، وإذا كان بوسعكم تلبية تلك المتطلبات والإجراءات فبادروا بإنشاء مؤسسة خيرية تخدم المحيط الذي تعيشون فيه.

الاهتمام بالأُسَر الفقيرة

مشكلة الفقر مردها الإنسان ذاته سواء بكفرانه بالنعمة من حيث إهمال استثمار الطبيعة، وعدم استغلال الموارد التي تفضل الله بها على عباده، أو بظلمه من ناحية سوء توزيع الدخول والثروات[١]. وينظر الإسلام للفقر على أنه خطر على العقيدة، وخطر على الأخلاق، وخطر على سلامة التفكير، وخطر على الأسرة، وعلى المجتمع[٢]، وفَضْلًا عن ذلك فإنه يُعتَبَر بلاءً يُستعاذُ بالله من شَرِّهِ؛ فعن عائشة – رضي الله عنها – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان يتعوذ: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ النَّارِ وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ القَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الغِنَى، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الفَقْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ))[٣]. لهذا، فإن الإسلام يستهدف من محاربة الفقر تحرير الإنسان من براثنه، بحيث يتهيأ له مستوى من المعيشة يليق بكرامته، وهو الذي كرمه الله. وإذا ضمن الإنسان الحياة الطيبة، وشعر بنعمة الله، أقبل على عبادة الله في خشوع وإحسان، ومن ثم لا ينشغل بطلب الرغيف، ولا يبتعد عن معرفة الله وحسن الصلة به[٤].

ولا تقتصر حاجات الإنسان في الإسلام على الطعام والشراب واللباس والمسكن، وهي التي تمثل الحاجات الأساسية أو حد الكفاف؛ بل تتعداها إلى ما تستقيم به حياته، ويصلح به أمره، ويجعله يعيش في مستوى المعيشة السائد؛ أي حد الكفاية، فلكل فرد في المجتمع الإسلامي حاجات ضرورية تختلف باختلاف الزمان والمكان، فإذا لم تسعفه ظروفه الخاصة مثل المرض أو الشيخوخة أو التعطُّل عن العمل عن تحقيق المستوى المعيشي المناسب، فإن بيت مال المسلمين؛ أي خزانة الدولة، تتكفل بذلك أيًّا كانت جنسية، أو ديانة هذا الفرد[٥].

---

(1) "الإسلام والاقتصاد": عبد الهادي علي النجار، ص ١٤٢.

(2) "دور الزكاة في علاج المشكلات الاقتصادية وشروط نجاحها": يوسف القرضاوي، ص ١٨.

(3) رواه البخاري (رقم ٦٣٧٦).

(4) "الإسلام والاقتصاد": عبد الهادي علي النجار، ص ١٣٥.

(5) المصدر السابق، ص ١٣٧.

وبالرغم من نهوض العالم أجمع لمحاربة الفقر بجميع صوره ومسبباته، غير أنه ما يزال هناك المليارات من البشر الذين يعيشون في أحوالٍ صعبة وظروف قاسية. يقول الدكتور ليفن واتكينز، مدير مكتب تقرير التنمية الإنسانية في برنامج الأمم المتحدة الإنمائي حول "ردم الهوة المائية الهائلة":

"في مطلع القرن الحادي والعشرين، ووسط الازدهار المتنامي في الاقتصاد العالمي، ثمة ما يزيد على ٢,٦ مليار إنسان لا يتوافر لهم حتى مرحاض بدائي. وهناك ما يزيد على مليار إنسان ليس لديهم مصدر آمن لمياه الشرب. وتتضمن الأهداف الإنمائية للألفية تعهدًا بتقليص هذا العدد إلى النصف في حلول سنة ٢٠١٥، لكن العالم بعيد عن هذا المسار بصفة تدعو إلى اليأس"[١]. وكشفت دراسة لمركز بحوث الإسكان والبناء والتخطيط العمراني في مصر أن ١٨٪ من الأسر المصرية تعيش في غرف مشتركة وأن معدل التكدُّس يبلغ ٧ أفراد في غرفة واحدة بالمناطق العشوائية، فضلا عن اشتراك عشرات الأسر في دورة مياه واحدة[٢]. وكشف تقرير للجهاز المركزي المصري للتعبئة والإحصاء أنَّ ١٢ مليون مصري يعيشون في المقابر والعشش والجراجات والمساجد وتحت السلالم، كما أشارت وزارة الإسكان المصرية في تقاريرها عن حالة الإسكان إلى أن عدد سكان المقابر يبلغ نحو نصف مليون مواطن في القاهرة وحدها، وتؤجِّر نحو ١١٥٠ أسرة أحواش المدافن التي تقيم فيها، وهناك ٣٠٨٨ أسرة ليست لديهم مطابخ و ١٢٣٣ أسرة يستخدمون مراحيض مشتركة[٣].

يقول الدكتور عبد الكريم بكار: "من العسير جدًا أن نفهم ظاهرة كظاهرة الفقر دون فهم تاريخ البلد الذي توطنت فيه الظاهرة، وجغرافيته وموارده الاقتصادية، والعادات الاجتماعية السائدة فيه، وطبيعة النظام السياسي الذي يحكمه، وفعاليّة نظامه القِيَمي في توجيه السلوك، ومدى سيادة القانون والنظم فيه"[٤].

إن رعاية الأُسَر الفقيرة يحظى- بحمد الله- في عصرنا هذا باهتمام كبير من مختلف شرائح المجتمع، لما فيه من الأجر العظيم والفائدة الكبيرة للقائمين عليه، وللدور الكبير الذي يمكن أن تلعبه الأُسَر

---

(1) "حان الوقت لردم الفجوة المائية الهائلة": جريدة النهار اللبنانية.

(2) "حزام الفقر.. هاجس الأمن": حمدي سليم.

(3) المصدر السابق.

(4) " عصرنا والعيش في الزمان الصعب": عبد الكريم بكار، ص ٢٤.

الفقيرة في تحفيز الشباب على العمل، وفي الناتج الملموس الذي يمكن أن يحصل عليه المجتمع عندما يقوم بتفعيل دور تلك الأُسَر.

لكن علينا أن نعلم أن موضوع العناية بالأُسَر الفقيرة لا يمكن لأفراد قلائل القيام به وإنما على المجتمع بأسره أن يتحرك في هذا السياق. من هنا فإن واجبنا- كمسلمين أولًا، ومتطوِّعين ثانيًا- هو أن نباشر ما نستطيع القيام به من أعمال يمكن أن تخفف من وطأة ظاهرة الفقر؛ سواءً كانت دراسات، أو مشاريع إنمائية، أو مجرد سد رمق بعض الأُسَر وتوفير بعض احتياجاتها الضرورية.

ورغم أن البداية قد تكون اهتمامات أفراد ومبادرات أشخاص قلائل، قد تكون أنت من تقرأ هذا الكلام أحدهم، إلا أنه لا بُدَّ أن يتوسع الأمر ليشمل شرائح أوسع من المجتمع، ولا بأس من الاستفادة في البداية من التجارب التي قامت بها المجتمعات الأخرى، ومَن ثَمَّ القيام بمشاريع مشابهة لها. وفي الصفحات التالية أورِد بعض المشاريع الصغيرة التي يمكن تخدم الأُسَر الفقيرة والتي بمقدور أفراد قلائل أو مؤسسات صغيرة القيام بها.

١- إعداد إحصائيات بالأُسَر الفقيرة وبرامج لخدمتها

وأول خطوة يجب أن تخطوها المجموعة أو المؤسسة التي تحاول الاهتمام بشؤون الأُسَر الفقيرة هي أن تقوم بعمل دراسة حول الأسر الفقيرة الموجودة في المحيط الذي توجد فيه تلك المجموعة أو المؤسسة، بحيث تشمل الدراسة حصرًا للأُسَر الفقيرة وتحديدًا لاحتياجاتها وعدد أفرادها، ويمكن الاستفادة من الاستبانة الموضحة في البرنامج التطبيقي رقم (٥) في الدراسة المذكورة.

وعلى ضوء نتائج هذه الدراسة فإن على المجموعة أو المؤسسة أن تضع برنامجًا لها لمساعدة تلك الأسر، وذلك من خلال إنشاء صناديق لجمع زكاة الفطر أو زكاة المال، أو من خلال جمع تبرعات من المؤسسات والهيئات المحلية. كذلك، فيمكن أن توضع صناديق لجمع التبرعات العينية كالهدايا والملابس والمواد الغذائية المعلبة أو غيرها مما يدخل ضمن احتياجات الأُسَر الفقيرة والتي يجب أن تبقى صالحة للاستعمال لمدة طويلة.

بعد ذلك، تقوم المجموعة أو المؤسسة بتوزيع ما يتجمع لديها من زكوات وتبرعات على الأُسَر الفقيرة، طبقًا للدراسة التي قامت بها. ويمكن أن تشمل المساعدات دفع مبلغٍ من المال لكل أسرة فقيرة

لمساعدتها على تسيير أمورها، كدفع فواتير الماء والهاتف والكهرباء وغير ذلك. ويمكن أن تكون المساعدات على شكل هدايا للمناسبات والأعياد، أو بتوفير ملابس ومستلزمات المدرسة للأطفال.

وحريٌّ بكل مؤسسة خيرية- ولا سيَّما تلك المعنية بالأُسَر الفقيرة- أن تنوِّع في برامجها وفي وسائلها للحصول على تبرعات. ومن أمثلة ذلك ما يُعرَف بالحقيبة المدرسية، والتي يتكفل فيها فرد واحدٌ أو عدة أفراد من المجتمع بشراء حقيبة مدرسية لأحد أطفال الأُسَر الفقيرة، بحيث تشمل الحقيبة كل ما يحتاجه الطفل في مدرسته من دفاتر وأقلام ومستلزمات أخرى. وحبَّذا لو احتوت الحقيبة على مصروف الطفل في المدرسة، سواءً كان ذلك المصروف اليومي أو الشهري أو السنوي- في حالة دفع رسوم الدراسة. وبعد أن تتجمع تلك الحقائب تقوم المجموعة أو الجمعية التي أُنشت لرعاية احتياجات الأُسَر الفقيرة بتصريف وتوزيع تلك الحقائب في أوقاتها المناسبة وحسب الدراسة التي قامت بها.

٢- توفير حافلة لتلبية احتياجات الأُسَر الفقيرة

من الصور الأخرى للاهتمام بالأُسَر الفقيرة هو تخصيص سيارة أو حافلة يمكن استخدامها لنقل أفراد الأُسَر الفقيرة من مكان إلى آخر. مثل هذه السيارة أو الحافلة ستكون لها فوائد كبيرة جدًّا وستحل مشاكل كثيرٍ من الأُسَر الفقيرة. وقد ذكرنا في المبحث الأول كيف أراد الدكتور عبد الرحمن السميط وبعض أصدقائه وهم في المرحلة الثانوية أن يقوموا بعمل تطوعي، فقاموا بجمع مبلغ من المال من مصروفهم اليومي واشتروا سيارة، وكان يقوم أحد أفراد المجموعة بعد انتهاء دوامه بنقل العمال البسطاء إلى أماكن عملهم أو إلى بيوتهم دون مقابل.

يمكن استخدام هذه الحافلة لأغراض كثيرة، نذكر منها ما يلي:

١- نقل أفراد الأُسَر الفقيرة أو أبنائهم إلى المستشفيات، فقد يكون أحد هؤلاء مريضًا أو عليه مراجعة، أو أن إحدى نسائهم حامل وتريد مراجعة المستشفى، أو أن أحد كبار السِّن يعاني من السكري أو ضغط الدم، أو غيرها من الأمراض الأخرى التي تستدعي مراجعة المستشفى بشكل مستمر. في مثل هذه الحالات قد لا يتأتى لهؤلاء أن يحصلوا أو يستأجروا سيارات في كل مرة يودون الذهاب فيها إلى المستشفى، وقد يكون المستشفى بعيدًا عنهم، وسيارات

الأجرة قد تكلفهم مبالغ ليس بمقدورهم دفعها. لذلك، فما أحسنه أن تكون هناك في كل حيٍّ أو قرية أو- على الأقل- في كل مدينة سيارة تُخصَّص لمثل هذه الحالات، بحيث يخصص رقم هاتف لصاحب السيارة أو مَن يتولى سياقتها، ويعطى رقم الهاتف للأُسَر الفقيرة ويتم إخبارهم بأن يقوموا بالاتصال بهذا الرقم في أي وقت يحتاجون فيه إلى وسيلة نقل.

٢- يمكن استخدام هذه السيارة في نقل أفراد الأُسَر الفقيرة لزيارة أقاربهم أو للذهاب إلى المحلات التجارية والأسواق، حيث أن هناك الكثير من الأُسَر الفقيرة التي قد تحتاج إلى شراء احتياجاتها المنزلية ولكنها لا تجد من ينقلها إلى المحلات البعيدة والأسواق. مثل هذه السيارة قد تكون أفضل وسيلة لهؤلاء، بحيث يخصص وقت معين مثلًا في فترة الصباح أو المساء، ويتم إشعار الأُسَر الفقيرة بذلك الوقت ويُطلَب من كل مَن يريد منهم الذهاب إلى السوق أو المستشفى أو غيرها من الأماكن أن يتجمع في مكان معين. وفي الوقت المحدد تمر هذه الحافلة على مكان التجمع وتأخذ مَن كان هناك، كلٌّ إلى مبتغاه.

٣- كذلك، فإن المجتمع يتحمَّل جزءًا من مسؤولية العناية بأطفال الأُسَر الفقيرة. إن من حق هؤلاء الأطفال أن يستمتعوا بطفولتهم كما يستمتع بها غيرهم من الأطفال. كذلك فمن حق أفراد الأُسَر الفقيرة- وإن كانوا كبارًا في السِّن- أن يذهبوا للنزهة والفرجة. لذلك، فيمكن تخصيص يوم معين في الأسبوع- أو يومين على الأقل في كل شهر- لأخذ هؤلاء إلى أماكن النزهة كالحدائق والمنتزهات والشواطئ وغيرها من الأماكن العامة. حقيقة، قد تكون مثل هذه المبادرات وسيلة طيبة لتفريج هموم وكُرَب هؤلاء وتقليص الفجوة الموجودة بين الفقراء وغيرهم من عامة الناس، حيث أن عامة الناس لديهم القدرة للذهاب إلى الأسواق والمنتزهات وإلى غيرها من الأماكن التي يريدونها لأن معظمهم يمتلكون السيارات ومعظمهم عندهم النقود. أما هؤلاء فليس عندهم ذلك، فتكون هذه وسيلة طيبة لتقليص تلك الفجوة، ويكون لها أثر طيب- إن شاء الله- في تأليف قلوب هؤلاء بدلًا من أن يشب الطفل ويرى نفسه قد شب في أسرة فقيرة لا حيلة لها ماديًّا في توفير احتياجاته، وفي الوقت نفسه فهو محروم من جميع وسائل الترفيه. مثل هذه المبادرات الطيبة قد تكون سببًا في تحسيس مثل هذا الطفل- والأسرة بأكملها- بأن المجتمع لم ينساهم ولن ينساهم.

٤- أيضًا، ففي كثيرٍ من الأحوال قد تتوافر المواصلات العامة لنقل الأطفال إلى المدارس، لكن هناك من أطفال الأُسَر الفقيرة من يذهبون إلى مدارس أو معاهد خاصة، وقد لا يجدون من ينقلهم إلى تلك الأماكن، وعندها يكون استخدام مثل هذه الحافلة العامة وسيلة طيبة لهذا الغرض.

يبقى أن نتحدث عن الكيفية التي يمكن من خلالها توفير مثل هذه الحافلة. بالطبع، إذا كانت هناك إمكانية لشراء الحافلة فليتم ذلك، سواءً كان ذلك بقيام واحد أو أكثر من الميسورين في البلدة بتوفير قيمة الحافلة بالكامل، حتى وإن اضطر أهل البلدة إلى إرجاع قيمة الحافلة لهؤلاء على شكل أقساط، بحيث تتكفل مجموعة من أهل البلد بدفع أقساط شهرية للممولين للحافلة.

كذلك، فيمكن البحث عمَّن يكون بمقدوره التبرع بالحافلة، كأن يكون شخصًا عنده أكثر من سيارة فيمكنه أن يتبرع بواحدة منها، حتى وإن كان التبرع ليس بصفة دائمة، كأن يتم الاتفاق بين أهل البلد بأن يتطوع شخص بالتبرع بسيارته في كل شهر أسبوعا، أو في كل أسبوع يومًا واحدًا، ويتطوع آخرون بمثل ذلك. ويمكن أن يكون التبرع لعدة ساعات في اليوم أو في الفترة التي يكون فيها الشخص موجودًا في العمل أو في المدرسة أو في مكان لا يحتاج فيه لاستخدام سيارته. وفي مثل هذه الحالات يمكن أن يُطلَب من السائق المتطوع لقيادة السيارة أن يوصِل صاحب السيارة إلى مكان عمله أو دراسته ويرجع هو بالسيارة ليقوم بنقل أفراد الأُسَر الفقيرة إلى الأماكن التي يرغبون في الذهاب إليها.

أما بالنسبة لمن سيقوم بقيادة هذه السيارة فيمكن أيضًا استئجار سائق ودفع تكلفة أجرته كراتب شهري، ويمكن أيضًا أن يتطوع أفراد لقيادة السيارة حسب جدول للمناوبة يتم الاتفاق عليه بين بعض المتطوعين، بحيث يناوب شخص معين في فترة الصباح ويناوب آخر في فترة ما بعد الظهر ويناوب ثالث في فترة المساء ويناوب رابع في فترة الليل. وهناك العديد من الناس- وخاصة من فئة الشباب- الذين يرغبون في القيام بذلك، حيث يعلم الجميع أن مثل هذه الأعمال سبب لنيل الأجر العظيم، وهي أيضًا وسيلة لتكافل المجتمع وسبب في نشر المحبة والمودة بين قلوب أفراده.

٣- إيجاد مصادر دخل للأُسَر الفقيرة

على اللجان الخيرية التي تعنى بشؤون الأُسَر الفقيرة أن تحاول إيجاد مصادر دخل بديلة لكل أسرة فقيرة لكي تستطيع هذه الأُسَر مستقبلًا أن تعتمد على نفسها بدل أن تبقى عالة على المجتمع. ويمكن أن يتم ذلك عن طريق إقامة بعض المشاريع الصغيرة التي تُدار من قِبَل الأسرة الفقيرة وتكون في داخل الأسرة أو حتى في خارجها، وتخدم المحيط الذي تعيش فيه الأسرة. كذلك، فيمكن الاستفادة من أموال الزكاة لتمويل مثل هذه المشاريع.

والمشاريع المنفذة يمكن تقسيمها- حسب المستفيدين منها- إلى نوعين[1]:

النوع الأول: المشروعات الجماعية، وهي التي تعود فائدتها على مجموعة كبيرة من الفقراء؛ مثل حفر الآبار، وتوفير الأجهزة الطبية للمستشفيات، وإقامة الصيدليات التي تبيع الدواء بأسعار مخفضة، وإقامة المشروعات الإنتاجية الجماعية من مصانع ومزارع وغيرها.

النوع الثاني: المشروعات الفردية، وهي المشروعات التي تستفيد من ناتجها أسرة واحدة فقط. وتختلف وسائل الإنتاج باختلاف المنطقة؛ ففي الأرياف عادة ما تكون وسيلة الإنتاج هي قطيع من الماشية، أو عربة يجرها حمار أو حصان، أو غيرهما مما يتناسب مع الريف. أما في المدن، فوسائل الإنتاج عادة ما تكون سيارة أجرة أو معمل كمبيوتر أو مصنع صغير أو غيرها مما يتناسب مع المدينة.

لكن على المجموعة أو المؤسسة التي ترعى شؤون الأُسَر الفقيرة أن تقوم في البداية بتدريب أفراد تلك الأُسَر على بعض الحِرَف البسيطة كالخياطة أو غسيل وكي الملابس أو على بعض الصناعات البسيطة كصناعة الحلويات والكعكات والمنسوجات اليدوية والسعفيات، أو نجارة الأعمال الخشبية البسيطة، والتي بإمكان أفراد الأُسَر الفقيرة القيام بها. وبعد ذلك، تقوم المجموعة أو المؤسسة بمنح الأُسَر الفقيرة وسائل إنتاج تمكنها من استخدامها لتغطية احتياجاتها، وبالتالي الخروج من دائرة الفقر مستقبلًا.

---

(1) "دور مشروع الأسر المنتجة في مكافحة الفقر": الطيب لحيلح.

ومن أمثلة المشاريع الصغيرة التي يمكن للأُسَر الفقيرة الاستفادة منها شراء ماكينات خياطة أو مستلزمات الخياطة لبعض الأُسَر، ثم توعية الناس الذين يعيشون في المحيط الذي تعيش فيه تلك الأُسَر أو في القرى المجاورة بأن يقوموا بخياطة ملابسهم عند تلك الأُسَر.

كذلك، فيمكن أيضًا التنسيق مع بعض الأُسَر التي لا ترى حرجًا في العمل في البيوت والأُسَر الأخرى التي هي بحاجة لعون في تدبير شؤون بيتها، فبدلًا من أن تجلب تلك الأُسَر خادمات أجنبيات يمكن الترتيب مع بعض النساء من الأُسَر الفقيرة، بحيث تقوم هذه النساء في العمل في البيوت في فترات معينة كفترات غياب الأم عن البيت بسبب العمل أو الدراسة أو عندما تخرج الأم لزيارة جاراتها أو لقضاء حاجياتها، أو أن تقوم تلك النساء بمساعدة الأم في تدبير شؤون البيت وترتيبه وفي رعاية الأطفال. هذا نوع واحد من أنواع التكافل الاجتماعي الذي يمكن أن يوجد بين أفراد الأُسَر المتجاورة.

٤- توعية الأُسَر الفقيرة

إن غالبية الشعوب المسلمة تعيش تحت مستوى خط الفقر، ولذلك فإنها- في معظم الأحيان- لا تحظى بنصيبٍ وافرٍ من التعليم والثقافة، ناهيك عن الجوانب الأخرى. وكما هو معروف حضاريًّا فإن العلم يصنع المعجزات، ولا يمكن للمجتمعات المسلمة أن تخرج من مستنقع الفقر ونغص اللهاث وراء لقمة العيش إلا إن استطاعت أن تحظى بقسط وافرٍ من العلم. لذلك، فينبغي على مؤسسات العمل التطوُّعي أن لا تقصر اهتمامها فقط على توفير الاحتياجات المادية للأُسَر الفقيرة، وإنما عليها أن تكرِّس جهودها لتوعية تلك الأُسَر ورفع مستواها الإيماني والعلمي.

من هنا، فإن الاهتمام بهذا الجانب يعتبر فريضة دينية ومدنية وحضارية، وأيَّ تقصير فيه يعتبر جريمة، ليس فقط في حق أفرادٍ أو أُسَرٍ وإنما في حق الأمة بأسْرها. والبرامج التعليمية والتثقيفية التي يمكن أن تفعِّل دور هذه الأُسَر يجب أن تكون مدروسة ومنظمة- حتى وإن كان القائمون عليها متطوِّعون- وذلك لخطورة التقصير في هذا الجانب أو عدم الوضوح في أهدافه ووسائله. وإذا كان المقام لا يتسع هنا لمناقشة الموضوع بجميع جوانبه، إلا أننا سنؤكد هنا على بعض النقاط الضرورية والتي منها:

- وجوب المبادرة الجادة والفعالة لإيجاد هيئات تطوُّعية ترعى هذا الجانب.

- وجوب مشاركة جميع فئات المجتمع في مسيرة التغيير التي يرمي إليها هذا المشروع، حيث أن مشروعًا ضخمًا كهذا يحتاج إلى جهود ودعم مادي ومعنويٍّ متواصل، ولا يمكن للهيئات التطوُّعية تفعيل هذا الجانب إلا إن وَجَدَت التضامن والمشاركة والدعم المادي والمعنويِّ من قِبَل جميع أفراد المجتمع.
- ضرورة الإخلاص في تنفيذ هذا المشروع، وخاصة فيما يتعلق بصياغة أهدافه وتحديد معالمه ووسائله وبلورة مفرداته، فأيَّ تهاون أو تقصير في هذا الجانب قد يُخرِج مجتمعات بأسْرها عن هويتها الإسلامية.

أسئلة وتمارين

- ناقش مع بعض زملائك موضوع الأُسَر الفقيرة في محيطكم وإمكانية تشكيل لجنة أو جمعية أهلية تخدم الأمور المتعلقة بتلك الأُسَر. حاولوا أن تضعوا الخطوات الأولى لإخراج فكرة اللجنة أو الجمعية الأهلية المقترحة إلى حيِّز التنفيذ.
- ابدأ مع بعض زملائك فكرة الحقيبة المدرسية، وذلك بوضع قائمة بما يجب أن تحتويه كل حقيبة وبطرق توزيع تلك الحقائب. بادر أنت وزملاؤك في نشر هذه الفكرة بين أفراد المجتمع الآخرين.
- اذكر بعض فوائد الحافلة العامة المقترح توفيرها لخدمة الأُسَر الفقيرة.
- اذكر بعض التحدِّيات المتعلقة بتوفير وإدارة الحافلة المقترحة لخدمة الأُسَر الفقيرة والسُّبُل المطروحة في هذا الفصل للتغلُّب عليها.
- ناقش مع بعض الأشخاص الذين لهم اهتمامات بخدمة المجتمع إمكانية توفير حافلة لخدمة الأُسَر الفقيرة. بعد الاتفاق على الفكرة مبدئيًّا قم أنت ورفاقك بخطو الخطوات العملية المقترحة في هذا الفصل لشراء وتسيير الحافلة المقترحة.
- اذكر بعض الأعمال التي يمكن إيجادها لأفراد الأُسَر الفقيرة لتكون مصدر دخل لهم ولأُسَرهم.
- ناقش مع بعض الميسورين وأصحاب الأعمال ومن لهم اهتمامات بالعمل الخيري في المحيط الذي تعيش فيه إمكانية توفير بعض الأعمال المقترحة في هذا الفصل والهادفة إلى إيجاد مصادر دخل للأُسَر الفقيرة. حاولوا المبادرة في وضع برنامج لتفعيل هذا الجانب.
- ما هي في نظرك التحدِّيات التي قد تواجه من يريد الاهتمام بجانب تثقيف الأُسَر الفقيرة، وكيف يمكن التغلُّب عليها؟
- قم بإعداد دراسة عن المستويات التعليمية التي وصل إليها أفراد الأُسَر الفقيرة في محيطك. ناقش

أسئلة وتمارين

نتائج تلك الدراسة مع مَن لهم اهتمامات بموضوع الأُسَر الفقيرة في محيطك وحاولوا أن تضعوا بعض البرامج التثقيفية التي تستهدف الأُسَر الفقيرة التي شملتها تلك الدراسة.

- ذكر هذا الفصل أن أيَّ تهاون أو تقصير في البرامج المطروحة لتثقيف الأُسَر الفقيرة قد يُخرِج مجتمعات بأسْرها عن هويتها الإسلامية. ناقش هذه القضية مع بعض زملائك، وتعانوا على وضع الخطوات الجادة لتلافي حدوث مثل هذه الظاهرة.
- تعرَّض هذا الفصل للاهتمام بالأُسَر الفقيرة. اشترك مع بعض زملائك في وضع دراسة حول اهتمام ديننا الحنيف بهذه القضية. حاولوا أن تدعموا دراستكم بشواهد من القرآن الكريم والسنة المطهرة وأقوال السلف الصالح، وأيضًا ببعض الوقائع التي دُوِّنت في كتب التاريخ حول هذا الموضوع.

برنامج تطبيقي رقم (٥):

استبانة لدراسة أحوال الأُسَر الفقيرة

هذه الاستبانة مُعدَّة لجمع معلومات عن الأُسَر الموجودة في المحيط الذي تعيش فيه، ومن خلال المعلومات التي يمكن جمعها باستخدام هذه الاستبانة يمكن تحديد الأُسَر الفقيرة.

تاريخ جمع المعلومات: _____

اسم الشخص الذي قام بتعبئة البيانات: _____

بيانات عامة:

رقم الأسرة	_____
اسم الأسرة	_____ البلدة: _____ المنطقة: _____
اسم رب الأسرة	_____
رقم الهاتف	_____
العنوان البريدي	
مصادر دخل الأسرة (اذكر المبلغ الإجمالي من كل مصدر دخل)	راتب وظيفي: _____ عمل حر: _____ ضمان اجتماعي: _____ إيجار عقار: _____ زراعة: _____ تجارة: _____ أخرى: _____
حالة المنزل	هل المنزل مبني على الطراز الحديث؟ ___ نعم ___ لا عمر المنزل: _____ سنة مكونات المنزل: ____ غرف نوم ____ مجلس رجال ____ مجلس نساء ____ مطبخ ____ دورات مياه تمويل بناء المنزل: ___ الوزارة [1] ___ بنك الإسكان ___ قرض حكومي ___ قرض بنكي ___ تمويل شخصي
ممتلكات أفراد الأسرة	___ بستان زراعي ___ محل تجاري ___ أرض فضاء
السيارات التي تمتلكها الأسرة	عدد السيارات: _____ حالتها: _____
ديون الأسرة	___ قرض بنكي: المبلغ المتبقي: _____ قيمة القسط الشهري: _____ ___ قرض شخصي: المبلغ المتبقي: _____ قيمة القسط الشهري: _____

(1) يُقصَد بالوزارة هنا تلك المعنية بالضمان الاجتماعي.

بيانات الأسرة الرئيسية:

	العمر	الحالة الصحية	المستوى الدراسي	الوظيفة	جهة العمل	الدخل الشهري
الزوج						
الزوجة						

الأولاد (يذكر جميع أولاد رب الأسرة ما عدا المتزوجون منهم والذين سيتم ذكرهم في الأُسَر الفرعية[1]):

م	الاسم	الجنس	العمر	الحالة الاجتماعية	الحالة الصحية	المستوى الدراسي	الوظيفة	جهة العمل	الدخل الشهري
١									
٢									
٣									
٤									
٥									
٦									
٧									
٨									
٩									
١٠									
١١									
١٢									
١٣									
١٤									
١٥									

بيانات الأسرة الفرعية الأولى: (اسم رب الأسرة: _____ علاقته برب الأسرة الرئيسية: _____)

	العمر	الحالة الصحية	المستوى الدراسي	الوظيفة	جهة العمل	الدخل الشهري
الزوج						
الزوجة						

الأولاد:

م	الاسم	الجنس	العمر	الحالة الاجتماعية	الحالة الصحية	المستوى الدراسي	الوظيفة	جهة العمل	الدخل الشهري
١									
٢									
٣									
٤									
٥									
٦									
٧									
٨									
٩									
١٠									

(1) يُقصَد بالأُسَر الفرعية أُسَر الأولاد والإخوة التي تعيش في نفس المنزل.

بيانات الأسرة الفرعية الثانية: (اسم رب الأسرة: _____ علاقته برب الأسرة الرئيسية: _____)

	العمر	الحالة الصحية	المستوى الدراسي	الوظيفة	جهة العمل	الدخل الشهري
الزوج						
الزوجة						

الأولاد:

م	الاسم	الجنس	العمر	الحالة الاجتماعية	الحالة الصحية	المستوى الدراسي	الوظيفة	جهة العمل	الدخل الشهري
١									
٢									
٣									
٤									
٥									
٦									
٧									
٨									
٩									
١٠									

بيانات الأسرة الفرعية الثالثة: (اسم رب الأسرة: _____ علاقته برب الأسرة الرئيسية: _____)

	العمر	الحالة الصحية	المستوى الدراسي	الوظيفة	جهة العمل	الدخل الشهري
الزوج						
الزوجة						

الأولاد:

م	الاسم	الجنس	العمر	الحالة الاجتماعية	الحالة الصحية	المستوى الدراسي	الوظيفة	جهة العمل	الدخل الشهري
١									
٢									
٣									
٤									
٥									
٦									
٧									
٨									
٩									
١٠									

رعاية شؤون الأطفال

كما نعلم فإن هناك فئة كبيرة من المجتمع في سن الطفولة، وهناك الكثير من الواجبات التي على المجتمع أن يقدمها للأطفال. وللأسف الشديد، فإن معظم مؤسسات المجتمع موجهة لتفي باحتياجات الكبار، أما بالنسبة للصغار فقليل ما توجد مؤسسات لخدمتهم. كذلك، فهناك القليل من الأفراد الذين يهتمون بجانب الأطفال، وهناك فئات من الأطفال يحصلون على أقل بكثير من المستوى المطلوب لرعايتهم. من هؤلاء مثلًا الأيتام أو أبناء الأُسَر الفقيرة، وأيضًا بعض أصحاب الاحتياجات الخاصة كالمعوقين وغيرهم.

وعلينا كذلك أن لا ننسى الأطفال الذين كانوا ضحية لإفرازات الحضارة المعاصرة؛ فقد تكون الأم تعمل- سواء مُدرِّسة أو طبيبة أو في أيِّ عمل آخر- أو ربما تَدرُس في الجامعة أو الكلية، ويبقى الطفل موكولًا إلى الجدة أو الخادمة، والتي قد لا تكون الأيادي الأمينة أو الواعية التي تستطيع أن تربي هؤلاء الأطفال أو- على الأقل- أن تلبي احتياجاتهم بالصورة المطلوبة. من هنا ندرك أن مجال التطوع في هذا الجانب واسعٌ ورحب.

إن التطوُّع بتقديم مثل هذه الرعاية للأطفال قد يكون أفضل وسيلة لحصولهم على الرعاية المطلوبة وتوفير وسائل الترفيه والتسلية المناسبة لأعمارهم، والتي في الغالب ما يسمعون عنها أو يشاهدونها ويتمنون لو يحظون باللعب بها، وفيها أيضًا حماية لهم من التسكُّع في الشوارع ومصاحبة رفقاء السوء، وفوق ذلك فهي وسيلة مناسبة لتعليمهم أمور دينهم ومناهج دراستهم.

وهنا أنصح الإخوة والأخوات الذين سيقومون بدور التدريس أو الإشراف على المراكز التطوعية التي تعنى بشؤون الأطفال، وأيضًا أولئك الذين سيتطوعون لمساعدة الأُسَر في تربية أطفالهم، أنصح كل هؤلاء بأن يفقهوا أولًا الوسائل العلمية الصحيحة لتربية الأطفال، والذي قد يكون من خلال المواد المتوفرة، كالكتب والسمعيات والمقالات والمحاضرات وغيرها من الوسائل التي تعالج موضوع تربية الأطفال، وعليهم أن يهتموا بتنمية مهاراتهم وقدراتهم في هذا الجانب حتى وهم يقومون بممارسة أنشطة العمل التطوُّعي الأخرى.

١- رعاية وكفالة اليتامى

من الأمور التي تصبُّ مباشرة في موضوع الاهتمام بالأطفال هي موضوع اليتامى ورعايتهم وكفالتهم. كلنا يعلم أنه نادرًا أن يخلو مجتمع من أطفال يتامى، وأن هؤلاء الأطفال قد لا يحصلون على ما يلبي احتياجاتهم، وخاصة عندما يفقدون العائل المهم الذي كان يرعاهم ويلبي احتياجاتهم وهو الأب أو الأم أو ربما الاثنين معا. وقد يكون الحال أفضل عندما يكون الأب على قيد الحياة لأنه سيكون باستطاعته أن يتزوج بزوجة أخرى لتقوم برعاية أطفاله اليتامى، وأيضًا لا يتضرر الأطفال من ناحية مالية لأن العائل الرئيسي لهم- وهو الأب- ما زال على قيد الحياة. لكن حال الأسرة يسوء كثيرًا عندما يُتوفى الأب وتبقى الأم الراعية الأولى- وربما الوحيدة- للأسرة بأكملها.

وكما نعلم فإن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- أوصى باليتيم خيرًا، وقال: ((**أنا وكافِلُ اليتيمِ في الجنَّةِ هكذا**)) وأشار بالسَّبَّابَةِ والوُسْطى وفَرَّجَ بينهما شيئًا[1]، وهو يدل على أنه- عليه أفضل الصلاة والسلام- وكافل اليتيم في الجنة، دلالة على الأجر العظيم الذي يحصل عليه من يقوم برعاية هؤلاء الأيتام.

قد يقول قائل بأن لهؤلاء الأيتام أناس يكفلونهم. ومع التسليم بذلك، إلا أنه في الغالب فإن هؤلاء الأيتام قد لا يحظَوْن بالرعاية المطلوبة، فقد يعيشون في أُسَرٍ فقيرة، وخاصة بعد أن تفقد الأسرة الأب وتتحول من وضعها الاجتماعي العادي الذي كانت تعيشه إلى وضع أقرب إلى حياة الأُسَر الفقيرة، وهو ما شاهدناه في كثير من الأُسَر التي فقدت العائل الرئيسي لها وهو الأب. لذلك، يصبح من الواجب على أفراد المجتمع مساعدة الأم التي يكون عندها في- كثير من الأحيان- مجموعة من الأطفال، ولا يكون بإمكانها القيام برعايتهم فضلًا عن توفير النفقات لهم.

من هنا فقد يكون من ضمن مشروع كفالة اليتيم أن يتم حصر مثل هذه الأُسَر والأيتام الذين يعيشون فيها، وأن يتم إعداد برامج خاصة لهم، كأخذهم للنزهة أو إعطائهم الهدايا بين كل حين وآخر وخاصة في المناسبات، أو زيارتهم لتقديم المساعدات المالية لهم ولأُسَرهم التي تقوم بإعالتهم، أو

(1) رواه البخاري عن سهل- رضي الله عنه.

لمتابعة دراستهم، أو لمتابعة أحوالهم الصحية وما إذا كانوا يحصلون على التحصينات والفحوصات الضرورية.

٢- مساعدة الأمهات اللواتي يعمَلْن أو يَدْرُسْن أو لديهن أطفال كثيرين

لقد أصبح ذهاب المرأة إلى العمل أو مواصلتها للدراسة في الجامعة أو الكلية من الموضات المستجدة التي لا بُدَّ من التعايش معها. ومثل هذا الأمر قد يكون من الصعوبة بمكان عندما تكون المرأة متزوجة ولديها الأطفال، حيث أنه- في أغلب الأحيان- سيُسنَد أمر الأطفال إلى الخادمة، والخادمة- حتى وإن كانت مسلمة- فهي غالبًا لا تعرف اللغة العربية، وقد لا تعرف الطريقة الصحيحة لتربية الأطفال.

لهذا، فإن على الأخوات الراغبات في التطوُّع تحسُّس الأُسَر التي توجد فيها مثل هذه الحالات. وإذا وجدت الأخت أسرة بها عدة أطفال صغار والأب يذهب إلى العمل والأم تذهب إلى العمل أو الدراسة، فعندها يمكن لهذه الأخت أن تبقى مع الأطفال في فترة الصباح أو تأخذهم إلى بيتها لحين عودة الأم أو تأخذهم للنزهة. وإذا كان بين الأطفال رضيع فيمكن للأخت أن توفر له الحليب في الأوقات المعتادة. مثل هذه المبادرات في الغالب ما يكون لها أثر طيب في زيادة الترابط والمحبة بين الأُسَر.

وحيث أن الحديث هنا هو حول موضوع التطوع، لذلك فإن أمكن التفاوض مع الأمهات ليدفعن مكافئات- ولو بسيطة- لهؤلاء الأخوات، فيكون الأمر أكثر تحفيزًا لهنَّ، وإلا فلا بأس لأن الأخت التي تقوم برعاية هؤلاء الأطفال تكسب أجرًا من الله سبحانه وتعالى، وهي أيضًا فرصة لها لكسب الخبرة التي قد تحتاج إليها عندما يكون لها أطفال. ولا ننسى أيضًا أن مثل هذا العمل هو نوع من أنواع التكافل الاجتماعي وأسلوب من أساليب الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى.

هناك أيضًا من الأمهات اللواتي عندهن مجموعة من الأطفال الصغار المتقاربون في السن ويصعب عليهن رعايتهم وتربيتهم تربية سليمة بمفردهن. وهنا يمكن أن تذهب الأخوات الراغبات في التطوُّع إلى هؤلاء الأمهات بين كل فترة وأخرى، ويساعدنهن للقيام بشؤون البيت. مثلًا، يمكن أن تذهب الأخوات المتطوِّعات إلى بيوت أولئك الأمهات في فترة إعداد الغداء ويأخذن الأطفال للعب أو

لتعليمهم القرآن أو يشغلْنَ أوقاتهم بالقصص والتسالي المختلفة، وبهذا تتهيأ للأمهات فرصة تنظيف المنزل أو إعداد الغداء وهنَّ مرتاحات البال.

جانب آخر من جوانب التطوع في مساعدة الأمهات اللواتي عندهن مجموعة من الأطفال الصغار هو مساعدتهن عندما يذهبن إلى المستشفى ويأخذن أطفالهن للعلاج أو التطعيم أو للفحص الدوري أو لتنظيف الأسنان، حيث أنه في أغلب هذه الحالات يكون من الصعب على الأم- وهي وحيدة في البيت- أن تذهب إلى العيادة بمفردها، فهي ستحتاج إلى قيادة السيارة وفي الوقت نفسه العناية بالأطفال. كذلك، فقد لا تريد الأم أخذ جميع أطفالها معها إلى المستشفى، وتحتاج إلى من يرعاهم في البيت. وهنا يمكن أن تتبرع إحدى الأخوات بالبقاء في البيت مع الأطفال، وتتبرَّع أخرى بالذهاب مع الأم في السيارة، وحبَّذا لو قامت الأخوات المتطوِّعات بإشعار الأمهات بأنهن مستعدات للقيام بهذا الدور دون مقابل.

٣- إقامة روضات للأطفال

من المجالات الأخرى المهمة في جانب الاهتمام بالأطفال هي إقامة حلقات أو جلسات لتعليم الأطفال. مثلًا، يمكن أن تتفق بعض الأخوات ويقمن بتجميع الأطفال الصغار الذين هم دون سِنِّ المدرسة- أو حتى في بدايات سِنِّ المدرسة- في أحد المنازل أو في مدارس تحفيظ القرآن أو في غيرها من الأماكن العامة، ويقمن بتعليم هؤلاء الأطفال الحروف والأرقام، وكذلك تعليمهم القرآن الكريم والحديث الشريف والسيرة النبوية، أو غيرها من العلوم النافعة. مثل هذا المكان سيكون بمثابة روضة للأطفال، ويمكن أن تتظافر جهود أهل الحيِّ للتبرع بتوفير وسائل اللعب والترفيه في هذه الروضة، مما يكون له دور إيجابي في إراحة الأمهات لكي يقمن بواجبات المنزل، أو للاهتمام بأنفسهن، كقضاء بعض الوقت في القراءة أو في زيارة الأقارب أو حتى في الذهاب إلى المدرسة.

ولمثل هذه الروضات أيضًا دور إيجابي آخر غير تعليم الأطفال القرآن الكريم وسيرة المصطفى- صلى الله عليه وسلم- وتعويدهم على الأخلاق الفاضلة، ألا وهو مذاكرة الدروس للأطفال، حيث أن أطفال الصفوف الأولى غالبًا لا يذاكرون دروسهم من ذوات أنفسهم، ولا مانع من أن تكون هناك أيضًا حلقات مذاكرة لطلاب الصفوف الوسطى والمتقدمة.

وبالإضافة إلى التطوع في هذا الجانب من قِبَل الأخوات فإنه يمكن لبعض الإخوة أيضًا- سواءً كانوا مدرسين أو يعملون في وظائف- أن يقوموا بالتبرع في الفترات التي لا يكون لديهم أعمال كفترة ما بعد العصر، أو فترة ما بين المغرب والعشاء، وذلك أيضًا لمساعدة طلاب الحيِّ على مذاكرة دروسهم أو على الأقل لتشجيعهم على حل واجباتهم. أما فيما يتعلق بتقديم الدروس والحلقات فيمكن ترتيب هذا الأمر بحيث يناوب في الروضة عدد معيَّن من الأشخاص، يتم اختيارهم بحسب الفترات التي لا يعملون فيها أو التي ليس لديهم فيها ارتباطات.

أما بالنسبة للمكان الذي سيتم تخصيصه كروضة للأطفال فإنه سيحتاج إلى تجهيزه بالأثاث والألعاب والأدوات الأخرى كالسبورة أو الأقلام، وقد يحتاج أيضًا إلى بعض الخدمات كالكهرباء والماء. ويمكن تمويل تكاليف كل هذه الأشياء إما عن طريق التبرع من قِبَل أهل الحي أنفسهم، وإما بالحصول على معونات مالية من المؤسسات الحكومية أو الخاصة التي لها اهتمامات بشؤون الأطفال أو خدمة المجتمع.

أسئلة وتمارين

- اذكر بعض فئات الأطفال التي تحتاج إلى رعاية من قِبَل المجتمع.
- اذكر بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الحاثَّة على الاهتمام باليتامى.
- تحدَّث عن الجوانب المختلفة التي يمكن من خلالها مساعدة الأطفال اليتامى.
- قم بدراسة لتحرِّي عدد الأطفال اليتامى في المحيط الذي تعيش فيه وأحوالهم وأحوال الأُسَر التي يعيشون فيها من الناحية المادية والعلمية. على ضوء نتائج تلك الدراسة، اتفق مع بعض زملائك أو مع إحدى المؤسسات المعنية بالأعمال الخيرية وحاولوا وضع برنامج لرعاية أولئك اليتامى وكفالتهم.
- تحدَّث عن الجوانب التي يمكن من خلالها التطوُّع لمساعدة الأمهات اللواتي لديهنَّ أطفال صغار.
- إذا كان في بيتكم بناتٍ أو نساء قعيدات المنزل فحاول تشجيعهن على تفعيل جانب مساعدة الأمهات اللواتي لديهن أطفال صغار، وحبَّذا لو تقوموا سويًّا بعمل دراسة مبسطة عن أولئك الأمهات واحتياجاتهن وسُبُل القيام بمساعدتهن.
- تحدَّث عن أهمية رياض الأطفال والدور الذي يمكن أن تلعبه في المجتمع.

أسئلة وتمارين

- تحدَّث عن الطرق المناسبة لتمويل وتفعيل رياض الأطفال.
- إذا كانت لا توجد في الحيِّ الذي تقطن فيه روضة للأطفال فبادر بالتعاون مع بعض المخلصين على إنشاء واحدة، وإن كانت في البداية بسيطة من حيث المساحة والإمكانيات.

زيادة الترابط بين أفراد الحي من خلال الأنشطة الرياضية والثقافية والاجتماعية

أمرٌ جديرٌ بالاهتمام بات واضحًا لكل ذي بصيرة وهو أن الحياة المعاصرة قد أضعفت ترابط الناس في القرى والأرياف بشكل ملحوظ؛ فالرجال- وعدد لا بأس به من النساء- ينزحون كل جمعة إلى المدن والعواصم ليقضوا أسبوعًا كاملًا في وظائفهم، وطلاب الجامعات والكليات يرحلون عن ديارهم ومعظمهم لا يعودون إلى بلدتهم إلا في أوقات الإجازات أو عندما يشعرون بحاجتهم للراحة من عناء الدراسة ونغص الامتحانات، وطلاب المدارس يقضون معظم يومهم في مدارسهم، ولا يبقى في الأحياء والقرى إلا ربات البيوت والشيوخ والعجائز وصغار الأطفال.

في هذه الأجواء تتقلَّص الأواصر وتضعف الروابط وتتفكك العلاقات، وتصبح الأحياء والقرى مجرد منتجعات لقضاء العطل والإجازات. من هنا لزم تدارك الأمر من خلال بعض الأنشطة والفعاليات التي على أهل الحي القيام بها لتحفظ لهم هويتهم وتماسكهم، وهذا ما سنتطرق إليه- بإذن الله- في هذا الفصل.

وعلى الشباب والفتيات في كل قرية وحي أن يأخذوا زمام المبادرة لتقوية الصلات وتحفيز الناس على العطاء ولنشر جوٍّ من المحبة والوئام بين أبناء الحي لكي يبقوا- كما كانوا من قبل- أسرة واحدة متماسكة.

١- برنامج لتبادل الزيارات بين أهالي الحي

يمكن أن يقوم مجموعة من الشباب والفتيات بإعداد برنامج لتبادل الزيارات بين أهالي القرية أو الحيِّ، ويمكن أن تكون الزيارات أسبوعية أو شهرية، ويمكن أن تنطلق من المسجد. وفي يوم الزيارة وبعد الصلاة مثلًا يتوجه مَن يرغب من أهل الحي إلى منزل الشخص المقرَّر زيارته في ذلك اليوم. ويجب التنبيه إلى أن ينأى الناس عن الكُلفة في ما يُقدِّمون للضيوف من طعام وشراب لكي يضمنوا استمرارية هذه الزيارات ولكي يكون بمقدور جميع أهل الحيِّ أو القرية المشاركة فيها. كذلك، فيجب مراعاة حرمات البيوت واحترام ظروف المزار وأهله بحيث لا يمكث الناس عنده كثيرًا فيضيِّعوا عليه أوقاته وأعماله.

٢- التجمع في مكان عام والمشاركة بالقهوة أو بطبق طعام

من الأمور التي كانت منتشرة كثيرًا في القرى والأحياء والأرياف تجمع الأهالي بين الظهر والعصر أو بعد المغرب أو العشاء للتسامر واحتساء القهوة والشاي والترويح عن متاعب ذلك اليوم من خلال القصص والحكايات التي يسردونها لبعضهم البعض، وغالبًا ما يكون اجتماع الناس في مجلس عام أو مكان معروف في القرية أو الحيِّ.

ولقد كادت تلك المشاهد أن تنقرض، ولذا فحريٌّ بشباب اليوم أن يعيدوا تلك الأجواء لتعود البهجة بين النفوس وتتقوى الأواصر والروابط، وليشب الأطفال على تلك العلاقات المتينة والأجواء البهيجة التي عاشها آباؤهم وأجدادهم. وفي ذلك الاجتماع السعيد يشارك الحاضرون بأطباق الطعام وبسخانات القهوة والشاي. ويمكن للاجتماع أن يكون يوميًّا أو أسبوعيًّا، ويمكن أن يستمر لساعات حسب العرف السائد ورغبة الحاضرين في البقاء.

وفي الوقت الحاضر يمكن أن يشارك في التجمُّع طلاب المدارس، بحيث يأتون بكتبهم ودفاترهم لمذاكرة دروسهم ولمساعدة بعضهم البعض. كذلك، فيمكن أن يصبح ذلك التجمُّع ملتقىً للهواة وأصحاب المشاريع والمؤسسات لتبادل الأفكار ومناقشة الأعمال التي يقومون بها.

٣- إقامة وجبة غداء أو عشاء مشتركة بين أهل الحي

من الأمور التي يمكن أن تنشر أجواءً من المتعة وتزيد من تفاعل وترابط أهالي الحي هي التجمُّع لوجبة غداء أو عشاء مشتركة. ويجب أن يُراعى اختيار وقت الحدث بحيث لا يتعارض مع ارتباطات الناس في الوظائف والمدارس، وكذلك بأن يكون بعيدًا عن أوقات المناسبات العامة كالأعياد، فمثل هذه الترتيبات من شأنها أن ترفع من مستوى المشاركة بين الناس ومن تفاعلهم معها. ويمكن أن يكون الغداء أو العشاء شيئًا متميِّزًا كالأطباق الشعبية التقليدية، ويُحبَّذ أن يقوم الناس أنفسهم بطهي الطعام عند تجمُّعهم وأن لا يوكل الأمر إلى مطابخ أو مطاعم. ويمكن أن يصاحب الغداء تناول القهوة والشاي والمرطبات والفواكه. كذلك، فيمكن أن يتم فيه إلقاء بعض الفقرات التي تضفي جوًّا من المرح والتفاعل، كالأناشيد والقصائد الشعرية والمسابقات والمناظرات والمقابلات.

٤- يوم ثقافي مفتوح

بين كل حين وآخر يمكن الترتيب لإقامة يوم ثقافي مفتوح، وذلك بأن يجتمع أهل الحي من الرجال والنساء ويقدِّم كل من لديه مشاركة الفقرة التي ينوي المشاركة بها. ويمكن أن تخصص فقرات لإجراء محاورات ومقابلات مع المشاركين. كذلك، فيمكن أن تتخلَّل الفعالية فقرات إنشادية أو طرائف أو مسابقات ثقافية أو غيرها من الفقرات الثقافية والترفيهية. ويفضل أن يتم توزيع جوائز للمشاركين وذلك لتشجيعهم على المشاركة المستقبلية، على أن يتم توزيع الجوائز بعد كل فقرة أو في نهاية الفعالية. أما بالنسبة لطول الفعالية فيمكن أن تكون لبضع ساعات ويمكن أن تكون ليوم كامل على أن تتخلَّلها وجبة غداء أو عشاء، والتي يمكن توفيرها من خلال الأطباق الخيرية.

٥- برنامج لتبادل الهدايا في الأعياد

قد تكون الأعياد من أهم المناسبات التي تعيد الفرحة للقلوب والبهجة للنفوس، وخاصة بين الأطفال. ومن الطرق التي قد تشيع هذا الجو بين أهالي الحي هي تبادل الهدايا بين الأُسَر، وذلك مثلًا بأن يوضع في صندوق أسماءَ العائلات ويطلب من القادرين على المشاركة أن يسحب كلٌّ منهم ورقة، وعلى هذا الشخص أن يشتري هدية بقيمة محددة أو يدفع نقدًا ويتم شراؤها من قِبَل لجنة مشكلة. ويمكن إضفاء مشاعر الود والمحبة على الأسرة التي ستستقبل الهدية وذلك بأن يتم إرفاق ورقة صغيرة يكتب فيها المهدي عبارة للأسرة التي ستذهب إليها الهدية، وبعد ذلك يتم تغليف الهدية وتسليمها إلى الأسرة من قِبَل لجنة التهادي. ويمكن أن تُرسَل أكثر من هدية للأسرة الواحدة، ويمكن أن يشترك أكثر من شخص لشراء هدية بقيمة أعلى.

٦- معرض للصور القديمة

من الأنشطة المهمة- والمثيرة في الوقت نفسه- التي على الشباب أن يقوموا بها هي إقامة معارض للصور القديمة في كل قرية أو حيٍّ لكي تحكي للأجيال المتلاحقة حياة آبائهم وأجدادهم، وأحوال قريتهم والأحداث التي مرَّت على القرية أو ساكنيها. ويمكن تجميع تلك الصور من أهل القرية أو ممن لهم اهتمامات بحفظ التراث من غير أهل القرية أو الحي، ثم الحصول على نسخة إلكترونية من كل منها وإرجاع الصور الأصلية إلى أصحابها. بعد ذلك، يقوم القائمون على المعرض بطباعة تلك

الصور وتغليفها ووضع تعليقات أو شروحات عليها، ليسهل على الزائر للمعرض التعرُّف عليها وعلى ما تحتويه من معالم وشخصيات. وبعد الانتهاء من المعرض يتم الاحتفاظ بتلك الصور للأعوام المقبلة لاستخدامها في معارض أخرى.

ويمكن إقامة مثل هذه المعارض في المناسبات العامة كمهرجانات الأعياد أو في الاحتفالات التي تكون في نهاية المراكز الصيفية.

٧- ماراثون لأهل الحي

من الأنشطة التي بمقدور أهالي كل حيٍّ أو قرية الترتيب لها- وهي في الوقت نفسه كفيلة بإعادة البهجة والمرح إليهم- هي الخروج في ماراثون يجمع الرجال والنساء والشباب والشيوخ وحتى الأطفال، سواءً كانوا من أهالي ذلك الحي أو القرية فقط أو كانت فعالية يشترك فيها أهالي عدة أحياء وقرى. وليس الهدف من الماراثون حصد الجوائز وإنما المشاركة، ولكن ذلك لا يمنع من حصول الفائزين على جوائز. ويمكن أن يبدأ الماراثون من مركز الحي أو القرية وينطلق في الطرقات بين المزارع والبساتين والبيوت. ويمكن أن تضاف للسباق فقرات تضفي عليه مزيد بهجة كتناول القهوة الجماعية بعد الانتهاء من الماراثون وكتصوير السباق ليُحتفظ به للأجيال القادمة.

ويجب أن يراعى في مثل هذه الأنشطة عدم اختلاط الرجال بالنساء؛ فينطلق الرجال أولًا ثم الأطفال وأخيرًا البنات ثم النساء. كذلك يجب الإعداد لهذا النشاط مسبقًا بحيث يسند حفظ النظام فيه إلى مجموعة من الشباب والفتيات لئلا يحدث فيه ما ينغص جوَّ الفعالية.

٨- سباق للدراجات الهوائية

على غرار سباق الماراثون، فيمكن ترتيب سباق للدراجات الهوائية لأطفال الحي وحتى الشباب والرجال إن رغبوا في ذلك، ويمكن أن يشارك فيه آخرون من قرى وأحياء مجاورة. وفي يوم السباق يجتمع المشاركون كل بدراجته الهوائية ويتم تذكيرهم بالطريق الذي عليهم أن يسلكوه وبضوابط السباق. أما أهل الحي أو القرية فإنهم يصطفون على امتداد الطريق لتشجيع المتسابقين، وربما لتزويدهم بالماء أو لمساعدتهم إن أصيب أحدهم أو تعطلت دراجته. وفي نهاية السباق يجتمع

المشاركون والمنظمون للسباق ووجهاء القرية أو الحي ويتم توزيع الجوائز على الفائزين، ويمكن أن يعقب ذلك تناول القهوة والمرطبات.

٩- معسكرات لمساعدة المزارعين في أعمال الفلاحة

ظاهرة فريدة وممتعة كنا نعايشها عندما كنا أطفالًا وهو تسابق الناس- وخاصة الأطفال والشباب- لمساعدة مزارع في حراثته للأرض أو زراعته للنبتات الجديدة أو رَيِّه للمحاصيل، ولا ننسى مواسم الحصاد وما كان يحصل فيها من اجتماع للناس وتسابقهم في جني المحاصيل أو تخزين التمور وأصناف الحبوب. وللأسف الشديد، فقد كادت تلك المشاهد الممتعة أن تنقرض والتي كانت تثير في الناس البهجة وفي المزارعين السعادة، وخاصة إذا علمنا أنها لا تكلفهم مبالغ تذكر مما يجعلهم لا ينسون أهل قريتهم فيجودون عليهم بشتى أنواع المحاصيل والتمور والحبوب.

وإذا كانت تلك الظاهرة قد اختفت- أو كادت أن تختفي-، فعلينا أن نسعى لإيجاد ذلك الجو الشاعري ولو لفترات معدودة في خلال العام، وذلك بأن يتم التنسيق مع بعض المزارعين على إقامة معسكرات لمساعدتهم في زراعة أو جني أو تخزين محاصيلهم، ثم يتم دعوة الأطفال والشباب للمشاركة. ويمكن أيضًا أن يقام معسكر يوم كامل يخرج فيه الشباب ويمرون على المزارع الواحدة تلو الأخرى وما احتاج منها إلى إصلاح أصلحوه وما احتاج إلى ريٍّ عمدوا إليه فَسَقَوْه، وبالطبع يجب أن يكون كل ذلك بالتنسيق مع أصحاب المزارع.

١٠- صندوق للتكافل بين أهل الحي

على غرار صندوق التكافل الأُسَري الذي تكلمنا عنه في فصلٍ سابق فيمكن إنشاء صندوق للتكافل بين أهل الحيِّ، والذي يمكن استخدامه لإعانة الأُسَر الفقيرة واليتامى، ولشراء الهدايا والحقائب المدرسية للأطفال وذوي الدخل المحدود، وكذلك لتمويل إقامة وصيانة المشاريع، ولإقامة الفعاليات التي تقام في القرية أو الحي. ويجدر أن يتم تشكيل مجلس أو لجنة من أهالي الحي لمناقشة أمور الصندوق من تجميع الأموال وصرفها. أما بخصوص تمويل الصندوق فيمكن أن يُفرَض مبلغ معين على كل فرد في الحيِّ أو يُقتصَر فقط على الموظفين والقادرين. ويُحبَّذ أن يُفرض على الطلاب مبالغ رمزية لكي يتعوَّدوا على العطاء وليتعرفوا على بعض الجوانب التي يمكنهم المشاركة فيها.

١١- إقامة مشاريع لخدمة الحي

إن كثيرًا من المشاريع الخدمية التطوُّعية التي تطرقنا إليها أو سنتطرق إليها في هذا الكتاب لاحقًا- بإذن الله- يمكن أن تقام على مستوى القرية أو الحي. من المشاريع الأخرى التي يمكن إقامتها على مستوى الحي ما يلي:

١- إنشاء مدارس جديدة للقرآن الكريم أو الاعتناء بالقائم منها والمحافظة عليها وترميمها وصيانتها. وتعتبر مثل هذه المنشآت من المعالم المهمة في كل قرية وحيٍّ للدور الكبير الذي تلعبه في المحافظة على الأطفال وتنشئتهم على كتاب الله وسنة رسوله- صلى الله عليه وسلم- والأخلاق الإسلامية الفاضلة. وعلى أهل كل قرية وحيٍّ أن يعملوا وسعهم وأن يضحوا بأوقاتهم وأموالهم من أجل إقامة مثل هذه الأماكن والمحافظة عليها.

ويمكن استخدام مدارس القرآن لأغراض أخرى كالاجتماعات العامة التي تُعقَد في القرية بين حين وآخر، وكذلك لإقامة المحاضرات والندوات والاحتفالات. وعلى أهل كل قرية أو حيٍّ أن يهتموا بوقف الأموال والأملاك لمدارس القرآن الكريم- كما كان يفعل الأجداد- وأن لا يبخلوا عليها بأموالهم وأوقاتهم لتستطيع تأدية الدور المرجوّ منها.

٢- إقامة مكتبة عامة تكون مأوى للشباب والفتيات للارتقاء بمستوياتهم العلمية والثقافية. ويمكن للمكتبة أن تكون في مكان مستقل ويمكن أن يخصص لها جانب من أحد المساجد أو المجالس العامة. كذلك، فيمكن للمكتبة أن تأخذ شكلها التقليدي والمتمثل في الرفوف والأقسام، مما يستدعي تصنيف الكتب باستخدام أحد طرائق التصنيف المتعارف عليها، ويمكن أن لا تزيد المكتبة عن مجرد خزانة صغيرة.

أما من ناحية المحتويات فيجب أن يتم تنويع المواد الموجودة في المكتبة لتحوي الكتب والأشرطة والمجلات والنشرات، لكي يزيد إقبال الناس عليها واستفادتهم منها. وأما من ناحية التمويل فيمكن أن يتم فرض اشتراكات شهرية رمزية على القادرين من أهل الحي، ويتم استخدام تلك الاشتراكات في شراء المواد وفي صيانة المكتبة وسداد فواتيرها.

٣- إقامة دورات مياه عامة لاستخدامها من قِبَل أهالي الحي، وخاصة في أوقات الصلوات والمناسبات ولاستخدامها أيضًا من قِبَل الضيوف والسياح، والذين- في الغالب- قد يجدون حرجًا في استخدام دورات المياه الخاصة في البيوت.

٤- الاعتناء بمصلى العيد الموجود في القرية أو الحيِّ- إذا كان يوجد به ثمة مصلى. ويمكن إقامة معسكر للشباب قبل كل عيد بيوم أو أكثر ليقوموا بتنظيف المصلى وإزالة ما نما فيه أو حوله من حشائش، وأيضًا لفرشه بالبُسُط. كذلك فيمكن في ذلك المعسكر تركيب مكبرات الصوت والميكروفونات التي ستستخدم أثناء صلاة العيد وأيضًا تركيب المصابيح إذا كانت ستقام فيه فعاليات في فترة المساء. وإذا كان سيتم في فترة العيد بيع الهدايا والحلويات وغيرها من الأصناف، فيمكن في ذلك المعسكر ترتيب الأماكن الخاصة للبيع.

٥- إصلاح الشوارع والطرقات وذلك بتنظيفها وإزالة المخلفات الملقاة عليها والشجيرات التي قد تنمو في جوانبها. ويمكن بين كل فترة وأخرى أن تتطوع مجموعة من الشباب بذلك، ويمكن أن يتم ترتيب معسكر خاص لهذا الغرض.

أسئلة وتمارين

- ما هي في نظرك الأسباب التي أدت إلى- أو تحاول- تفكيك الأواصر والعلاقات بين أهالي الأحياء والقرى؟
- قم بإعداد برنامج متكامل لماراثون يقام في الحيِّ أو القرية التي تعيش فيها وتدارَس مع مجموعة من أصدقائك إمكانية تنفيذه.
- اشرح كيف يمكن أن يؤدي التطوُّع لمساعدة المزارعين من قِبَل أهالي الأحياء والقرى إلى ترابط الناس.
- نسِّق مع بعض أفراد قريتك لإقامة معرض للصُّوَر القديمة في إحدى المناسبات القادمة واخطوا الخطوة الأولى لتفعيل ذلك، وهي القيام بتجميع الصُّوَر.
- بادر مع بعض زملائك من أهل حيِّك أو قريتك إلى إعداد جدول لتبادل الزيارات بين أهل القرية أو الحيِّ. قوموا بمناقشة ذلك الجدول مع الأهالي في المسجد أو المجالس العامة وشجِّعوا الناس على المشاركة فيه.

أسئلة وتمارين

- اذكر بعض المشاريع والبرامج المشتركة التي يمكن إقامتها بين أهل حيِّك أو قريتك والتي يمكن أن تزيد من ترابط الأهالي وتضفي عليهم أجواءً من البهجة والسرور. حاول أن تقوم- مع بعض الشباب- بتشكيل لجنة لمناقشة هذه المشاريع والبرامج ووضع تصوُّرات للبدء فيها.
- ذكرت في هذا الفصل الكثير من الاقتراحات التي يمكن أن تزيد من ترابط الأُسَر والأفراد بين أهالي الأحياء والقرى. قم بدراسة ميدانية لاستطلاع آراء الناس حول هذه المقترحات، وللحصول على مقترحات أخرى. حاول صياغة نتائج الدراسة وبلورتها بطريقة واضحة وحاول مشاركة الأحياء والقرى الأخرى في مدينتك أو القُطْر الذي تعيش فيه، وذلك من خلال طرح نتائج الدراسة في إحدى الصحف المحلية أو على مواقع الإنترنت.
- قم بإعداد بحث حول الفعاليات والأنشطة المختلفة التي تقام في المجتمعات الأخرى- المسلمة وغير المسلمة- وحاول مقارنتها بتلك التي تقام في مجتمعك. شارك الآخرين في الاستفادة من هذا البحث وذلك بإخراجه على شكل كتيِّب أو بنشره في إحدى مواقع الإنترنت.
- كما هو معروف فإن أيَّ نشاط أو فعالية تقام، سواءً على مستوى الحيِّ أو المدينة أو القُطْر، تكلف أموالًا وتحتاج إلى بذل جهود. لماذا في نظرك يكلف الناس أنفسهم القيام بمثل هذه الأنشطة والفعاليات؟ وما هي الآثار السلبية في التخلِّي عن إقامتها؟

رفع المستوى الثقافي والعلمي والفكري في المجتمع

نحن نعلم أن المجتمع عبارة عن نسيج مترابط من الأُسَر، والأُسَر تتكون من الأفراد، والارتقاء بالمستوى الثقافي والفكري للمجتمع يتطلب الارتقاء بالمستوى الثقافي والفكري للأُسَر، وهذا بدوره يتطلب الارتقاء بالمستوى الثقافي والفكري للأفراد. من هنا، فإن على أفراد المجتمع جميعًا أن تتوحَّد جهودهم لرفع مستوى الكفاءة والثقافة والفكر في المجتمع الذي يعيشون فيه.

ورغم أن الأمر قد يخص المثقفين قبل غيرهم وأصحاب الشهادات قبل الأميين، لكنه يحتاج إلى تكافل وتضافر جهود، لأن هناك فئات كبيرة من الناس ليس عندهم أدنى مستوى من الثقافة، فقد يكون بعضهم أميًّا لا يجيد حتى القراءة أو الكتابة، وقد يكون مِن الناس مَن يجيدون القراءة والكتابة ولكن ليسوا بمثقفين. وأقصد بالثقافة هنا تنوُّع العلوم والفنون، فالعالم الذي نعيش فيه يتطلَّب من الإنسان أن يكون مُلِمًّا بجوانب كثيرة من المعارف، أو على الأقل أن تكون لديه فكرة عامة عنها.

ولا يمكن أن تناط مسؤولية الارتقاء بالمجتمع إلى مثل هذا المستوى من الوعي والثقافة والفكر إلى المؤسسات التعليمية، لأنها- في الغالب- ما توجه اهتمامها إلى صغار الأطفال وإلى طلاب المراحل التعليمية المختلفة، وتبقى هناك فئات عديدة من المجتمع لا تحظى بأي نصيب من العلم والمعرفة. لذا، فإن على المثقفين والمتعلمين في كل بيئة أن يتعهَّدوا تلك الفئات بالرعاية والاهتمام، وذلك من خلال إعداد برامج خاصة لهم. وينبغي أن يتم التنسيق بين فئات الشباب المختلفة التي ستتطوع لتثقيف الناس، بحيث تكون البرامج معدة ومرتبة بطريقة جيدة تؤدي الأهداف المنشودة منها.

١- الاهتمام بتعليم كبار السِّن

من الفئات التي أُهمِلت- أو أَهملت نفسها- هي فئة كبار السِّن، حيث أن هناك الكثير من هؤلاء مَن قد فاتهم قطار التعليم في صغرهم ولم يهتموا بالدخول إلى المدارس أو الالتحاق بما تسمى بمراكز محو الأمية أو تعليم الكبار، أو أنهم قد تركوا المدرسة في فترة مبكرة من أعمارهم وعاشوا حياتهم شبه أميين، حيث أن أغلبهم- وإن كانوا يعرفون القراءة والكتابة- إلا أنهم جهلة في كثير من الأمور، وخاصة أمور الدين.

إن معظم كبار السِّن ليس عندهم أدنى معرفة بالدين، ومعظم الأمور التي يعرفونها عن الدين إما أن تكون قد توارثوها من آبائهم وأجدادهم، وقد تكون تأديتهم لها من قبيل العادة. الكثير من هؤلاء- إن لم يكن أغلبهم- لا يجيدون حتى قراءة الفاتحة، ومعظمهم يكاد أن يردد في كل الصلوات الفاتحة وسورة أو سورتين من قصار السور التي قد لا يحفظون غيرها وقد لا يجيدون حتى قراءتها. أما أمور الدين الأخرى كالغُسل من الجنابة أو نواقض الصلاة أو الصوم فقد لا يعرفون عنها شيئا، ناهيك عن إتقان الصلاة ومعرفة أركانها وأحكامها ومعرفة أحكام الصيام والزكاة والحج وغيرها من العبادات. كل هؤلاء بحاجة إلى مَن يعلمهم ويسدَّ في حياتهم بعض النقص الذي تراكم على امتداد سنوات أعمارهم.

وموضوع تعليم الكبار هو من الأمور الحساسة التي يجب أن يُحسَن اختيار من يقوم به؛ وخاصة إن كانوا من فئة الشباب أو الفتيات؛ لأن الكبار قد ينظرون إلى هؤلاء على أنهم صغار سِنٍّ، وربما قد يستنكفون التعلُّم منهم. من هنا، فإن على الشخص الذي سيقوم بالتطوُّع لتدريس الكبار أن يستخدم طرقًا ذكية وغير مباشرة؛ كأن يقوم بإعطاء دروس عامة في المسجد أو في غيره من الأماكن التي عادة ما يتجمع فيها الكبار، ويتم تشجيع الصغار على حضورها، وعندها يقوم المدرس بتعليم هؤلاء تدريجيًا بحيث يبدؤون في الأمور العامة كالصلاة والوضوء وقراءة القرآن، ثم يتدرَّجون إلى غيرها من المعارف والعلوم الأخرى. فإن رأى المدرس منهم تقبلًا أمكن إعطاؤهم بعض الأشرطة والكتيبات، وإن كان الكثير منهم قد لا يحب الاستماع إلى الأشرطة وقد لا يجيد القراءة.

ويمكن أيضًا البدء في تعليم هؤلاء القراءة والكتابة ولو بشكل مبسط، وأيضًا مراجعة سور القرآن الكريم لهم، وخاصة قصار السور، ويجب أن لا يكلَّفوا بحفظ السور الطويلة إلا مَن كانت لديه رغبة في ذلك. وعلى المدرس أو المُدرِّسة أن يتأكدا من أن هؤلاء يحسنون التلفظ بما يقرؤونه من القرآن. وعليهما أيضًا تذكيرهم بما ينبغي القيام به من الفرائض والواجبات، وإذا كان أحدهم عنده شيء من المنكرات فيمكن تذكيره بحرمة أو كراهية مثل تلك المنكرات وعقوبتها شيئًا فشيئًا وبصورة غير مباشرة.

بالطبع، قد يكون الأمر أصعب بالنسبة للنساء الكبيرات في السِّن، بحكم أن غالب الرجال يختلطون بالآخرين ويذهبون لصلاة الجمعة ويذهبون إلى الأسواق ويشاهدون التلفاز، ويكتسبون معلومات من هنا وهناك. لكن كثيرًا من كبيرات السِّن هُنَّ- في الغالب- أميات لا يجدن القراءة ولا الكتابة ولا

يعرفن إلا اليسير من أمور دينهن ومن المعارف الأخرى. ودعوة مثل هؤلاء النساء قد لا يتأتى بطريقة مباشرة وإنما يحتاج إلى نوع من التحايل؛ كأن يتم في جلسة قهوة مثلًا تذكير المرأة الكبيرة وتعليمها من خلال حوار متفق عليه مسبقًا بين بعض الأخوات.

٢- رفع مستوى الثقافة حول التقنيات الحديثة والفنون والمهارات المختلفة

يعجُّ عالم اليوم بالكثير من التقنيات والفنون والمهارات، والتي نحتاج إلى أن نرتقي بالفئات المختلفة في مجتمعاتنا إلى مستويات عالية من المعرفة والتطبيق لها. إن المجتمع بحاجة إلى استخدام الوسائل الحديثة لترتيب وعقد دورات وبرامج متخصصة تلبي احتياجات الناس، ويمكن توجيه هذه البرامج والمهارات للفئات المختلفة في المجتمع، كأن تُرتَّب دورات خاصة للشباب وأخرى للأخوات وثالثة لكبار السِّن من الرجال ورابعة لكبار السِّن من النساء وربما دورات متخصصة للأطفال. ومجتمعاتنا بحمد الله يوجد بها الكثيرون ممن يجيدون مثل هذه التقنيات والفنون والمهارات، لكن ما يحتاجه هؤلاء فقط هو أن يخصصوا بعض أوقاتهم- وخاصة في فترات المساء والعطل الأسبوعية والرسمية- لممارسة مهاراتهم وخبراتهم وفي الوقت نفسه تقديم خدمة للمجتمع.

٣- توزيع الأشرطة والكتيبات

ما يمكن القيام به أيضًا هو إعداد برنامج لشراء وتوزيع الأشرطة والكتيبات، بمعنى أن تتفق مجموعة من الإخوة أو الأخوات للقيام بهذا الجانب، بحيث يجمعون تبرعات من الناس القادرين أو يتكفلون بذلك بأنفسهم، ويجمعون في كل شهر مبلغًا يكفي مثلًا لشراء عشرة أشرطة وعشرة كتيبات، ويقومون بتوزيع تلك الأشرطة والكتيبات على الأُسَر، مثلًا كتيب وشريط لكل أسرة، وفي الشهر الذي يليه يقومون أيضًا بشراء عشرة أشرطة وعشرة كتيبات أخرى، ويقومون بتوزيعها على عشر أُسَر أخرى، وإذا كان بمقدورهم شراء كميات أكبر من الكتيبات والأشرطة فسيكون ذلك أفضل.

٤- إنتاج برامج تثقيفية

من الأمور الأخرى التي يمكن أيضًا القيام بها لرفع المستوى الثقافي والفكري في المجتمع هي إنتاج برامج مطبوعة أو مسجلة أو مصورة تستهدف تثقيف الناس ومعالجة القضايا الاجتماعية المختلفة.

مثلًا، يمكن إصدار نشرة شهرية تناقش قضية معينة من القضايا الاجتماعية أو تطرح جانبًا من الجوانب الثقافية. وتتكون مثل هذه النشرة في الغالب من صفحة واحدة أو صفحتين، بحيث لا تكلف كثيرًا في طباعتها وإخراجها، ويتم تعليق هذه النشرة في المساجد والمدارس والأماكن العامة وربما توزع في البيوت. كذلك، فيمكن توفيرها في المكتبات والمحلات لتوزيعها على الزبائن والمرتادين.

أيضًا، يمكن القيام بتسجيل مادة صوتية أو مرئية، سواءً كانت على شكل مسرحية أو حوار، بحيث تعالج قضية معينة من القضايا الاجتماعية أو تطرح قضية من القضايا الفكرية أو العلمية أو غير ذلك من القضايا التي يحتاج الناس أن يكونوا على دراية بها. ويجب التأكيد هنا على الجودة في إخراج المادة وجعلها تخاطب أكبر عدد من شرائح المجتمع. وبعد الانتهاء من إعداد المادة يمكن القيام بتوزيعها بصفة شخصية أو عن طريق المكتبات والتسجيلات أو بالاتفاق مع إحدى دور النشر للقيام بتسويقها والدعاية لها، وكلما كانت المادة أفضل جودة وأنفع للناس كلما لزم البحث عن وسيلة أفضل لنشرها والترويج لها.

وجديرٌ بالذكر هو أن إنتاج مثل هذه المواد، بالإضافة إلى كونه عملٌ دعوي وإنساني، قد يشكل رافدًا لا بأس به للمؤسسات الخيرية، وذلك إما ببيع تلك المواد بأسعار رمزية أو بتأجير مساحات منها للمؤسسات التجارية لوضع إعلانات فيها أو بِحَثِّ المؤسسات التجارية على رعاية إنتاج وتوزيع تلك المواد. لكن علينا أن ندرك هنا أن أبواب الرزق كثيرة، ولذا فيجب أن نراعي عدم طغيان جانب العائدات المالية من هذه المواد على هدفنا الأول وهو الارتقاء بالمستوى الثقافي والفكري للمجتمع؛ فلو رأينا مثلًا أن الناس لا يُقبِلون على اقتناء تلك المواد بسبب ثمنها أو بسبب ما تحتويه من دعايات تجارية، فعلينا عندئذ أن نؤثر جانب الاستفادة العلمية على الاستفادة المالية.

٥- رفع مستوى الإنتاجية بين الناس

يعلم الجميع أن معظم الناس يكدحون ليلًا ونهارًا، سواءً كانوا في بيوتهم أو مزارعهم أو متاجرهم أو ورشهم أو وظائفهم، لكن مستوى الإنتاج لديهم- في الغالب- بسيط جدًّا، والسبب هو أنه ليس لديهم المهارات- ولا حتى المعرفة المطلوبة- لكيفية زيادة إنتاجيتهم. يقول الدكتور عبد الكريم بكار: "إن من المجمع عليه الآن أن ما يتعلمه المرء وما يكتسبه من مهارات أهم بكثير مما ورثه عن آبائه من

ذكاء وألمعية، فالتقدم العلمي الهائل وما أفرزه من وضعيات واعتبارات مختلفة جعل كل ما هو فطري ضئيلًا وقليل الجدوى في التعامل مع الأشياء والنظم المعقدة"[1].

لذلك، فإن ما علينا القيام به هو إعداد برنامج متكامل من محاضرات وورش عمل لتنمية المهارات بين الفئات المختلفة في المجتمع. وإذا كان لا يوجد من بين فئات المجتمع مَن هو مؤهل لتقديم مثل هذه المحاضرات وورش العمل فيمكننا الاستعانة بآخرين عندهم القدرة على التحدث في المهارات المراد إيجادها أو تنميتها. ويمكن أن يتم فرض رسوم رمزية على هذه الفعاليات- وخاصة ورش العمل- وذلك لتغطية نفقات إقامتها والترتيب لها أو لتمويل مشاريع خيرية أخرى.

٦- اكتشاف المواهب والاستفادة منها

وسيلة أخرى يمكن القيام بها لرفع المستوى الثقافي في المجتمع هي بالبحث عن أصحاب المواهب الموجودة في المجتمع، وذلك لتنميتها من النواحي الثقافية والفكرية والعلمية، وأيضًا لوضع برامج للاستفادة منها. إن الكثير من الشباب والفتيات- وحتى الأطفال- لديهم من المهارات والهوايات والمواهب التي لو تم تطويرها وتنميتها لبرعوا فيها. كذلك، فهم بحاجة إلى توجيه ما لديهم من مهارات وهوايات ومواهب التوجيه الصحيح الذي سيعود عليهم وعلى أمتهم بالنفع.

من هنا، فإن على المثقفين والواعين في كل بلدة أو مجتمع أن يقوموا بتحسُّس مثل هؤلاء الأشخاص والذين يمكن التعرُّف عليهم من خلال المحاضرات أو ورش العمل، أو من خلال وضع استبانات خاصة لهذا الغرض، أو من خلال مشاركات هؤلاء في النوادي واللقاءات المختلفة. وبعد أن يتم اكتشاف تلك المواهب يأتي دور إعداد برامج خاصة للاستفادة منها، والتي يمكن أن تتأتى من خلال توفير البيئة المناسبة لكي تنمو لهؤلاء مواهبهم ومهاراتهم، والتي قد تكون من خلال النوادي العلمية والثقافية ونوادي الكمبيوتر وغيرها من المؤسسات.

---

(1) "حول التربية والتعليم": عبد الكريم بكار، ص ٣٢٥.

٧- كلمة لا بُدَّ منها

إن المقترحات التي تطرقنا إليها في هذا الفصل سيكون لها- بإذن الله- دور إيجابي في رفع المستوى الثقافي والفكري بين الناس، ولكنها تبقى أعمالًا تحتاج إلى تظافر جهود. إنه قد يبادر بعض أفراد المجتمع بتفعيل شيءٍ من المقترحات الواردة في هذا المبحث، ولكنهم- بلا شك- سيحتاجون إلى مساندة ودعم. من أجل هذا، فإنه من الأنسب أن يتم تقسيم الأعمال إلى مجموعات؛ كأن تتولى إحدى المجموعات مثلًا إصدار النشرة المطبوعة، وتتولى مجموعة أخرى إعداد المادة الصوتية، وتتولى مجموعة ثالثة رعاية ذوي التحصيل المتدني، ومجموعة رابعة تهتم بالمتميزين والمبدعين، ومجموعة خامسة تضع برامج للاعتناء بتعليم الكبار، ومجموعة سادسة تقوم بعقد دورات في استخدامات الحاسوب والتقنيات الحديثة، ومجموعة سابعة تحاول التعرُّف على الأشرطة والكتيبات المناسبة للأطفال لكي يتم توزيعها كهدايا للطلاب في المدارس أو كهدايا للأُسَر الفقيرة في المناسبات والأعياد.

إن دور الفرد في هذا الإطار سيكون ذا شقين؛ سيحتاج الفرد في البداية إلى دعوة الناس ومحاولة إقناعهم لتشكيل مجموعات لكل عمل من الأعمال التطوُّعية المرغوب القيام بها، وبعد أن تتشكل المجموعات فإن على الفرد أن يقوم بالمشاركة العملية في واحدة أو أكثر منها. ومتى تكونت مثل هذه المجموعات وقامت بدورها بفاعلية في المجتمع فإننا سنستطيع- بتوفيق الله- الارتقاء بالمستوى الثقافي والفكري للمجتمع. لكنه لا يمكن بأيِّ حال من الأحوال أن نختلق الأعذار لنتخلى عن دورنا ونترك المجتمع للصحف والجرائد والتلفاز والشارع، فهذا مما سيُميت أي ثقافة موجودة عند الناس، وقد لا يؤدي إلا إلى مزيد من الجهل والتخلُّف والانحطاط.

أسئلة وتمارين
▪ ما هي مبررات الاهتمام بتثقيف فئات المجتمع؟ ولماذا لا يُترَك الأمر للناس ليهتم كل واحد منهم بنفسه؟ ▪ تعتبر فئة كبار السِّن والعجائز من الفئات قليلة العدد نسبيًّا ومن الذين ليس لهم تأثير كبير على المجتمع، فلماذا في نظرك نحتاج إلى الاهتمام بهم؟ ▪ فكِّر في بعض السيناريوهات التي يمكن استخدامها عند محاولة تدريس كبار السِّن. ناقش

أسئلة وتمارين

الأحوال التي يمكن استخدام تلك السيناريوهات فيها.

- اذكر بعض التقنيات الحديثة والمهارات والفنون التي يمكن أن تستفيد منها مجتمعاتنا.
- حاول تقسيم الناس في المحيط الذي تعيش فيه إلى فئات مختلفة كالمثقفين وكبار السِّن والأطفال، وحاول وضع برنامج خاص يُمَكِّن كل فئة من الاستفادة من التقنيات والمهارات والفنون التي أشرتَ إليها في إجابتك للسؤال السابق. ناقش نتائج ما توصَّلتَ إليه مع المهتمين بثقافة المجتمع في محيطك وحاول الشروع في تنفيذ بعض تلك البرامج.
- قم بإعداد بحث حول المهارات المرغوب في توافرها في الإنسان لكي يصبح ذو إنتاجات كثيرة وتصبح جودة الإنتاج عنده عالية.
- قم- مع بعض زملائك- بإعداد دراسة ميدانية حول المهارات الموجودة والمرغوبة بين الشرائح المختلفة في مجتمعك. بعد بلورة نتائج تلك الدراسة حاولوا ترتيب برامج لسدِّ الفجوة بين واقع الناس وبين طموحاتهم فيما يتعلق بجانب المهارات والإنتاجية.
- اذكر بعض القضايا العلمية أو الفكرية أو الثقافية التي يمكن أن يحتاج إليها الناس أو تثير اهتمامهم. ناقش مع بعض دور النشر والتسجيلات إمكانية التعاون معها على إنتاج وإخراج وتوزيع تلك المواد. ابحث مع المؤسسات الخيرية والتجارية العاملة في المحيط الذي تعيش فيه إمكانية الاستفادة ماليًّا من تلك المواد.

إقامة لجان ومؤسسات خيرية لرعاية شؤون المجتمع

إن المهام التي على كل واحد منا القيام بها عظيمة وكبيرة، ولا يمكن لفرد واحد- أو حتى لعدة أفراد- استيعاب احتياجاتها فضلًا عن تنفيذها وتقييم مخرجاتها. لذلك، يستوجب علينا الاهتمام بإنشاء اللجان والمؤسسات الخيرية التي أشرتُ إلى بعضها في فصول سابقة وأشير إلى أخرى منها في هذا الفصل.

كذلك، فإن المؤسسات التجارية- في الغالب- ما تكون موجهة إلى الأمور التي يحصل منها التاجر أو صاحب المؤسسة على ربح مادي من قِبَل الأفراد. لكن بالطبع هناك من الأعمال والخدمات الكثيرة والجليلة التي ينبغي أن تُقدَّم للمجتمع، ولا يحصل من خلالها الشخص ولا المؤسسة على مردود مالي، وهذا ما يمكن أن نسميه بالمؤسسات الخيرية.

ورغم أن المؤسسات الخيرية قد تتفاوت في حجمها من ناحية عدد العاملين فيها والأعمال التي تقوم بها والمستهدَفين من الخدمات التي تقدمها، إلا أن ما علينا القيام به هو المبادرة إلى إنشائها. وليس من الضروري أن نقيم مؤسساتنا في البداية حسب المستويات العالمية، وخاصة إذا كانت إمكانياتنا الفنية والمالية والإدارية لا تسمح لنا بذلك، ولكن يمكننا البدء بإنشاء لجنة أو هيئة مصغَّرة، وعندما تتسع إمكانياتنا ومواردنا يتسع حجم ونطاق عمل تلك الهيئة لتصبح مؤسسة. لكن علينا أن ندرك أن المؤسسات- صغُرَت أم كبُرَت- تحتاج إلى أن يكون لها منهج واضح وبرنامج منظم يستطيع تقصِّي احتياجات الفئات التي ترعاها وسبل رعايتها.

١- إنشاء المكتبات العامة

إن رقي الأمم والشعوب لا يقاس بكثرة قاطنيها ولا بالثروات التي يمتلكونها بقدر ما يقاس بمستوى النضج المعرفي والإنتاجي الذي وصلوا إليه. وإنه مما لا ريب فيه أن الكتب والمخطوطات هي وعاء الفكر الإنساني وثمرة جهده ومكنون أسراره، وإنه لا يمكن لأمة أن تنهض وهي لا ترتدي الكتب دثارًا يحفظها من غوائل الدهر ومنارًا تنبلج أمامه مدلهمات الخطوب.

لأجل هذا فإن الاعتناء بالمكتبات الخاصة منها والعامة ليعتبر قبل كل شيء وفاءً بحق الإنسانية وحفظًا للجنس البشري من الانقراض فكريًّا وسلوكيًّا ومن الانحطاط به في مراتب الأجناس الأخرى، وهو كذلك وفاءً بحق أسلافنا الذين أفنوا أعمارهم وأموالهم وأنضبوا دماءهم ومُقَلهم وهم يحصدون ثمار الحضارات ويعصرون زاكي الأفكار لكي يُقدِّموا إلينا في وريقات معدودة وسطور قليلة خلاصة الخلاصة ولب العبارة علَّنا منها نستفيد ومن محتواها نسترشد.

وفوق كل هذا وذاك فهو وفاء بحق شعوبنا لكي ينهضوا من سباتهم وينهلوا من معين العلوم التي ورَّثها لهم أجدادهم ويتطهروا مما قد عشعش في تصوُّراتهم وسلوكياتهم من أوحال الانحراف الحضاري وأنماط السلوكيات الشاذة. وإننا نقدم كل ذلك من خلال ما تم تسطيره بين دفات الكتب من أمصال واقية وهرمونات منشطة وفيتامينات مقوية تجعل البشرية تسير في ركبها سليمة سوية قوية ساعية نحو البناء جادة في العطاء.

من هنا، فإن من أوجب الواجبات على الأفراد والجماعات في كل كيان بشري أن يهتموا بدُور الثقافة والمعرفة أكثر من اهتمامهم بدُور سكناهم ومعاشهم، وعليهم أن يوحِّدوا جهودهم في إنشاء ما يستطيعون من مكتبات وفي تفعيل الأدوار التي يجب أن تناط بها، وأن يسْعَوْا جهدهم في منافحة كل من لا يعير هذه المنابر الاهتمام الكافي، وأن لا يتهاونوا في ردع كل من يحاول المساس بهذه الصروح المنيرة سواءً كان مساسًا بهويتها أو مساسًا بطبيعة الأنشطة التي يفترض أن تقوم بها أو كان مساسًا أو نيلًا من الداعمين لها والمسيِّرين لشؤونها.

ومما لا يخفى على عاقل أنه لا يقف مسلمٌ موقفًا ينال فيه من هذه المؤسسات المجتمعية الخيرية إلا وقد صار من أعداء هذه الأمة، أدرك ذلك أم لم يدرك، وحُقَّ للعقلاء من أبناء هذه الأمة أن يَصِمُوه بالعمالة والخيانة لأمته وبني جنسه.

والاهتمام بالمكتبات العامة لا يقف عند حدود تأسيسها وإنما يجب أن يستمر باستمرار الحياة؛ فهي بحاجة إلى ملئها بالكتب والمخطوطات ووسائل المعرفة الأخرى، وهي أيضًا بحاجة إلى إدارة وتسيير لشؤونها، وبحاجة إلى صيانة وترميم وتوسيع لمرافقها، وبحاجة إلى تفعيل دورها في خدمة المجتمع من خلال البرامج والأنشطة التي يطرحها القائمون عليها، وبحاجة إلى تفعيل دورها من خلال الاستفادة مما تحويه من موادٍ وما تقيمه من فعاليات.

لكل هذا، فإن باب التطوُّع في هذا المجال واسع جدًّا، وخاصة إذا علمنا أن المكتبات العامة لا تنحصر في المباني الضخمة التي تحتوي على الآلاف أو الملايين من المواد وتحتل مساحات شاسعة من الأراضي وتتكون من الأدوار العديدة، وإنما قد تتمثل أيضًا في المكتبات الصغيرة التي يجب أن لا يخلو منها مسجد ولا جامع ولا حيٌّ ولا قرية ولا نادٍ علمي أو ثقافي. من هنا، فإن على الشباب والفتيات- وخاصة المثقفين منهم- أن يجعلوا من أولويات اهتماماتهم التطوعية المشاركة في إقامة وإدارة وتفعيل المكتبات العامة.

٢- إنشاء النوادي العلمية والثقافية

لقد تنوَّعت مجالات الثقافة في عالمنا المعاصر بحيث أصبح من الصعب استيعاب كل قطاعات المعرفة من خلال المنافذ التقليدية لرصدها ونشرها كالأفراد أو المجموعات الصغيرة، وبات إنشاء نوادٍ متخصصة لكل فن أمرٌ لا مفر منه. لهذا، فإن على النخبة المثقفة في كل مجتمع أن تسعى لإقامة هذه النوادي وأن تعمل جهدها في تزويدها بما يؤهلها للقيام بالدور المناط بها.

ومن غريب المفارقات في مجتمعاتنا أن لا تكاد تجد بلدة تخلو من نوادٍ رياضية، بينما لا نجد- حتى على مستوى الدولة- إلا القليل من النوادي الثقافية والأدبية فضلًا عن النوادي العلمية أو نوادي الكمبيوتر. إن على الشباب والفتيات الواعين المتعلمين أن يعطوا اهتمامًا كبيرًا لمثل هذه المؤسسات، حيث أن تشكيل مثل هذه النوادي قد لا يكون بتلك الصعوبة من النواحي المالية والمادية، وإن وُجِدَت صعوبة فقد تكون في الحصول على التراخيص القانونية والحكومية. نعم قد تطول مدة الحصول على تلك التراخيص، لكن هذا لا يعني أن يترك الأمر كليًّا.

ما يمكن القيام به هو أن تجتمع نخبة من الشباب المثقف من أصحاب الهمم العالية ويبادروا إلى وضع تصورات حول مثل هذه النوادي. ويمكن البدء بنوادٍ تخدم شرائح كبيرة من المجتمع ولا تحتاج إلى تصاريح وإجراءات قانونية معقدة وتكون في الوقت نفسه ملتقىً للمتخصِّصين والباحثين عن المعرفة.

مثلًا، يمكن إنشاء نادٍ للكمبيوتر يضم عدة أنواع من أجهزة الكمبيوتر وملحقاته، ثم بعد ذلك يتم حث الناس على ارتياد هذا النادي. ويفضل أن يكون الانتساب في النادي بطريق العضوية، ويمكن فرض رسوم عضوية لتغطية مصاريف النادي. كذلك، فيمكن للنادي أن يقوم بحملات لجمع

التبرعات له إما مباشرة عن طريق فريق من أعضائه أو من خلال المؤسسات الإعلامية والثقافية الأخرى.

ما يمكن التأكيد عليه هنا هو أن الناس قد لا يتشجعون للتبرع للنادي إلا عندما يروا أن النادي قد قام فعلًا على أرض الواقع، حتى وإن كان مكانه صغيرًا وإمكانياته بسيطة. وبعد قيام النادي يكون من السهل الذهاب إلى أحد التجار أو الأغنياء ويُطلَب منه التبرع لتطوير النادي أو توسعة مبناه أو شراء أجهزة له. قد يتشجع ذلك الشخص للتبرع، وخاصة عندما يرى أولاده وبناته قد بدؤوا في ارتياد النادي والاستفادة منه، فعند ذلك يدرك أهمية مثل هذه المؤسسات.

ما نريده أن يتحقق فعلًا هو أن تقوم نخبة من المثقفين في كل مدينة بمخاطبة فئات المجتمع المختلفة والمؤسسات الحكومية والخاصة لفتح نادٍ علمي يجد فيه الإنسان مرتعًا مناسبًا لتنمية ثقافته العلمية ولممارسة هواياته المختلفة، وربما التكاتف مع غيرهم من مرتادي النادي من خبراء وباحثين وطلاب لصنع بعض الأجهزة أو القيام ببعض الدراسات التي تخدم المجتمع.

ولا شك أن النوادي العلمية تحتاج إلى تجهيزات من نوع خاص لكي تستطيع أن تفي برغبات المجتمع المختلفة، كتوفير مختبرات الحاسوب وأنابيب الاختبار والمحاليل الكيميائية والأجهزة الدقيقة التي يحتاج إليها الباحث والدارس.

كذلك، فإنه يجب تضافر الجهود في كل مدينة لإنشاء نادٍ ثقافي يضع الإنتاجات الفكرية والثقافية في متناول الجميع ويقوم بدورٍ ملموس في الارتقاء بالمستوى الثقافي والفكري بين أوساط المجتمع. وقد تكون المكتبات العامة من الإنجازات التي على مثل هذا النادي أن يشملها بالعناية والاهتمام.

ويجب أن لا يقف دور النوادي العلمية والثقافية في حدود مبناها التقليدي وإنما عليها أن تمد سواعدها لمساعدة فئات المجتمع المختلفة من خلال الفعاليات والأنشطة التي ترعاها ومن خلال تفعيلها للكوادر المثقفة والمنتشرة بين أوساط المجتمع. وإن كانت مجتمعاتنا لا تزال لا ترعى مثل هذه النوادي بكثير اهتمام إلا أنه لا بُدَّ من الشروع في إقامتها وتفعيلها لترقى بسببها أنماط التفكير عند الناس.

٣- إقامة مراكز وشبكات للمعلومات

إن المجتمع المدني المعاصر قد ارتبط بعالم المعلومات بعقد قران لا طلاق فيه ولا خُلع، وإنه على مجتمعاتنا أن تسعى لمواكبة الطفرات المتلاحقة في عالم المعلومات وذلك من خلال إنشاء وتفعيل مراكز وشبكات المعلومات. ورغم أن مثل هذه المراكز والشبكات قد صارت من الانتشار بحيث يوصم من لا ينتمي إلى أيٍّ منها بالرجعية والتخلُّف، غير أننا نرمي هنا إلى مراكز وشبكات عامة على غرار المكتبات العامة والنوادي العلمية والثقافية العامة، والتي هي حقٌّ لكل فرد في المجتمع.

والحاجة إلى مراكز وشبكات معلومات بات ضروريًّا من وجوه عدة، نذكر منها:

١- خدمة المؤسسات التطوعية العامة كالمكتبات والنوادي العلمية والثقافية ومراكز البحث العلمي والمدارس وحتى المساجد والجوامع؛ فكل هذه المؤسسات بحاجة إلى الاتصال بالعالم الخارجي وذلك إما لجلب المعلومات أو لنقل ما تقوم به من أنشطة وفعاليات أو لمجرد التواصل مع الخبراء وذوي المعرفة في القطاعات الأخرى. كذلك، فإن الكثير من الخدمات التي تقدمها هذه المؤسسات تعتبر امتدادًا للخدمات التي تقدمها مؤسسات تطوعية أو تجارية أخرى في داخل أو خارج القطر الذي توجد به تلك المؤسسة. مثلًا، هناك الآلاف من الكتب والمجلات والنشرات المتوفرة إلكترونيًّا على شبكة المعلومات والتي يمكن الحصول عليها مجانًا أو بأسعار زهيدة، ولهذا فإنها تشكل واحدًا من الروافد المهمة للمعلومات بالنسبة للمكتبات والنوادي العلمية والثقافية والمدارس ومراكز الدراسات والبحوث.

٢- وإذا علمنا أن المؤسسات التطوُّعية تعتمد في مواردها على ما تجود به أيادي المحسنين في المجتمع، لذا فإن توفير مراكز وشبكات معلومات مجانية أو بأسعار رمزية سيُعين هذه المؤسسات كثيرًا على مواصلة رسالتها دون عوائق مالية أو تقنية تذكر.

٣- نحن نعلم أن الارتقاء بالمستوى التقني والمعلوماتي للأفراد يعتبر من الأهمية بمكان بحيث يضاهي جانب الاهتمام بالمستوى الثقافي والعلمي، وذلك لما له من دور فعال في رفع كفاءة الإنسان في التعامل مع مفردات الحياة المدنية الحديثة، والتي في غالبها رقمية أو شبه رقمية. من هنا، فإن دور مراكز المعلومات سيكون في توفير التقنيات الحديثة للفرد مجانًا أو بتكلفة يسيرة،

بالإضافة إلى دورها في توجيه الفرد والرقي به إلى المستويات المطلوبة من خلال بيئة المعلومات التي توفرها هذه المراكز ومن خلال الدورات التدريبية التي تطرحها.

٤- كما ذكرنا، فإنه يعيش بيننا أناس لا يستطيعون الاستفادة مما أنتجته ثورة المعلومات والتقنيات الحديثة وذلك إما لقلة ذات اليد التي تمنعهم مما تتسابق إليه أيادي الآخرين، وإما لعدم استشعارهم بأهمية ثورة المعلومات في حياة الناس. لهذا، فإن توفير خدمة المعلومات لهم بشكل ميسر وبتكلفة بسيطة قد يساهم في تلاشي هذه الطبقة من المجتمع.

من النقاط السابقة التي ذكرناها يتبين أن الاهتمام بإنشاء مراكز وشبكات معلومات عامة- وربما مجانية- قد لا يقل أهمية عن إنشاء المؤسسات المدنية الأخرى. لذا، فإن على متخصصي التقنيات الحديثة وأصحاب الأموال والمثقفين ومن تشرئب إليهم الأعناق في المجتمع أن يضعوا أيديهم في أيادي بعض وأن يبادروا لإقامة مثل هذه المؤسسات وأن لا يبخلوا على مجتمعاتهم وبني جلدتهم بما حباهم الله به من علم ومال ومهارات.

٤- مؤسسات لرعاية المسنِّين

من المؤسسات الخيرية الأخرى التي يمكن القيام بها هي رعاية المسنين، وهذه منتشرة كثيرًا في بلاد الغرب. أما في مجتمعاتنا فبالرغم من أن المُسِنَّ غالبًا ما يجد من يرعاه من أبنائه أو أحفاده، إلا أنه قد تكون هناك بعض البيئات- وخاصة في العواصم- والتي لا يجد فيها المسنون من يتولى أمورهم. والاهتمام بالمسنين قد لا يكون من نواحٍ مالية أو معيشية فقط، ولكنهم قد يحتاجون إلى أماكن للالتقاء والترويح عن النفس، وكذلك إلى أماكن للنزهة خاصة بهم.

ويمكن التطوُّع بإيجاد مثل هذه الأماكن لهم، ثم بتخصيص أشخاص لرعايتهم فيها؛ فقد يحتاج أحدهم مثلًا للذهاب إلى دورات المياه، وقد يحتاج إلى مساعدة عند ركوب السيارة والنزول منها وكذلك عند دخول الأماكن المخصصة لهم وعند التجوُّل فيها. وهم بحاجة أيضًا لمن يأخذهم للفحوصات الدورية أو لشراء الأدوية التي يتناولونها. كذلك، فإن هؤلاء بحاجة إلى برامج ثقافية وترفيهية خاصة بهم. كل هذه الأمور تحتاج إلى مؤسسة متخصِّصة تُكرِّس كل خدماتها لهذا الغرض.

وعمل مثل هذه المؤسسة لن ينحصر فقط على خدمة المسنين وإنما قد يتعدى إلى تثقيف المجتمع باحتياجات هؤلاء وتوجيهه للاهتمام بهم وإلى مخاطبة الجهات الحكومية والشعبية الأخرى للمساهمة في رعايتهم وتخفيف ما يعانونه من وحدة وعزلة، وربما أوجاع وأسقام في أحيان كثيرة.

٥- مؤسسات لرعاية المعاقين وذوي الاحتياجات الخاصة

المجتمعات بحاجة ماسة أيضًا إلى مؤسسات متخصصة لرعاية المعاقين وذوي الاحتياجات الخاصة. ورغم أن مجتمعاتنا الإسلامية- ولله الحمد والمنة- تعير هذا الجانب اهتمامًا لا بأس به، غير أنه لا بُدَّ من وجود أماكن ومراكز ومعاهد ومدارس خاصة بهؤلاء، فقد يحتاجون إلى رعاية خاصة وبرامج خاصة في داخل- وربما في خارج- المؤسسات التي ترعاهم.

ونظرًا لكون غالبية المعاقين وذوي الاحتياجات الخاصة من الفئات الغير قادرة على القراءة، فيمكن التطوُّع في هذا الجانب؛ إما بقيام بعض الأشخاص بقراءة كتب وقصص ومقالات لهؤلاء، سواءً كان ذلك في بيوت ذوي الاحتياجات الخاصة، أو في المؤسسات التي تقوم برعايتهم. ويمكن أن يخطوا المتطوعون خطوات أبعد في هذا الجانب؛ وذلك بقراءة الكتب والقصص وغيرها من المواد النافعة وتسجيلها في أشرطة أو أقراص مدمجة، ومن ثَمَّ نسخها وتوزيعها على ذوي الاحتياجات الخاصة. وبعد أن تنجح هذه الفكرة، فيمكن أن تتبناها إحدى المؤسسات المعنية بالتطوُّع، وتقوم بتسويق الأشرطة والأقراص لمن يرغب فيها من فئات المجتمع، وبهذا تكون المؤسسة قد أوجدت لها رافدًا ماليًّا قد يعينها في تقديم خدماتها بطريقة أفضل.

كذلك، فيحتاج هؤلاء إلى مَن يعلمهم أمور دينهم ويُحفِّظهم كتاب ربهم، وقد لا يجدون من أهلهم من هو على استعداد بذلك؛ إما لقلة علمهم، أو لانشغالهم بملهيات الحياة.

٦- مؤسسات لمساعدة المدمنين وأُسَرِهم

من المؤسسات المنتشرة في البلدان الأخرى- خاصة بلدان الغرب- هي تلك القائمة على مساعدة المدمنين- سواءً كانوا مدمني دخان أو خمور أو مخدرات- وأيضًا مساعدة أُسَرهم. وقد يستغرب القارئ ما أقوله هنا، إذ كيف نساعد أولئك المجرمين؟

كما هو معروف بالنسبة لنا نحن المسلمين، فإنه- بالرغم من كون هؤلاء يعتبرون شرعًا من مرتكبي الكبائر- إلا أن علينا واجب دعوتهم ومساعدتهم في التخلص من الإدمان، وذلك بتذكيرهم بالله وتخويفهم من عقابه وتوضيح مفهوم التوبة لهم وشروطها وما يعده الله لمن يُقلِع عن تلك الموبقات ويتوب إليه. كذلك، فإنه بسبب ما يقوم به أولئك فإن أُسَرهم بحاجة أيضًا إلى مساعدة؛ حيث أن أُسَر المدمنين تقع- في كثير من الأحيان- في مشاكل نفسية واجتماعية بسبب إدمان أحد أفرادها.

من أجل هذا، فإن ما يمكن أن تقوم به مؤسسة كهذه- كما هو موجود وحاصلٌ في بلدان الغرب- هو توفير الإمكانيات والمواد والبرامج التي يمكن من خلالها مساعدة هؤلاء على التوقف عن الإدمان أو التقليل منه، ومحاولة معالجة المشاكل النفسية التي يتعرضون لها وتتعرض لها أُسَرُهم. مثلًا، إذا كان إدمان هؤلاء هو بسبب ضائقات مالية أو مشاكل عائلية، فإن دور مثل هذه المؤسسات هو أن تحاول إيجاد حلول لمشاكلهم، ومساعدتهم على التخلص منها.

٧- مؤسسات لمساعدة العاطلين عن العمل

البطالة مشكلة اقتصادية واجتماعية وإنسانية ذات خطر لا يُستهان به، وإذا لم تجد العلاج الناجع تفاقم خطرها على الفرد والأسرة والمجتمع؛ فهي خطر على الفرد اقتصاديًّا، وصحيًّا، ونفسيًّا، واجتماعيًّا. كذلك، فإن البطالة خطر على الأسرة؛ حيث يفقد العائل شعوره بالقدرة على تحمل المسؤولية، وتفقد العائلة شعورها بالاطمئنان إلى مقدرة العائل والثقة به، ويواجه الجميع حالة من التوتر والقلق والخوف من الغد المجهول. ولا ننسى أيضًا أن البطالة خطر على المجتمع بأسره؛ فاقتصاد المجتمع يختل بتعطيل طاقات قادرة على الإنتاج، وتماسكه يختل بسبب ما يكتنف نفوس العاطلين من شعور ضد الفئات الأخرى، وأخلاقه تختل لأن الفراغ والقلق لا ينبتان إلا الشرور والجرائم[1].

لقد أصبحت البطالة متفشية في معظم بلدان العالم، وخاصة العربية والإسلامية. والعاطلون عن العمل قد أصبحوا عالة على مجتمعاتهم، وسببًا لكثير من المشاكل التي تحدث فيها، سواءً كانت

(1) "دور الزكاة في علاج المشكلات الاقتصادية وشروط نجاحها": يوسف القرضاوي، ص ٩.

مشاكل تحدث لهم أنفسهم أو لأُسَرهم وأطفالهم، وأصبحت قلة الوظائف تلعب دورًا أساسيًّا في هذا.

ذكرت دراسة[1] صدرت عن مجلس القوى العاملة في المملكة العربية السعودية، بمشاركة مركز أبحاث مكافحة الجريمة بوزارة الداخلية عام ١٤١٨هـ، أن الجرائم بين العاطلين السعوديين خلال الفترة (١٤١٠ هـ – ١٤١٦ هـ) ارتفعت بنسبة ٣١٩,٥٣٪ وبمعدل نمو سنوي بلغ ١٥,٤٢٪، وأظهرت هذه الدراسة أنه بافتراض ثبات الظروف الحالية وأن معدلات الجريمة بين العاطلين عن العمل ستستمر في الزيادة فإنه من المتوقع أن تزيد بنسبة ١٣٦٪ في عام ١٤٢٥هـ مقارنة بعام ١٤١٦هـ.

وتصدرت جرائم السرقة قائمة الجرائم التي يرتكبها العاطلون عن العمل، حيث أوضحت الدراسة أن غالبية أسر العاطلين عن العمل من مرتكبي الجرائم تقل دخولهم الشهرية عن ٣٠٠٠ ريال سعودي و٥٠٪ من عينة الدراسة تقل دخول أسرهم عن ١٥٠٠ ريال شهريًّا، ويسكن ٥٠٪ منهم في مساكن مستأجرة.

وبينت الدراسة أن غالبية مرتكبي الجرائم من العاطلين عن العمل كانت مدة تعطلهم تتراوح قبل ارتكاب جرائمهم بين سنة وسنتين، وقد حاول معظم العاطلين عن العمل من مرتكبي الجرائم السعي للحصول على عمل قبل ارتكاب جرائمهم إلا أن غالبيتهم لم يوفق في ذلك، وأن حوالي ٨٤٪ ممن شملتهم الدراسة يعتبرون أن البطالة هي السبب في جنوحهم نحو الجريمة.

لكن هناك أيضًا أسبابًا أخرى لهذه المشكلة، مثل انتشار العمالة الوافدة، وقلة المهارات عند هؤلاء العاطلين، وتدني المستوى العلمي والثقافي عندهم مما لا يُمكِّنهم من الحصول على أعمال مناسبة. وتذكر الأستاذة الجازي بنت محمد الشبيكي بأنه، بالرغم من أن هدف خصخصة المؤسسات الحكومية هو زيادة الفرص المتاحة للقطاع الخاص ورفع مستوى الكفاءة والقدرة التنافسية للاقتصاد الوطني، غير أنها قد تسهم أيضًا في زيادة حجم البطالة في المجتمع، وما ينجم عن ذلك من مشكلات اجتماعية نتيجة انخفاض الدخول[2].

---

(1) "دراسة حكومية حديثة: ارتفاع نسبة البطالة في السعودية إلى ٣١,٧٪": علي القحطاني.

(2) "الجمعيات النسائية الخيرية والمساهمة في التنمية الاجتماعية": الجازي بنت محمد بن فهد الشبيكي.

إن مثل هذه الدراسات تبيِّن بجلاء أن الاهتمام بمساعدة العاطلين عن العمل هو عمل اجتماعي خيري بالغ الأهمية، وأن على المجتمع أن يسعى حثيثًا لاحتواء مثل هذه الظواهر. ومساهمة المجتمع في هذا الإطار قد يكون بإنشاء مؤسسات تحاول رفع كفاءة هؤلاء العاطلين من ناحية، وفي الوقت نفسه محاولة البحث عن فرص عمل مناسبة لهم في المؤسسات والهيئات الحكومية والخاصة، أو قد يكون من خلال إقامة مؤسسات جديدة توفر فرص العمل المناسبة لأمثال هؤلاء.

كذلك، فالزكاة لها دور مهم في محاربة البطالة، وإن كان هذا مستغربًا لدى بعض المعاصرين، ممن لم يدرسوا حقيقة الزكاة، وربما توهَّم بعضهم أنها تغري بالتبطل أو تعين عليه، ما دام أهل البطالة يجدون في صندوق الزكاة عونًا ومددًا وهم قاعدون مستريحون. وهذا وَهْمٌ لا أساس له من تعاليم الإسلام.

إن وظيفة الزكاة ليست في إعطاء دراهم معدودة من النقود، أو أقداح محدودة من الحبوب، تكفي الإنسان أيامًا أو أسابيع، ثم تعود حاجته كما كانت، وتظل يده ممدودة بطلب المعونة. إنما وظيفتها الصحيحة تكمن في تمكين الفقير من إغناء نفسه بنفسه، وذلك من خلال إيجاد مصدر دخل ثابت له يغنيه عن طلب المساعدة من غيره، ولو كان هذا الغير هو الدولة نفسها. فمن كان من أهل الاحتراف أو الاتجار، أعطي من صندوق الزكاة ما يمكنه من مزاولة مهنته أو تجارته، بحيث يعود عليه من وراء ذلك دخل يكفيه، بل يتم كفايته وكفاية أسرته بانتظام، وعلى وجه الدوام[1].

إن هذا يستوجب على القائمين على جباية الزكاة وتوزيعها، سواءً كانوا جهات حكومية أو هيئات أو أفرادًا، أن يربطوا مصارف الزكاة بمشكلة البطالة، بحيث يتم وضع برنامج لتشغيل العاطلين عن العمل، من خلال توفير بيئة مناسبة لهم من مال الزكاة، تعينهم على الحصول على دخل كافٍ لإعالتهم هم وأُسَرهم. وعلى المهتمين بشؤون المجتمع في كل بلدة أن يقوموا بدراسة أوضاع العاطلين عن العمل في المحيط الذي يعيشون فيه، والاحتياجات اللازمة لإخراجهم من حالة البطالة إلى العمل، وأن يقوموا بالتنسيق مع القائمين على توزيع الزكاة من أجل البدء في تنفيذ مشاريع صغيرة يعمل فيها هؤلاء، إما أفرادًا وإما بالاشتراك مع آخرين.

---

(1) "دور الزكاة في علاج المشكلات الاقتصادية وشروط نجاحها": يوسف القرضاوي، ص ٩، ١١.

وقد تكون هذه المشاريع على شكل محلات أو ورش يمارس فيها هؤلاء المهن التي يتقنونها. وقد تكون كذلك بتوفير آلات، كماكينات للخياطة أو أجهزة حاسوب للطباعة، أو آلات نسخ وتصوير. وقد تكون أبعد من ذلك، كأن تكون سيارة أجرة، أو حراثة، أو مركبة لنقل البضائع. وعلى اللجان أو الأفراد المهتمين بشؤون البطالة والعاطلين عن العمل أن لا يقفوا عند حد إمداد هؤلاء العاطلين بما يلزمهم لبدء عمل يدرُّ عليهم دخلًا مناسبًا، وإنما عليهم أن يتعهدوهم بالمتابعة والتقييم وتقديم التوجيهات، وربما تدريبهم في المهن التي يعملون فيها، إن لزم الأمر.

ويجب التنبه هنا إلى أن مَن يُقصدون الإعانة بالزكاة هم ليسوا كل العاطلين عن العمل، فهناك من الناس "من يقدرون على العمل، ولكنهم يجنحون إلى القعود، ويستمرئون الراحة، ويؤثرون أن يعيشوا عالة على غيرهم، يأخذون من الحياة ولا يعطون، ويستفيدون من المجتمع ولا يفيدون، ويستهلكون من طاقته ولا ينتجون، ولا عائق يحول بينهم وبين السعي والكسب، من عجز فردي، أو قهر اجتماعي"[1].

أمثال هؤلاء- حتى وإن كان تفرغهم هو للعبادة- فليس لهم حظ من الزكاة، وإنما يمكن العمل معهم لإخراجهم من البطالة التي هم فيها، وذلك بتثقيفهم بشرر ما أوقعوا أنفسهم فيه من القعود عن كسب لقمة عيشهم وإعالة أُسَرهم. وعلى القائمين بشؤون الزكاة أن يقوموا بتوعية الناس من أن لا يؤدوها لأمثال هؤلاء الكسالى المتمسكنين- وإن أوهموا الناس بعجزهم عن العمل- فإن هناك مصارف أولى بالزكاة من تشجيع هؤلاء على أن يبقوا في بطالتهم. ويخرج من هؤلاء المتفرغون لطلب العلم، وإن اشترط بعض العلماء فيهم النجابة لما يرجى من انتفاع المسلمين بعلمه[2].

٨- إنشاء صناديق وجمعيات مالية

إن وضع المجتمعات الإسلامية في هذه الأيام ليس بالمفرح؛ إذ أن معظم الناس متورطون في الديون، وخاصة من البنوك الربوية. أيضًا، يمرُّ كثير من الناس بأزمات وضائقات مالية؛ فقد يقع أحدهم في

---

(1) "دور الزكاة في علاج المشكلات الاقتصادية وشروط نجاحها": يوسف القرضاوي، ص ١٣.

(2) "دور الزكاة في علاج المشكلات الاقتصادية وشروط نجاحها": يوسف القرضاوي، ص ١٦.

حادث سيارة، أو يُفصَل من وظيفته، أو يقع في مأزق معين، أو يحتاج إلى مبلغ من المال لتغطية تكاليف الزواج أو لمواصلة الدراسة، أو حتى لشراء سيارة أو بناء بيت.

إن إنشاء صناديق أو جمعيات مالية قد تكون إحدى الوسائل المهمة لمساعدة هؤلاء، وخاصة للتخلص من الاعتماد على البنوك الربوية. وعلينا أن نعلم أنه لا بدَّ للمجتمع من أن يتكافل، إذ ليس هناك غني يبقى دومًا في غناه، ولا فقير محكومٌ عليه أن يبقى في فقر؛ فالغني يمكن أن تحدث له ظروف تجعله يفقد أمواله، والفقير يمكن أن يصبح غنيًّا- أو على الأقل أن يُحسِّن من أحواله- إذا وجد المساعدة اللازمة.

لكن مثل هذه الصناديق ستحتاج إلى تمويل، وتمويلها إما أن يكون تطوُّعيًّا؛ وذلك بتشجيع مَن كان عنده فضل مال بأن يودعه في ذلك الصندوق، وإما بجعل الأمر إجباريًّا على فئات معينة من المجتمع؛ كأن يدفع الشخص قسطًا شهريًّا لذلك الصندوق على اعتبار أنه قرض، ثم بعد ذلك يتم مساعدة أصحاب الديون والضائقات المالية من ذلك الصندوق، ومتى قام هؤلاء بتسديد ما عليهم للصندوق، يقوم الصندوق بإرجاع تلك المبالغ إلى أصحابها. ولكي تؤدي هذه الصناديق رسالتها على الوجه المطلوب، فلا بُدَّ لها من نظام يناسب المقرضين والمستفيدين، بحيث لا يكون فيه استغلال من قِبَل أحد المستفيدين، ولا إجحاف بحقوق المقرضين.

٩- لجان ومؤسسات لرعاية الأوقاف والأملاك التابعة لبيت المال

"الزكاة والوقف من أهم ما جاء به الإسلام من تشريعات مالية، ويعتبران ركنان أساسيان من أركان النظام الاقتصادي الإسلامي، وقد أصبحت الزكاة- طوال التاريخ الإسلامي- المؤسسة الأولى لتمويل الإنفاق التحويلي في الدولة الإسلامية، وتحقيق مبدأ التكافل الاجتماعي بين أبناء المجتمع المسلم. كما أصبح الوقف المؤسسة الأولى لتمويل بقية النفقات العامة التي لا تشملها الزكاة، وبخاصة النفقات الضرورية لتنمية المجتمع وتحضره، وفي مقدمتها التعليم والصحة.

وبينما نجد الزكاة مخصصة في الإنفاق على جوانب محددة لا يمكن تجاوزها، إلا أنها تمتاز بأنها نظام إلزامي، وواجب تكليفي على جميع المقتدرين في المجتمع، وكذلك يقال عن الوقف، فهو من جهة

نظام تطوعي واختياري، ومن جهة أخرى يمتاز بسعة مجالاته، وشموله لكافة جوانب البر، وصلاحيته للتطبيق في أغلب جوانب الحياة وحاجات الناس"[١].

يُعرَّف الوقف[٢] بأنه حبس العين (عمارة مثلًا) وعدم التصرف بها (كهبتها لشخص آخر مثلًا) مع التصدق بمنافعها (صافي الإيراد مثلًا) في مجال الخير (كفالة الأيتام مثلًا). وغالبًا ما يُطلَق الوقف على المال الموقوف ذاته (العمارة مثلًا).

ويُعدُّ الوقف الإسلامي أحد الركائز الأساسية للنهضة الإسلامية الشاملة بأبعادها الاقتصادية والاجتماعية، فعلى مدى عقود طويلة مرت في تاريخ الأمة الإسلامية مارس الوقف بمؤسسته ونظامه الشمولي التنموي الرائد أدوارًا بالغة الأهمية في تدعيم مختلف نواحي الحياة في الدولة المسلمة حتى غدت مؤسسة الوقف الإسلامي التي نشأت وتطورت في ظل الحضارة الإسلامية من أكبر المؤسسات التمويلية التي عرفها التاريخ.

ويذكر أن أول وقف خيري عُرف في الإسلام هو وقف النبي- صلى الله عليه وسلم- لسبع حوائط (أي بساتين) كانت لرجل يهودي اسمه مخيريق، قتل على رأس اثنين وثلاثين شهرًا من هجرة رسول الله- صلى الله عليه وسلم-، وهو يحارب مع المسلمين في موقعة أحد، وأوصى: إن أُصِبتُ (أي قتلت) فأموالي لمحمد يضعها حيث أراه الله تعالى، فقتل يوم أحد، وهو على يهوديته، فقال النبي- صلى الله عليه وسلم: "مخيريق خير يهود"، وقبض النبي- صلى الله عليه وسلم- تلك الحوائط السبعة، فتصدق بها (أي أوقفها) [٣].

ومما تذكره كثير من المصادر حادثة شراء بئر "رومة"، حيث كانت هذه البئر لرجل من قبيلة مزينة ثم باعها لرومة الغفاري، ولم يكن بالمدينة المنورة ماء يستعذب غير مائها، ولهذا كان مالكها يبيع منها القربة بمد تمر نبوي. وقد سأل الرسول- صلى الله عليه وسلم- رومة أن يبيعها للمسلمين، بقوله صلى الله عليه وسلم: "بعنيها بعين في الجنة"، فقال له الرجل: "يا رسول الله ليس لي وعيالي غيرها، ولا أستطيع ذلك"، فبلغ هذا الخبر عثمان بن عفان رضي الله عنه، فاشتراها منه على دفعتين: الأولى

---

(1) "وقف النقود – حكمه، تاريخه وأغراضه، أهميته المعاصرة، استثماره": عبد الله بن مصلح الثمالي، ص ٤.

(2) نقلًا عن الموقع الرسمي للهيئة العالمية للوقف (www.worldwaqf.org).

(3) "الإسعاف في أحكام الأوقاف": برهان الدين إبراهيم بن موسى بن أبي بكر، ص ٩.

بخمسة وثلاثين ألف درهم، واتفق مع صاحب البئر على أن يكون له يوم ولصاحب البئر يوم، فإذا كان يوم عثمان استسقى المسلمون ما يكفيهم يومين، ثم اشترى الدفعة الثانية بثمانية آلاف درهم، وجعلها كلها وقفًا على المسلمين.

أما عن مجالات الوقف، فلقد كان دوره بارزًا في أعمال البر والخير، وتقديم الخدمات والمنافع للأفراد والمجتمعات، بالإضافة إلى كفالة اليتامى والفقراء والمساكين والسهر على شؤونهم. وقد أسهم الوقف في تأسيس وإدارة المساجد والجوامع والمدارس والمعاهد والجامعات والمكتبات والمستشفيات والمقابر. بل إن اهتمامات الواقفين (أي مَن يهَبون ممتلكاتهم كوقف) امتدت لتشمل النواحي العسكرية، مثل إنشاء الأربطة والحصون، وتجييش الجيوش، وتجهيزها للذود عن الديار الإسلامية[1].

وامتد اهتمام الواقفين أيضًا إلى راحة المسافرين، فأنشؤوا الاستراحات على بعض الطرق الرئيسية التي كانت تربط بين البلدان آنذاك. كذلك، فقد اهتم الواقفون بالطيور فأوقفوا لها بعض الأملاك لإطعامها في فصول الشتاء حينما يكسو الجليد المزارع، مما يُعبِّر عن شمول الوقف وسعة مجالات عطائه. واهتم الواقفون كذلك خلال المسيرة الحضارية للمسلمين بدعم قضايا الدعوة إلى الله والجهاد في سبيل الله، وذلك عن طريق وقف مستلزمات الجهاد من الخيول وغيرها.

أما في عهد الخلافة العثمانية فقد تبارى العثمانيون وأبناء الدول التي خضعت لسلطتها في إنشاء "التكايا" التي كان لها دور بارز في توفير الطعام لطوائف كثيرة من الفقراء والمساكين وابن السبيل وطلبة العلم. وقد أنشئت "التكايا" في مختلف مدن العالم الإسلامي، بما في ذلك مكة المكرمة والمدينة المنورة. وكانت "التكية" تقدم وجبات مجانية مرتين في اليوم لكل من يقصدها في الأيام العادية، في حين كانت تقدم وجبات خاصة في أيام الجمع وسائر الليالي الشريفة وليالي شهر رمضان. وفي أغلب الأحيان، كانت الوجبة العادية تتكون من رغيف وصحن من الشوربة وقطعة لحم، حسب المقدار الذي يحدده الواقف، ولم يقتصر دور "التكية"، على تقديم الطعام والشراب، بل كانت، في حقيقة الأمر، مؤسسة إسلامية متعددة الأغراض، إذ كانت تستخدم أحيانًا لاستضافة الغرباء والمسافرين، وتارة لإيواء الفقراء والمساكين، وتارة أخرى لإقامة طلبة العلم[2].

---

(1) "دور الوقف الإسلامي في التنمية وحماية البيئة": محمد عبد القادر الفقي.

(2) المصدر السابق.

"ولقد كانت الأوقاف هي حجر الأساس الذي قامت عليه كل المؤسسات الخيرية التي قامت في ديار المسلمين؛ فلقد كانوا يفكرون في المشروع ويقيمون له الوقف لينفق عليه من دخله، ولا يكتفون بإنشاء المشاريع دون تفكير في مستقبلها وضمان استمرار تشغيلها، ولذلك كانت هذه المنشآت تقوم بدورها في المجتمع بغض النظر عن ما يحصل لموقفها من طوارئ الزمان"[١].

والوقف بمفهومه الواسع، وشموليته وتنوع أغراضه، وعدم محدوديته، واتساع آفاق مجالاته، ليُعدُّ أصدق تعبيرٍ وأوضح صورة للصدقة التطوعية الدائمة، وهو تجسيد حيٌّ لقِيَم التكافل الاجتماعي التي تسري في كيان الأمة، وتعبير صادق عن وعي الفرد المسلم بمسؤوليته الاجتماعية وإدراكه وتفاعله مع هموم وقضايا إخوانه المسلمين في كل مكان. ولذا، تُجمع الدراسات والبحوث العديدة المنجزة على ضرورة رد الاعتبار لمؤسسة الوقف، والعناية بما يكفل تطويرها وتجديدها، وحفز المحسنين وعامة الناس إلى الاهتمام بالوقف ابتغاء وجه الله والدار الآخرة أولًا ثم مواساة لذي الحاجات في المجتمع، فالوقف كان سلوكًا مجتمعيًّا بامتياز قبل تدخل الدولة، وكان الأمراء والحكام ينشؤون أوقافًا من خالص أموالهم وبصفتهم الفردية[٢].

"ولعل من أسباب انحسار الوقف وانصراف الناس عن الاهتمام به تضخم دور الدولة على حساب الأمة، الذي أدى إلى تضخم اتكال الناس على جهود الدولة في تلبية الحاجات الأساسية للمجتمع، وتعطيل جهودهم الذاتية في الاكتفاء وتأهيل القدرات وتنمية المهارات المحققة للاستغناء عن الدولة، ولم يراع ذلك التكامل بين الجهدين ولا بين الدورين، واستأسدت الدولة وتدخل الحكام في كل شيء"[٣].

كذلك، فإنه بالرغم من توسع مجالات الوقف وتعددها، إلا أننا "لم نجد توسُّعًا مماثلًا في أنواع الأموال الموقوفة، حيث انحصرت هذه الأنواع- أو كادت- في العقار وبعض الأموال المنقولة. وقد أدى التوسع في وقف العقار مع سوء إدارته إلى حدوث بعض المشكلات في الاستثمار والتمويل والصيانة، أدت إلى تعطل الكثير منه. وعبر التاريخ تنامت هذه المشكلات حتى كادت- في بداية

---

(1) " دور الوقف في النمو الاقتصادي": صالح كامل، ص ٣١.

(2) "إحياء ثقافة التطوع وبذل الجهد": محمد سالم إنجيه.

(3) المصدر السابق.

العصر الحديث- أن تودي بنظام الوقف بكليته، حتى ظهرت المؤسسات الوقفية الحديثة التي اعتمدت على الطرق العلمية الحديثة في الدعوة للوقف، وإدارته، وتنويع مجالاته، وإتباع الطرق الحديثة لتنميته واستثماره، فأعادت للوقف أهميته ودوره التاريخي العظيم"[1].

ولكن، لما لم تكن هناك حدود أمام "الواقف" ما دام الوقف في غير معصية، فإن مجال الوقف لا يزال موجودًا، وسيبقى واسعًا، والحاجة إلية قائمة ليكمل وظيفته ذات الأساس الشرعي في المساهمة في تنمية الشعوب والمجتمعات الإسلامية وفقا لمعطيات كل عصر. من هنا، فإن من اللجان والمؤسسات الخيرية المهمة التي يمكن القيام بها هي إنشاء لجان لحصر الأوقاف والأملاك التابعة لبيت المال، وأيضًا لمتابعة تلك الأوقاف والاهتمام بها.

ومما يؤسف له كثيرًا أنه، بالرغم من أن الآباء والأجداد قد أوقفوا أملاكًا كثيرة كالأراضي أو البساتين، أو غيرها من الأمور الأخرى التي يمكن استغلالها واستثمارها لتلبية احتياجات المساجد والمدارس والمقابر وأغراض الحياة المختلفة، إلا أن هذه الأملاك وهذه الأوقاف لم تحظَ بالاهتمام المطلوب، واختُلِست بعضها وأُدرِجت ضمن الأملاك العامة، وبيع الكثير منها. من هنا، فإن متابعة مثل هذه الأملاك ومعرفة أصولها وطبيعة ما أُوقِفَت من أجله والمصير الذي آلت إليه ليُعتبر من أهم الأعمال التطوُّعية، بل ومن ألزم الواجبات على المسلمين.

والخطوة الأولى في هذا الجانب قد تكون في إنشاء لجنة خاصة للأوقاف في كل بلدة، بحيث تقوم بحصر الأملاك التي تم وقفها، والاهتمام بها ومتابعة شؤونها. وستجد تلك اللجنة وأمثالها أن كثيرًا من الأوقاف تحتاج إلى رعاية، ووكلاؤها القائمون عليها حاليًا- في الغالب- غير مهتمين بها، رغم أنها كانت في الماضي تدر أموالًا طائلة لبيت المال، لكنها كادت الآن أن تندثر لإهمال القائمين عليها لشؤونها، وأصبحت النفقات عليها أكبر من عائداتها.

ومن نافلة القول، نذكر هنا بعض الاقتراحات الأخرى المتعلقة بالوقف، والتي يمكن أن يكون لها أثر طيبٌ في موضوع العمل التطوعي:

---

(1) "وقف النقود – حكمه، تاريخه وأغراضه، أهميته المعاصرة، استثماره": عبد الله بن مصلح الثمالي، ص ٥.

- تشجيع المتصدرين للعمل العام أن ينشئوا وقفًا معلومًا ليكونوا قدوة لغيرهم[1]. وفي الحديث: أن رجلًا قال: يا رسول الله، أي الصدقة أفضل؟ قال: ((أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر، وتأمل الغنى، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلان كذا، ولفلان كذا، وقد كان لفلان))[2]، وأولى الناس باتباع سنة المصطفى- عليه الصلاة والسلام- هم المتصدرون لهداية الناس وإرشادهم.
- تشجيع الناس على وقف المواد العينية المنقولة، كالسيارات، بحيث يمكن توجيهها في استخدامات العمل الخيري المختلفة[3].
- تشجيع الناس على وقف النقود[4]، وذلك بأن يجعل المسلم مقدارًا نقديًّا، ولو كان بسيطًا، وقفًا، ويمكن أن يحدد الواقف كيفية التصرُّف في ذلك المال؛ كأن يتم المتاجرة به والاستفادة من عائده في أوجه البر، أو يتم إقراض المال للمحتاجين؛ كأصحاب الديون، أو من يرغبون في الزواج، أو لتغطية نفقات الدراسة، وبعد أن يسهِّل الله على المقترض، فيمكنه سداد القرض، وبعدها يتم إقراض المال مرة أخرى لشخص آخر، وهكذا. "ورغم أن هذه مسألة فقهية اختلف الفقهاء حولها كثيرًا، غير أن حجة المجيزين لها هي أن النقود- وإن كانت من المنقولات التي تُستَهلك عند الانتفاع بها- إلا أن وقفها لا يقصد منه منحها لمن يستهلكها إلى غير بدل، بل المقصود منه الانتفاع إلى بدل يقوم مقام ما استهلك منها بإقراضها ثم رد بدلها، أو المتاجرة بها والإنفاق من الربح. وبالتالي لا تعارض بين القول بجواز وقف النقود، وبين شرط التأبيد وبقاء العين، لأن البدل يقوم مقام المبدل وكأنه لم يستهلك"[5].

---

(1) "إحياء ثقافة التطوع وبذل الجهد": محمد سالم إنجيه.

(2) أخرجه البخاري في كتاب "الزكاة"، باب "فضل صدقة الشحيح الصحيح"، حديث رقم (١٤١٩).

(3) "وقف النقود – حكمه، تاريخه وأغراضه، أهميته المعاصرة، استثماره": عبد الله بن مصلح الثمالي.

(4) ينظر "وقف النقود – حكمه، تاريخه وأغراضه، أهميته المعاصرة، استثماره": عبد الله بن مصلح الثمالي، و "الوقف: مشروعيته وأهميته الحضارية": أحمد بن يوسف الدريويش.

(5) "الوقف: مشروعيته وأهميته الحضارية": أحمد بن يوسف الدريويش، ص ١٢.

١٠- لجان ومؤسسات لرعاية المعالم الأثرية والتاريخية

لقد ترك لنا الأجداد تراثًا ضخمًا متجسدًا في القلاع والحصون والأبراج والأسوار وغيرها من المنشآت كالمكتبات العامة. ولقد اندثرت معالم الكثير من تلك الكنوز التاريخية، وما تبقى منها يعتبر ذخرًا وكنزًا للأجيال القادمة، ومتى تأخر الاهتمام بها كان سببًا في اندثارها وزوالها. لذا، فإن من المشاريع التطوُّعية التي يمكن القيام بها هو إنشاء لجنة خاصة لحصر المعالم التاريخية، وأيضًا للدعوة إلى ترميمها والاهتمام بها. وما يمكن التطوع به أولًا هو القيام بدراسة هذه الأماكن ومحاولة حصرها، ثم بعد ذلك مخاطبة الجهات الحكومية، أو مَن بأيديهم القدرة والرغبة في الاهتمام بها، للمبادرة في ترميمها قبل أن تندثر.

١١- مؤسسات للارتقاء بالمستوى التجاري والمؤسسي في المجتمع

إنه لا يخفى على أحد أن ثقافة العمل التجاري والمؤسسي المنتشرة بين أوساط المجتمع- وحتى بين أصحاب المؤسسات أنفسهم- لا تعدو كونها تصوُّرات واستنتاجات فردية لا يمكن التعويل عليها في نجاح تلك المؤسسات. وإذا استثنينا بعض الشركات والمؤسسات الكبرى، فنادرًا ما نجد مؤسسات تجارية قامت على أسس علمية صحيحة وبناءً على دراسات وتجارب علمية مؤطرة. ورغم أن العقلية التجارية والمؤسسية قد صارت جزءًا لا يتجزأ من هوية المجتمعات الغربية والشرقية، إلا أنها قد تكون شبه مفقودة في مجتمعاتنا العربية والإسلامية.

لذا، فلا نستغرب أن نرى الفرد يعيش حياته عبدًا مملوكًا لوظيفة لا توفر له قسطًا من احتياجاته المالية فضلًا عن توفيرها لاحتياجاته الإنسانية والفكرية. ولا نستغرب- كذلك- أن نرى أصحاب المؤسسات يتجرَّعون ويلات الخسائر ويقَنعون- في أحسن الأحوال- بزهيد الأرباح ولا يكلفون أنفسهم عناء التطوير والتحسين لمؤسساتهم ولا للعاملين لديهم.

ورغم أنه قد لا يتأتى لمعظمنا تغيير ثقافة مجتمع بأسره وإعادة هيكلة مؤسساته، إلا أن علينا أن نعمل ما في وسعنا لنشر الوعي بأهمية الجانب التجاري وباحتياجاته ومتطلباته، وأن نعمل جاهدين على البدء في ردم الهوة السحيقة بين واقع مجتمعاتنا وبين احتياجاتها في هذا الجانب. ويمكن أن يتأتى كل

ما ذكرنا من خلال المحاضرات والندوات والتأليفات والدراسات التي تستهدف الأفراد، كما تستهدف أيضًا أصحاب المؤسسات والمسؤولين في الدولة وصناع القرار.

إن التطوُّع للاهتمام بتطوير المؤسسات التجارية ليُعبِّر عن فكر إنساني وحضاري فريد؛ حيث أن المتطوِّع قد نذر وقته وجهده- وربما ماله- للارتقاء بمؤسسات يعلم أن عائداتها المتمثلة في الثروة والشهرة ستصُبُّ- ظاهريًّا- في جيوب أصحابها، وهو لا يرجو من وراء ذلك منفعة مادية، وهذا ما يميِّز الإنسان الحضاري عن غيره.

وقد يقول قائل بأن الأرباح التي ستجنيها تلك المؤسسات ستصبُّ في جيوبهم ولن يستفيد منها المجتمع، وهذا غير صحيح؛ فإنهم عندما يرون أن هناك من المجتمع من يهتم بهم فإنهم سيقومون أيضًا بالاهتمام بالمجتمع. ولا ننسى أن مساعدتنا لهم هي في حقيقتها مساعدة لأنفسنا؛ بمعنى إما أن نترك تلك المؤسسة في وضعها الحالي ونحصل على خدماتها بمستواها المتدني أو الرديء، وإما أن نتعاون معها للارتقاء بمستواها وإنتاجها، ونحصل على خدمات متميِّزة. وإن عزفنا عن مساعدتها وفضَّلنا الذهاب إلى بلدان مجاورة لنحصل على الخدمات التي نريدها، فإن ذلك سيكلفنا إضاعة الكثير من الوقت، وربما مصاريف مالية إضافية وجهود أكبر.

والدور الذي علينا القيام به لمساعدة تلك المؤسسات قد يبدأ بحصر المحلات التجارية والمؤسسات المختلفة الموجودة في المجتمع، ثم دراسة أوضاعها، ومعرفة مستواها الحالي والمستوى الذي يمكن أن تصل إليه، ثم وضع برامج للارتقاء بها وبالخدمات التي تقدمها.

وإضافة إلى مساعدة المؤسسات التجارية للارتقاء بمستواها المالي والاستثماري، فإن علينا مساعدتها أيضًا في التخلص من العمالة الوافدة الموجودة عندها، مما سيوفر فرص عمل لأبناء المجتمع. إن مثل هذا الإجراء سيجعل- بإذن الله- المنفعة متبادلة؛ فالمؤسسة ستتخلص من العمالة الوافدة، وهذا يعتبر حماية لها من المضار والمشاكل التي تجلبها العمالة الوافدة. وفي الوقت نفسه فالتخلُّص من العمالة الوافدة سيساعد على إيجاد فرص للعاطلين من أبناء البلد، مما يخفف من المشاكل التي يمكن أن تحدث بسبب البطالة.

١٢- مؤسسات للاعتناء بالوافدين

كما نعلم، فإن المسلمين عندما ذهبوا إلى البلدان الأخرى في القرون الأولى للإسلام، سواءً كان ذلك للتجارة أو لفتح تلك البلدان أو لتحصيل العلم، فإنهم قد حظوا باهتمام ورعاية إخوانهم في تلك البلدان. أما اليوم فإنه من المؤسف له حقًّا أن يأتي إخواننا المسلمون من البلدان الأخرى كوافدين يعملون عندنا ولا يتم أي اتصال بيننا وبينهم خارج نطاق الخدمات التي يقدمونها إلا في أحيان قليلة، كالالتقاء بهم في المسجد في يوم الجمعة أو في الصلوات المختلفة.

أما في غير ذلك فلا يكون هناك في الغالب أي شيء من جوانب التواصل أو الاهتمام بهم، رغم أن لهم حقوقًا علينا؛ فهم أولًا ضيوف عندنا، وعلينا القيام بحقوق الضيافة من تكريم للضيف، ومراعاة لأحواله، ومساعدته في أوقات الشدة أو عندما يمرض أو عندما يقع في ضائقات مالية أو نحوها. كذلك، فلهم علينا حق القيام بتعليمهم وتثقيفهم.

ومن حقوقهم علينا كذلك أن لا نعاملهم كأجانب، حيث أن الأجنبي هو الذي أتانا من دولة غير دولتنا ووطن غير وطننا. أما هؤلاء فإنهم أتونا من نفس دولتنا ووطننا؛ فدولة الإسلام دولة واحدة ووطن الإسلام وطن واحد، وما هذه التقسيمات الجغرافية إلا تقسيمات حديثة طارئة، ونسأل الله أن يكتب لها الزوال. لذلك، فعلينا أن نهتم بإخواننا المسلمين الذين أتوا إلينا من مساحات جغرافية بعيدة، كما نهتم بمَن حولنا في محيطنا، وعلينا أن نشعرهم بأنه لا فرق بيننا وبينهم.

إن واجب القيام بأمر الوافدين من إخواننا المسلمين لا يمكن لأفراد قلائل القيام به وإنما الأمر بحاجة إلى مؤسسات متخصصة لرعايتهم والاهتمام بشؤونهم، بحيث تقوم هذه المؤسسات بوضع برامج لتعليمهم أمور دينهم والارتقاء بمستوياتهم الثقافية والفكرية، وبرامج لتجميعهم في المناسبات من خلال النوادي أو الملتقيات الخاصة بهم.

كذلك، فنحن بحاجة للاهتمام بغير المسلمين، فهم موجودون بيننا، ويعيشون معنا، وقد يكونون سببًا لمشاكل وقعت أو تقع عندنا، وقد يكونون- في المقابل- السبب في تطوير وتنمية مجتمعاتنا. لذا، فإن علينا واجب دعوتهم، وإيصال الإسلام إليهم. وإنه من المؤسف جدًّا أن يعيش هؤلاء بيننا لسنوات متواصلة ثم يعودون إلى بلدانهم ولم يتعرفوا على شيءٍ من ديننا.

إن علينا أن نبادر بإنشاء مؤسسات متخصصة لدعوة غير المسلمين، بحيث تقوم باستخدام الأساليب الصحيحة المثلى لمخاطبتهم، وإنتاج المواد الدعوية المناسبة وإيصالها إليهم. ويمكن لهذه المؤسسات أن تضع برامج لجعل هؤلاء يتعرفون على المسلمين عن قرب؛ كأن يتم استضافتهم في الأعياد والمناسبات، أو أخذهم في رحلات سياحية لتعريفهم على المناطق الأثرية والمعالم الشهيرة في كل بلد، بحيث يتم ربط ذلك بأمجاد الإسلام وثقافته. وقد يقول قائل بأنهم لا يفتؤون عن فعل ذلك بأنفسهم، وهذا صحيح، ولكن هناك فرقًا بين سياحتهم في بلداننا بأنفسهم، وبين أن تكون سياحتهم من خلال برامج هادفة ومدروسة.

أسئلة وتمارين

- لماذا في نظرك لا يمكن التعويل على المؤسسات الحكومية والتجارية للاهتمام بالأعمال الخيرية؟
- قم بإعداد دراسة تتعرف فيها على المؤسسات الخيرية العاملة في المجتمعات الإسلامية وغير الإسلامية، وحاول تصنيفها بحسب النشاطات التي تقوم بها والقطاعات التي تركِّز عليها.
- قم بإعداد دراسة حول الاحتياجات الإدارية والفنية والمالية والقانونية لإنشاء مؤسسات خيرية في القُطْر الذي تعيش فيه.
- قم بإعداد بحث تتعرف من خلاله على المكتبات العامة المنتشرة في عالمنا الإسلامي والمؤسسين لها والقائمين عليها والوسائل المستخدمة في تمويلها ودعمها.
- قم بزيارة لإحدى المكتبات العامة في المحيط الذي تعيش فيه وتعرَّف على الأنشطة التي يمكنك المشاركة بها لخدمة تلك المكتبة.
- شارك بعض زملائك في وضع تصوُّرٍ لنادٍ علمي أو ثقافي يخدم المحيط الذي تعيش فيه. بعد الانتهاء من بلورة التصوُّر حاولوا مخاطبة ذوي الشأن والاختصاص في محيطكم لنقل ذلك التصوُّر إلى حيِّز التنفيذ.
- اذكر بعض الفوائد المرجوَّة من إقامة مراكز وشبكات معلومات مجانية والعقبات والتحديات التي تقف في وجه انتشارها.
- اشرح كيف يمكنك أن تقوم بمساعدة أحد المدمنين والآثار الإيجابية والثمار الطيبة التي يمكن أن يجنيها ذلك الشخص وأسرته من جراء مساعدتك له.
- قم بعمل دراسة ميدانية تستكشف من خلالها أعداد العاطلين عن العمل في المحيط الذي تعيش

أسئلة وتمارين

فيه والأسباب التي وقفت عائقًا في حصولهم على وظائف مناسبة.

- حاول مع بعض زملائك تشكيل مجموعة أو مؤسسة صغيرة تهتم بجانب العاطلين عن العمل، واشرعوا في التعرُّف على المؤسسات والجهات التي يمكن أن يستفاد منها في حل مشكلة البطالة؛ إما بتوظيف العاطلين عن العمل وإما بتدريبهم وتطوير مهاراتهم.
- تكلم عن الدور الذي يمكن أن تلعبه الصناديق والجمعيات المالية في المجتمعات المسلمة والسُّبل إلى إيجادها والنهوض بها.
- نسِّق مع المهتمين بشؤون الأوقاف في المحيط الذي تعيش فيه للقيام بدراسة حول تلك الأوقاف والتعرُّف على أوضاعها المالية وسبل المحافظة عليها والاعتناء بها.
- قم بزيارة لأحد المعالم الأثرية في المحيط الذي تعيش فيه وتعرَّف على وضعه واحتياجاته وحاول مخاطبة الجهات المعنية للاهتمام به.
- اذكر بعض الجوانب التي يمكن من خلالها مساعدة المؤسسات التجارية.
- قم بدراسة لاستقصاء المؤسسات التجارية العاملة في المحيط الذي تعيش فيه وتعرَّف على سبل تطويرها والارتقاء بها.
- هل يوجد وافدون في المحيط الذي تعيش فيها؟ ومن أيِّ الجنسيات هم؟ وما هي الأعمال التي يمارسونها؟ وهل توجد مؤسسات لرعايتهم وتوفير الخدمات لهم؟
- ضع لنفسك برنامجًا تتعرَّف من خلاله في كل شهر على أحد الوافدين المسلمين وآخر من غير المسلمين وحاول التفكير في وسائل للتعامل مع كل منهم.

المشاركة في مؤسسات المجتمع المختلفة

إن كل المجتمعات المعاصرة تتكون من منظومات فريدة، وتنتظم فيما بينها بتشكيلات مختلفة، ولذلك فلا بُدَّ من وجود روابط مناسبة تربط المنظومات والتشكيلات المتعدِّدة في المجتمع. مثلًا، لا بُدَّ أن يكون هناك رابط يربط التجار، وآخر يربط الزراع، وثالث يربط المدرسين، ورابع يربط المثقفين، وخامس يربط الرياضيين، وهكذا. من أجل هذا، فإن علينا أن نعي مثل هذه الروابط، وأن نعرف المنظومات التي يمكننا المشاركة فيها.

١- المشاركة في إنماء العملية التدريسية

المدرسة هي بناء اجتماعي يستمد مقوماته المؤسسية وفلسفته وسياساته وأهدافه من التكوين الاجتماعي العام، وتسعى إلى تحقيق أهدافها من خلال الوظائف والأدوار التي تقوم بها. ولذا، فالمدرسة تتميز عن غيرها من المؤسسات التربوية والاجتماعية بخصائص، منها[١]:

- أنها بيئة تربوية مبسطة؛ حيث ترى المدرسة لزامًا عليها أن تبسط ما في المجتمع حتى يستطيع التلميذ فيها فهمه وتقبله حسب أعمارهم ومراحل نموهم من خلال الأسلوب التدريجي أو التسلسل المنطقي.
- أنها بيئة تربوية مطهرة؛ فتحرص المدرسة على ألا تنقل للجيل الجديد غير الخير والجمال وتهيئ له بيئة نقية وخالية من الفساد.
- أنها بيئة تربوية متزنة متنوعة؛ تحاول فيها المدرسة أن توجد نوعًا من التقارب بين مختلف التلاميذ ذوي المستويات الاجتماعية والثقافية والخلقية المختلفة، وتحاول أن تقرب بين أنماط سلوكهم لأجل تحقيق وحدة الأفراد.
- أنها بيئة تربوية متجددة؛ فالتلاميذ والمعلمون والإداريون ينبغي أن يكونوا جميعًا متزامنين مع ما يستجد في العالم من تطورات، وما يحدث فيه من ابتكارات واختراعات.

---

(1) "المؤسسات التربوية في المجتمع": أبو النوف.

من هنا، فمن أجل أن تستطيع المدرسة أن تؤدي رسالتها على أكمل وجه، لزم أن يكون هناك حبل تواصل مستمر بين البيت والمدرسة. ومن أهم أساليب التعاون بين البيت والمدرسة ما يلي[1]:

- تهيئة الجو المناسب في البيت ليتمكن الطالب من مذاكرة دروسه وحل واجباته المنزلية.
- المتابعة المستمرة من قبل أولياء الأمور للتقارير والشهادات التي ترسلها المدرسة للوقوف على المستوى التحصيلي لأبنائهم.
- قيام أولياء الأمور بزيارة المدرسة للإطلاع على أحوال أبنائهم، وللاجتماع بالهيئة الإدارية والتدريسية لتجاذب الحديث حول العملية التدريسية بشكل عام ومستويات أبنائهم بشكل خاص.
- مساهمة أولياء الأمور بشكل فعال في إنجاح الأنشطة التي تخطط لها المدرسة، وتشجيع أبنائهم على المشاركة فيها، وتقديم المساعدات المادية والمعنوية لأبنائهم وللمدرسة عندما تدعو الحاجة لذلك.
- المشاركة في مجالس الآباء والأمهات، بالحضور وتقديم الاقتراحات للقائمين عليها، وكذلك بتفعيل الأنشطة المقترحة من قِبَلها.

إضافة إلى النقاط السابقة، فهناك الكثير من أوجه المشاركة التي يلزم أولياء الأمور بشكل خاص والمجتمع بشكل عام القيام بها. فمن أوجه التعاون المشترك بين المدرسة والمجتمع، والبالغ الأهمية في إنماء العملية التدريسية، هو وضع برامج للاهتمام بالطلاب المتميزين والمبدعين في المدارس، والذين يمكن التعرُّف عليهم من خلال مدارسهم أو من خلال المنشآت الثقافية والعلمية الأخرى، كنوادي الكمبيوتر وغيرها. وبعد أن يتم التعرُّف عليهم توضع لهم برامج خاصة للاهتمام بهم وتوفير رغباتهم واحتياجاتهم، وأيضًا لاستغلال مواهبهم وتوجيهها لما يخدم أنفسهم وأمتهم.

ومن أوجه المشاركة الأخرى هو التعرُّف على الطلاب من ذوي التحصيل المتدني، والذين قد لا تخلو مدرسة من مجموعة منهم. إنه لا يمكن لنا أن نهمل هؤلاء ونتركهم بلا رعاية. إننا لو فعلنا ذلك

(1) "المؤسسات التربوية في المجتمع": أبو النوف.

لشبَّ هؤلاء وفي تصوُّرهم أنهم فاشلون، ويبقون عالة على المجتمع، وربما يصبحون سببًا لفساد المجتمع وإفساد الآخرين.

إن علينا أن نتعاون مع المدارس للتعرف على أمثال هؤلاء، ثم نقوم بإيجاد برامج لمساعدتهم، كمذاكرة الدروس لهم بعد المدرسة، ومحاولة إيجاد وسائل بديلة للوسائل المستخدمة في المدارس لتوصيل المعلومات إليهم. وعلينا أيضًا أن نتعرَّف عما إذا كانوا يعانون من مشاكل عائلية أو مالية أو نفسية أو غير ذلك، وأن نتعرف على أسباب تخلفهم، وأن نحاول جادِّين معالجة تلك الأسباب لكي يستطيع هؤلاء أن يشبوا صالحين، وينبُغوا في مدارسهم وبيئتهم كما ينبغ غيرهم.

٢- المشاركة في نشر الوعي الصحي

رغم أن الجانب الصحي هو من أكثر الجوانب التي تحظى باهتمام بين أوساط الشعوب الإسلامية، إلا أن التركيز في غالبيته هو على موضوع العلاج والبرء من الأوبئة والأمراض المتفشية في مجتمعاتنا. أما الحديث عن الوقاية من تلك الأمراض، فتكاد أن تكون منعدمة وذلك لانعدام الوعي بأهمية المحافظة على الصحة. إن درهم وقاية خيرٌ من قنطار علاج كما يقال، وهذا يعني أن على المجتمع أن يعير جانب الوقاية من الأمراض والمحافظة على الصحة اهتمامًا أكبر بكثير من الاهتمام بجانب الأدوية ووصفات العلاج.

ونشر الوعي الصحي يجب أن يبدأ من المراحل الأولى للطفل، حيث أن على الأسرة أن تُنشئ أطفالها على ثقافة الاعتناء بالصحة والمحافظة عليها قبل أن تنشئهم على سبل العلاج وطرائقه. ولنضرب هنا بعض الأمثلة على الدور الذي يمكن أن تلعبه الأسرة في هذا الجانب:

- على الأسرة أن تعوِّد الأطفال على تناول الوجبات الصحية، والتي تكثر فيها الخضروات والفواكه وتقل فيها الدهون والزيوت والسكريات.
- أن تعوِّد الأسرة أطفالها على المحافظة على وجبة الإفطار وأن تكون وجبة مليئة بالعناصر المهمة لتنشيط الطفل جسديًّا وذهنيًّا.

- أن تعوِّد الأسرة أطفالها على اصطحاب وجبات خفيفة وسندويشات تحتوي على مواد صحية كالبيض والجبن والخضروات بدلًا من إعطائهم نقودًا لشراء ما يحلو لهم من المشروبات الغازية والبوظة والحلويات، والتي جميعها تضرُّ بصحة الطفل أكثر من أن تفيده.
- أن تضع الأسرة مكافئات وتقدِّم هدايا لكل من يتقيَّد يوميًّا بالسِّواك والاستحمام وبنظافة الملبس وبالمشاركة في نظافة البيت.
- يمكن للأسرة أن تقيم برنامجًا رياضيًّا خاصًّا بأفرادها، سواءً كان بشكل يومي أو أسبوعي، بحيث ينمو الطفل وفي مخيلته ذلك الحدث المتراتب الذي تقيمه الأسرة والذي من خلاله ينشأ الطفل سليمًا بإذن الله ومدركًا لأهمية الرياضة ودورها في الوقاية والتخلُّص من الأمراض المختلفة.

أما المدرسة فإن عليها أن تأخذ دورًا قياديًّا في هذا الصدد؛ وذلك بتعميق مفاهيم الاعتناء بالصحة والوقاية من الأمراض من خلال المناهج الدراسية والأنشطة المدرسية والفعاليات التي تقيمها المدارس لخدمة المجتمع. ومن أمثلة ما يمكن أن تقوم به المدرسة في هذا الجانب ما يلي:

- توفير مطعم لتقديم وجبات الإفطار والغداء للأطفال، حيث أنه- وللأسف الشديد- يذهب معظم الطلاب إلى مدارسهم وهم لم يفطروا بعد، ويبقوا في المدرسة إلى ما بعد الظهر، وقليلٌ منهم من يكون قد اصطحب معه نقودًا تكفيه للحصول على ما يحتاجه من أطعمة تسدُّ جوع بطنه، فضلًا عن أن تفيد صحته. وتوفير وجبات صحية وبسعر مجاني أو مخفض في مطعم المدرسة سيعوِّد الأطفال على الحصول على الوجبات المطلوبة التي عليهم تناولها، وأيضًا فهي لا تتيح للطفل صرف نقوده في أمور قد تضرُّ صحته، وكلا هذين الأمرين هو نوع من التثقيف والتنشئة السليمة للطفل.
- تعويد الأطفال على أن يبدؤوا يومهم الدراسي ببعض التمارين الرياضية، سواءً كان ذلك في طابور الصباح أو في داخل الصفوف.
- توعية الأطفال بأهمية الصحة والمحافظة عليها من خلال الصُّور والرسومات التي يجب أن تعلَّق على جدران المدرسة والتي توضح بعض الأطعمة المفيدة والأخرى الضارة. كذلك، فيمكن

الإكثار من مجلات الحائط التي تخصَّص لتغطية أنواع معينة من الأغذية والوجبات، وكذلك الأمراض والعادات السيئة.

- إقامة مسابقات رياضية وأخرى ثقافية تصبُّ في سياق نشر الوعي الصحي والوقاية من الأمراض.
- وضع برامج للفحوصات الدورية لكل طفل، بحيث يُحسَّس الطفل بأن الهدف من تلك الفحوصات هو المحافظة على صحته قبل الوقوع في المرض. ويمكن أن تشمل هذه الفحوصات قياس ضغط الدم والسُّكر وفحص الأسنان والعيون والآذان.

وأخيرًا، فإن على بقية أفراد المجتمع أن يشاركوا في هذا الجانب، كل حسب تخصُّصه وعمله وفراغه. وهذا النوع من المشاركة قد يحتاج إلى تدريب وتشجيع من قِبَل بعض المتخصصين والهواة، وخاصة العاملين في الحقل الصحي. ونذكر هنا بعض الأمثلة التي يمكن أن توضح الدور الذي على هؤلاء أن يلعبوه في جانب نشر الوعي الصحي:

- يمكن مثلًا أن نثقف التاجر على أن الأرباح والعوائد المادية هي ليست كل ما يجب أن يحرص عليها، وإنما عليه أن يحرص على خدمة مجتمعه من خلال ما يبيعه من مواد ومنتجات، فعليه أن يتجنَّب بيع المنتجات التي قد تضرُّ بصحة الناس كالسجائر والمشروبات الغازية، وأن يحرص كل الحرص على عدم بيع المنتجات المنتهية أو التي تحتوي على مواد مشبوهة.
- أما المزارع فعليه أن يدرك أن استخدام الأسمدة الكيماوية والمبيدات الحشرية والهرمونات التي تعجل نمو أو نضوج الثمار قد يأتي إليه بعوائد مالية مربحة، ولكنه في النهاية قد يكون سببًا في تدمير المجتمع من خلال الأمراض والمشاكل الصحية التي تنتج عن تناول تلك المحاصيل والمنتوجات الزراعية. وعلينا أن نشرح له البدائل التي عليه اللجوء إليها من استخدام الأسمدة العضوية والبيوت المحمية وغير ذلك من الطرق.
- أما العامل في ورشته فعليه أن يعلم أن عوادم السيارات ومخلفاتها تضرُّ بالبيئة- ومَن ثمَّ الإنسان- ضررًا بالغًا، ولذا فعليه أن يحرص على التخلُّص من نفايات السيارات كالزيوت وقطع الغيار

والإطارات القديمة بطريقة صحية سليمة، وأن يقوم بإيصالها إلى المرادم المخصصة لذلك، حتى وإن كلفه ذلك مبالغ إضافية.

٣- المشاركة في جمعيات المرأة والطفل

لسوء حظ شعوبنا المنكوبة- أو قل لحسن حظها؛ فرُبَّ ضارة نافعة- أن يتعاون الأعداء والأصدقاء على ما يسمُّونه بتحرير المرأة. وإذا كانت هذه الحملة الشعواء والعاصفة الهوجاء التي بدأت تقذف بجِمَمها في عالمنا العربي والإسلامي منذ مطالع الثلاثينات من القرن الميلادي الماضي قد أفرزت كثيرًا من المظاهر السلبية لمجتمعاتنا والخدوش العميقة في هويتنا وثقافتنا، إلا أنه ما كان لها أن يكون لها ذلك الأثر السلبي العميق على نسائنا وبناتنا وأجيالنا لو استقبلتها عقول مفكرة واعية وسخَّرتها فيما يعود على مجتمعاتنا بالخير.

لقد تطوَّرت حملات تحرير المرأة وتقوَّى عودها وخرجت من سراديبها التي كانت تقبع فيها وهي تخطط لكل ما يمكن أن يكون له أكبر الأثر وأعمقه في إخراج المرأة من بيتها عارية لاهثة وراء الموضات وبيوتات الأزياء، وخرجت لتجاهر بعهرها وتكشف أوراقها وتنفث سمومها دون حياء أو مواربة. وقد ظهرت ما يسمى بجمعيات المرأة كأحد أبرز معالم تلك المسيرة الشائنة في تاريخ أمتنا.

وجمعيات المرأة قد صارت- وللأسف الشديد- مأوى لكل حمقاء جاهلة، وسوقًا للنخاسة تبيع فيها النساء أخلاقهن وعاداتهن بأحجار وقلائد يصنعنهن، ورقيعات وجلابيب يخطنهن، وتشكيلات من الحلوى والكعك يخبزن. وما إن يستقر قلب هؤلاء النساء لهذه الجمعيات وتسكن إليها نفوسهن حتى تبدأ القائمات على تلك الجمعيات في تنفيذ برامج السَّلخ والتجريد من الهوية الدينية والثقافية لأولئك المغفلات، فتعود الواحدة منهن إلى بيتها بوِقرٍ من المنسوجات والمعجنات وسِفرٍ من الأفكار المسمومة والتعاليم المستوردة.

ورغم أن الوصف الذي سُقْتُه لجمعيات المرأة قد لا يفي بحقها فيما تقوم به من طمسٍ لمعالم ديننا، وغمطٍ لحقوق أصحاب الحقوق من أئمتنا وعظمائنا، وتشويه لتراثنا وعاداتنا، غير أن جمعيات المرأة يمكن أن تكون منبر إشعاع لأجيالنا المتلاحقة، ومِعْوَل هدم لما تم تشييده في سابق تاريخنا وحاضره

من قلاع الفجور وأسوار الرذيلة، وممحاة لكل ما تم تسطيره في قلوب وعقول أجيالنا المتلاحقة من فكرٍ موبوء وثقافة مزيفة.

وحيث أن واقع جمعيات المرأة الحالي والواقع الإيجابي الذي يمكن أن تكون عليه لا يمكن أن يتغيَّر بين عشية وضحاها ولا يمكن أن يأتي بالأحلام والأمنيات، لذا فإن مسيرة العمل التطوُّعي يمكن أن تلج هذا الباب وتنثر عليه رياحينها وتسكب عليه من شهدها. والخطاب هنا ليس مقصورًا على النساء المخلصات المؤمنات الصادقات المثقفات الواعيات فحسب، وإنما على الرجال والنساء على السواء أن يشاركوا في هذا الجانب.

وكما بدأت مسيرة سلخ المرأة من هويتها الدينية والثقافية بالتدرُّج وبتخطيط واعٍ وحذِر، فأيضًا على مسيرة إعادة الإعمار والتأهيل أن تنتهج نفس الطريق. لذا، فإن على مسيرة التغيير لجمعيات المرأة أن تركِّز جهودها في أول الأمر على ترسيخ أقدامها في كيانات تلك الجمعيات الإدارية والشعبية؛ فمن ناحية إدارية على النساء المخلصات أن يبدأن التخطيط للإمساك بزمام تلك الجمعيات ليصبح بأيديهن صنع القرار ووضع المناهج والبرامج، ومن ناحية شعبية فإن على الجميع أن يبذلوا قصارى جهدهم في إنجاح هذه المسيرة الخيِّرة من خلال الدعم المادي والمعنوي والمشاركة الفعلية لأنشطة وفعاليات جمعيات المرأة. وعلينا جميعًا أن ندرك أن أفضل وسيلة للتغيير هي الإزاحة؛ بمعنى إقصاء العينات الشاذة الفاسدة وإحلالها بكوادر سليمة صالحة.

أما الجمعيات التي تعنى بالطفل، سواءً كانت لرعايته أو لتعليمه أو لترفيهه، فإنما هي أيضًا جمعيات ظاهرها عسلٌ مصفى وباطنها خلايا سرطانية تفتك بكل مَن يقترب من حماها، سواءً من الأطفال أو حتى أُسَرِهم. ونهج معظم هذه الجمعيات- كما تدَّعي- هو تهيئة المناخ الصحي لنمو الطفل، وهو في حقيقته مناخٌ يتم فيه زرع بذور الشرِّ وأفكار الولاء والعهر في تلك العقول الطاهرة النقية لتشُبَّ أبواقًا للحكام وجنودًا لأفكار الأسياد ومبيدات ليرقات الفكر الإصلاحي.

وبطبيعة الحال، فلا يمكن لمثل هذه الجمعيات أن يكون لها ذلك الأثر إلا عندما أُوكِل أمرها إلى متخصِّصين وخبراء ممن حملوا على عاتقهم راية التخريب والإفساد في عالمنا الإسلامي، سواءً كانوا من المدرِّسين والمدرسات الذين يستقبلوننا بالابتسامة والترحيب، أم كانوا من المخطِّطين والمتنفِّذين الذين يصنعون القرار ويُقِرُّون الخطط والاستراتيجيات.

وكما هو الحال بالنسبة لجمعيات المرأة، فإن الجمعيات المهتمة بشؤون الطفل يمكن أن يكون لها أثرٌ إيجابي في تربية النشء، وفي الحفاظ على هوية المجتمع الدينية والثقافية، لو قيَّض الله لها من يرعاها بخير ويوجِّه مسيرتها نحو الإصلاح. لذا، فإن الاهتمام بهذه الجمعيات قد يكون أكثر أهمية من الاهتمام بجمعيات المرأة، ناهيك عن الاهتمام بالمؤسسات الأخرى. من هنا، فيجب أن تتظافر جهود التطوُّع من المخلصين من أبناء وبنات هذه الأمة- وخاصة المثقفين منهم- للولوج إلى هذه الجمعيات ومحاولة تغيير مسيرتها وإصلاح كياناتها الإدارية والفنية، ووضع برامج لتربية أجيالٍ مستقيمة وواعية تستطيع حمل رسالة البناء لهذه الأمة وإعادة الإعمار لها.

٤- المشاركة في النوادي المختلفة

كما ذكرتُ في فصل سابق، فإنه قد لا يخلو مجتمع من المجتمعات من نوادٍ رياضية وأدبية وعلمية، والتي- في غالبها- قد أنشئت كمؤسسات حكومية. لكنه- في معظم الأحيان- لا يرتاد هذه النوادي- رغم كثرة إمكانياتها ومواردها- إلا قلة من الناس، وذلك لفقدان الوعي في مجتمعاتنا بأهمية مثل هذه النوادي. من هنا، فإن على فئات المجتمع المختلفة- وخاصة الشباب والفتيات- أن يكون لها دورٌ ملموسٌ وإيجابي في تفعيل هذه المؤسسات.

والمشاركة في مثل هذه المؤسسات لا تقتصر فقط على حضور الفعاليات التي تقيمها، وإنما أيضًا بالمشاركة في الإعداد والتخطيط لها، وفي تنظيمها وإقامتها، وفي تقييمها وتحليل أسباب نجاحها أو فشلها. كذلك، فإن هذه النوادي بحاجة إلى المشاركة في التوجيه وصنع القرار، وذلك من خلال المشاركة في جمعياتها العمومية وإداراتها المنتخبة ولجانها المختلفة. وهي بحاجة أيضًا إلى الدعم المالي- حتى وإن كانت مدعومة حكوميًّا- وذلك لأن الأنشطة التي غالبًا ما تزاولها- أو يُرجى أن تقوم بها- قد تفوق مواردها المادية المتاحة لها.

ولعلَّ من أهم أوجه المشاركة في إنجاح هذه النوادي هي الدعاية لها، وتعريف العوام بها، ونشر الوعي بأهميتها، ووضع البرامج لتنشئة الأطفال على التعلُّق بها والاستفادة من إمكانياتها. وهذا النوع من المشاركة قد يكون- بل يُحبَّذ أن يكون- بالتنسيق مع إدارات هذه النوادي وذوي الاهتمام بها،

وذلك للحيلولة من عدم الإضرار بسمعة هذه النوادي، ولكي لا تتعارض مع سياسات النوادي وبرامجها التي تسير في نفس السياق.

ويمكن لهذا النوع من المشاركات أن يأخذ صورًا عديدة؛ فهناك الدعاية الشفهية والتي تستهدف تشجيع الناس على حضور الفعاليات المختلفة متى ما أقيم شيءٌ منها، ومنها الترويج الإعلامي، وذلك من خلال الإعلانات واليافطات والنشرات التي يمكن توزيعها للإعلان عن فعالية معينة أو حدثٍ مهم تتبناه إحدى هذه النوادي. وأخيرًا، فيمكن أن تكون المشاركة هنا بإصدار المجلات والكتب والتقارير الإخبارية التي تتحدَّث عن هذه النوادي بعمق وتحاول بناء جسر التواصل بينها وبين شرائح المجتمع المختلفة.

أسئلة وتمارين

- اذكر بعض أوجه المشاركة في إنماء العملية التدريسية التي بمقدور كثيرٍ من الناس القيام بها.
- قم بزيارة لإحدى المدارس في المحيط الذي تعيش فيه وتعرَّف على ما في تلك المدرسة من إمكانيات وما وضعته إدارتها من برامج للتعامل مع الطلاب الموهوبين وأيضًا الطلاب من ذوي التحصيل المتدني. ناقش مع إدارة المدرسة أوجه المشاركة التي بمقدورك أنت القيام بها.
- تعرَّف على مجالس الآباء والأمهات في المحيط الذي تعيش فيه والدور الذي تقوم به وحاول المشاركة فيها ولو بالحضور والاستماع.
- كيف يمكن أن نساهم في تثقيف شرائح المجتمع المختلفة للمحافظة على الصحة والوقاية من الأمراض؟
- تطرَّق الفصل إلى نماذج لبعض الأعمال والأنشطة التي يمكن القيام بها لترسيخ ثقافة الاعتناء بالصحة. اذكر أمثلة أخرى وناقش الفئات المستهدفة لها وسبل تطبيقها.
- وضِّح كيف يمكن لمؤسسات معروفة ومنتشرة في المجتمع كجمعيات المرأة والطفل أن يكون لها دورٌ تخريبي في المجتمع، ووضِّح كيف يمكن لنا تغيير مسيرة تلك الجمعيات لتصبح فاعلة بنَّاءة.
- قم بزيارة لبعض جمعيات المرأة والطفل المنتشرة في المحيط أو القُطْر الذي تعيش فيه وتعرَّف على برامجها وأنشطتها وما إذا كانت ما زالت على الصورة القاتمة التي وصفناها بها في هذا الفصل أم أنها قد بدأت تتحول إلى الصورة المشرقة التي أوردنا بعض ملامحها. تحدَّث مع إدارة هذه الجمعيات وطاقمها وناقش معهم إمكانية التغيير إلى الأفضل.

أسئلة وتمارين
▪ اذكر بعضًا من أوجه المشاركة في النوادي المختلفة، وابحث عن إمكانية تطبيق بعضٍ من هذه الأوجه من قِبَلك وبمشاركة بعض أقاربك وزملائك.

رعاية شؤون المساجد

كان المسجد أول مؤسسة أنشأها النبي- صلى الله عليه وسلم- بعد الهجرة؛ لتكون هذه رسالة إلى عموم المسلمين حول محورية دور المسجد في حياتهم، وكيف أنه ليس مكانًا للصلاة فحسب، بل مركزًا لإدارة شؤون الناس، وتسيير مصالحهم الدنيوية، وحل مشكلاتهم اليومية، وهو أيضًا يدعم التواصل الاجتماعي، ويساعد على اصطفاء الأصدقاء، ويشغل أوقات الفراغ، ويفرغ الطاقات.

كما أن للمسجد خصوصية في حياة الشباب؛ فهو يقدم لهم ما عجزت عن تقديمه لهم الأجهزة والمؤسسات الأخرى، كالمنزل والمدرسة ووسائل الإعلام. ويؤكد علماء النفس والاجتماع أن مرحلة المراهقة والشباب هي الفترة التي يكون فيها الدين بالنسبة إلى الشباب هو المخرج والمتنفس الوحيد الذي يحقق الأمان من الضغوط النفسية والمشكلات الانفعالية. ففي أجوائه الربانية تربى الصحابي الجليل أسامة بن زيد- رضي الله عنه- الذي قاد جيشًا فيه أبو بكر وعمر- رضي الله عنهما- وعمره وقتها ١٧ سنة. وفي المسجد كان شباب الصحابة يقومون الليل ويتدارسون القرآن، فإذا أقبل النهار صاروا فرسانًا وجنودًا في خدمة الدين.

ورغم أن المساجد- كما ذكرنا- تعتبر من مؤسسات المجتمع البالغة في الأهمية، إلا أنها لم تَحْظَ بالاهتمام المرجوّ، ليس في بلد بعينه، وإنما في كثير من البلدان الإسلامية. كثير من الناس- جزاهم الله خيرًا- تبرعوا بإنشاء هذه المساجد، لكنها لم تحظ فيما بعد بالمتابعة والاهتمام، وأصبح بعضها كالخِراب يتحاشى المُصلُّون استخدام مرافقها، وخاصة مصليات النساء ودورات المياه.

وأدهى من هذا وذاك التراجع الملحوظ الذي طرأ للدور الذي يجب أن تلعبه المساجد في حمل رسالة الإسلام. لقد أسس نبي الإسلام- عليه أفضل الصلاة والسلام- كيان المسجد ليكون المركز الذي تُدار منه دولة الإسلام، والمنبر الذي تذاع من خلاله التعاليم والنظم، والمدرسة التي يتربى بين جدرانها قادة الأمة وعلماؤها، والمشفى الذي تعالج فيه الأفئدة والأجساد، والملتقى الذي يأوي إليه الخائف والمسافر وصاحب الحاجة.

لقد أدركت أجيال المسلمين المتعاقبة على امتداد القرون نبل الرسالة التي على المساجد حملها فجَدُّوا وشمَّروا وأفنوا في تدبير شؤونها وحراسة جوانب رسالتها وأركان كيانها بكل ما آتاهم ربهم من قدرة وحكمة، وبذلوا في سبيلها الغالي والنفيس.

وقد أدرك أعداء هذه الأمة– سواءً كانوا من أعدائها التقليديين، أم الخونة من أبناء جلدتها والمندَسِّين بين صفوف المخلصين– بأن لا سبيل لتدمير كيان الأمة إلا بتدمير مراكز قيادتها ومنابر إشعاعها ومحاضن علمائها وطلابها، والمتمثلة في المساجد. ولم يألُ هؤلاء جهدًا من الانتقاص من المساجد وتحييد دورها وإغماد الأسنة في قلب كل من يأوي إلى أركانها. وقد بقيتْ تلك الحملات الشعواء على المساجد في تأجج مستمر إلى أن وصلت في عصرنا هذا إلى ذروتها، وخاصة بعد أن استطاع المخلصون من أبناء هذه الأمة أن يعيدوا للمساجد حيويتها وأنوارها وبدأت تُخرِّج الرجال وتنشر الدعوة إلى دين الله.

من هذا المنطلق يجب أن يسعى أهل الصلاح والخير في كل حيٍّ وقرية لكي يُتَوِّجوا بيوت الله بتاج النور الذي ألبسها إياه رب العزة سبحانه وتعالى، وحرس حماه رحمةُ رب العالمين، عليه أفضل الصلاة والتسليم. لذا، فإنه يجب أن لا تخلو أيُّ بلدة من مشاريع خاصة ومؤسسات خيرية تهتم بشؤون المساجد وترعى أحوالها.

وعلى مثل هذه المؤسسات الخيرية أن تقوم بحصر المساجد، ودراسة أحوالها، ومعرفة ما يحتاج منها إلى ترميم وتلك التي تحتاج إلى إصلاح أو توسعة، ثم التعرُّف على ما ينقصها من مستلزمات، كالمصاحف وغيرها. كذلك، فيجب أن تكون هناك مشاريع لإعادة الحياة لهذه المساجد وذلك من خلال البرامج الدعوية والثقافية التي تجعل المسجد منطلقًا لكل خير وصلاح في كل بلدة.

إن هذا الأمر يحتاج إلى تضافر جهود بين أفراد المجتمع على السواء، وخاصة في تأسيس اللجان والمؤسسات التي تقوم بالاعتناء بشؤون المساجد. ويمكن لمثل هذه اللجان والمؤسسات أن تجمع الأموال اللازمة لأنشطتها، إما عن طريق التبرعات أو عن طريق إيجاد وسائل لإعمار واستغلال الأملاك الموقفة لتلك المساجد. فيما يلي نتطرق إلى بعض الأنشطة والبرامج التي يمكن التطوُّع للقيام بها في محيط المسجد.

١- الدروس والمحاضرات

لقد كانت المساجد على توالي الأيام دار الحضانة التي تسكن إليها قلوب الصغار والكبار، والجامعة التي يهفو إليها عطشى العقول ليرووا ضمأهم من حلقات الذكر ودروس العلم التي يديرها ورثة الأنبياء وهداة العالم. وإنه لحريٌّ بالمساجد أن تكون كذلك في كل عصر، غير أنه في زماننا الحالي قد تقلَّص دورها وأصبحت- في الأغلب- لا يسمع بين جدرانها إلا تكبيرات الأذان والصلوات الخمس، وصار القائمون عليها حريصين على المحافظة على الأوقات التي يفتحون ويغلقون أبوابها أمام المصلين وطلاب العلم، فتراهم يُحْكِمون إغلاق أبوابها إلا ما بين الأذان وبضع دقائق بعد انتهاء كل صلاة.

إنه يجب أن تعود الحياة للمساجد وأن يعود إليها دورها في التربية والتوجيه للصغار والكبار. وعلى أهل كل حيٍّ أن يولوا المساجد في حيِّهم بالغ الاهتمام، وذلك بوضع برامج علمية وثقافية لها على امتداد العام. ويمكن أن تشمل تلك البرامج الدروس العلمية في المجالات المختلفة كالفقه والتفسير والحديث واللغة والتاريخ وغيرها من العلوم. كذلك، فيمكن للمسجد أن يستضيف بين كل حين وآخر العلماء والمشهورين في المعارف المختلفة والذين يمكن أن يكون لمحاضراتهم ودروسهم دورٌ رئيسي في دفع عجلة الثقافة والمعرفة في الحيِّ لخطوات بعيدة.

ويمكن أن تقوم على رعاية الجوانب الثقافية والعلمية في المساجد لجان محلية في كل مدينة أو منطقة، ويمكن أن تكون مؤسسات على مستوى القطر، وكلما اتسع نطاق عمل المؤسسة وتنوَّعت أنشطتها كلما قامت المساجد بتأدية رسالتها على وجه أفضل. لهذا فعلى اللجان المحلية التي تعنى بشؤون المساجد على مستوى الحيِّ أو القرية أن تكون على اتصال بغيرها من اللجان في الأحياء والمدن الأخرى، وأن تسعى جادَّة لتوحيد أنشطتها من خلال مؤسسات قُطْرية.

٢- الأنشطة والفعاليات

ويجب أن لا يقتصر نشاط المسجد على الدروس والمحاضرات، وإنما يجب أن يكون للمسجد دورٌ في إحياء الأمسيات وإقامة الفعاليات والأنشطة المختلفة على امتداد العام. مثلًا، يجب أن يكون هناك برنامج مميَّز في شهر رمضان تمتزج فيه الجلسات الإيمانية بالفقرات الثقافية، وترتبط فيه اهتمامات الشباب برغبات الشيوخ. كذلك، فيجب أن تحظى المناسبات الأخرى كالهجرة النبوية والإسراء

والمعراج وغيرها من المناسبات باهتمام القائمين على المسجد والبحث عما يمكن أن يثير اهتمام الناس وينمي فيهم القدرات ويقوّي بينهم الصلات.

والأنشطة التي على المساجد الاعتناء بها يجب أن لا تقتصر على الفعاليات الوقتية في المناسبات المختلفة وإنما يجب أن يكون للمساجد دورٌ بارزٌ في ربط الناس بالمسجد من جهة وربط بعضهم البعض من جهة أخرى، وذلك من خلال الأنشطة والفعاليات المختلفة كالمراكز الصيفية ومدارس تحفيظ القرآن الكريم والدورات المختلفة في العلوم النافعة كالتجويد وحفظ القرآن الكريم وإتقان علوم النحو والبلاغة.

ويمكن للمؤسسات المحلية أو القُطْرية التي أشرتُ إليها قبل قليل أن تقوم بإعداد ومتابعة البرامج والأنشطة التي تستهدف المساجد على مستوى الحي أو المدينة أو القُطْر. ويمكن للمؤسسة القُطْرية أن تقيم أنشطة أكبر حجمًا وأعمق أثرًا من تلك التي تقام على مستوى لجان المساجد، وذلك من خلال ما يتاح للمؤسسات القُطْرية من إمكانيات مادية وعلمية وما يمكن أن تحظى به من احترام وتقدير واهتمام من قِبَل المشائخ والعلماء والمسؤولين في الدولة.

٣- لوحة المسجد

تعتبر لوحة المسجد من الواجهات التي يجب أن توجد في كل مسجد، وأن يكون لها دورٌ واضحٌ في تعريف الناس بأمور دينهم وبالقضايا المعاصرة التي تستجد بين حين وآخر. ولوحة المسجد قد لا تعدوا عن كونها مساحة في أحد جدران المسجد تعلَّق عليها بعض الفتاوى أو المواضيع الساخنة، وقد تكون اللوحة مكانًا معدًّا خارج أو داخل المصلى بحيث تحوي المواضيع والفقرات المنتقاة بعناية فائقة ويتم تنسيقها وترتيبها من قِبَل أيادي ماهرة متخصِّصة.

وبغض النظر عن طبيعة اللوحة، إلا أنه يجب الإشارة إلى أهميتها حتى وإن كانت لا تحظى بالتجديد المطلوب لما يُعرَض عليها ولا بالمواد التي تستخدم في تثبيت وعرض المواضيع. لهذا، فيجب أن تكون من ضمن اختصاصات لجنة المسجد البحث عمَّن يمكن أن يتولى شؤون اللوحة ومَن يمكن أن ينتقي مواضيعها ويُجدِّد المعلومات المطروحة من خلالها. وحبَّذا لو تكون هناك لجنة على مستوى المدينة أو القُطْر تعنى بلوحات المساجد وتتعهَّدها بالصيانة وتجديد محتوياتها.

٤- الزيارات

يمكن- بل يجب- للمسجد أن يقوم بدورٍ فعالٍ في ترابط الناس وتقوية الصلات بينهم، ويمكن أن يكون ذلك من خلال برنامج لتبادل الزيارات بين أهل الحيِّ أو القرية. ويمكن للبرنامج أن يشمل كل من يرغب في المشاركة من أهل الحيِّ، سواءً كان من الرجال أو النساء أو الأطفال، ويمكن كذلك أن تكون الزيارات أسبوعية أو كل عدة أسابيع، ويمكن أن تكون بعد العصر أو المغرب أو العشاء.

وفي موعد الزيارة ينطلق أهل الحيِّ من المسجد متوجِّهين إلى بيت المستضيف، ويجلسون معه لتناول القهوة أو الشاي وللتحدُّث فيما يحلو لهم من مواضيع وقضايا. وقد تكون تلك الزيارات بمثابة الملتقى الذي يتبادل فيه أهل الحيِّ الحديث عن بعض قضايا المسجد أو الحيِّ، والتي قد يصعب الحديث عنها في أوقات أخرى بسبب انشغال الناس في أعمالهم ووظائفهم. وانطلاق مثل تلك الزيارات من المسجد يحيي في نفوس الناس- وخاصة الناشئة منهم- ذكريات الأمجاد التي ارتسمت معالمها لهذه الأمة منذ نشأتها، والتي كان المسجد مهدها ومحضنها، وكان في الوقت نفسه نقطة الانطلاق لما تبعها من نجاحات وانتصارات.

٥- صيانة المسجد

كلنا يعلم أن المساجد تحتوي على أجهزة تكييف وسجاد ونوافذ ومصابيح ومكبرات صوت، وكلها بحاجة إلى متابعة وصيانة دورية، واستبدال القديم أو التالف منها بأخرى جديدة. هذا بالإضافة إلى متابعة وصيانة المرافق التابعة لها، كدورات المياه وأماكن الوضوء والمكتبات، وأيضًا ما تحتويه من أجهزة وميكروفونات ومصاحف وغيرها. لذا، فإن الدور الذي على أهل الحيِّ أن يلعبوه في عمارة المساجد لا يقتصر على إنشائها، وإنما قد تكون عمارة المساجد في استمراريتها وبقائها وهي تؤدي رسالتها بجدارة وتميُّز.

وعلى غرار اللجنة التي تعنى بالشؤون الثقافية والعلمية للمساجد، فإني أرى أن تكون هناك مؤسسة أخرى على مستوى القُطْر، أو- على الأقل- لجنة في كل مدينة، تهتم برعاية مرافق المساجد وتوفر احتياجاتها. وليس من الضروري أن تتكون مثل هذه اللجان أو المؤسسات من العديد من العاملين

فيها، ولا أن تكون كبيرة في إمكانياتها، وإنما يكفيها شخص واحد أو اثنان يتجوَّلان بسيارتهما الخاصة أو بسيارة تابعة للمؤسسة، ويطوفان على مؤسسات الحيِّ أو المدينة أو القُطْر بأكمله، ويقومان بتقييم حالة المساجد، وكتابة تقرير عن احتياجات كل منها من الصيانة أو المواد المختلفة. بعدها، تقوم اللجنة أو المؤسسة بتوفير احتياجات تلك المساجد من المواد والأجهزة المختلفة من خلال التبرُّعات التي تَرِد إليها، باعتبارها القائمة بشؤون المساجد في الحيِّ أو المدينة أو القُطْر، أو من خلال عائدات الأوقاف التابعة للمساجد التي تقوم على خدمتها.

وبعد أن تستلم المؤسسة التقرير من الأشخاص المعنيين تشرع في عملية الصيانة وتوفير المواد اللازمة لكل مسجد، وذلك إما عن طريق فنيين ومهنيين تابعين للمؤسسة نفسها أو بتفويض أمر الصيانة وتوفير الاحتياجات المطلوبة إلى مؤسسات أخرى متخصصة في الخدمات المطلوبة.

٦- نظافة المسجد

كما هو معلوم فإنه يتردَّد على المساجد كل يوم أعدادٌ لا بأس بها من المصلين، وخاصة في الجوامع والمساجد القريبة من الشوارع العامة التي يرتادها المسافرون بكثرة. وحيث أن ثقافة مجتمعاتنا وشعوبنا الإسلامية ما زالت لا تهتم كثيرًا بجانب النظافة على مستوى الفرد أو البيت، فلذا نادرًا ما نرى اهتمامًا بذلك من المتردِّدين على المساجد، بل- في أحيانٍ كثيرة- يكون الحال على عكس ذلك، فقد يتعمد بعض المصلين- غفر الله لنا ولهم- تلويث مرافق المساجد وخاصة دورات المياه.

من أجل ذلك، فلا بُدَّ أن تهتم اللجان المحلية المعنية بشؤون المساجد في الأحياء والقرى بنظافة المساجد ومرافقها المختلفة. ويجب على مثل هذه اللجان أن تضع لنفسها برنامجًا يوميًّا أو أسبوعيًّا لتنظيف المساجد والمرافق التابعة لها، ويمكن أن يتم تعيين أشخاص- بأجور أو بتطوع- للقيام بمهمات التنظيف. ويجب أن يشمل برنامج النظافة المرافق العامة في المسجد، كدورات المياه وأماكن الوضوء والمصليات، بالإضافة إلى المرافق الأخرى كحديقة المسجد ونوافذه ومكتبته.

ومن البرامج التطوُّعية المثيرة والمفيدة المستهدفة للمساجد والتي يمكن القيام بها في الأحياء والقرى هي تخصيص إحدى أيام العطل والإجازات لإقامة معسكر يشارك فيه الأطفال والشباب والكبار،

ويخصص لتنظيف وصيانة المساجد وترميم مرافقها وشراء ما تحتاج إليه من مواد تالفة أو قديمة. ويمكن أن يتخلل هذا المعسكر فترات لتناول القهوة الجماعية، أو حتى وجبة غداء جماعية.

أسئلة وتمارين

- تكلم عن طبيعة الرسالة التي يمكن أن تؤديها المساجد.
- وضح كيف تَقلَّص دور المساجد أو كاد أن يختفي، وكيف يمكن أن تعود المساجد إلى حمل رسالتها من جديد.
- ذكرنا في هذا الفصل جوانب مختلفة لأنشطة وفعاليات يمكن أن تعيد الحياة للمساجد. ناقش هذه الأنشطة والفعاليات مع القائمين على المسجد الذي كثيرًا ما تتردَّد عليه- وخاصة فئة الشباب- وتباحثوا إمكانية إقامتها في ذلك المسجد.
- اتفق مع بعض الشباب الصالحين المتردِّدين على المسجد الذي تصلي فيه وقوموا بوضع برامج لدروس ومحاضرات على امتداد العام، وكذلك برامج لصيانة وترميم وتنظيف المسجد. بعد اكتمال تلك البرامج قوموا بعرضها على لجنة المسجد أو القائمين عليه وناقشوا إمكانية تنفيذها وتوفير متطلباتها.
- من الأمور التي يجب أن لا يخلو منها مسجد هي لوحة المسجد. قم أنت وبعض زملائك بإيجاد وتحديث لوحة في المسجد الذي تتردَّدون عليه. حاولوا ملء هذه اللوحة بالمواضيع المفيدة والنافعة والإعلانات المهمة المتعلقة بدروس العلم والمحاضرات.

إقامة المعارض

من المشاريع أو الأنشطة الأخرى التي يمكننا التطوع بالقيام بها في المحيط الذي نعيش فيه هي إقامة المعارض والمعسكرات. والمعارض تعتبر من الفعاليات الاجتماعية المهمة، حيث أنه يجتمع فيها الكثير من أهل البلد من الرجال والنساء والأطفال، وتكون وسيلة للالتقاء والتحدث عن همومهم ومشاكلهم، وتقوي الترابط الاجتماعي بينهم، وتبعث بينهم البهجة، وترتقي بمستوياتهم الفكرية والثقافية. وسنتطرق في هذا الفصل- بإذن الله- إلى أنواع مختلفة من المعارض التي بمقدور أهالي كل قرية أو مدينة الترتيب لها وإقامتها.

١- معارض لبيع منتجات البيئة

من المعارض المهمة التي ينبغي أن توجد في كل حيٍّ- أو على الأقل في كل مدينة- تلك التي تعنى ببيع منتجات البيئة التي نعيش فيها؛ حيث أن الكثير من المزارعين والتجار وأصحاب المهن المختلفة يحتاجون إلى تسويق بضائعهم ومنتجاتهم، وقد لا يجدون الوسيلة التي تمكنهم من ذلك؛ فالمحلات والأسواق التي يمكنهم تسويق منتجاتهم فيها قد تكون غير موجودة أو ليست بالصورة المطلوبة. والمعارض توفر وسيلة مناسبة لكسب الرزق لهؤلاء المنتجين، وأيضًا ففيها تشجيع لفئات المجتمع المختلفة على الإنتاج، عندما يروا أن هناك وسيلة مناسبة لبيع منتجاتهم.

ورغم أن الأسواق الشعبية وأسواق الجمعة أو الخميس التي انتشرت مؤخرًا في بلداننا هي شبيهة بهذه المعارض، غير أنها لا تحقق النتائج الإيجابية الكثيرة التي ذكرناها في بداية هذا الفصل. لذلك، فمن المهم جدًّا أن تقام بين كل فترة وأخرى معارض متخصصة لبيع منتجات البيئة، فهي ستعين- بإذن الله- أهل كل بلدة على بيع ما عندهم من سعفيات ومطرزات ومنتجات خشبية وحديدية وحلويات وكعكات، وأيضًا ستفتح الفرصة أمام الناس لشراء المنتج المحلي والتخلي عن المنتجات المستوردة التي غالبًا ما تأتينا من الدول الأجنبية.

٢- معارض لتمويل المشاريع الخيرية

لقد أشرنا في ثنايا هذا الكتاب إلى العديد من المشاريع والأعمال الخيرية، وهناك الكثير غيرها التي لم يتم التحدُّث عنها أو الإشارة إليها. وغالبية هذه المشاريع والأعمال الخيرية تحتاج إلى تمويل، وقد تكون المعارض إحدى وسائل هذا التمويل. مثلًا، يمكن ترتيب معرض للأطباق الخيرية، وذلك بأن يتم تشجيع الأُسَر في الحيِّ أو القرية للمشاركة بطبق من الحلويات أو الكعكات أو الفواكه أو السلطات أو غيرها، ويتم تخصيص العائد من بيع تلك الأطباق لصالح الأُسَر الفقيرة أو لتمويل بعض المشاريع الخيرية. كذلك، فيمكن ترتيب معارض لبيع السعفيات والمشغولات اليدوية وملابس الأطفال وغيرها، ويخصص ريعها لصالح مشاريع خيرية أخرى.

٣- معارض لبيع الكتب والأشرطة والحواسيب ومستلزمات المدارس

يمكن أيضًا إقامة معارض لبيع الكتب والأشرطة والحواسيب والأجهزة الأخرى بالإضافة إلى مستلزمات المدارس، وفي هذا نوع من الارتقاء بالمستوى الثقافي والفكري للمجتمع- كما تحدثنا عنه من قبل- لأنه عندما يشتري شخص كتابًا أو شريطًا فإن مستواه قد يتحسن بسبب المادة العلمية الموجودة في الكتاب أو الشريط. كذلك، فقد يفتح الحاسوب لمشتريه آفاقًا جديدة، فقد يرتقي بمستواه الثقافي والعلمي والفكري، وقد يكون سببًا في إيجاد وسيلة دخل مناسبة له، حيث أن الحاسوب ربما ينمي عنده بعض المهارات والمواهب التي قد يحصل بسببها على عمل مناسب، أو يقوم بإنتاج شيءٍ من البرمجيات التي يستطيع تسويقها.

ويمكن أن تشكل هذه المعارض رافدًا تمويليًّا مناسبًا للمؤسسات الخيرية حيث يمكن للمؤسسة الخيرية التفاوض مع دُور النشر وأصحاب التسجيلات ومحلات بيع الحواسيب لإقامة مثل هذه المعارض على أن تحصل المؤسسة الخيرية على نسبة معينة من المبيعات مقابل ما تقوم به من ترتيبات لإقامة وتنظيم المعرض، وهي في حد ذاته لا تكلف المؤسسة كثيرًا؛ فمكان المعرض قد يكون مدرسة أو نادٍ موجود في المجتمع، والقائمون على المعرض قد يكونون متطوعين من الشباب أو الفتيات.

٤- معارض لإبداعات الشباب والفتيات

يمكن أيضًا إقامة معارض لإبداعات الشباب والفتيات، وهي مهمة جدًّا، وخاصة إذا أردنا التعرُّف على أصحاب المواهب والمهارات في مجتمعنا، ويكون بإمكاننا مساعدتهم على تنمية مهاراتهم ومواهبهم وأيضًا الاستفادة من تلك المهارات والمواهب. وقد تكون هذه المعارض- والمسابقات التي ترتب من خلالها- من أنسب الوسائل للتعرف على هؤلاء الموهوبين والمتميزين، وذلك من خلال ما سيقدمونه في المعرض من إنتاجات.

ويمكن أن يتم تخصيص كل واحد من هذه المعارض لمجال معين؛ فمثلًا قد يخصص معرض للرسامين، ومعرض آخر لهواة الكمبيوتر، ومعرض ثالث لهواة اللاسلكي، ومعرض رابع للمهتمين بالحِرَف والصناعات التقليدية، ومعرض خامس لهواة التصميم والديكور والأزياء، ومعرض سادس لهواة الزينة والتشجير، إلى غير ذلك من المعارض. ويمكن أن يتاح في المعرض فرصة بيع المعروضات لتشكل رافدًا لأصحابها لتغطية بعض النفقات التي تحمَّلوها في إعداد معروضاتهم.

كذلك، فيمكن في كل نوع من هذه المعارض تقديم دعوة المشاركة إلى المؤسسات التي تقدِّم خدمات مشابهة أو- على الأقل- تعنى بنفس المجال. مثلًا، عندما يقام معرض للصور الفوتوغرافية، فيمكن تقديم دعوة المشاركة فيه للمؤسسات التي تبيع الكاميرات ومستلزمات التصوير وأجهزة وبرامج الحاسوب المتعلقة بدبلجة أو تحرير الصور أو الاحتفاظ بها. كذلك، فإذا كان المعرض مخصص لهواة الزينة والتشجير، فيمكن تقديم دعوة المشاركة فيه للمؤسسات والشركات المعنية بالحدائق المنزلية والأخرى المختصة بتوفير مستلزمات التشجير من تربة وأسمدة ومبيدات.

٥- معرض الفرص الوظيفية

تحدَّثنا سابقًا عن موضوع البطالة المتفشية في بلداننا وطرحنا بعض الأفكار للحدِّ منها. ومن الطرق الناجحة في هذا الصدد هي إقامة معرض للفرص الوظيفية، بحيث يتم دعوة المؤسسات المعروفة في المحيط المحلي- أو حتى على مستوى القُطْر- والطلب منها عرض ما لديها من فرصٍ وظيفية. كذلك، فيمكن دعوة المؤسسات والمراكز المعنية بالتدريب والتأهيل للمشاركة في هذا المعرض بما لديها من برامج. ويمكن أن يتخلل المعرض بيع الكتب والأشرطة وبرامج الكمبيوتر المعنية بتطوير

وتدريب الأفراد. كذلك، فيمكن أن يشمل المعرض محاضرات وندوات تشرح للشباب والفتيات احتياجات السوق المحلية والعالمية من المهارات والقدرات المختلفة. ويمكن أن تطرح في أيام المعرض بعض الدورات التدريبية التي توضح للباحث عن الوظيفة طرق إعداد السيرة الذاتية وعملية تحديد الأهداف والخطط التي يمكن أن يسير عليها المرء للحصول على وظيفة مناسبة.

أسئلة وتمارين

- اذكر بعض فوائد المعارض في خدمة المجتمع.
- قم بزيارة لأحد الأسواق الشعبية التي تقام في المحيط الذي تعيش فيه وتعرَّف على أهميتها من خلال المنتجات المعروضة فيها وإقبال الناس عليها.
- تعرَّضنا في هذا الفصل إلى نماذج مختلفة من المعارض التي يمكن إقامتها. أذكر معارض أخرى لم نتطرق إليها وناقش إمكانية إقامتها في المحيط الذي تعيش فيه.
- اتصل ببعض المهتمين بإقامة المعارض في المحيط الذي تعيش فيه، سواءً كانوا أفرادًا أو مؤسسات، وناقش معهم إمكانية إقامة واحدٍ أو أكثر من المعارض المذكورة في هذا الفصل أو تلك التي لم نتطرق إليها.

إقامة المعسكرات

تعرفنا في الفصل السابق على أهمية المعارض في الارتقاء بالمستوى الثقافي والفكري للمجتمع، وفي تشجيع الناس على الإنتاج والبذل والعطاء، وفي تقوية الصلات والعلاقات بين أفراد المجتمع بعضهم بعضًا وبينهم وبين المؤسسات العاملة في المجتمع، إلى غير ذلك من الإيجابيات. وبجانب المعارض فإن للمعسكرات أهمية بالغة في المجتمع؛ وذلك من نواحي أخرى كالعناية بالنظافة والترتيب وجمال البيئة، والتي قد يصعب على المؤسسات الحكومية أو الأفراد القيام بها.

يمكننا مثلًا إقامة معسكرات في فترة الإجازات أو أيام العطل الأسبوعية، بحيث تكون ليوم كامل ويشارك فيها الشباب- وربما الفتيات-، ويتم تخصيص كل معسكر لغرض معين كتنظيف أحد المساجد أو الشوارع أو المدارس أو شيء من الحدائق أو المنتزهات أو الأفلاج. ويمكن أيضًا تخصيص بعض المعسكرات لترميم المساجد ومدارس القرآن، حيث أن هناك- كما ذكرتُ سابقًا- من مدارس القرآن الكريم والمساجد التي أقيمت منذ فترة وتهدمت وباتت تنتظر من يرممها ويعيد لها رونقها.

في مثل هذه المعسكرات مصلحة كبيرة جدًّا للمجتمع؛ فمن ناحية فهي تجعل المساجد والشوارع وغيرها من الأماكن التي يستهدفها المعسكر في وضع نظيف ولائق ومتميز، ومن ناحية أخرى ففيها تفعيل للشباب المشاركين، فبدلًا من أن يقضوا أوقاتهم في اللعب واللهو أو في الجلوس في الشوارع والبيوت أو في متابعة المسلسلات أو في الانهماك في الرياضات المختلفة، فيمكن تصريف طاقاتهم في مثل هذه الجوانب التي تعود عليهم وعلى مجتمعاتهم بالنفع.

وقبل إقامة المعسكر فإن الأمر سيحتاج إلى تخطيط وإعداد، وخاصة لتوفير احتياجات المعسكر من المواد والأدوات التي ستستخدم في النظافة والترميم. ويمكن توفير مثل تلك المواد والأدوات إما بطريق التبرع بها من قِبَل الأفراد والمؤسسات التجارية، وإما بشرائها وتخصيصها للأعمال الخيرية. كذلك، فإن المنظمين لمثل هذه المعسكرات سيحتاجون إلى إيجاد الوسائل المناسبة لتوفير وجبات الطعام للمشاركين والهدايا وشهادات التقدير لهم.

أسئلة وتمارين

- اذكر بعض الأهداف العامة للمعسكرات والجوانب التي يمكن أن تشملها.
- تعاون مع بعض زملائك في وضع خطة لمعسكر يوم كامل لتنظيف شوارع الحيِّ الذي تعيش فيه، بحيث تشمل الخطة المهام المختلفة، وتوزيعها على المشاركين، والجدول الزمني لتنفيذ تلك الخطة، بالإضافة إلى تقديرات بالمواد المطلوبة وطرق توفيرها. بعد الانتهاء من إعداد الخطة، ناقش أنت وزملاؤك المقترحات المتعلقة بتنفيذ ذلك المعسكر مع أهالي الحيِّ- وخاصة الشباب منهم- ثم اشرعوا في تنفيذ الخطة. بعد إقامة المعسكر، قوموا بتقييم ما أنجزتموه في ذلك المعسكر، وناقشوا إمكانية إقامة معسكرات شبيهة به في المستقبل، وخاصة تلك التي تهتم بجوانب أخرى غير تنظيف الشوارع.

المراكز الصيفية

إن فترة الإجازة الصيفية تكون- في الغالب- في حدود الثلاثة أشهر، أي ربع السنة، وهذا يعني أن الطفل يصرف ربع عمره- على الأقل- في اللهو واللعب وفي تعلُّم الصناعات أو الصنائع الفاسدة والأخلاقيات الشائنة، إن لم توجَّه طاقاته لشيء آخر. لهذا، فإن المراكز الصيفية تعتبر من الفعاليات المهمة في المجتمع؛ فهي- من ناحية- تقوم على تثقيف الشباب والفتيات، وخاصة صغار السِّن، وعلى تعليمهم كتاب الله وسنة نبيهم محمد- صلى الله عليه وسلم-، وعلى رفع مستواهم الثقافي والفكري، وهي أيضًا تحاول المحافظة عليهم في فترة الإجازة الصيفية الطويلة من أن يتسكعوا في الشوارع، أو يقضوا أوقاتهم فيما لا يعود عليهم أو على مجتمعهم بالنفع.

وموضوع المراكز الصيفية شائكٌ ومتشعب، ويحتاج- في حقيقة الأمر- إلى وقفة تأمل، ومحاولة جادة لتصحيح الوضع الحالي لكيفية قضاء الطلاب لإجازتهم الصيفية، والذي تعاني منه معظم المجتمعات. لذا، فإن على كل واحد منا أن يبادر بالمشاركة في هذه المراكز، وليس هناك شخص معذور، سواءً كان من الشباب أو الفتيات، أو كان من الصغار أو الكبار، أو كان من الرجال أو النساء.

إن علينا أن نهتم بالمراكز الصيفية ونبادر بالمشاركة فيها، كلٌ منا بحسب طاقاته وقدراته، وبحسب مستواه العلمي والثقافي. وأوجه المشاركة فيها إما أن تكون بالإعداد والتخطيط لها، وإما بتوفير احتياجاتها المالية والعلمية، وإما بتوفير مستلزماتها من سيارات وكتب وأشرطة وأجهزة، وإما بالتدريس فيها أو مساعدة مَن يقوم بالتدريس فيها، وإما بزيارتها وإلقاء دروس ومحاضرات على طلابها، وإما بإلقاء المحاضرات والدروس والندوات لتشجيع أولياء الأمور على إرسال أبنائهم إليها، إلى ما هنالك من أعمال أخرى. ومن لا يستطيع القيام بأيٍّ من ذلك فليشارك- على الأقل- بإرسال أولاده وبناته إلى تلك المراكز وتشجيعهم على الاستمرار فيها.

١- أسباب عزوف الطلاب عن المشاركة في المراكز الصيفية

سؤال يدور في خَلَد المهتمين بالمراكز الصيفية، وهو: لماذا لا يرغب كثيرٌ من الشباب والفتيات- وخاصة طلاب المرحلة الثانوية والجامعية- في المشاركة في المراكز الصيفية؟ وفي اعتقادي أن هناك ثلاثة أسباب رئيسية لهذا العزوف:

السبب الأول:

شعور الطالب أو الطالبة وهو في هذه المرحلة العُمْرِية بأن عندهم من العلم الكثير، وأنهم ليسوا بحاجة إلى مزيد معرفة. وهذا الشعور ليس خاصًّا بهذه الفئة من الناس وإنما هو إحساس الكثيرين من طلبة العلم المبتدئين، وهو من ناحية أخرى طبيعة في النفس البشرية، وهو ما يمكن أن يطلق عليه بـ "التعالُم". ولا يمكن- في تصوُّري- علاج هذا الشعور إلا بالتربية الصحيحة منذ الصِّغَر؛ حيث يربى الطفل على حب العلم والسعي في طلبه، وأنه مهما حوى من العلم فإن هناك المزيد من المعرفة التي عليه الحصول عليها، ولذلك فعليه أن يكون دؤوبًا في تحصيل العلم مهما كبُر سِنُّه أو علا قدره.

السبب الثاني

إحساس الطالب أو الطالبة- حتى وإن كانوا راغبين في تلقي العلم- بأن الأشخاص الذين يقومون بالتدريس في المراكز الصيفية ليسوا من ذوي العلم والمعرفة والخبرة الذين يمكن أن يستفاد منهم. وهذا الشعور قد يرجع إلى موضوع "التعالُم" الذي تحدثتُ عنه في النقطة السابقة، غير أنه قد يصف أيضًا حقيقة معظم المدرسين في المراكز الصيفية. إن معظم هؤلاء هم من خريجي الثانوية العامة أو من طلاب الكليات والمعاهد والجامعات، وقليلٌ منهم مَن هو متمكن في العلوم الشرعية أو في غيرها من العلوم المعرفية. من أجل هذا، فينبغي على المهتمين بشؤون المراكز الصيفية أن يُحسنوا اختيار المدرسين فيها، وأن يضعوا لهم برامج للارتقاء بمستوياتهم العلمية والمعرفية.

السبب الثالث

أما السبب الثالث فيكمن في طبيعة المراكز الصيفية؛ حيث أنها ما زالت تسير على المنوال القديم في نقل المعرفة وهو "التلقين"؛ بحيث يقوم المدرس أو المُدرِّسة بتعليم الطلاب العلوم والمعارف بطريقة المحاضرة أو الدرس. وفي تقديري فإن هذه الطرق باتت- من ناحية- غير ممتعة (سواءً للطالب أو

حتى للمدرس نفسه) وهي- من جانب آخر- غير مفيدة إذ أنه ما إن يقف المدرس أو المُدرِّسة عن عملية التلقين فإن المتلقي ينسى معظم المعلومات التي اكتسبها. وهذا الأمر- أي نسيان المعلومات- قد لا يكون عيبًا في المتلقي، وإنما العيب في الطريقة التي اتبعها المدرس أو المُدرِّسة في تقديمه لتلك المعلومات.

٢- من سمات المعلم الناجح

يؤكد خبراء التربية أنه لا بدُّ للمعلم الناجح من أن تتوافر فيه بعض الخصال؛ نذكر منها ما يناسب حديثنا هنا[1]:

- **الإخلاص**: أن يكون محبًّا لمهنته، ولوعًا بها، يؤدي عمله بشوق وشغف ونشاط، فيتابعه تلاميذه بنفس الشوق والنشاط.
- **الثقافة**: حيث إن العمل الأساسي للمعلم هو نقل المعرفة من مصادرها ومراجعها إلى الطلاب بشكل منظم؛ لذا فالمعرفة بالنسبة إليه كالبضاعة بالنسبة للتاجر؛ فالمعلم بحاجة إلى المعرفة الواسعة من أجل إثبات وجوده، وتحقيق ذاته، ولئلا يهبط مستواه إلى مستوى تلاميذه.
- **القدوة**: ذلك أن وثوق الناس بالمعرفة يرتبط كثيرًا بمدى ثقتهم بمن يحمل هذه المعرفة. والقدوة تتمثل في كل جوانب السلوك، وفي كل تصرفات المدرس مع طلابه وغير طلابه. ومن أهم جوانب القدوة أن يكون عارفًا بأمور دينه، متمسكًا بها، محافظًا على تأدية الشعائر، آمرًا بالمعروف، ناهيًا عن المنكر، لا يخشى في الله لومة لائم، وفي ذلك يقول أبو إسحق الجبنياني: "لا تعلموا أولادكم إلا عند رجل حسن الدين؛ لأن دين الصبي على دين معلمه". كما يقول الصحابي عتبة بن أبي سفيان لمعلم ولده: "ليكن أول إصلاحك لولدي إصلاحك لنفسك؛ فإن عيونهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما صنعت والقبيح عندهم ما تركت".
- **التربية**: حيث إن المعلم، مع كونه ناقلًا للمعرفة، فهو في الوقت نفسه مربٍّ. وحتى ينجح المعلم في أن يكون مربيًا؛ فإن عليه أن يتمثل شخصية الأب الواعي، ويحاول أن يتصرف مع طلابه كما يتصرف الأب مع أبنائه.

---

(1) "قد رشحوك لأمر لو فطنت له": عز الدين فرحات، مع بعض التصرف.

- **القدرة على بناء العلاقات الإنسانية**: ذلك أن التلقي فرع عن المحبة، وللعلاقة بين التلقي والمحبة من الاتصال قدر كبير مما قد نتصور أحيانًا، فمن لم يغرس المحبة في نفوس الطلاب فكثير مما يقوله ستكون نهايته عندما يتلفظ به، ولن يأخذ طريقه نحو القلوب فضلًا عن أن يتحول إلى رصيد عملي.
- **صحته النفسية واتزانه الانفعالي**، بحيث لا يسهل مضايقته، ولا تبدو صورته المزاجية هوجاء منفرة؛ لذلك يجب على المدرس أن يجاهد نفسه من أجل إكسابها فضيلة الصبر وسعة الصدر والجلد والوقار والاطمئنان وغيرها، مما يبعث في نفوس التلاميذ السكينة والإشراق.
- **فصاحته وجودة نطقه**، ووضوح صوته، وقوة بيانه، وجمال تعبيره، وتسلسل حديثه،وإخراجه الحروف من مخارجها، وتنوع نبراته، ولهجته الطبيعية... وغير ذلك.
- **احترام شخصية التلميذ**؛ وذلك بمراعاة حاجاته واهتماماته وحقوقه، وأيضًا معرفة قدراته وإمكانياته ليمكن توجيهه على أساس ذلك.
- **مراعاة الفروق الفردية للتلاميذ**، فلا يهتم بالموهوب وينسى الضعيف، ولا يُثني على المتميِّز ويُشَهِّر بالمُقصِّر.
- **حسن التعامل مع السلوكيات غير اللائقة**، وفي هذا يقول عتبة بن أبي سفيان لمعلم ولده: "قوِّمه ما استطعت بالقرب والملاينة؛ فإن أباهما فعليك بالشدة والغلظة".

٣- مقترحات للارتقاء بمستوى مدرسي المراكز الصيفية

وبعد أن تعرَّفنا على الخصال التي تميِّز المعلم الناجح عن سواه، ومع علمنا بأنها كلها خصال مكتسبة وليست فطرية؛ بمعنى أنه يمكن للمعلم أن يغيِّر- إن شاء- من واقعه إلى واقع أفضل منه، لا يبقى لنا إلا اقتراح بعض وسائل "التثقيف" لمدرسي ومدرسات المراكز الصيفية، والتي سأشير- بإذن الله- إلى بعضٍ منها فيما يلي:

أ- عقد دورات ودروس علمية لمدرسي المراكز الصيفية بحيث تهدف إلى ما يلي:

- تلخيص جوانب المعرفة المهمة التي يحتاجها المدرس أو المُدرِّسة في مركزهم في صورة مبسطة يستطيعون استيعابها ونقلها إلى طلابهم، ولا يمكن لهذا أن يتم إلا من خلال مدربين ماهرين في نقل مثل هذه الجوانب من المعرفة وأيضًا ممن حوَوا قدرًا لا بأس به من العلوم الشرعية والمعرفية.
- إتاحة الفرصة للمدرسين والمدرسات للالتقاء بزملائهم الذين يقومون بالتدريس في المراكز الأخرى ومَن ثمَّ تبادل الخبرة والمعرفة فيما بينهم.
- حض المدرسين والمدرسات على أن يكونوا قدوة لطلابهم في مجال كسب ونقل المعرفة، وذلك من خلال حظِّهم على القراءة والبحث المتواصل وحضور المحاضرات والدروس والندوات.

ب- عقد دورات لمدرسي ومدرسات المراكز الصيفية في بعض المهارات التي يمكن أن تعينهم على اكتساب المعرفة بأفضل الطرق، وكذلك نقل تلك المعرفة لطلابهم بالوسائل والأساليب العلمية المؤثرة. مثل هذه الدورات قد تشمل "فن الإلقاء" و "فن الاستماع" و "طرق التأثير في الآخرين" وغيرها.

ج- إعداد مسابقات ثقافية (كمسابقات سين/جيم وكتابة البحوث وعمل الدراسات) لمدرسي ومدرسات المراكز الصيفية. ولا يتأتى القيام بمثل هذا إلا من خلال الجمعيات والنوادي العلمية والمعرفية.

٤- مقترحات لتفعيل دور المراكز الصيفية

ذكرنا من قبل أن من أسباب تدني المستوى التحصيلي للمراكز الصيفية وعزوف الطلاب عن المشاركة فيها هو استخدام أسلوب التلقين في توصيل المعلومة للطالب. ولا ريب بأن هناك طرقًا أفضل بكثير من طريقة التلقين المتبعة حاليًا، والتي يمكن أن نذكر بعضًا منها فيما يلي:

أ- **اتباع وسائل جديدة عند إلقاء الدرس**: معظم المدرسين لا يزالون يستخدمون الطرق التقليدية أثناء شرحهم للدروس، والتي تتلخص في أن يبقى المدرس جالسًا على كرسيه أو واقفًا بجانب السبورة. هناك بعض الأمور التي يمكن القيام بها أثناء إلقاء الدرس والتي يمكن أن تضفي جوًّا من

الانسجام بين المدرس وطلابه وتعين الطلاب على الاستمتاع بالدرس الملقى عليهم. من هذه الأمور ما يلي:

- **تغيير وضع ومكان المدرس**: على المدرس أن يجلس في بعض الأحيان على الكرسي ويقف في أحيان أخرى، ويتجوَّل في الصف أو القاعة في أحيان ثالثة. مثل هذه الحركة جديرة بأن تشدَّ انتباه الطلاب وتُبقي ذهنهم متصلًا بالمدرس.

- **تحريك اليدين**: على المدرس أن يستخدم يديه للتعبير عما يقوم بشرحه، فحركة اليدين- وخاصة إذا استُخْدِمَتا بطريقة صحيحة- يمكن أن تضفي بُعدًا إضافيًّا لحبل التواصل بين المدرس وطلابه.

- **تحريك الرأس**: على المدرس أن لا يُركِّز أثناء شرحه على مجموعة معينة من طلابه أو ينظر إلى جهة واحدة وإنما عليه أن يُحرِّك رأسه وكأنه يخاطب جميع طلابه.

- **تغيير نبرة الصوت**: من المؤثرات المهمة في شدِّ الانتباه هو تغيير نبرة الصوت؛ بمعنى أن يرفع المدرس صوته في أحيان ويخفضه في أحيان أخرى، ويسرع في حديثه في أحيان ويقف- للحظات قصيرة- في أحيان أخرى. مثل هذا الأسلوب قادرٌ على أن يضفي جوًّا ممتعًا أثناء إلقاء الدرس أو المحاضرة. لكن على المدرس أن يلاحظ أن يكون صوته مسموعًا لكل الطلاب وفي جميع الأحوال. كذلك، فعلى المدرس أن لا يغيِّر صوته بطريقة تثير سخرية الطلاب.

ب- **تغيير نمط التدريس**: إن نمط المحاضرة الواحدة أو الدرس الواحد يجب أن يتغيَّر، لأنه ثبت بالدراسات العلمية أن المتلقي لا يستطيع إبقاء حبل فكره متصلًا مع المحاضر إلا لبضع دقائق. من هنا فعلى المدرس أن يغير من طريقة الدرس الواحد ليقوم بطرح الدرس على عدة أجزاء. كذلك فعليه القيام باستخدام الأساليب التالية كمحاولة لترسيخ كل جزء من أجزاء الدرس في ذهن الطالب:

- **التلخيص**: يقوم المدرس بطرح جزءٍ من الدرس في بضع دقائق ثم يقوم بعد ذلك بتلخيص ذلك الجزء في نقاط بسيطة يسهل على الطالب من خلالها فهم ذلك الجزء.

☒ **التدوين**: حبَّذا لو قام المدرس بتشجيع الطلاب على تدوين الملخص في كراساتهم، ليسهل عليهم الرجوع إليه في أوقات لاحقة، ويمكن أن يقوم بربط التلخيص بالتدوين وذلك بأن يطلب من أحد الطلاب أن يلخص الجزء الذي انتهى من شرحه من خلال ما كتبه الطالب في كراسته.

☒ **طرح الأسئلة**: بعد أن يقوم المدرس بتلخيص الجزء الذي قام بشرحه مؤخَّرًا، عليه أن يطرح على الطلاب بعض الأسئلة ليتأكد من أنهم قد استوعبوا ذلك الجزء من الدرس، وحبَّذا لو كرَّم المدرس الطلاب الذين يجيبون على تلك الأسئلة بجوائز بسيطة (أو على الأقل نقاط إضافية تعينهم على الحصول على جوائز في فترات لاحقة).

☒ **تكرار المعلومة**: على المدرس أن يقوم بتكرار المعلومات التي ذكرها منذ بداية الدرس وإلى ذلك الوقت بشيء من التلخيص ليسهل على الطلاب استرجاع المعلومات السابقة وربطها بالمعلومات التي تم طرحها مؤخرًا.

☒ **ربط المعرفة بالواقع**: في كثيرٍ من الأحيان يكون ربط جوانب المعرفة التي تم شرحها في الدرس بالواقع الذي يعيشه الطلاب من أنجح الوسائل لرسوخ المعلومات. ويتم الربط من خلال الكثير من الطرق كالتطبيقات العملية وضرب الأمثلة أو بمشاهدة أفلام أو سماع صوتيات أو غير ذلك من الطرق.

ج- **مشاركة الطلاب**: على المدرس أن يتخلَّص من لعب دور المُلقِّن في كل الأحوال (بمعنى أن المدرس هو الذي يُقدِّم المادة والطالب هو مجرد مستمع فقط) وإنما عليه أن يشارك طلابه وذلك من خلال الطرق التالية:

☒ **تلخيص الدرس**: يمكن للمدرس أن يطلب من أحد الطلاب أن يقوم بتلخيص الجزء الذي شرحه المدرس مؤخرًا، وحبَّذا لو قام المدرس بمكافئة الطالب الذي قام بالتلخيص بجائزة ولو كانت بسيطة، وأيضًا ولو كان التلخيص ليس صوابًا بالكامل.

☒ **لعب دور المدرس**: يمكن أن يقوم المدرس بتوزيع الدروس التي يريد أن يشرحها على طلابه، بحيث يقوم الطالب في اليوم المخصص له بلعب دور المدرس في إلقاء الدرس. ويمكن للمدرس

أن يعين الطالب على القيام بذلك من خلال توفير المادة العلمية التي يحتاجها الطالب للتحضير لذلك الدرس كالكتب أو الأشرطة أو الملخصات. كذلك، يمكن للمدرس أن يقسِّم الدرس الواحد بين عدة طلاب بحيث يتناوبون في الجلسة الواحدة أو في اليوم الواحد على تقديم الدرس. ولا بأس بأن يقوم المدرس كذلك بتشجيع الطلاب على استخدام الوسائل العلمية التي ذكرتُها سابقًا أثناء شرحهم للدرس.

☒ **استضافة طلاب الثانوية أو الجامعة للمركز**: يمكن للمدرس أن يقدِّم دعوة لزيارة المركز الصيفي لبعض طلاب المرحلة الثانوية أو الجامعية وذلك لغرض تقديم درس أو محاضرة لطلاب المركز. ويمكن للمدرس أن يرتِّب مع الطالب الضيف الموضوع الذي يريد التحدُّث فيه والذي- غالبًا- ما يكون له علاقة بالدروس التي يشرحها المدرس في المركز. ويفضل أن يقدم المدرس الدعوة للطالب قبل فترة مناسبة من موعد الزيارة لكي يتيح للطالب التحضير للدرس الذي سيقدِّمه. كذلك يحبَّذ أن يُعِدَّ المدرس هدية مناسبة يتم تقديمها للطالب الضيف بعد تقديمه للدرس كتعبير من المدرس والطلاب عن شكرهم لمشاركة الطالب في المركز. إن لمثل هذا الإجراء الكثير من الإيجابيات، نذكر منها ما يلي:

- فتح باب التواصل (ومَن ثمَّ العمل المشترك) بين طلاب الثانوية والجامعة وبين المراكز الصيفية.
- رفع معنويات أولئك الطلاب وتحسيسهم بأن لهم قيمة في المجتمع.
- تشجيع أولئك الطلاب على الارتقاء بمستواهم العلمي والمعرفي وذلك بدفعهم- بطريقة غير مباشرة- إلى القراءة والمطالعة حرصًا منهم على تقديم درسٍ مفيد ومقبول من قِبَل طلاب المركز.
- الاستفادة من مواهب أولئك الطلاب ورفع مستوى المشاركة والإنتاجية بما يقدمونه من دروس للمراكز الصيفية.

☒ **إقامة حلقات نقاش**: يمكن للمدرس أن يُقسِّم الطلاب إلى مجموعات، ويطلب من كل مجموعة أن تناقش موضوعًا معيَّنًا في وقت محدَّد، ثم تقوم كل مجموعة بتقديم ما توصلت إليه

لبقية طلاب المركز. كذلك، يمكن أن تقوم المجموعات بمناقشة نفس الموضوع ويتم تكريم المجموعة التي تقدِّم أفضل عرض.

د- **استخدام أساليب جديدة في المراكز الصيفية**: قد يكون من أفضل الطرق التي ستحفِّز طلاب الثانوية والجامعة على المشاركة في المراكز الصيفية هو ابتكار أساليب جديدة في طرق توصيل المعلومات إلى الطلاب. المقترحات التالية هي فقط نماذج لفتح الباب للقراء لمساعدتهم على شحذ أفكارهم للبحث عن وابتكار المزيد من الأساليب:

- **اليوم المفتوح**: قد يكون من أنجح وسائل التجديد في المراكز الصيفية هو تخصيص يوم في الأسبوع كيوم مفتوح يقدم فيه الطلاب ما يرغبون تقديمه من فقرات ويكون دور المدرس فيه هو توجيه الطلاب وتوفير المستلزمات التي قد يحتاجون إليها وكذلك تكريم الطلاب الذين يقدمون مشاركات جيدة. وعلى المدرس أن لا يقيِّد الطلاب بنمط معيَّن أو بمعلومات معينة وإنما يتيح لأذهان الطلاب أن تبتكر وتبدع.

- **الرحلات**: إن معظم الطلاب يشعرون بأن المركز الصيفي قد يكون سجنًا أرحب بقليل من السجن الذي تعوَّدوا العيش فيه وهو البيت. من هنا فقد يكون من الأمور المحبَّبة كثيرًا للطلاب هو البعد عن حيِّز المركز إلى الفضاء المتَّسِع الذي يمكنهم من خلاله مشاهدة العالم الذي يعيشون فيه. لهذا تجد أن الرحلات تعتبر من الأنشطة التي يرغب الطلاب المشاركة فيها وإن كانت تستدعي منهم- في بعض الأحيان- المشاركة بمبالغ مالية. من هنا، يمكن للمدرس استغلال الرحلات لتقديم الدروس التي يريد تقديمها لهم في المركز، وذلك من خلال الأنشطة الثقافية والاجتماعية والرياضية التي سيقوم بها الطلاب في تلك الرحلات.

وقد يرى البعض أن الرحلات أمرٌ مكلِّف بالنسبة للمدرس والطالب، سواءً في المال أو الجهد، وهذا صحيح إذا اعتبرنا الرحلات هي تلك التي يخرج فيها الطلاب من منطقة السُّكنى إلى منطقة أخرى بعيدة. لكن الأمر قد يكون أبسط من ذلك بكثير وقد يؤدي نفس الغرض الذي تؤديه الرحلة الطويلة وربما أفضل منه. ما يمكن للمدرس القيام به هو الترتيب لتقديم الدرس في مكان خارج القاعة أو الغرفة التي تعوَّد الطلاب الالتقاء فيها كمركز صيفي. مثلًا، يمكن أن يقوم المدرس باختيار أحد البساتين أو الضواحي أو الأودية أو الأشجار الكبيرة

ويأخذ طلابه إليها ويلقي درسه عندها. مثل هذه النُّزَه القصيرة قد تضفي شيئًا من التجديد على المركز وتزيل بعض الملل والسأم الذي يعاني منه الطلاب أثناء بقائهم في مركزهم، وهي من ناحية أخرى لا تكلِّف المدرس والطلاب أموالًا أو جهودًا تذكر.

☒ **استخدام طرق جديدة لعرض الدروس**: يمكن للمدرس أن يستخدم الأفلام والأقراص المدمجة وعروض الفلاش والباور بوينت لتقديم الدروس. كذلك، يمكن للمدرس أن يقسِّم الطلاب إلى مجموعات ويطلب من كل مجموعة تقديم أحد الدروس إما بطريقة الحوارات التي تظهر على القنوات الفضائية كـ "الاتجاه المعاكس" أو "أكثر من رأي" أو "من يربح المليون" أو غيرها من الطرق. أيضًا، يمكن للمجموعة أن تقدم الموضوع على شكل مسرحية أو مسابقة ثقافية أو غيرها من الطرق.

☒ **إقامة المعارض**: يمكن للمدرس أن يخطِّط في فترة المركز الصيفي لإقامة عدة معارض والتي في الغالب ما تحوي إنتاجات الطلاب في المركز الصيفي. من أمثلة المعارض التي يمكن القيام بها ما يلي:

- **معارض الأنشطة**: يمكن أن يطرح المدرس في بداية المركز برنامجًا تشجيعيًّا لحثِّ الطلاب على إنتاج أنشطة مختلفة كمجلات الحائط والمطويات والمجسَّمات والبحوث القصيرة وغيرها من الأنشطة، على أن يتم تجميع تلك المشاركات في معرض يقيمه المركز ويتم اختيار الأنشطة الفائزة وتكريم أصحابها بجوائز قيِّمة.
- **معارض للكتب والأشرطة**: يمكن أن يقوم المدرس بمساعدة طلاب المركز للتخطيط لإقامة معرض للكتب وآخر للأشرطة أو للاثنين معًا، وقد تكون هذه المعارض إحدى الوسائل التي يستفيد منها المدرس لتمويل مركزه.
- **معارض للمبتكرات**: يمكن أن يطرح المدرس لطلابه مسابقة لتقديم أفضل الابتكارات ويقيم في فترة المركز معرضًا يضم الابتكارات التي تقدَّم بها الطلاب. وفي المعرض يتم تقييم المبتكرات وتقديم جوائز قيِّمة للابتكارات التي لها مدلول قيِّم وتحوي قيمة علمية مهمة.

- **إقامة المهرجانات الإنشادية**: من الأمور التي يرغب الطلاب في المشاركة فيها هي المهرجانات الإنشادية. لذلك، يمكن للمدرس أن يخطِّط لإقامة مهرجان إنشادي لمركزه وإن كان داخليًّا لا يحضره إلا طلاب المركز وربما أولياء أمورهم ومن يرغب الطلاب في دعوتهم. أما إن كانت المشاركات كثيرة وقيِّمة فحبَّذا لو تم توسيع الدعوة لتشمل أهل القرية أو الولاية أو المنطقة.

- **إقامة الأمسيات**: يمكن أن يقوم المدرس بتشجيع طلابه على إقامة أمسيات ثقافية وفكاهية وترفيهية.

- **إقامة الندوات والمحاضرات**: يمكن أن يقوم المدرس بدعوة ضيوف من خارج المركز لإقامة ندوات ومحاضرات داخل المركز أو في البلدة التي يوجد بها المركز. ولا يشترط أن تكون المحاضرة أو الندوة دينية بمعنى أنها تناقش القضايا الشرعية ولكن يمكنها أن تكون في المجالات الأخرى كالزراعة والتراث والفلك والعلوم والهندسة والطب وغيرها. كذلك، فيمكن أن تطرح إقامة مثل هذه الندوات والمحاضرات كأحد الأنشطة التي يمكن للطلاب المشاركة في الإعداد لها وتنفيذها، فالمدرس بمثل هذا التصرُّف يبني مهارات التخطيط والتحليل بين طلابه وهي من ناحية أخرى مفيدة للطلاب بسبب ما يطرح فيها من معلومات وقضايا.

- **إقامة دورات تدريبية مبسطة**: رغم أن طبيعة الدورات التدريبية قد لا تتناسب مع أعمار ومستويات التعليم عند طلاب المراكز الصيفية، إلا أنه يمكن إقامة بعض الدورات العملية المبسطة، كاستخدام بعض تطبيقات الحاسوب، أو الرسم والتلوين، أو غيرها التي يكون بمقدور هؤلاء الطلاب استيعابها. ويجب التنبيه هنا إلى أن الدورة يجب أن تكون عملية تطبيقية، وأن تتحاشى الدورات النظرية التي تكون فوق مستوى الطلاب. ويمكن أن يُدعى لإقامة هذه الدورات المبسطة بعض طلاب الثانوية أو الجامعة أو المدرسين، أو غيرهم ممن لهم اضطلاع بطبيعة الدورة. أما عن الأجهزة والأدوات التي سيحتاج الطلاب لاستخدامها أثناء الدورة، فيمكن توفيرها من خلال المدارس أو النوادي أو محلات بيع مثل هذه الأجهزة والأدوات، أو من خلال أفراد يتبرعون بها خلال فترة الدورة. ورغم الصعوبات التي قد يواجهها القائمون على المراكز الصيفية في التخطيط والإعداد لإقامة مثل هذه الدورات، غير أن لها نتائج إيجابية كثيرة، نذكر منها ما يلي:

- تدريب القائمين على المراكز الصيفية على التخطيط والإعداد لمثل هذه الدورات.
- رفع مستوى الثقافة العلمية والمهاراتية لدى الطلاب المشاركين في هذه الدورات.
- مشاركة قطاعات وشرائح عديدة من المجتمع في مسيرة المراكز الصيفية.
- تحبيب الطلاب في المراكز الصيفية.
- تغيير نظرة أولياء الأمور، والمجتمع بشكل عام، حول أهمية وفعالية المراكز الصيفية.

٥- مقترحات لتقييم المراكز الصيفية

لكي تقوم المراكز الصيفية بتأدية رسالتها على الوجه المطلوب فإنه لا بُدَّ من أن تجري عملية تقييم مستمرة للعملية التدريسية وللطلاب والمدرسين. ويمكن تلخيص بعض جوانب التقييم فيما يلي:

- **تقييم المدرسين**: في نهاية كل أسبوع- أو على الأقل في نهاية فترة الدراسة في المركز- يمكن أن يُطلَب من الطلاب تقييم مدرسيهم من خلال استمارات مُعدَّة لذلك الغرض. ويمكن أن يتولى عملية التقييم اللجنة المشرفة على المراكز الصيفية، ويمكن أن يقوم بها المدرس نفسه. وفي كلتا الحالتين فعلى المدرس أن يأخذ بعين الاعتبار نتائج التقييم والملاحظات التي يبديها الطلاب.

- **تقييم الطلاب**: على المدرِّس أو المُدرِّسة أن يهتما كثيرًا بجانب تقييم الطلاب في مراكزهم لتصبح لتلك المراكز مصداقيتها. ويمكن استخدام الطرق التقليدية في عملية التقييم، كرصد الدرجات والامتحانات القصيرة وغير ذلك من الوسائل المعروفة في هذا الجانب. كذلك، فيمكن ابتكار طرق جديدة تحفِّز الطلاب على الأداء المتميِّز وفي الوقت نفسه تجعل أولياء الأمور على دراية بمستويات أبنائهم وبناتهم. من تلك الطرق إرسال نماذج لأعمال يقوم بها الطلاب والفتيات في المراكز إلى أولياء الأمور والطلب من أولياء الأمور التوقيع على استلامها. من الطرق الأخرى هي إعداد قائمة بالطلاب المتميِّزين، وربما صورًا بالطلاب المتميِّزين أو المجموعات المتميِّزة- وتعليقها في الأماكن العامة كالمساجد والمجالس العامة ليتسنى لأولياء الأمور الاطلاع عليها ولتكون حافزًا للطلاب المتميِّزين.

☒ **تقييم العملية التدريسية**: إنه لا بُدَّ من إجراء تقييم مستمرٍّ للعملية التدريسية في المراكز الصيفية، وذلك من خلال استطلاع آراء الطلاب والمدرسين وأولياء الأمور. كذلك، فيمكن قيام اللجنة المختصة بالمراكز الصيفية- وربما بمشاركة المدرِّسين والمدرسات- بتقييم مخرجات كل فترة صيفية ومراجعة المناهج والبرامج التي استخدمت في تلك الفترة وإجراء التعديلات اللازمة عليها وإدخال وسائل وأدوات ومعلومات جديدة عليها.

٦- مقترحات لتمويل المراكز الصيفية

لعلَّ القارئ قد أدرك- من خلال ما أوردناه في هذا الفصل- الدور المهم الذي تلعبه المراكز الصيفية في المحافظة على أولادنا وبناتنا، وفي صيانة المجتمع من السلوكيات الشاذة والأفكار الهدامة، وكذلك في تفعيل قدرات وطاقات فئات المجتمع المختلفة من خلال مشاركتهم في إنجاح المراكز الصيفية. وإن أدرك القارئ كل ذلك، فإنه- بلا شك- قد أدرك أيضًا عِظَم المسؤولية المناطة على عواتقنا وذلك من خلال المشاركة الجادة في المراكز الصيفية، ومن خلال دعمها بالوقت والجهد والمال.

وحيث أن المال يقف عقبة في إنجاح الكثير من الأعمال الخيرية، فإننا نناقش فيما يلي بعض المقترحات التي من شأنها أن توجِد مصادر دخلٍ وتمويلٍ للمراكز الصيفية، حيث أن الجميع يُدرِك حاجة المراكز الصيفية إلى توفير مستلزماتها من كتب ووسائل تعليمية، بالإضافة إلى تغطية نفقات الرحلات والأنشطة الأخرى التي تقوم بها، وكذلك صرف جوائز وحوافز ومكافئات للطلاب والمدرسين.

لذا، فإن ما سنذكره هنا هو مجرد مقترحات قد يصلح تطبيقها في بعض البيئات، وقد لا يصلح في بيئات أخرى. كذلك، فقد تحتاج بعض المراكز- بسبب حجم أنشطتها وعدد طلابها- إلى تمويل ومصادر دخل تفوق المقترحات البسيطة التي سنوردها هنا، ولذا فيمكن للقائمين على تلك المراكز البحث عن وسائل وبدائل أخرى لدعم مراكزهم من الناحية المالية.

من وسائل التمويل البسيطة التي يمكن لمعظم المراكز الصيفية الاستفادة منها هي ما يلي:

- إقامة معارض للكتب والأشرطة وأجهزة الحواسيب ومستلزمات المدارس، بحيث يحصل المركز على نسبة من عائدات تلك المعارض. ويمكن للمدرسين والمدرسات التبرُّع بالبيع في تلك المعارض من أجل أن يحصلوا على نسبة أعلى. كذلك، فيمكن لتلك المعارض أن تكون مخصصة لطلاب وطالبات المراكز الصيفية فقط ويمكن أن تكون مفتوحة لعامة المجتمع.

- إقامة أطباق خيرية أو معارض للمشغولات اليدوية أو معارض للصور الفوتوغرافية، بحيث يقوم المدرسون والمدرسات بتوفير ما يُباع في تلك الفعاليات ويكون العائد منها لسدِّ احتياجات المركز الصيفي. كذلك، فيمكن دعوة أهل البلدة أو الحيِّ للمشاركة فيها، سواءً بأطباقهم ومشغولاتهم اليدوية أو بالبيع فيها أو بالشراء منها.

- توجيه رسائل للمدرسين والمدرسات وميسوري الحال من أهل البلدة أو المدينة للتبرُّع للمراكز الصيفية. ويمكن أيضًا توزيع تلك الرسائل على المصلين في أيام الجُمَع والطلب منهم المشاركة بتبرعاتهم إما بتسليمها لأحد القائمين على المراكز الصيفية أو بوضعها في صناديق مُعدَّة لذلك الغرض.

- حثُّ الناس على وقف بعض الأملاك لصالح المراكز الصيفية، بحيث تقوم اللجان الخيرية أو تلك المعنية بالمراكز الصيفية بمتابعة الأملاك التي يتم وقفها وتصريف العائدات منها فيما يخدم المراكز الصيفية.

- حثُّ الناس- وخاصة من ذوي الصلاح- على التبرُّع للمراكز الصيفية من خلال برنامج الصدقة الجارية، بحيث يتم فتح حساب في أحد البنوك العاملة في القرية أو المدينة التي توجد بها المراكز الصيفية، ويتم تشجيع الناس على تحويل ولو مبلغ بسيط من رواتبهم إلى ذلك الحساب. ويمكن تصريف الأموال المتجمِّعة في ذلك الحساب لتغطية نفقات المراكز الصيفية، ويمكن أيضًا استثمارها بشراء عقارات وأملاك يكون عائدها لصالح المراكز الصيفية.

- إقامة فعاليات متميِّزة في القرية أو الحيِّ أو المدينة وفرض رسوم على حضورها، بحيث تكون تلك الرسوم لتغطية نفقات الفعاليات نفسها وما يتبقى منها يُصرف لصالح المراكز الصيفية.

ولكي يتم تحفيز الناس للمشاركة في تلك الفعاليات، فلا بُدَّ لمثل تلك الفعاليات أن تكون متميِّزة من ناحية الشكل والمضمون. مثلًا، يمكن دعوة أحد المشهورين في العالم العربي والإسلامي لإلقاء محاضرة أو دورة تدريبية، وتكون هناك تذاكر لدخول تلك المحاضرات أو الدورات التدريبية. كذلك، فيمكن إقامة مهرجانات إنشادية متميِّزة يتم دعوة المشهورين من المنشدين إليها، وعندها يمكن الحصول على مبالغ إما على شكل رسوم تفرَض على الحضور، وإما ببيع الأشرطة السمعية أو أشرطة الفيديو أو الأقراص المدمجة التي تحوي فقرات تلك المهرجانات ويكون العائد منها لصالح المراكز الصيفية.

- طرح مسابقة لكتابة البحوث والقصص والمسرحيات واختيار المتميِّز منها وطباعتها وإخراجها على شكل كتيِّبات يكون ريعها لصالح المراكز الصيفية. ويمكن الاقتصار في المشاركة في تلك المسابقة على طلاب وطالبات المراكز الصيفية- وفي هذا تفعيل لدور المراكز الصيفية وتحفيز للطلاب والطالبات على الإنتاج-، ويمكن أن تتوسع دائرة المشاركة لتشمل فئات المجتمع المختلفة- وفي هذا تفعيل للدور الريادي الذي يجب أن تقوم به المراكز الصيفية في التواصل مع شرائح المجتمع المختلفة.

- إصدار مطويات أو نشرات خلال فترة المراكز الصيفية وبيعها بأسعار رمزية، بحيث تكون عائداتها لصالح المراكز الصيفية.

- تشجيع الشركات والمكتبات والمؤسسات الخاصة على رعاية فعاليات المراكز الصيفية، وذلك إما بتوفير بعض نفقاتها المالية وإما بتوفير الهدايا والجوائز التي توزع على الطلاب والمدرسين. ويمكن إضافة اسم وشعار المؤسسات الراعية في المطويات والنشرات التي تصدرها المراكز، وأيضًا الإعلان عن اسمها في الفعاليات المختلفة.

- دعوة الفِرَق والنوادي الرياضية والتجمعات الشعبية لكفالة مراكز صيفية بأكملها، أو ربما لكفالة أنشطة بعينها.

☒ فرض رسوم على المشاركة في المراكز الصيفية. ولكي يمكن أن تكون هذه الفكرة مستساغة من قِبَل أولياء الأمور فلا بُدَّ أن تكون الخدمات والأنشطة والفعاليات التي يقدمها المركز على درجة عالية من التميُّز، بحيث تبرِّر الرسوم المطلوبة للمشاركة فيها.

أسئلة وتمارين

- تحدَّث عن الدور الذي يمكن أن تلعبه المراكز الصيفية في المجتمع.
- ما هي الجوانب التي يمكن المشاركة فيها في المراكز الصيفية؟
- أحد أسباب عزوف الشباب والفتيات عن المشاركة في المراكز الصيفية هو الإحساس بعدم حصولهم على فائدة ومعرفة من تلك المراكز. ناقش هذه المقولة مع بعض الطلاب الذين لا يرغبون في المشاركة في المراكز الصيفية، وناقش معهم كذلك المخرج منها.
- اذكر بعض المقترحات التي وردت في هذا الفصل والتي تحاول تحسين مستوى المدرس أو المُدرِّسة من الناحية العلمية والثقافية والمهاراتية.
- اذكر بعض الأفكار المقترحة في هذا الفصل لتغيير الجوِّ الدراسي في المراكز الصيفية. اذكر إيجابيات وسلبيات كل واحدة من هذه المقترحات.
- تصوَّر نفسك وأنت تقوم بالتدريس في أحد المراكز الصيفية. ما هي الطرق التي ستَتَّبعها في إلقاء الدروس وفي تشجيع الطلاب على التفاعل مع كل واحد من تلك الدروس؟
- تحدَّث عن بعض المقترحات التي يمكن للمدرس أو المُدرِّسة الاستفادة منها لمشاركة طلاب المراكز الصيفية في العملية التدريسية.
- ما هي بعض فوائد دعوة طلاب المرحلة الثانوية والجامعية لإلقاء الدروس في المراكز الصيفية؟
- تحدَّث عن بعض الأساليب المقترحة في هذا الفصل، والتي تعتبر نقلة موضوعية للنمط التقليدي للتدريس والمتبع حاليًا في الكثير من المراكز الصيفية.
- ما هي المعارض التي يمكن أن تقيمها المراكز الصيفية؟ وما هي أوجه الاستفادة منها بالنسبة للمدرس والطالب؟
- ناقش موضوع الدورات التدريبية المقترحة للمراكز الصيفية، من حيث الإيجابيات والعقبات.
- تحدَّث عن أهمية التقييم بالنسبة للارتقاء بمستوى المراكز الصيفية، وعن الجوانب المختلفة التي يمكن أن تشملها عملية التقييم.

أسئلة وتمارين

- اذكر بعضًا من المقترحات المتعلقة بتمويل المراكز الصيفية التي وردت في هذا الفصل، واذكر أيضًا مقترحات إضافية لم يتم التعرُّض إليها.

إقامة الفعاليات الثقافية والاجتماعية في المجتمع

كما ذكرتُ في مقدمة هذا الكتاب فإن أحد الأهداف من وراء طرح موضوع العمل التطوُّعي هو تكوين مجتمع مترابط ومتماسك، تنتشر فيه الأخلاقيات والسلوكيات الحسنة المتميزة، ويكون على مستوى متميِّز من الإيمان والثقافة والفكر، ويكون الناس فيه متعاونين متساعدين على حل مشاكلهم والتعرف على قضاياهم ومحاولة إيجاد الحلول والبدائل لها.

ولا يمكن للناس أن يقوموا بذلك الدور كلٌّ على انفراد، وبدون وعي وثقافة وعلم. من أجل ذلك، فلا بدَّ من أن تكون هناك فعاليات ثقافية واجتماعية تعين الناس على تنمية مستوياتهم العلمية والفكرية، وعلى اكتساب المهارات والثقافات المستجدة، وعلى زيادة ترابطهم والتعرف على احتياجات بعضهم البعض.

ولا شك بأن كل هذه الفعاليات الثقافية والاجتماعية ستحتاج إلى جهود فردية، تبدأ بالمشاركة في تبني فكرة إقامتها، ثم في تشجيع الآخرين على الإعداد لها وتنظيمها، وأيضًا في تشجيع الآخرين على المشاركة فيها، وأخيرًا في دعمها من نواحي مالية ومادية كتوفير السيارات والأجهزة والأماكن. ورغم حاجة هذه الفعاليات إلى جهود أشخاص عدة، إلا أن ما يمكن للفرد الواحد القيام به في أول الأمر هو المبادرة بنفسه لإقامة الفعالية، ثم بعد ذلك بتشجيعه الآخرين للمساهمة فيها. ويفضل أن تُشكَّل لرعاية مثل هذه الفعاليات مؤسسات أو لجان دائمة ومعروفة في المجتمع، بحيث يكون لها برنامجها الخاص بها طوال السنة، وتكون لها إمكانياتها المرصودة ومرافقها المعروفة من قِبَل فئات المجتمع.

١- إحياء المناسبات الدينية

نحن نعلم أنه تمر علينا- كمسلمين- الكثير من المناسبات التي يمكن الاستفادة منها في توعية الناس، وفي رفع المستوى الثقافي والفكري عندهم، منها مثلًا شهر رمضان، ومنها أيضًا المواسم الأخرى كالمولد النبوي والإسراء والمعراج ودخول السنة الهجرية وغيرها من المناسبات.

في شهر رمضان مثلًا يمكن وضع برنامج كامل للمحاضرات والأمسيات والبرامج الثقافية التي يمكن تقديمها في فترة هذا الشهر، بحيث تستوعب معظم فئات المجتمع من الصغار والكبار، الرجال والنساء. ويمكن لهذا البرنامج أن يشمل المساجد، كما يمكن أن يشمل المراكز الثقافية والتجمعات النسائية، بحيث يكون جزء من هذا البرنامج متعلق بشهر رمضان وبالصيام نفسه، وجزء آخر لنشر الجوانب الفكرية والثقافية الأخرى.

وكما هو معروف، فإن موسم شهر رمضان موسم حافل بمثل هذه الفعاليات، ومتميز من ناحية تهيئ نفسيات الناس لتقبل مثل هذه الفعاليات. لذلك، فإن على المهتمين بشؤون المجتمع أن يتعاونوا فيما بينهم على وضع البرامج المفيدة، والمشاركة في إعطاء المحاضرات والدروس، وإحياء الأمسيات الرمضانية المختلفة كليلة القدر أو غزوة بدر، أو غيرها من الفتوحات الإسلامية التي حدثت في شهر رمضان. ويمكن إقامة مثل هذه الأمسيات على شكل مهرجانات إنشادية أو مسرحيات أو مسابقات ثقافية أو غيرها من النماذج الأخرى التي يمكن أن تُعين الناس على التفاعل والاستفادة من جو هذا الشهر الكريم.

كذلك، يمكن ترتيب برامج للإفطار الجماعي، سواءً كانت في المساجد أو في الملتقيات والمجالس العامة أو في النوادي الثقافية أو في غيرها من الأماكن التي يرتادها الناس. ويمكن إعداد إفطار جماعي لعامة الناس، أو لفئة معينة منهم، أو لأهل بلدة معينة. ويفضل أن يكون مصاحبًا لذلك الإفطار الجماعي برنامج آخر ثقافي، كأن يتم بعد الإفطار وصلاة المغرب مثلًا تقديم وجبة عشاء للحاضرين، ثم تُتبع تلك الوجبة إما بدرس أو محاضرة أو ندوة أو أمسية شعرية أو أمسية ثقافية أو مسرحية أو غير ذلك. مثل هذه الأنشطة قد تحفز الناس على المشاركة مما يعينهم على إنماء مستواهم الثقافي والعلمي وأيضًا على زيادة الترابط فيما بينهم.

في الأوقات الأخرى غير شهر رمضان يمكن أيضًا تشجيع الناس على الصوم الجماعي، ويتم ترتيب إفطار جماعي لهم في أحد المساجد أو الملتقيات، فيمكن مثلًا بين حينٍ وآخر الإعلان عن صيام جماعي ليوم الاثنين أو الخميس بالإضافة إلى صيام يوم عرفة أو يوم عاشوراء أو غيرها من الأيام التي تُعين على رفع للمستوى الإيماني وزيادة الترابط الاجتماعي.

٢- إقامة المسابقات الثقافية والأمسيات الشعرية والمهرجانات الإنشادية

يمكن أيضًا إقامة المسابقات الثقافية والأمسيات الشعرية والمهرجانات الإنشادية، ليس فقط في شهر رمضان وإنما في المناسبات المختلفة كالأعياد أو في فترة الصيف، والتي يكون فيها طلاب المراحل المختلفة وكثير من الموظفين في إجازة، فتكون مناسبة لإقامة مثل هذه الفعاليات. لكن يجب التنبيه إلى أن ينأى المهتمون بإقامة مثل هذه الفعاليات عن العشوائية والارتجالية، وإنما عليهم الإعداد المسبق والمنظم لها، وإعداد تصورات تفصيلية حول احتياجاتها وسبل توفير مستلزماتها، بحسب الإمكانيات المتاحة لديهم.

٣- تنظيم الأعراس الجماعية

إننا نسعى في هذا الكتاب ومن خلال طرحنا لموضوع العمل التطوُّعي لأن نوجد المجتمع السليم، سواءً كان في التصوُّرات والمعتقدات، أو كان في السلوكيات والأخلاق. وإني أحسب أن القارئ يشاطرني الرأي في أن إفرازات الحياة المعاصرة والاندماج الحضاري والتواصل المعرفي الذي ظهر بشكل ملحوظ في العقود المنصرمة قد أثَّر في إيجاد أنماط مختلفة من السلوكيات والتصوُّرات التي تعتبر غريبة- إن لم تكن دخيلة- على مجتمعات المسلمين- والتي في غالبيتها مجتمعات محافظة. من هذه السلوكيات التي أثَّرت كثيرًا على التركيبة الاجتماعية في عالمنا العربي والإسلامي ما يلي:

- الرغبة الجادة لدى الشريحة الكبرى من الشباب والفتيات في مواصلة تعليمهم الجامعي وما بعد الجامعي، وهي- بلا شك- ظاهرة لا تُنكَر إيجابياتها، بل وعلى المجتمع ومؤسسات الدولة أن تشجعها وتمهِّد السُّبُل لاستمراريتها. غير أن هذا الانهماك المتزايد في الحصول على أعلى الشهادات العلمية والمهاراتية قد أدى أيضًا إلى عزوف الشباب والفتيات عن الزواج، مما أوجد جيلًا من هؤلاء الشباب والفتيات لا يشعرون بأهمية الزواج وآثاره الإيجابية، سواءً كان على مستوى الفرد أو المجتمع. لهذا وجدنا أن الكليات والجامعات في كثير من بلدان العالم العربي والإسلامي قد صارت منتجعات ومنتزهات للشباب والفتيات بسبب الاختلاط الموجود- والفاضح في أحيان كثيرة-. وهذا الاختلاط، ومع تزايُد الصيحات المتعالية لتحرير المرأة، والسيول الجارفة من الموضات والأغاني الماجنة والأفلام الخليعة، قد أدى إلى تنافس الجنسين في

الظهور للجنس الآخر بأبهى حلة وأجمل صورة. ورغم ما لهذه السلوكيات من استنزاف لمدخرات الشباب والفتيات ولاقتصاديات الأمة فيما لا يعود عليهم وعليها بالنفع، ورغم ما تسببه تلك السلوكيات أيضًا من انحطاط في مستويات التحصيل العلمي والثقافي، غير أن الطامة الكبرى تكمن في عزوف الشباب والفتيات عن الزواج لشعورهم بأن ما يحيط بهم من مناظر، وما يجري في أوساطهم من مغازلات وأخلاقيات شائنة قد يُعوِّضهم عن الزواج الشرعي، وخاصة عندما يتذكرون متطلبات الزواج الباهظة التي أفرزتها العادات والتقاليد المذمومة المتفشية في مجتمعاتنا.

- في كثير من الأحيان لا يكتفي الشاب والفتاة بتحصيل درجة علمية معينة وإنما يرغب في الحصول بعد تخرجه على وظيفة مرموقة، توجِد له كيانًا في مجتمعه، وتعينه على تلبية المتطلبات المتزايدة للحياة المعاصرة. وهنا تتفاقم ظاهرة العنوسة، ومعها تزيد ظاهرة الاختلاط والانحطاط الأخلاقي بروزًا، فالشاب والفتاة- في كثير من الأحيان- لا تهمهما بيئة العمل التي يقضيان غالب يومهما فيها لا من ناحية خلقية ولا من ناحية اجتماعية، بل قد تكون بيئة العمل امتدادًا لتلك التربية الفاسدة التي تلقياها في الكلية أو الجامعة، فتجدهما يقضيان ساعات العمل في النظرات المتبادلة والمغازلات الفاضحة والضحكات المسموعة والحوارات "الهادفة" والتي في حقيقتها الهائمة والهادمة. كذلك، فلا ننسى أن الشباب والفتيات ينظرون إلى المستقبل الذي ينتظرهم، فلا يروا فيه إلا قوائم طوال من متطلبات الحياة، من توفير للمنزل أو الشقة، ومن شراء للسيارة، ومن مصاريف الخدمات والضرائب والرسوم والفواتير التي عليهم دفعها بصورة مستمرة. كل ذلك يجعلهم لا يُعيرون موضوع الزواج أدنى اهتمام، مما يزيد من تفشِّي ظاهرة العنوسة وانتشار الأخلاقيات الفاسدة الناتجة عن ذلك، ومن انحطاط للقيم والمبادئ التي عادة ما تربط نسيج المجتمع وتحجزه عن التساقط والانفلات.

- العادات والتقاليد الموروثة والظواهر الاجتماعية المستحدثة قد أدت إلى صرف أنظار الشباب والفتيات عن التفكير في الزواج، فضلًا عن الإقدام عليه. نحن نعلم مثلًا أن عصور التخلُّف العلمي والفكري التي مرَّت بها الأمة في العصور المتأخرة قد أدت إلى إيجاد الكثير من الظواهر المشينة في مجتمعاتنا، كظاهرة التغالي في المهور وطلبات الزواج، وتنافس أولياء الأمور على التقدُّم بقوائم طويلة من الطلبات عند تزويج بناتهم. كذلك، فقد انتشرت في الآونة الأخيرة

ظواهر اجتماعية لا تخدم المجتمع وإنما تهدم ما بقي فيه من أخلاقيات وترابط. من هذه الظواهر ما نشاهده من استدعاء لفرق الرقص والمجون في حفلات الأعراس، ومن إقامة حفلات الأعراس في الفنادق الضخمة والصالات الفاخرة، ومن التنافس في اقتناء أغلى أثواب الأعراس أو دبلات الخطوبة، ومن غيرها من الظواهر التي لم تكن معروفة في مجتمعاتنا. كل هذه الظواهر مجتمعة قد جعلت الشباب والفتيات يحسبون للزواج ألف حساب قبل أن يفكروا في الإقدام عليه.

من هنا، فإن على عاتق العقلاء من أبناء هذه الأمة أمانة عظيمة وحِمْلًا جسيمًا ليس فقط في التصدِّي لهذه الظواهر البغيضة التي كادت أن تصبح من معالم مجتمعاتنا المتميِّزة، وإنما أيضًا لإيجاد الحلول والبرامج التي يمكن أن تُخرِج مجتمعاتنا من طاماتها وأوحالها.

وتعتبر الأعراس الجماعية التي بدأت تظهر في مجتمعاتنا في الآونة الأخيرة من الخطوات الجريئة والمؤثرة في هذا السياق، والتي يرجى أن يكون لها أثرٌ بالغٌ في الأخذ بحُجَز مجتمعاتنا نحو الصواب والرشاد بإذن الله.

لقد أصبحت الأعراس الجماعية ظاهرة اجتماعية لها أثرٌ كبيرٌ في حل الكثير من المشاكل الاجتماعية، وأيضًا في زيادة الترابط الاجتماعي بما تضفي عليه هذه الفعاليات من جوٍّ متميز في قلوب أبناء المجتمع. لذلك، فإن المساهمة والتشجيع على إقامتها يعتبر من الأعمال التطوعية المهمة.

إن المساهمة في هذه الفعالية الاجتماعية المهمة لا يقتصر فقط على المتزوجين وأُسَرِهم وأقاربهم، وإنما على أفراد المجتمع ومؤسساته المختلفة أن تتظافر جهودهم لإنجاحها والإكثار منها. كذلك، فالمساهمة فيها لا تقتصر على شكل واحد أو نشاط بعينه، وإنما هناك أنماط مختلفة وأجه متعددة للمساهمة في إنجاحها. مثلًا، تحتاج هذه الفعاليات إلى تخطيط وتمويل وتنظيم وترويج إعلامي، بالإضافة إلى تشجيع وحثٍّ للشباب والكبار للمساهمة فيها بالحضور والتمويل.

وأحب أن أنوِّه هنا بأن علينا تشجيع هذه الظاهرة حتى وإن كان مستواها بسيط؛ كأن تكون عرسًا جماعيًّا لشخصين أو ثلاثة، فالأمر المهم أولًا هو في انتشار الظاهرة وليس في حجمها. وبطبيعة الحال، فعندما تصبح الأعراس الجماعية من الفعاليات المتكررة والمألوفة والمرغوبة في مجتمعاتنا، يبدأ

التفكير في الوصول بها إلى مستويات أفضل؛ كأن تشمل أعدادًا أكبر من المشاركين، وتتطلب مصاريف قليلة. كذلك، فيمكن الاستفادة مما قرره أهل العلم[1] من جواز مساعدة الراغب في الزواج من مال الزكاة، بشرط أن لا يجد من كسب يده ما يستطيع به أن يستر عرضه.

٤- إقامة الرحلات الجماعية

من الأمور المحببة التي يمكن من خلالها زيادة الترابط الاجتماعي بين الناس هي إقامة الرحلات الجماعية، فقد يمكن ترتيب رحلة جماعية لأحد المنتزهات أو الأماكن السياحية أو التاريخية أو الأثرية، أو حتى إقامة رحلات للعمرة والحج. كذلك، فيمكن أن تخصص كل واحدة من هذه الرحلات لخدمة فئة أو أكثر من فئات المجتمع، بحيث يتم إعداد برامج خاصّة ليستمتعوا برحلتهم ويستفيدوا منها من ناحية ثقافية وفكرية وترفيهية، ويزداد بسببها تآلفهم وترابطهم.

أسئلة وتمارين

- ما هي المناسبات الدينية التي يمكن استغلالها لرفع المستوى الثقافي والفكري والاجتماعي بين أوساط الناس؟
- شارك مع بعض زملائك لوضع برنامج متكامل للاستفادة من شهر رمضان المبارك بحيث تشمل الأنشطة المقترحة في البرنامج فئات المجتمع المختلفة وتكون ذات تأثير واضح في رفع المستوى الثقافي والعلمي والاجتماعي في المجتمع.
- اذكر بعض العادات والسلوكيات السيئة التي بدأت تنتشر في مجتمعاتنا والتي أدت إلى تفشي ظاهرة العنوسة بين الشباب والفتيات.
- شارك مع بعض زملائك الذين لهم اهتمامات بموضوع الأعراس الجماعية وقوموا بإعداد كُتيِّب يتحدث عن أهمية هذه الظاهرة والعقبات والتحديات التي تحُدُّ من انتشارها في المجتمع وسبل التغلُّب عليها وسبل الارتقاء بمستوى الأعراس الجماعية. كذلك، يمكن أن يتضمن الكتيِّب تجارب سابقة ولقاءات مع الأشخاص الذين كان لهم دورٌ بارزٌ في إقامتها والتخطيط لها. وأخيرًا، يجب أن يشمل الكتيِّب متطلبات إقامة هذه الفعالية وبرنامجًا متكاملًا ليوم العرس

(1) "دور الزكاة في علاج المشكلات الاقتصادية وشروط نجاحها": يوسف القرضاوي، ص ٢٦-٢٧.

أسئلة وتمارين
الجماعي. بعد الانتهاء من إعداد الكتيِّب، يمكن التعاقد مع إحدى دور النشر أو المؤسسات المعنية بموضوع الأعراس الجماعية، لتبَنِّي نشر الكتيِّب، بحيث يستفاد من ريعه لتمويل بعض الأنشطة الاجتماعية والثقافية في المجتمع.

المبحث الخامس:

الأعمال التطوعية التي تمتد لتشمل القطر الذي نعيش فيه

ذكرتُ في المبحث السابق أن علينا واجبات تجاه المحيط أو البيئة التي نعيش فيها، وأقول هنا بأن علينا أيضًا واجبات والتزامات تجاه القُطر الذي نعيش فيه بأكمله. وكما أنه لا يكفي للواحد منا أن يبقى منزويًا على نفسه، قابعًا في بيته، فكذلك فإن على كل واحد منا ألا يكتفي بالاهتمام بالمجتمع الذي يعيش فيه، وإنما عليه أن يوسع دائرة اهتمامه لتشمل القُطر بأكمله.

ونقصد بالقُطْر في سياق هذا الكتاب ما اصطُلِح عليه بمفهوم الدولة في حدودها الجغرافية والسياسية. وأتمنى أن لا يفهم القارئ من تركيزي في هذا المبحث على القُطْر على أنها دعوة للتعصُّب لبلد دون آخر، وإنما الأمر لا يعدو كونه نوعًا من التدرُّج في مستوى التكليف والاهتمام. وكما أن مصطلح "المحيط" الذي استخدمناه في المبحث السابق قد لا يعني بالضرورة الحيَّ أو القرية وإنما يمكن أن يشمل المدينة أو الولاية أو المنطقة، كذلك فإن مصطلح "القُطْر" هنا قد يبدأ بالحدود الجغرافية للدولة التي يعيش فيها الإنسان، ولكنه يمكن أن يتجاوز إلى الإقليم أو المنطقة.

إن الأعمال التطوُّعية التي سنتطرق إليها في هذا المبحث- بإذن الله- هي من التوسُّع والانتشار بحيث لا يمكن لفردٍ واحدٍ أو مجموعة صغيرة القيام بها، وإنما تحتاج إلى مؤسسة تعمل على مستوى القُطْر، على أقل تقدير. لكن هذا لا يعني رفع الملام عن عزوف الأفراد والجماعات في المشاركة؛ فإن غالبية ما سنتطرق إليه من أعمال تطوُّعية ما زالت مفقودة في كثير من بلدان المسلمين.

إن الدور الذي يمكن أن يلعبه الفرد في وضع اللبنات الأولى لمثل هذه الأعمال ليفوق في أهميته الدور الذي ستلعبه المؤسسة التي ستتبنى تلك الأعمال لاحقًا. والدور الذي نعنيه هنا قد تتعدد جوانبه؛ من مشاركات مالية، أو تخطيط، أو وضع للتصورات والمقترحات، أو حتى في الترويج للفكرة. كذلك، فإن هذا الدور يجب أن لا يقف عند حدود التأسيس والتدشين لمثل هذه الأعمال التطوُّعية، وإنما على الفرد أن يكون مشاركًا في جميع مراحلها، والله يجزي كل فاعل خيرٍ قدر جهده وبحسب إخلاصه وتفانيه.

نشر تاريخ وتراث الأئمة والعلماء والمشاهير

كما هو معروف، فإن كل قُطر من أقطار العالم الإسلامي لديه من الأئمة والأعلام ما لا يحصى عدده، ولكل واحد من أولئك تراث حضاري ضخم، سواءً كان تراثًا مكتوبًا، أو قائمًا على الأرض كالقلاع والحصون، بالإضافة إلى المؤسسات التي أقاموها والأملاك التي أوقفوها. والأعمال التي سنتطرق إليها في هذا الفصل ستحاول جمع ذلك التراث وإبرازه للمجتمع والعالم بأسره.

ويمكننا القيام بذلك بشتى الصور؛ كإعداد عروض باستخدام برامج الحاسوب المتوفرة كبرنامج الباور بوينت، بحيث يحكي كل عرض حُقْبة من حُقَب التاريخ في القُطر الذي نعيش فيه، ويذكر في كل حقبة العلماء والأعلام الذين عاشوا في تلك الحقبة. كذلك، فيمكننا القيام بإيجاد عرض آخر يهتم بالمشاهير في البلاد ويقوم بعرض نبذة عنهم على حسب التسلسل الزمني. وبعد أن يكتمل كل عرض ويتم مراجعته من ناحية لغوية وعلمية وفنية، يمكن فيما بعد تقديم هذا العرض على شكل محاضرة، أو إرساله عبر البريد الإلكتروني، أو نشره عبر مواقع الإنترنت لكي تعم الفائدة منه.

ولا ريب أن مثل هذا التوجُّه له من الفوائد العظيمة التي لا تغيب عن ذي بال. من تلك الفوائد الوفاء بأبسط الحقوق لأولئك الأعلام وذلك من خلال تعريف الناس بما أفنَوْا حياتهم فيه وتشجيعهم على الاستفادة منه. ومنها أيضًا رفع معنويات الشباب والفتيات للحذْوِ حذْوَ أولئك الأخيار في سلوك طريق العلم وبذل قصارى الجهد للوصول إلى أعلى المراتب فيه. ومنها تعريف العالم بأنا أمة حضارة وعلم وأن الواقع الذي تمرُّ به الأمة ما هو إلا مرض وليس سمة من سماتها، كما يزعم أعداؤها.

١- نشر التراث العلمي والأدبي لأعلام القُطر

إن من أَوْلى الأعمال التي يمكن القيام بها على مستوى القُطر هي محاولة تدوين ونشر أعمال الأئمة والعلماء. علينا أن نقوم أولًا بالتعرف على هؤلاء العلماء والأئمة، ثم التعرُّف على التراث الذي ورَّثوه للأجيال التي أتت بعدهم والأعمال قاموا بها، لأنه قد يكون من الصعب تقصِّي أو نشر كل ما قام به أولئك الأئمة والأعلام من مؤلفات وتراث ضخم. ما نحاول القيام به هنا هو مجرد التعرُّف على

الأعمال التي قاموا بها، ومَن ثَمَّ نقوم بنشر ما نستطيع نشره، سواءً كان النشر عن طريق الإنترنت أو على شكل كتب أو في حلقات في الإذاعة والتلفاز والصحف وغير ذلك من الوسائل المتاحة لنا.

وعلينا أن لا نكتفي فقط بتدوين أو نشر ذلك التراث، وإنما علينا أن نقوم أيضًا بمحاولة تحليله من خلال تحقيق الكتب وعمل البحوث والدراسات والندوات والمؤتمرات حول تلك المؤلفات، وإخراج ذلك التراث بثوب جديد وأسلوبٍ عصريٍّ يختلف عن الأسلوب القديم المتبع في التأليف، ويتوافق مع البيئة التي نعيش فيها ومع متطلبات العصر.

٢- نشر تاريخ القُطر

أمر يصبُّ في هذا السياق وهو محاولة تدوين وتحليل ونشر ما جرى في الحقب التاريخية المختلفة من أحداث ووقائع، سواءً كانت تلك الأحداث والوقائع مختصة فقط بالقُطر الذي نعيش فيه، أو كانت تتعدى إلى أقطار أخرى. يمكننا أولًا البدء بالقُطر الذي نعيش فيه، ونحاول استقصاء تلك الأحداث والوقائع، ثم تدوينها وتحليلها، ثم نشرها إما عن طريق الإنترنت أو عن طريق الكتب وغيرها من الوسائل.

ويمكن أيضًا إعداد ملخصات لكتب التراث، أو للأحداث والوقائع التي جرت في القُطر، أو لفن معين من الفنون التي اشتهر بها القُطر، ويمكن استخلاص كل ذلك إما من الكتب المتوفرة، أو بالنقل عن المشائخ والعلماء وكبار السِّن الذين هم على دراية بتلك الأمور. وبعد أن تتوافر لدينا تلك الملخصات يمكن طباعتها ونشرها بالوسائل التي ذكرناها، ويمكن كذلك صياغتها على شكل مسرحيات تناسب الكبار والصغار، النساء والرجال.

٣- التعريف بالمعالم الأثرية

إن المعالم الأثرية التي لا يكاد أن يخلو منها قُطْر من أقطار المسلمين لهي شاهدٌ على عظمة هذه الأمة ومَن حمل لواءها وبنى أمجادها في العصور السابقة، وفي الوقت نفسه فهي تحوي تاريخًا عظيمًا وفنونًا لا يُستهان بها، يمكن أن يستفيد منها المسلم وغير المسلم. وللأسف الشديد، فقد عانت هذه المعالم الأثرية من إهمال أتباعها وجَوْر أعدائها وقسوة الظروف البيئية عليها، مما أدى إلى اختفاء

الكثير منها وتهالك البقية الباقية. لذا، فإن الدور الذي على الأجيال المعاصرة واللاحقة القيام به في حق هذه المعالم قد يكون أكبر وألزم من نشر التراث العلمي المُدوَّن.

والاهتمام بهذه المعالم قد يأخذ صورًا شتى، نذكر منها ما يلي:

- **ترميم هذه المعالم**. كما ذكرتُ، فإن غالبية هذه المعالم الأثرية الموجودة في عالمنا الإسلامي قد اندثرت أو في طريقها إلى ذلك، وعلينا تدارك ذلك قبل فنائها بالكامل. وبحمد الله فقد قامت في الآونة الأخيرة مؤسسات حكومية ودولية بالاهتمام ببعض هذه المعالم وترميم الكثير منها. لكن علينا أن لا نكتفي بتلك الجهود- وإن كانت مشكورة- وإنما علينا أن نبادر إلى ترميم تلك المعالم بأنفسنا، سواءً كنا أفرادًا أو مؤسسات خيرية أو مؤسسات تجارية. ونظرًا لأن مثل تلك المعالم الأثرية تعد ثروة وطنية للبلدان الموجودة بها، فإنها- بالمقابل- تتطلب تصريحات حكومية وإجراءات قانونية قبل إمكانية المساس بها والبدء في ترميمها. من هنا، فإن المبادرة في هذا الجانب مطلوبة جدًّا، حيث أن عملية إكمال تلك الإجراءات القانونية- فضلًا عن عملية الترميم نفسها- قد تستغرق مدة طويلة.

- **التعريف بأهمية تلك المعالم**. للأسف الشديد، فبالرغم من مشاهدة الكثير من الناس لتلك المعالم- وبصفة يومية- إلا أن الغالبية لا يدرون شيئًا عن هويتها التاريخية ومكانتها العلمية. لذا، فإن على الأكاديميين والإعلاميين والعلماء والباحثين أن يعنوا بهذه المعالم أيما عناية، وذلك من خلال إعداد ونشر الدراسات والبحوث المتعلقة بها، وإقامة المحاضرات والندوات حولها، وتأليف الكتب ونشر المقالات عنها، وإعداد البرامج والتغطيات الإعلامية حولها، وتشجيع أهل البلد والسُّيَّاح لزيارتها والتعرُّف عليها. وبالإضافة إلى ما يمكن أن تقوم به هذه الأعمال من ترويج ونشر وتثقيف لهذه المعالم، فقد تكون أيضًا رافدًا لجمع الأموال المطلوبة لترميمها والاهتمام بها.

- **تحويل بعض المعالم الأثرية إلى متاحف أو مراكز دراسات**. قد تكون أحد الخطوات المهمة للاهتمام بالمعالم الأثرية وتعريف العالم بها هي أن يتم جعل تلك المعالم محطًّا لأنظار العالم؛ وذلك من خلال تحويلها إلى متاحف أثرية تحكي للأجيال المعاصرة واللاحقة الأحداث التاريخية التي كانت سببًا في إنشائها، والعلماء والمشهورين الذين أسهموا في بنائها أو صنع

أمجادها، والحُقَب المتلاحقة التي مرت بها. ويمكن أن يتم إدخال التقنيات الحديثة، كالمؤثرات الصوتية والتسجيلات السمعية والتقارير الإخبارية لإبراز أو توضيح الجوانب المختلفة التي يحكيها ذلك المعلَم.

أما فيما يتعلق بتحويل المعالم إلى مراكز للدراسات فإن الأمر لا يقل أهمية عن تحويلها إلى متاحف، فالمتاحف ستستقطب الزوار للمتعة وربما الاستفادة العلمية، أما مراكز الدراسات فإنها ستستقطب العلماء والباحثين وتكون محطَّ أنظار العالم، هذا بالإضافة إلى الإنتاجات التاريخية والأدبية والعلمية التي يمكن أن تنبثق عن أنشطة وفعاليات تلك المراكز.

- **إقامة المهرجانات والفعاليات الثقافية والاجتماعية.** قد يكون من المناسب إقامة بعض المهرجانات والحفلات والمسرحيات في المحيط القريب من المَعلَم الأثري، وخاصة إذا كانت تلك الفعاليات متعلقة بذلك المَعلَم. وقيام تلك الفعاليات قريبًا من تلك المعالم- بالإضافة إلى لفت أنظار المشاركين إلى أهميتها- قد يبعث في نفوس المشاركين نوعًا من الفضولية- إن لم يكن الاهتمام- للتعرُّف عليها عن قرب، وربما يؤدي إلى الاهتمام بها في المستقبل.

أسئلة وتمارين

- قم بالتعرُّف على بعض المشاهير في بلدك وما أنتجوه من تراث علمي وأدبي. حاول التعرُّف على ما تم طباعته من مؤلفاتهم، وتلك التي ما زالت على شكل مخطوطات.
- حاول التعرُّف على الأدوار التي تقوم بها بعض المؤسسات ودور النشر التي تُعنى بنشر تراث الأجداد. ناقش ما توصلتَ إليه مع بعض زملائك، وحاولوا التعرُّف على سبل مظافرة جهود تلك المؤسسات ودور النشر، لتزيد من فاعليتها في هذا الجانب.
- اختر حُقبة معينة من تاريخ القُطر الذي تعيش فيه واشرح كيف يمكنك تغطية ما جرى في تلك الحقبة من وقائع وأحداث باستخدام التقنيات الحديثة.
- تحدَّث عن أهمية المعالم الأثرية والدور الذي تلعبه في ربط الأجيال اللاحقة بالأجيال السابقة.
- ما هي بعض الاقتراحات التي وردت في هذا الفصل والتي تصبُّ في جانب الاهتمام بالمعالم الأثرية؟
- قم بإعداد دراسة حول المعالم الأثرية الموجودة في القُطْر الذي تعيش فيه وتحدَّث عن الأهمية

أسئلة وتمارين

التاريخية والعلمية لتلك المعالم وواقع تلك المعالم من ناحية المبنى واهتمام الأفراد والمؤسسات والمسؤولين بها.

- تعاقد مع بعض زملائك على إنشاء موقع على الإنترنت يحتوي على أحد الجوانب التالية:
  - نبذة عن حياة أحد الأئمة أو العلماء في القُطر الذي تعيشون فيه، بالإضافة إلى تجميع مؤلفات ذلك الإمام أو العالم، سواءً المطبوعة أو المخطوطة.
  - الحُقَب التاريخية التي مرَّ بها القُطر الذي تعيشون فيه، مع ذكر الوقائع والمشاهير لكل حقبة.
  - فهرس بأعلام القُطر الذي تعيشون فيه وإنتاجاتهم العلمية والأدبية.
  - فهرس بالمعالم الأثرية في القُطر الذي تعيشون فيه، مدعومة بالصُّور.

الاهتمام بأحوال الحجاج والمعتمرين

يذهب في كل سنة من أهل كل بلد من البلاد الإسلامية عشرات بل ربما مئات الآلاف من الحجاج والمعتمرين، ومعظم هؤلاء من كبار السِّن ومن الجهال أو عامة الناس الذين ليس عندهم الحصيلة الكافية من العلم الشرعي الذي يعينهم على أداء مناسك الحج والعمرة على الوجه الصحيح. لذلك، فإن ما نستطيع القيام به هو أن نعين هؤلاء على أداء مناسكهم بطريقة صحيحة، من خلال الكتيبات والنشرات وغيرها من المواد التي علينا إعدادها وتوفيرها لهم.

ما علينا القيام به أولًا هو إعداد الكتيبات والنشرات، وربما تسجيل مواد سمعية تشرح المناسك بصورة مبسطة، تخاطب كل واحد من هؤلاء على حسب مستواه العلمي والفكري. ويمكن إخراج مثل هذه المواد بعدة لغات، بحيث تلبي احتياجات المواطنين والوافدين. يمكننا أيضًا إقامة محاضرات وندوات تعرّف هؤلاء بمناسك الحج والعمرة، ويمكن كذلك إقامة دوراتٍ مصغرة لتوضيح مناسك الحج والعمرة لهم عمليًّا.

يمكننا أيضًا إعداد نشرة مبسطة من ورقة واحدة نلخص فيها مناسك الحج أو مناسك العمرة، ثم نقوم بتصويرها وتوزيعها في المساجد بعد صلاة الجمعة، أو نضعها في الأماكن التي يرتادها الناس كالمكتبات والنوادي وغيرها. كذلك، فيمكننا تجميع ألبوم يحتوي على بعض النشرات والتسجيلات التي تختص بالحج والعمرة، ثم نضع هذا الألبوم في متناول الراغبين في الذهاب للديار المقدسة، إما مجانًا أو بقيمة رمزية تغطي تكاليف إنتاجه وإخراجه، أو ببيع هذا الألبوم في المكتبات التجارية أو في المؤسسات الخيرية المعنية بهذا الموضوع.

أسئلة وتمارين
▪ تعاون مع بعض زملائك على تجميع الفتاوى الشرعية المتعلقة بالحج والعمرة، وبعد ترتيبها وتنسيقها قوموا بعرضها على أحد مشائخ العلم. وبعد أن تتم مراجعة تلك الفتاوى يمكنكم الاتفاق مع إحدى المكتبات أو دور النشر لإخراجها على شكل كتيِّب لتعم الفائدة للجميع.

أسئلة وتمارين

- استخدم برنامج فلاش أو باور بوينت لإخراج عرضٍ مصورٍ يشرح كيفية أداء مناسك الحج والعمرة. يمكنكم نشر ذلك العرض في مواقع الإنترنت أو تقديمه على شكل محاضرات، بعد مراجعة مادته من قِبَل أحد المشائخ.
- قم بحصر المواد السمعية والمرئية والمقروءة المتوفرة على شبكة الإنترنت والمتعلقة بالحج والعمرة. حاول تنزيل نسخة من هذه المواد وترتيبها ونسخها في قرص مدمج. تعاون مع بعض أصدقائك لنسخ هذا القرص وتوزيعه على مَن يرغبون في الذهاب للديار المقدسة.

الاهتمام بما يجري داخل القُطْر

معظمنا، وللأسف الشديد، لا يدري ما يجري من أحداث ووقائع وفعاليات، حتى داخل القُطْر الذي يعيش فيه. ونحن نعلم أن الصحف والمجلات ومحطات الإذاعة والتلفاز لا تطالعنا إلا بالأحداث والوقائع التي هي- في تقدير رجال الإعلام- مهمة وتستحق النشر. لكن- في الغالب- ما يذاع أو ينشر قد يكون مهمًّا للحكومة أو السياسيين في البلد، لكنه قد لا يكون مهمًّا بالنسبة للمثقفين أو الباحثين، وما يكون مهمًّا بالنسبة للنساء قد لا يكون مهمًّا بالنسبة للأطفال، وما يكون مهمًّا بالنسبة للعَلْمانيين وغير المتدينين قد لا يكون مهمًّا بالنسبة للدعاة.

إن علينا أن نعي أن هناك أحداثًا ووقائع وفعاليات تحدث في كل بلد ولا تحظى باهتمام وسائل الإعلام، ولذا فهي لا تنشر. من هنا، فإن علينا أن نتعرَّف على الجوانب التي لا تهتم بها وسائل الإعلام، ونقوم نحن بتغطيتها. وبما أنه قد لا يكون بمقدور الأفراد القيام بهذا، لذا فإننا بحاجة إلى إنشاء مراكز متخصصة للدراسات والبحوث، بحيث تنبثق من خلال لجان أو مؤسسات تطوعية تُعنى بهذا الجانب. مثل هذه المراكز سيكون لها الأثر العميق في الارتقاء بمستوى الثقافة والفكر في البلد، وأيضًا سيكون لها دور مهم جدًّا في عملية الإصلاح والتغيير.

١- تحليل المراسيم والقرارات

تصدر في كل بلد- وفي بعض الأحيان بشكل يومي- مراسيم وقرارات رئاسية أو وزارية، وقد تكون هذه المراسيم والقرارات معنية بوزارات معينة أو بمؤسسات وهيئات أو بأفراد. وقطعًا، لا تصدر مثل هذه القرارات والمراسيم اعتباطًا، وإنما تصدر بناءً على دراسات وقرارات لكبار السياسيين في البلاد. لهذا، فإن علينا محاولة تحليل هذه المراسيم والقرارات لنتعرَّف على المضامين التي تحملها، والأهداف والمغازي التي صدرت من أجلها.

ومعلومٌ لدى مَن يتابع شؤون الأمة بأن هناك من القرارات والمراسيم التي تصدر بناءً على توجُّهات لسياسيين معينين في البلاد، أو لدعم تكتلات أو أحزاب معينة، أو ربما بسبب ضغوطات إقليمية أو دولية. لذا، فعلينا أن نقوم بتحليل تلك القرارات والمراسيم لنتعرَّف على أبعادها ومغازيها. مثلًا، إذا

صدر قرار بإنشاء هيئة جديدة، فعلينا أن نتساءل عن هوية هذه الهيئة، والمغزى من قيامها، والمهام التي أنيطت بها، والخدمات التي ستقدمها، والقائمين على إدارتها ونوعية الناس الذين سيقومون بالعمل فيها أو التعامل معها.

إن تحليلنا لهذه القرارات والمراسيم ليس بالضرورة أن يكون لأغراض سلبية، بمعنى محاولة تقصي واكتشاف المستهدَفين من إصدار تلك القرارات والمراسيم من الأفراد والجماعات، وإنما قد يكون تحليلنا لها لأمور إيجابية؛ فقد نكتشف أنه ليس من الصالح العام للبلاد أن تقام مثل هذه الهيئات في هذا الوقت، أو قد نكتشف أن هناك تضارب أو تعارض بين المهام المناطة بهذه الهيئة الجديدة وبين المهام المناطة بمؤسسات أخرى قائمة، وعندها قد نتساءل أكثر عن أسباب تكرار مثل هذه المؤسسات. بالمقابل، قد نكتشف أن هناك فوائد لقيام هذه الهيئة، فقد تكون مُساعِدة لمؤسسات أخرى، وقد تكون مُساعِدة لفئات معينة من الناس يعيشون في داخل القطر أو خارجه. لكن لا يمكننا أن نصل إلى مثل هذه الاستنتاجات فقط من مجرد سماع المرسوم أو القرار.

وما يمكننا القيام به كذلك هو محاولة اكتشاف الاتجاهات السياسية والفكرية البارزة في البلاد، وهذا قد لا يتأتى إلا من خلال دراسة وتحليل القرارات والمراسيم التي صدرت في البلاد في عدة أعوام. وبعد تحليلنا لها سيتضح لنا ما إذا كان هناك نهج معين تسير عليه هذه القرارات، وما إذا كانت تتجه نحو وجهة معينة.

إننا قد نكتشف مثلًا أن هناك نهجًا معينًا تتبعه الحكومة أو سياسة معينة تحذو حذوها فيما يخص التعليم أو فيما يخص الوافدين أو فيما يخص الهجرة والتجنس. قد نكتشف هذا عندما ندرس المراسيم والقرارات التي صدرت خلال عدة أعوام. وقد نحتاج فقط إلى دراسة وتحليل المراسيم والقرارات التي تعنى بقطاع مُعيَّن فقط، أو تلك التي صدرت في حق هيئة أو جماعة معينة.

من خلال تلك التحليلات قد نستنتج العقليات المختلفة التي تقف وراء تلك القرارات، فقد تكون عقليات يمكن الاستفادة منها، وقد تكون عقليات علينا أن نقف ضدها، وربما محاربتها والتقليل من شأنها، فقد تكون شخصيات مغرضة، وقد تكون شخصيات مدعومة من قبل جهات أو منظمات خارجية.

كذلك، فعلينا أن نقوم بمحاولة فهم المضامين المستقبلية التي يمكن أن يحملها صدور مثل تلك المراسيم والقرارات. مثلًا، إذا صدر قرارٌ بشأن تولية شخص لمنصب معين، فلنحاول أن نرى ماذا يمكن أن يحمل هذا القرار بالنسبة لهذا الشخص في المستقبل، فربما نستنتج أن هذا القرار هو تمهيد لإعداد هذا الشخص لكي يصبح من قادة البلد، وعندها علينا أن نعرف ما يمكننا القيام به في هذه المرحلة.

مثلًا، إذا كان الشخص يجري إعداده لكي يصبح من صناع القرار في البلاد، فعندها علينا أن نتساءل ونقرر: هل من الأصلح لنا ولوطننا وأمتنا أن نتقرب إلى هذا الشخص، أم المصلحة في أن نعاديه ونكشف أوراقه- إذا كانت له سوابق شائنة- ونحاول فضحه؟ هل علينا أن نقوم بإجراءات أخرى استعدادًا لحين تولي هذا الشخص لمنصبه المزمع له توليه في المستقبل؟ وهكذا، نستطرد في طرح التساؤلات التي علينا أن نبحث عن إجابات لها.

وأما إذا كان القرار يتعلق بتنحية شخص من منصبه، فعلينا أن نتعرف على الدوافع التي كانت وراء تنحيته؛ فقد تكون تنحيته إجراءً أمينًا موفقًا لمصلحة البلد، وقد يكون بداية لسلسلة من تصفية الحسابات بين جهات مختلفة ذات اتجاهات متباينة. عندها، علينا أن نأخذ احتياطاتنا من أن نصبح ورقة رهان لأهواء أصحاب المصالح والنفوذ.

كما نلاحظ من الأمثلة التي سقناها، فإن إجاباتنا على تلك التساؤلات تُعدُّ دراسة في حدِّ ذاتها. لذلك، فبعد أن نصل إلى نتائج وإجابات مفيدة، علينا أن نقوم بنشرها على شكل دراسات. وإذا كانت الأوضاع السياسية في البلد الذي نعيش فيه، أو في العالم، لا تسمح لنا بنشر مثل هذه الاستنتاجات، فإن علينا أن ننشرها بوسائل أخرى؛ فإذا كنا لا نستطيع نشرها في الصحف والمجلات أو في الإذاعة والتلفاز، فيمكننا نشرها عبر مواقع الإنترنت. وإذا كنا لا نستطيع نشرها عبر مواقع الإنترنت، فيمكننا إرسالها عبر البريد الإلكتروني أو غيره من الوسائل. وإذا لم تسنح لنا الفرصة لنشرها في أيٍّ من تلك الوسائل، فلا أقل من تدوينها ووضعها في مكان آمن إلى أن يهيئ الله- سبحانه وتعالى- لها الظرف المناسب لنشرها.

٢- التعرُّف على هوية المؤسسات الموجودة داخل القُطْر

أمر آخر شبيه بموضوع تحليل المراسيم والقرارات التي تصدر في البلاد هو التعرُّف على المؤسسات الموجودة داخل القُطْر الذي نعيش فيه، سواءً كانت مؤسسات سياسية أو اقتصادية أو ثقافية أو دينية أو علمية، وسواءً كانت قائمة أو يُراد إنشاؤها. إن علينا أن نحاول التعرُّف على طبيعة هذه المؤسسات، والأدوار التي تلعبها، والأشخاص القائمين عليها أو العاملين فيها، والهيئات والمؤسسات التي تتعامل معها، والمخرجات والإنتاجات التي تقوم بإخراجها أو إنتاجها.

علينا أن نستقصي واقع هذه المؤسسات من خلال دراسات نقوم بها، ومن خلال تحليل تلك الدراسات والنتائج والمعلومات التي نصل إليها، لأننا قد نكتشف نمطًا معينًا في عمل هذه المؤسسات أو في الأفراد القائمين عليها. مثلًا، قد نكتشف أن هناك أفرادًا ينتمون إلى توجه معين ويمتلكون نمطًا معينًا من المؤسسات، وليس بالضرورة أن يكون توجُّههم لا أخلاقي أو غير مرغوب فيه، فقد يكونون من الإسلاميين أو الإصلاحيين، أو من فئة المثقفين، وقد يكونون ممن لهم اهتمامات أدبية وعلمية، وقد يكونون من الذين لهم اهتمامات تطوعية وأعمال خيرية. بالمقابل، فقد يكون أصحاب هذه المؤسسات لهم توجُّهات لا نرضاها، كأن تكون لهم انتماءات إجرامية، أو يعملون لحساب جهات خارجية مشبوهة.

بالطبع، لا يمكننا الوصول إلى مثل هذه الاستنتاجات الخطيرة التي ستحكم علاقاتنا بتلك المؤسسات أو بأصحابها، فقط من خلال مشاهدة مباني تلك المؤسسات، وإنما علينا أن نراقب ما يجري داخل وخارج تلك المؤسسات؛ علينا أن نعرف نوعية المتردِّدين على تلك المؤسسات، والأوقات التي يذهبون ويأتون فيها. علينا كذلك أن نعرف ما يدور داخل هذه المؤسسات؛ كأن نتعرف على ميزانياتها وأرباحها والممولين لها. علينا أن نعرف أيضًا ما إذا كانت هناك جهات أخرى تدعم هذه المؤسسات، وعلينا أن نعرف ما إذا كانت المؤسسات الداعمة حكومية أو خاصة أو منظمات خارجية. كذلك، فعلينا أن نعرف ما إذا كانت قد صدرت قرارات حكومية بحق هذه المؤسسات، وعن علاقة المسؤولين في الحكومة بمثل هذه المؤسسات. وبعد أن نتوصل إلى نتائج مفيدة عن هذه المؤسسات نبحث عن إمكانية نشرها، بالوسائل والكيفية التي شرحتها آنفًا.

٣- التعرُّف على المؤسسات الخيرية والثقافية والعلمية

من أولى الواجبات التي على كل واحد منا القيام بها كعمل تطوعي هي التعرُّف على المؤسسات الخيرية والثقافية والعلمية التي تعنى بشؤون الناس داخل القُطْر وخارجه؛ فهناك نوادٍ ثقافية وعلمية وأدبية ومؤسسات خيرية، بعضها يعمل داخل القُطْر وبعضها لديه أنشطة خارج القُطْر. علينا أن نتعرف على مثل هذه المؤسسات، وأن نشارك في أنشطتها.

إنه لا يكفي فقط أن نعرف أن هناك مؤسسة خيرية تقوم بأعمال خيرية وكفى، وإنما علينا أن نشارك في هذه المؤسسات، أولًا بزيارتها والتعرف على ما تقوم به من أنشطة وخدمات، ثم بالتعرُّف على طبيعة تلك الأنشطة والخدمات، وما إذا كانت تقدم خدماتها وأنشطتها داخل البلاد أو خارجها. ثم علينا ثانيًا أن نسأل عن الدور الذي يمكننا المشاركة به. إن معظم هذه المؤسسات غير ربحية، ولذلك فعلينا أن نعينها بكل ما في وسعنا، سواءً كانت مؤسسات وطنية- بمعنى أنها قد انبثقت من البلاد التي نعيش فيها- أو أنها مؤسسات عالمية.

أيضًا، هناك من المؤسسات والمنظمات الخيرية التي لها أنشطة ومكاتب تمثيل في الكثير من أقطار المسلمين، وعلينا أن نتعرف عليها ونساهم في أنشطتها؛ فقد تكون مساهمتنا لها بالمال، وقد تكون مساهمات معنوية؛ كتشجيع الناس على المشاركة في أنشطتها، والمساعدة في نشر إعلانات ودعايات تُعرِّف الناس بها. كذلك، فإذا كانت هذه المؤسسات تُصدر نشرات أو مجلات أو كتبًا أو دراسات، فقد تكون مساعدتنا لها بشراء منتجاتها، وتشجيع غيرنا على شرائها.

٤- التعرُّف على الفعاليات الثقافية والعلمية والترفيهية

تقام يوميًّا في أقطار العالم المختلفة الكثير من الفعاليات الثقافية والعلمية والترفيهية، ويقوم على إعدادها ورعايتها أفراد أو مؤسسات، وتكون موجهة لعامة الناس أو لفئات معينة. وما علينا القيام به في هذا الجانب هو التعرُّف على طبيعة هذه الفعاليات وأهدافها والقائمين عليها. وعلينا أن ندرك أن محاولة التعرُّف على طبيعة هذه الفعاليات أمرٌ ضروري؛ فقد تقام فعاليات لأغراض تخريبية، كدعم تيارات وأفكار قد تضر بمجتمعنا وديننا وقيمنا ومبادئنا ولغتنا، وقد تضر بفئات معينة من الناس؛ كأن تستهدف فئة النساء أو الأطفال أو الكبار أو الصغار، وقد تكون سببًا في ظهور وتفشي أفكار

وسلوكيات لا تليق بمجتمعاتنا. وعلى ضوء تحليلاتنا واستنتاجاتنا، علينا أن نشجع النافع منها، ونقوم بتصحيح الأخطاء التي قد تكون موجودة في بعضها.

ومن الفعاليات التي علينا دعمها وتشجيع الناس على المشاركة فيها هي المحاضرات والندوات، حيث أنه- في الغالب- لا يحضرها إلا أفراد قلائل. وليس المجال هنا للحديث عن أسباب عزوف الناس عنها، فقد يكون السبب في المحاضر أو المنظمين، وقد يكون في الموضوع أو المكان أو الوقت، وقد يكون في أن الناس لا يعرفون عنها إلا بعد فوات الأوان.

لكن المهم هو أن نشارك في هذه الفعاليات متى ما أمكن ذلك. وفي بعض الأحيان قد لا نستطيع المشاركة فيها؛ إما لأنه لا يسمح بحضورها إلا بدعوة من الجهات المنظِّمة، وإما لما يتخللها من منكرات أو مخالفات شرعية. لكن علينا أن نستقصي واقع تلك الفعاليات بشتى الوسائل المتاحة لنا؛ إن أمكن بالحضور والمشاركة فيها فذاك أولى، وإن لم يتسنى ذلك فعلينا السؤال عنها والتعرف عليها من خلال ما ينشر عنها من نشراتٍ وتأليفاتٍ وتسجيلات وغير ذلك. وعلينا أيضًا التعرُّف على القائمين على هذه الفعاليات وتوجُّهات كلٍّ منهم.

وبعد أن ندرس تلك الفعاليات ونتعرَّف على القائمين عليها، يمكننا التعاون معهم على إنشاء مؤسسات تخصُّصية تولي تلك الفعاليات اهتمامًا أكبر يضمن لها بقاءها واستمراريتها. ويمكن حينئذ دعوة النُّخَب المتميِّزة في المجالات المختلفة للمشاركة في هذه المؤسسات، مما يعين على مضاعفة إنتاجاتهم وتسهيل نشرها وتعريف الناس بها عن طريق مواقع الإنترنت، أو من خلال المواد المطبوعة والسمعية والمرئية التي ستنتجها المؤسسة. أما الفعاليات التي نصل إلى قناعات بخطرها وضررها على ديننا ومجتمعنا وأمتنا فعلينا أن نقف في وجه القائمين عليها، والعمل على توعية الناس بخطرها وضررها، ومحاولة إيجاد البديل لها.

إنه لا يمكننا أن نتعرف على هذه الفرص والإمكانيات إلا من خلال المشاركة الفعلية في الفعاليات والأنشطة المختلفة، والتعرُّف على مَن يقومون بتنظيمها أو دعمها أو المشاركة فيها، والتعرُّف على المؤسسات الراعية لها، والمخرجات المتوقعة من إقامتها. علينا أن نقوم بمثل هذه التحريات والدراسات وإلا سنفاجأ بأنه تحدث تغيرات في مجتمعاتنا دون أن نعرف أسبابها أو آثارها.

٥- التعرُّف على ما يُعقَد من دورات تدريبية

كذلك فعلينا أن نتعرف على الدورات التدريبية التي تعقد من وقت لآخر، والمعاهد التدريبية والمؤسسات والشركات والهيئات التي تقدِّم تلك الدورات، وطبيعة تلك الدورات وما إذا كانت موجهة إلى فئات معينة من الناس، أو أنها ترمي إلى نشر فكر معين أو ثقافة معينة أو إعداد المجتمع ليسير في اتجاه سلوكي أو فكري معين. قد لا يكون النمط الذي تطرحه تلك الدورات واضحًا من خلال ما ينشر عنها في الصحف والإذاعات ومواقع الإنترنت فقط، ولذلك فعلينا التعرُّف عليها من خلال المشاركة فيها.

وقد يساعدنا حضور تلك الدورات على اكتشاف خبرات ومهارات مَن يحضرون تلك الدورات، سواءً كانوا مدرِّبين أو مشاركين، وعندئذٍ يمكننا الاستفادة منهم. مثلًا، إذا عرفنا أن هناك شخصًا ما يعطي دورات تدريبية في إحدى المؤسسات، ويقدِّمها كعمل مجاني وبدون مقابل، فعندئذٍ يمكننا مثلًا إنشاء مؤسسة خيرية وندعو مثل هذا الشخص لإقامة دورات يكون عائدها لصالح المؤسسة الخيرية.

٦- التعرُّف على السلوكيات غير المرغوبة ومحاولة تخليص المجتمع منها

تعج مجتمعات المسلمين، وللأسف، بالكثير من المظاهر السيئة، كالتدخين، والتحفيط، وإلقاء المخلفات، والعبث بالممتلكات العامة كالمنتزهات والحدائق، وعدم الاكتراث بالنظام سواءً في الشوارع أو عند مراجعة الدوائر الحكومية والخاصة للحصول على خدمات معينة. لكن هناك ما هو أدهى وأمَرّ.

إن كثيرًا من المصلحين والدعاة يشكَّوْن من الفساد الذي يرَوْنه ينتشر في أوساط المجتمع بشكل غير عادي ولا يدرون أسبابه ومروِّجيه. "وإذا كانت وزيرة الثقافة الدنماركيَّة اشتكت من هيمنة الثقافة الأمريكيَّة، وقالت: "**لم يعد يُحتَمل هذا الغزو**"، وإذا كان الرئيس الفرنسي السابق (فرانسو ميتيران) وقف يخطب في الجموع المحتشدة محذِّرًا من تفشِّي ظاهرة لبس الجينز بين الشباب الفرنسي لأنَّه مظهر

من مظاهر الغزو الأمريكي"[1] فإنَّا- كمسلمين- يلزمنا أن نحذر من ذلك، ونكون أشدّ إصرارًا على المحافظة على هويتنا وخصوصياتنا وقيمنا، وعدم التشبه والاقتداء بأعداء الإسلام.

"إن المشكلة الحقيقة التي يواجهها المجتمع العربي المسلم تكمن في قصور نظرته إلى معنى الانتماء، وفي انتشار بعض الأفكار والمظاهر المستوحاة من الغرب، والتي تحمل في ظاهرها معاني تختلف عنها في باطنها، لكنها تنتشر بسبب عدم التفكر العميق فيما تتضمنه"[2]. إنه لا يمكن لأي نمط من السلوكيات أو الأفكار أن ينتشر إلا إن وُجِد له مَن يُسوِّقه في شكل مرغوب ومحبَّب.

كذلك، فلا يمكن لأيِّ فئة من الناس أن تتبنى مثل هذه الأنماط إلا عن قناعة، والقناعات لا تكتسب إلا بترويج فكر معين يستطيع تغيير المفاهيم والقناعات السابقة التي قد تكون موجودة عند الناس إلى الأفكار والسلوكيات الجديدة التي يجري الترويج لها. وبعد أن توجد القناعات وتنعقد في أذهان الناس يمكن غرس أنماطٍ جديدة من التفكير، والتي من خلالها يتم اكتساب وممارسة السلوكيات الجديدة.

يقول مالك بن نبي: "إن تنظيم المجتمع وحياته وحركته، بل وفوضاه وخموده وركوده، كل هذه الأمور ذات علاقة وظيفية بنظام الأفكار المنتشرة في المجتمع؛ فإذا ما تغير هذا النظام بطريقة أو بأخرى فإن جميع الخصائص الاجتماعية الأخرى تتعدل في الاتجاه نفسه"[3].

إذًا، عندما نرى تطورات وتغيرات غير عفوية تحدث في المجتمع، فعلينا أن نعلم أنه ليس من المنطقي أن تحدث تغيرات في شريحة كبيرة من المجتمع فقط لمجرد أن تلك الشريحة من الناس اختارت فجأة بين يوم وليلة أن تصبح على نمط جديد من السلوك أو التفكير، وإنما علينا أن نعي أنه قد تكون هناك هيئات ومؤسسات وضعت برامج وبذلت جهودًا في إعداد وتطوير وتهيئة أولئك الناس دون أن يشعر الآخرون بذلك.

---

(1) "العولمة: مقاومة واستثمار": إبراهيم ناصر النَّاصر، ص ٢٧.

(2) "مستوى إدراك الشباب الجامعي الفلسطيني لمفهوم العولمة وعلاقته بالهوية الثقافية والانتماء": شريف علي حماد.

(3) "مشكلة الثقافة": مالك بن نبي، ص ١٣.

ما علينا القيام به في مثل هذه الأحوال هو تحري الأفكار والمبادئ والسلوكيات الجديدة التي تبزغ في المجتمع بين حين وآخر، وأن نحاول التعرُّف على مَن يقومون على نشرها والترويج لها. ولا يمكننا التعرُّف عليهم بمجرد تتبع أسمائهم من دليل الهاتف أو من وسائل أخرى، وإنما علينا أن نعايش ونراقب أولئك الأشخاص على أرض الواقع، لنتعرف على تصوراتهم وأفكارهم، والمبادئ التي يعتنقونها، والمؤسسات التي تدعمهم أو تلك التي ينتمون إليها، والأفكار التي يُروِّجون لها، والإنتاجات الأدبية، كالكتب والمقالات، التي يهتمون بنشرها. علينا أن نتعرف على كل هذا لنستطيع اكتشاف السلوكيات الجديدة التي لا نريد لها أن تنتشر وهي ما زالت في مهدها عندما يبدأ أصحابها بالإعداد والتخطيط لها، وبذلك نستطيع أن نئدها في مراحلها الأولى قبل أن ينتشر خبرها ويعم ضررها.

وعلينا أن لا تقف جهودنا عند هذا الحد وإنما علينا أن نسعى لوقف زحف تلك الأفكار والمبادئ والسلوكيات ومحاولة تبصير الناس بخطرها، ومحاربة القائمين عليها والمروِّجين لها بشتى الوسائل المتاحة لدينا. وعلينا أن ندرك أننا نعيش في زمن العولمة، وهذا يعني أن علينا أن لا ننخدع بأوضاعنا السياسية والاجتماعية ظانين استحالة أن تكون بيئة خصبة لأولئك المفسدين، وإنما علينا أن نعي أن هناك تيارات ومنظمات أجنبية تعمل جهدها لتدمير كياننا وهويتنا، وتستخدم لذلك أبناء جلدتنا ومَن يتكلمون بلغتنا، وهذا أمرٌ لا يصعب على من تمرسُّوا في الخداع والمكر. من أجل هذا، فيجب أن تكون تحليلاتنا عميقة بحيث تستطيع اكتشاف منابع البلاء، وأن تكون خططنا وبرامجنا على درجة من الرقي والفاعلية، على قدر عمق البلاء وتشعُّب جذوره.

٧- رصد تحركات الوافدين وأنشطتهم

نحن نعلم أن بلادنا الإسلامية- وخاصة دول الخليج العربي- تعاني من مشكلة العمالة الوافدة، حيث يعيش في مجتمعاتنا الملايين من هؤلاء الوافدين الذين جاءوا من بلدان شتى، وهم يحملون تصورات شتى، وعادات شتى، وأفكار شتى، ولديهم طموحات وأهداف- وربما مخططات- لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى.

وصحيح أن الكثير من هؤلاء ما أتوا إلى بلداننا إلا لكسب لقمة العيش، لكن علينا أن ندرك أيضًا أنه قد توجد شرائح مندسَّة في صفوف الوافدين قد أتت لمآرب وأغراض أخرى، سواءً كانت أغراضًا شخصية أو لتحقيق أهداف ومخططات ومآرب لجهات خارجية، وقد يكونوا ما جاؤوا إلا لنشر أفكار هدامة وتخريبية، أو لإنشاء مؤسسات ثقافية أو علمية أو صحية أو صناعية أو تجارية ذات أهداف تخريبية.

النـــاسُ في غفلـــةٍ عمـــا يُـــرادُ بهـــمْ كـــأنهم غـــنمٌ في حـــوشِ جـــزَّارِ

إن هؤلاء عادة ما يزاول أنماطًا مختلفة من الأنشطة، ويستخدمون أنواعًا شتى من الأساليب والوسائل لتحقيق وتنفيذ مآربهم في بلادنا. وللأسف الشديد، فإن الحكومات لا تقوم بما يكفي من الرقابة والتحري حول ما يقومون به. لذلك، فإن علينا، نحن المواطنون، أن ننشئ المؤسسات والجماعات والتنظيمات التي تقوم برصد تحركات الوافدين وأنشطتهم.

ومن خلال هذه المؤسسات والجماعات والتنظيمات قد نتمكن من اكتشاف مؤسسات محلية أو خارجية هدفها الترويج للدعارة أو الخمور في أوساط المجتمع، أو تقوم بنشر شيءٍ من المبادئ الهدامة، أو التقليل من شأن الدين في نفوس الناس، أو النَّيْل من الرموز الدينية أو الفكرية أو العلمية عندنا، أو نشر الولاء لجهات ومنظمات أجنبية، أو تمييع الشباب والفتيات وبث وسائل الانحراف بينهم، أو تخريب المؤسسات التعليمية من خلال تغيير مناهجها أو إفساد مُدرِّسيها وطلابها، أو تخريب المؤسسات الصحية والاجتماعية والعلمية والثقافية والتجارية، أو غير ذلك. وصدق الشاعر إذ يقول:

واللهِ لـــو كُـــشِفَ الغِطـــاءُ لهالَنـــا خُطَـــطٌ لمقتلنـــا مـــع الإمـــضاءِ

كذلك، فإن علينا أن ندرك بأن هؤلاء قد أتوا إلى بلادنا وهم يحملون معهم عاداتهم وطقوسهم، والكثير منهم قد بنوا لهم معابد وكنائس ومدارس ومحلات وشركات، وبعضٌ منهم قد أقاموا لهم تجمُّعات وربما تنظيمات. هذا يعني أن علينا أن نراقب هؤلاء الوافدين وأن نرصد تحركاتهم وأنشطتهم لنكون على يقين بأنه لا يوجد في المؤسسات التي يتولَّوْن شؤونها والمعابد والمدارس التي يَرْعَوْنها،

والشعائر والطقوس التي يمارسونها أية مخالفات شرعية، وليس فيها ما يمكن أن يكون مصادمًا لمبادئنا وأخلاقياتنا.

كذلك، فإنه قد لا يخلو بيت في كثيرٍ من الأقطار الإسلامية- وخاصة بيوت الخليجيين- وليس فيه عامل وافد، وقد تجد في البيت الواحد عدة أشخاص؛ فهناك الخادم والخادمة والسائق، وهناك مثلًا مَن هو مخصص لطهي الطعام فقط وآخر يتولَّى شؤون الأطفال فقط. الكثير من هؤلاء قد أتوا من دول إسلامية، وإن أحسنا الظن فيهم فلا بأس، لكن المؤسف له حقًّا أن مجموعة كبيرة جدًّا من هؤلاء الخدم هم من غير المسلمين، وهؤلاء خطرهم مضاعف.

أما بالنسبة للخدم المسلمين فإنهم- في الغالب- ما يكونون على درجة كبيرة من الجهل بحيث لا يدركون طبيعة عاداتنا وتقاليدنا ومبادئنا، مما يصعب عليهم التأقلم معها، ولذلك فما يحدث هو أننا نبدأ نحن في التأقلم معهم؛ نتأقلم معهم في الكلام ويغيِّر الواحد منا لغته ولهجته من أجل أن يفهمون هم ما نريد إيصاله إليهم.

وفي كثير من الأحيان يأتي هؤلاء- بسبب جهلهم وتدني ثقافتهم ومستواهم التعليمي- بأفكار ومبادئ وعادات تضرُّ أكثر من أن تنفع، ولكونهم يقومون على تربية الأجيال الناشئة فإن ضررهم يتضاعف، لأن الطفل ينشأ على تلك الأفكار والمبادئ والعادات وقد ينحرف بسببها فكريًّا وسلوكيًّا وأخلاقيًّا. ولكون غالب أهل البيت منشغلون في وظائفهم وأعمالهم ومدارسهم فلا يجد ذلك الخادم أو تلك الخادمة من يراقب تصرفاتهم والأقوال والأفعال والأفكار التي يقومون بغرسها في الأطفال، وبسبب ذلك ينشأ الطفل في ثوب المواطن، ولكنه بفكر وأخلاق وسلوكيات الوافد.

أما بالنسبة للوافدين من غير المسلمين فالطامة أعظم لأن هؤلاء قد أتوا إلى بلداننا إما لحاجة مادية أو لأغراض ومآرب أخرى، وكثير منهم ما أتوا إلا لنشر مبادئ وأخلاقيات وسلوكيات يريدون أن يزرعونها في مجتمعاتنا. وطبعًا، فإن أفضل وسط لتقبُّل تلك المبادئ والسلوكيات والأفكار هم الأطفال الذين لا يَدْرون ولا يُمَيِّزون بين ما هو جيد وما هو خبيث، وما هو نافع وما هو ضار.

وكما ذكرت، فقد لا يجد هؤلاء- أي الوافدون- في الأسرة مَن يستطيع اكتشاف مخططاتهم ووسائلهم في تنشئة الأطفال، وقد يتعدى ضررهم في تربية أطفال المسلمين إلى جوانب أخرى؛ فقد

يكونون سببًا في تدمير البيوت، بسبب احتكاك الخادمات مثلًا بالأولاد الكبار أو بالرجال الموجودين في البيت، مما قد ينتج عنه الوقوع في مخالفات شرعية، وربما أدى الأمر إلى ارتكاب محرمات، وقد يتحرَّش الخادم أيضًا بالزوجة أو بالبنات، مما يؤدي إلى الوقوع في المحظور.

ومن الأضرار الأخرى التي قد تنتج أيضًا عن عمل الخدم الوافدين في المنازل هي ما يترتب عن قيام بعضهم بإعداد وتقديم الأكل في البيوت، فقد تقوم الخادمة مثلًا بإضافة مواد في الأكل قد تؤدي إلى الإثارة الجنسية عند الرجال أو النساء، أو قد تؤدي إلى عكس ذلك من ضمورٍ أو تقليصٍ للغريزة الجنسية مما قد يؤدي إلى مشاكل عائلية أو ربما يفضي إلى الطلاق. أيضًا، قد يقوم هؤلاء الخدم بإضافة مواد قد تسبب تسمُّمات عند الأطفال والكبار، وقد يصعب في البداية اكتشاف هذه التسمُّمات مما قد يكون من الصعوبة اتهام الخادمة بذلك، إلا إن تكرر الأمر.

هذه بعض المخاطر التي تقع بسبب وجود الخدم الوافدين في البيوت ، وهناك مخاطر كثيرة غيرها. وما نحتاج القيام به هو تقصي الأحداث والوقائع الحقيقية التي تحدث بسبب هؤلاء الوافدين، واستخدامها في نشر الوعي، وفي شن حملات للتخلُّص- أو على الأقل- التقليل من وجود الخادمات الأجنبيات- وخاصة غير المسلمات- في البيوت.

إن علينا أن لا نحسن الظن بكل مَن حلَّ في أوطاننا واستقر بيننا، وإنما علينا التعرُّف عليهم عن قرب من خلال القيام بدراسات تهدف إلى التعرُّف على سلبيات وجودهم بيننا وسلبيات ما يحملونه من أفكار ومبادئ هدامة، وما يُشيِّدونه من معابد ومدارس ومعاهد وغير ذلك. إن علينا أن ندرك أن مجرد وجودهم بيننا له أثر سلبي على مجتمعاتنا، سواءً كان ذلك بسبب محاكاتنا لهم وتقليدنا إياهم في العادات والطقوس التي يقومون بها، أو ما يمكن أن يؤدي به وجودهم بيننا من خلخلةٍ في التركيبة الاجتماعية والأُسَرية، أو بسبب ما يُحدِثُه وجودهم بيننا من انتزاع لفرص التعليم والوظائف والإمكانيات المتعلقة بإنشاء محلات تجارية أو مؤسسات أو غير ذلك. علينا أن نتحرى كل ذلك وأن نعطي تلك الجوانب حقها من الدراسات، ومجال التطوُّع هنا واسع جدًّا أكثر من عدد المتطوعين ومن القدرات والإمكانيات التي عندهم.

٨- دراسة المطاعم والمقاهي والمحلات التجارية

من الأمور الأخرى التي ينبغي وضع دراسات حولها هي المطاعم والمقاهي والمحلات التجارية. مثل هذه المؤسسات منتشرة في كل مكان، حتى الأحياء الصغيرة، ومعظم الذين يعملون فيها- وخاصة في دول الخليج العربي- هم من الوافدين.

وليس من شك أن غالبية هذه المقاهي والمطاعم والمحلات التجارية تقدم الخدمات المتعارف عليها بين الناس من تقديم للوجبات بالنسبة للمطاعم والمقاهي أو بيع للمواد والمنتجات بالنسبة للمحلات التجارية. غير أن هناك من المقاهي والمطاعم والمحلات ما تقوم بأعمال وأنشطة أخرى غير الأعمال الظاهرية، كأن تكون أوكارًا للدعارة أو ملتقيات لتنظيمات سرية، وأصبحت الكثير من المحلات التجارية والمقاهي والمطاعم تحوي غرفًا وصالات خاصة لا يدخلها عامة الناس، وإنما يدخلها أشخاص مُعيَّنون وبترتيبات خاصة مع إدارة هذه الأماكن.

بالطبع، في هذه الغرف أو الصالات الخاصة تحدث المنكرات؛ حيث أن بعضها يُخصَّص لالتقاء الشاذِّين جنسيًّا، وبعضها يُخصَّص لارتكاب فاحشة الزنا، وبعضها يُخصَّص لشرب الخمر، وبعضها يُخصَّص لتدخين السجائر أو الشيشة أو ربما لتعاطي المخدرات. وفي بعض الأحيان، قد لا تكون هناك أماكن مخصصة لعمل مثل هذه الموبقات داخل المقاهي والمطاعم والمحلات، وإنما يقوم العاملون في هذه الأماكن بدور القوادين لزانيات وعاهرات يعشن في أماكن أخرى. ولا ننسى كذلك أن مثل هذه الأماكن كانت- وما زالت- سببًا في ترويج وإدخال منكرات على المجتمع، كما دخلت الشيشة في معظم البلدان بسبب جلب هؤلاء الوافدين لها وعرضها لزبائنهم في المطاعم والمقاهي أو بيعها في المحلات، وكذلك الحال بالنسبة للعادات الأخرى.

وما ينبغي القيام به هو محاولة التعرُّف على من يمتلك هذه المطاعم والمقاهي والمحلات، والأشخاص الذين يعملون بها أو يترددون عليها، والأعمال التي تمارس بداخلها، والأشياء التي تباع فيها، والوجبات التي تُقدَّم فيها، وأنواع اللحوم والمنتجات الأخرى التي تباع أو تطهى فيها.

إننا لو قمنا بمثل تلك التحريات لربما اكتشف أحدنا أن من اللحوم التي تباع أو تقدم في تلك الأماكن هي مما لا يحسن- بل لا يجوز لنا كمسلمين- أكله كلحم الخنزير أو لحم الكلاب وغيرها

من الحيوانات، كما تبين لبعض من يدققون في هذه الأماكن. وقد نكتشف أيضًا أنه يباع في بعض المحلات التجارية ما لا يجوز بيعه كالسجائر أو الخمور أو منتجات الخنزير، أو المواد التي يدخل فيها شيء من ذلك. إذاً، علينا أن نبادر بإجراء مثل هذه الدراسات وأن لا نحسن الظن بيافطات أو معروضات هذه الأماكن، فقد تُثبِت الدراسات لنا عكس ما نتصوَّر.

أسئلة وتمارين

- مَن هو- في نظرك- المعنِيِّ بما يجري داخل البلد من أحداث وفعاليات؟ ولماذا؟
- اذكر بعض إيجابيات تحليل المراسيم والقرارات التي تصدر في كل بلد.
- ما هي الآلية التي يمكن اتباعها في عملية تحليل المراسيم والقرارات؟
- حاول أن تتعرف على الكتب والنشرات الرسمية وغير الرسمية التي تُعنى بنشر المراسيم والقرارات الحكومية بكامل تفاصيلها. وكتدريب على ما ورد في هذا الفصل، قم بتجميع المراسيم والقرارات المتعلقة بظاهرة معينة، كالتعليم الأساسي، أو هيئة معينة أو فئة معينة من الشعب. شارك بعض زملائك ومَن تثقون في خبرته وإخلاصه من الأكاديميين والقانونيين وقوموا بتحليل ما تجمع لديكم من مراسيم وقرارات. حاولوا أن تلخصوا النتائج التي تتوصلون إليها، وشاركوا بها إخوانكم في المجتمع؛ إما بإصدارها على شكل كُتيِّب، أو بنشرها في أحد مواقع الإنترنت.
- اذكر بعض الفوائد التي يمكن الحصول عليها من خلال عمل دراسات حول المؤسسات الموجودة في كل قُطْر، والآلية التي يمكن اتباعها للقيام بتلك الدراسات.
- اختر إحدى المؤسسات العاملة في المحيط الذي تعيش فيه وقم بجمع أكبر قدر من المعلومات عن تلك المؤسسة. بعدها شارك بعض زملائك في تحليل المعلومات التي توصلت إليها.
- ما هو الدور الذي علينا القيام به تجاه المؤسسات الخيرية والثقافية والعلمية العاملة في بلادنا؟
- ما نوع الفعاليات التي تقام في البلد الذي تعيش فيه وكيف يمكنك التعرُّف على طبيعة كل منها؟
- اذكر نماذج لبعض الفعاليات الجيدة والمفيدة التي تقام في القُطْر الذي تعيش فيه ونماذج لبعض الفعاليات المشبوهة.
- وضح كيف يمكن الاستفادة من الدورات التدريبية في اكتشاف الكفاءات التي تحتاج إليها مؤسسات العمل التطوُّعي.
- ناقش الفرق بين ما يدعو إليه هذا الفصل من الوقوف في وجه الأفكار والمبادئ والسلوكيات المشبوهة وبين حرية الرأي والتعبير.

أسئلة وتمارين

- حاول التعرُّف على بعض الأفكار والمبادئ والسلوكيات المشبوهة التي ظهرت في المجتمع الذي تعيش فيه، وحاول أن تستقصي الأسباب التي أدت إلى ظهورها وانتشارها.
- اذكر بعض الأخطار التي يحملها الوافدون إلى بلاد المسلمين.
- ما الخطر من وجود وافدين يعملون في بيوت المسلمين؟
- كيف يستطيع المسلمون حماية أنفسهم من الأخطار المترتبة عن وجود الوافدين الأجانب بينهم؟
- ذكرنا في فصل سابق أن علينا حقوقًا نحو الوافدين إلى بلداننا، وخاصة المسلمين منهم. كيف توفق بين ما ذُكِر في ذلك الفصل وبين ما ورد في هذا الفصل من ضرورة رصد حركاتهم؟
- تعاون مع بعض زملائك على إعداد دراسة بأعداد الوافدين العاملين في المحيط الذي تعيشون فيه، وقوموا بتصنيف أولئك الوافدين حسب جنسياتهم وديانتهم ومستواهم التعليمي ونوع الأماكن التي يعملون بها والرواتب التي يتقاضونها. حاولوا تحليل البيانات التي قمتم بتجميعها، وحاولوا استنباط بعض النتائج والمخاطر التي تعرَّضنا إليها في هذا الفصل. بعد اكتمال الدراسة حاولوا نشر هذه الدراسة في إحدى الصحف أو المجلات أو مواقع الإنترنت. كذلك، استخدموا نتائج تلك الدراسة في توعية الناس- وخاصة مسؤولي الدولة منهم- بمخاطر وجود الوافدين في بيئتنا.
- شارك مع بعض زملائك للقيام بدراسة لبعض المطاعم والمقاهي والمحلات التجارية الموجودة في المحيط الذي تعيشون فيه. وبعد تحليل المعلومات التي قمتم بتجميعها، حاولوا التعرُّف على ما إذا كانت توجد في تلك الأماكن أو بين العاملين فيها أو القائمين عليها سلوكيات غير مرغوبة. ناقشوا مع ذوي البصيرة والرأي ما بوسعكم القيام به للحدِّ من بقاء أو انتشار تلك السلوكيات.

دراسة الظواهر المنتشرة في مجتمعنا

إن مجتمعات المسلمين قد أصبحت تعجُّ بالظواهر والأحداث المختلفة التي تقع فيها بين كل حين وآخر. ورغم أنها قد أصبحت سائدة ومنتشرة وواضحة لدى الجميع، إلا أنها لم تحظ بشيء من الدراسة والتحليل. لقد صار الناس يأخذون تلك الظواهر والأحداث على أنها جزء من الحياة المعاصرة التي عليهم التأقلم معها، ولا يقومون بدراسات حول ما إذا كانت لها آثار سلبية على المدى القريب أو البعيد. إن علينا أن لا ننخدع بوجود تلك الظواهر وكثرة حدوثها، ثم لا نقوم بأيِّ إجراء للتخلُّص منها أو- على الأقل- لتقليص آثارها.

١- دراسة حوادث السَّيْر

نحن نعلم مثلًا بأن حوادث السَّيْر قد أصبحت ظاهرة يومية مألوفة، فهل نُسلِّم لمن يقول بأنه ما دمنا بحاجة إلى سيارات فلا بُدَّ من وقوع حوادث سير؟ الكل يدرك بأن هذا منطق خاطئ، حيث أنه يمكن أن تكون لدينا شوارع وسيارات دون أن تكون هناك حوادث سير. فمثلًا، لو انتشرت مبادئ ومفاهيم القيادة السليمة بين الناس، وانتشرت عادة احترام قوانين السَّيْر بينهم وأحسَّ الناس بالمسؤولية تجاه الآخرين، فقد تَقِلُّ حوادث السَّيْر، رغم أنها قد لا تختفي بالكامل.

كذلك، فلو قمنا بدراسة تصرفات الناس أثناء قيادتهم لمركباتهم ودراسة طبيعة الشوارع الموجودة أو تلك التي يُراد إنشاؤها، وكذلك طبيعة المركبات المستخدمة، وبعدها قمنا بوضع تصاميم إبداعية للشوارع الجديدة، لكان بإمكاننا تلافي أو تقليص الكثير من حوادث السَّيْر، وكلنا يعلم مثلًا أن الشارع المزدوج تحدث فيه حوادث سَيْر أقل بكثير من الشارع الأحادي. كذلك، فإن علينا أن نقوم بدراسة المواصفات التي وضعت للسيارات والمركبات المستخدمة في بلادنا، وأن نتعرف على مدى ملائمة تلك المواصفات لبيئتنا، وما إذا كان بالإمكان وضع مواصفات أخرى للتقليل من حوادث السير الناجمة عنها، أو للتقليل من استهلاك تلك السيارات من الوقود، ومَنْ ثمَّ التقليل من مخاطرها البيئية المختلفة.

٢- دراسة الظواهر الطبيعية

تحدث في بلداننا العربية والإسلامية الكثير من الظواهر الطبيعية من جدب أو نزول للأمطار أو فيضانات أو موجات للبرد أو الحَرّ، ولكن غالبية بلدان المسلمين لا تعير مثل هذه الظواهر اهتمامًا بحثيًّا يُذكَر، وذلك على اعتبار أنها ظواهر طبيعية لا دخل للإنسان فيها.

لكن الحقيقة هي أنه قد يكون للإنسان دور مباشر أو غير مباشر في بروز وتكرار تلك الظواهر. مثلًا، الكل يعلم بأن ندرة المياه في منطقة الخليج خاصة ومنطقة الشرق الأوسط بشكل أعم هي بسبب ندرة الأمطار وبسبب كثرة استنزاف المياه الجوفية. لكن لم تحظ هذه الظاهرة بدراسات كافية، ولم تظهر مشاريع تُذكَر للحدِّ منها. كذلك، يقال بالنسبة لموجات البرد والحرِّ التي تتعرض لها مناطق المسلمين من وقت لآخر، فإنها نادرًا ما تحظى بدراسات علمية عن أسبابها وآثارها وسبل الحدِّ منها أو تقليل آثارها على مجتمعاتنا وشعوبنا.

٣- دراسة المحاصيل والآفات الزراعية

وعلينا كذلك أن نقوم بدراسة المحاصيل الزراعية والتعرُّف على الآفات الزراعية المنتشرة في بلادنا وسبل مكافحتها، وعلينا أيضًا أن نتعرَّف على المحاصيل الزراعية التي يجب تكثيرها والأخرى التي يجب التقليل منها، حيث أنه- في كثير من الأحيان- يقوم المزارعون بزراعة أنواع محدودة من المحاصيل، مما ينتج عنه تغريق الأسواق بعدد قليل من تلك المحاصيل، بينما يتم استيراد الباقي من الخارج.

لماذا لا يتم وضع دراسات حول احتياجات السوق من المحاصيل الزراعية المختلفة، وبعدها يتم القيام بعمل ندوات ودورات لتوعية المزارعين والمواطنين لتوجيههم نحو السُّبل الأفضل لزراعة الأنواع المختلفة من المحاصيل الزراعية وأيضًا السُّبل الأفضل لتجنب الآفات الزراعية، ومَن ثم زيادة الإنتاج؟ كذلك، فقد ذكرنا سابقًا أهمية القيام بدراسات حول إمكانية تلافي أو تخفيف الآثار الناتجة عن موجات البرد والصقيع التي قد تعُم بعض الأقطار العربية والإسلامية، وهذه الظواهر- بلا شك- لها دخل مباشر باهتمامات المزارعين واحتياجات السوق.

من هنا، فلا بُدَّ للمهتمين بالشؤون الطبيعية والبيئية أن يكون لهم دورٌ بارزٌ في تثقيف المزارعين، والمجتمع بشكل عام، حول الترابط بين الزراعة والبيئة، وضرورة دعم المجتمع لهذين الجانبين في المناحي المختلفة.

٤- دراسة التجارة المستترة

من الظواهر الأخرى المنتشرة في البلدان العربية ظاهرة التجارة المستترة، وهي القيام بجلب عمالة وافدة لتعمل في مهن وتجارات مختلفة مقابل أن يدفع الوافد مبلغًا زهيدًا جدًّا من المال لكفيله. وعلينا أن نلاحظ هنا أننا **نحن** مَنْ يجلب هؤلاء الوافدين إلى بلادنا، **ونحن** مَنْ يدفع للحكومة كفالات وضمانات مالية تتعلق بهم. أما مَن يقوم بالمهنة أو التجارة ومَن يديرها ومن يقوم بتمويلها فإنما هو الوافد؛ فالوافد ينشئ المحل التجاري، والوافد يقوم بملء ذلك المحل بالسلع والبضائع المختلفة ولا يتحمل المواطن شيئًا من ذلك. لكن ماذا يجني المواطن من وراء كل ذلك؟ بالطبع يتحمل الوافد جميع المصاريف، بما فيها مصاريف التأشيرات وإجراءات تخليص معاملة جلب ذلك الوافد، بالإضافة إلى قيمة التذاكر ومصاريف الإقامة والإعاشة وغيرها من المصاريف. أما ما يحصل عليه المواطن فإنه- في الغالب- مقدار رمزي من النقود يعطيه الوافد له شهريًّا.

إن المواطن الذي لا يبالي بالمنفعة العامة للبلاد ولا يهمه إلا مصلحته الشخصية فإنه لن يتردد في جلب وكفالة عشرات أو ربما مئات الوافدين ويحصل على مئات أو ربما آلاف الريالات في كل شهر، وبهذا تنمو ثروة هذا المواطن وأمثاله دون عناء يذكر. لكن إذا تساءلنا عن المستفيد الحقيقي من كل هذا، فإننا بلا شك سندرك أن المستفيد الأول والأخير هو الوافد؛ فالوافد يحصل على أموال تفوق ما يحصل عليه المواطن بمئات أو ربما آلاف المرات، فيبدأ الوافد في الغالب بمحل صغير ثم بعد ذلك تنمو تجارته ويكسب من وراء ذلك المحل الآلاف المؤلفة، ثم قد يتوسع ذلك المحل ليصبح مؤسسة كبيرة ضخمة، وقد يحتكر تجارة معينة في البلاد بسبب كبر حجم مؤسسته، وربما يصبح- بحكم اتساع مؤسسته- ممن لهم تأثير في صناعة القرار السياسي في البلاد، وممن يحسب له ألف حساب عندما يصدر أيُّ قرار سياسي.

كذلك، فإن خطورة هذه التجارة المستترة لا تكمن فقط في الضرر الاقتصادي الذي يحدث عندما يُغرِق هذا الوافد السوق بتجارته، وتنتشر محلاته في طول البلاد وعرضها، وإنما في الآثار الجانبية المترتبة عن ذلك من قبيل رفع نسبة البطالة بين الشباب بسبب عدم قدرتهم على فتح مثل تلك المحلات ومنافسة ذلك الوافد. أيضًا- فنظرًا لاحتكار هذا الوافد لتجارة معينة- فإنه يتحكم في الأسعار، فيستطيع رفع أسعار البضائع بلا ضوابط، مما يجعل المواطن هو المتضرِّر الأول والأخير من كل ذلك.

إن هؤلاء الوافدين يمتصون خيرات البلاد ويتحكَّمون في اقتصادها من عدة جوانب؛ سواءً فيما يحصلون عليه من أرباح في تجارتهم، أو من التلاعب في الأسعار التي يفرضونها لبضائعهم، أو بسبب الفرص التجارية والسياسية التي يستحوذون عليها ويحرمون المواطن من الحصول عليها. لذلك، فعلينا أن ندرك بجلاء خطورة التجارة المستترة، وعلينا أن نقوم بإعداد دراسات حول المضار المترتبة عنها، وأن نقوم بتوعية الناس بشكل عام والمسؤولين بشكل أخص بمخاطرها، والعمل مع الجهات الرسمية على سنِّ قوانين وتشريعات تحارب مثل هذه الأنماط الشاذة من التجارة.

أسئلة وتمارين

- كيف يمكن الحدِّ من حوادث السَّيْر التي تقع في بلداننا؟
- قم بإعداد دراسة عن أعداد حوادث السَّيْر التي تقع في بلدان المسلمين وصنِّفها حسب نوعها ومسبباتها والخسائر الناجمة عنها. حاول أن تكتشف أسبابًا غير ظاهرة لتلك الحوادث، كنوع الشوارع التي تقع فيها والسيارات المستخدمة أثناء وقوع الحوادث وأعمار ومستوى التعليم لمن كانوا سببًا في وقوعها. حاول نشر تلك الدراسة في إحدى الصحف أو المجلات أو مواقع الإنترنت.
- ما هي بعض الدراسات التي يمكننا القيام بها والمتعلقة بالظواهر الطبيعية والمحاصيل والآفات الزراعية؟
- اشرح المقصود بالتجارة المستترة.
- اذكر بعض الآثار الخطيرة المترتبة عن انتشار ظاهرة التجارة المستترة في بلدان المسلمين.
- ما هو دورك كمواطن للحدِّ من انتشار ظاهرة التجارة المستترة؟

- قم أنت وبعض زملائك بدراسة حول القوانين والضوابط المستخدمة في البلدان الإسلامية للحد من التجارة المستترة. قارن بين ما توصلتم إليه بالقوانين والضوابط المعمول بها في القُطر الذي تعيشون فيه. حاولوا نشر نتائج دراستكم في الصحف المحلية ومواقع الإنترنت. كذلك حاولوا الترتيب لإلقاء محاضرات وندوات لتوعية المجتمع حول خطورة هذه الظاهرة.

المبحث السادس:

الأعمال التطوعية التي يمكن القيام بها على مستوى العالم

الارتقاء بمستوى الأعمال والأنشطة التطوُّعية القُطْرية لتستهدف العالم بأسره

إن النجاحات الباهرة التي قد يحقُّقها المخلصون من أبناء هذه الأمة على مستوى أقطارهم قد تحتاج بعض الجهود الإضافية لترتقي إلى مستوى العالمية، سواءً كانت لخدمة الأقطار الإسلامية أو لتصبح ذات صبغة عالمية. إن هناك من الأفراد والمؤسسات التي تعمل داخل بعض الأقطار واشتهرت في بمستويات عالية من الجودة والجِدِّية والإنتاجية، لكن أصحابها لا يخطون الخطوة التالية وهي الخروج من حيِّز القُطْرية إلى آفاق العالمية. إنهم بتحجيم أنشطتهم لتخدم أقطارًا بعينها يشكلون نوعًا من الأنانية التي حثَّنا الإسلام على التخلُّص منها، فإخواننا في الأقطار الأخرى قد يكونون أكثر حاجة منا لتجاربنا وخبراتنا والأعمال التي نقوم بها.

كذلك، فعلينا أن نعي أن عدم السعي للعالمية هو مخالف لطبيعة رسالتنا الإسلامية التي تسمو بالفرد والمؤسسة لقيادة العالم. لهذا، فإن افتتاحنا لمنافذ جديدة لأنشطتنا خارج الأقطار التي نعيش فيها هو نوع من الدعوة لهذا الدين والدعاية له. وانتقالنا من حيِّز القُطْرية إلى العالمية قد لا يكلفنا كثير جهد أو مال؛ فقد تكون هناك في أقطار أخرى مؤسسات مشابهة لمؤسساتنا ولكنها عاجزة عن الوفاء بمتطلبات القُطْر الذي تعمل فيه، ولهذا فإن مدَّ يد التواصل معهم سيعطيهم الدافع والمدَد لمواصلة أعمالهم الخيرية.

إن الأعمال التطوُّعية التي تطرقنا إليها في المباحث السابقة قد تكون صالحة- بعد لمسات طفيفة عليها- لأن ترقى إلى مستوى العالمية. لذا، فإني لن أعيد ذكر تلك الأعمال هنا وإنما أترك للقارئ المجال بأن يسبح بفكره وخياله وإبداعاته لاختيار ما يراه مناسبًا وتحويره ليأخذ الصبغة العالمية.

لكني أود الإشارة إلى أن الانتقال إلى العالمية قد يحتاج إلى حكمة وبصيرة، وخاصة إذا علمنا أن هناك مئات أو ربما آلاف أو ملايين التجارب والخبرات الشبيهة التي قام بها غيرنا. لذا، فإننا بمحاولتنا الانتقال إلى مستوى العالمية فإنما نضع أنفسنا وأمتنا وديننا في المواجهة مع التيارات والثقافات والأفكار الأخرى التي قد ترحب بنا، أو قد تعمل ما في وسعها لعرقلتنا. من هنا، فعلينا أن نعي بعض الضوابط عند اتصالنا بالعالم الآخر وتعرُّضنا لفئاته المختلفة. من هذه الضوابط ما يلي:

أ- **الـدين المعاملـة**. إن علينـا أن نـدرك أننـا أصـحاب رسـالة وحملـة قِيَم، وأن علينـا أن لا تستفزنا المواقف لتناسي رسالتنا أو للتغاضي عن شيءٍ من قِيَمنا. إن علينا أن نتعامل مع الآخرين من واقع رسالتنا ومبادئ ديننا، رضي الآخرون بذلك أم لم يرضَوْا. مثلًا، علينا أن لا تحملنا رياح المنافسة لمحاولة إسقاط الطرف الآخر، وإنما علينا أن نعطي لكل ذي حقٍّ حقه وأن لا يجرمَنَّنا شَنَئَان قوم على أن لا نعدل. إن أخلاقياتنا وسلوكياتنا المنبثقة من تعاليم ديننا قد تكون السبب في فتح قلوب الناس لنا وترحيبهم بنا، ومَن يدري فقد تكون بداية للخير الذي سيجري على يد أولئك سواءً دخلوا في ديننا أم كانوا له أنصارًا.

ب- **التـزام الجـودة**. مـن المؤسـف لـه حقًّـا أن نكـون أمـة لا تعـي قيمـة الجـودة فـضلًا عـن ممارستها، بالرغم من أن ديننا يحثُّنا على إتقان الأمور في كل أعمالنا[1]. لذا، فإننا عندما نقوم بتغيير يافطات مؤسساتنا بإدخال كلمات العالمية عليها دون أن نغير من سلوكياتنا ووسائلنا فإننا- بلا شك- سنعرِّض أنفسنا- ومَن ثَمَّ أمتنا وديننا- للتساؤل وربما للهَجْر. نعم قد يشكك الآخرون في ادعائنا بأن ديننا يطالبنا بالتزام الجودة، وقد تهجر غالبية شرائح المجتمعات الأخرى خدماتنا وإنتاجاتنا ، وخاصة عندما يَرَوْن الفارق الكبير بين ما لدينا وما لدى غيرنا. إن الولوج إلى العالمية يتطلب منا فهمًا عميقًا شاملًا لمعاني الجودة، بحيث تكون نابعة من أصالتنا وديننا وأن تشمل كل منَاحي حياتنا. كذلك، فالفهم وحده لا يُغني، ولذا فلا بد من أن ترى مؤسساتنا وأنشطتنا تجسيدًا حيًّا لمفاهيم الجودة وقواعدها. والتزام الجودة قد لا يكون سببًا في الارتقاء فقط بالجانب التطوعي إلى مستوى العالمية وإنما بالجوانب الأخرى كذلك، وهذا ما يمكن أن يخطو بالأمة لتسير حثيثة في ركب العالمية والقيادة.

ج- **المؤمن كَيِّسٌ فطن**. إن انتقالنا إلى مستوى العالمية- حتى وإن كان بمباركة الآخرين لنا- قد لا يعطينا الضوء الأخضر في التصرُّف مع الآخرين أو في ديارهم كما يحلو لنا. وإنه قد يظهر لنا الآخرون في أثواب النُّسَّاك المبَجِّلين لأعمالنا وجهودنا، لكن هذا لا ينسينا أننا

(1) قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم-: ((إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلا أَنْ يُتْقِنَ))، رواه الطبراني وغيره، وصححه الألباني.

غرباء في ديارهم فكرًا وجنسًا؛ ولذا فإنهم قد يُخْفُون ضدَّنا ما لا يُبْدُوه لنا. هذا يجعلنا أن نتعامل مع الآخرين بحذر تام، ولكن دون أن يجرُّنا ذلك للبدء بالإساءة أو حتى بمفاقمة الأمور إن حدث ما لا يُرجى حدوثه. يقول سيدنا عمر بن الخطاب–رضي الله عنه: "أنا لست بالخِبِّ ولا الخِبُّ يخدعني". إن علينا أن نكون دومًا في موقف الاستعلاء، وذلك من خلال بقائنا على تأهُّبٍ لما يمكن أن يحدث، وأيضًا بالتصرُّفات والانفعالات التي يمكن أن تصدُر منا عندما نُجبَر على ذلك.

أسئلة وتمارين
▪ اذكر بعض المبررات التي سيقت في هذا الفصل للارتقاء بالأعمال التطوعية القُطْرية لتأخذ الصبغة العالمية. ▪ اذكر بعض الأمثلة التي توضح الضوابط التي سيقت في هذا الفصل والتي تحكم علاقتنا بالآخرين.

التفاعل مع الأحداث العالمية

إنّ علينا أن ندرك أننا نعيش ضمن مجتمع عالمي، وأن ما يجري في العالم من أحداث قد يكون سببًا لتغيُّرات نتأثر بها نحن، سواءً كانت تلك التغيرات مباشرة أو غير مباشرة. لذا، فعلينا أن ندرك أنه ليس من مصلحتنا أن نعيش منعزلين عمَّا يجري في العالم من أحداث، لأن تلك الأحداث- كما قلتُ- ستمسَّنا، سواءً كانت من قريب أو بعيد، هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى، فإن علينا كمسلمين أمانة عظيمة وواجبًا كبيرًا وهو أن نكون على اتصال دائم بما يحدث في العالم، وأن نقوم بمحاولة تغيير وتوجيه تلك الأحداث بما يتوافق ومبادئ ديننا وقيمنا وأخلاقياتنا، لأن من طبيعتنا- كمسلمين- ومن طبيعة رسالتنا- رسالة الإسلام- أن لا نكون فقط مستهلكين للأحداث وخاضعين لنتائجها، وإنما علينا أن نكون نحن صُنَّاع تلك الأحداث والموجهين لها.

إن علينا أن ندرك أن الأحداث التي تقع في هذا العالم لا ينبغي بالضرورة أن تسير وفق ما يريد لها أصحابها، وإنما علينا أن نتفاعل معها لنستطيع تغيير مُجرياتها. مثلًا، عندما تجري انتخابات في إحدى الدول الغربية أو الشرقية فإنما تجري لأن دستور تلك الدولة- في الغالب- قد نصَّ على أن تقام فيها انتخابات في كل عدة سنوات. هذا لا يمنعنا من أن نؤثر على مجرى تلك الانتخابات.

في تلك الانتخابات- مثلًا- قد يكون من المرشحين لرئاسة الدولة أو لشغل المناصب العليا فيها مَنْ لهم توجهات سياسية لا تتفق مع توجهات الأمة الإسلامية، أو قد يكون بعضهم أقرب لتوجهات أمتنا من غيرهم، وقد يكون بعضهم يدعو أو يتبنى انحرافات أخلاقية أو اجتماعية أو سياسية. وهنا ينبغي علينا أن نتعرف عن قرب عما يجري في داخل تلك الدولة، وأن لا نتصور أن الأحداث التي تحدث فيها إنما هي أحداث داخلية، وأنه ليس لنا علاقة بها. هذا قد يكون صحيحًا في أحوال معينة، ولكن في أحوال أخرى قد تكون الأحداث التي تحدث في تلك الدولة تمهيدًا أو سببًا لأحداث ربما نراها تحدث في بلادنا أو لأمتنا سواءً في القريب العاجل أو على المستوى البعيد.

لذا، يلزم علينا كأفراد- وعلى الأقل كمرحلة أولى- أن نعرف ما يجري في العالم من أحداث، وذلك من خلال متابعة تلك الأحداث في الصحف والمجلات والإنترنت ومحطات الإذاعة والتلفاز. ثم بعد

ذلك علينا أن لا نكتفي فقط بمعرفة الحدث المجرد، وإنما علينا- كخطوة ثانية- أن نعرف- أو نحاول أن نعرف- المغزى من وقوع تلك الأحداث.

مثلًا، إذا قامت إحدى الجماعات بانقلاب على الحكم في بلد ما فإن علينا أن نعرف الكثير عن ذلك الانقلاب؛ علينا أولًا أن نعرف ما إذا كان ذلك الانقلاب سيؤثر علينا إيجابًا أو سلبًا، فمثلًا علينا أن نعرف ما إذا كانت الجماعة التي تريد أن تستولي على الحكم هي جماعة فاسدة أخلاقيًّا، أو أنها جماعة متعصبة لجنس معين، وأنها تحمل كراهية للمسلمين وللأمة الإسلامية، أو قد تكون جماعة أفضل حالًا من الحكومة الحالية في تلك الدولة. أيضًا، علينا أن نعرف من يدعم تلك الجماعة؛ هل تدعمها دولة أخرى أم تدعمها منظمة موجودة داخل تلك الدولة أو خارجها؟ وهل من يدعم تلك الجماعة- أو حتى الدعم نفسه- يمكن أن يكون له أثر علينا كأفراد أو كأمة إسلامية؟

إن تحليل مثل تلك الأحداث قد لا يتأتى لفرد بعينه، وإنما قد يحتاج إلى إقامة مؤسسات- أو على الأقل إلى عمل جماعي- كأن يشترك عدة أشخاص مثلًا بالاهتمام بقضية معينة أو بدولة معينة أو بأخبار من نمط معين كالأخبار السياسية أو الاقتصادية أو الدينية أو غير ذلك.

كذلك، فعلينا- كخطوة ثالثة- أن لا نكتفي فقط بمعرفة ما وراء الأحداث، وإنما علينا أن نتفاعل مع تلك الأحداث. مثلًا، لو عرفنا أن الجماعة التي قامت بالانقلاب في دولة ما لها أهداف سياسية جيدة يمكن أن تخدم الأمة- على الأقل في وقتها الحاضر-، فما يمكننا القيام به عندئذ هو أن نقوم بالدعاية لتلك الجماعة ومحاولة تبصير الشعب في تلك الدولة بأن عليه أن يساند تلك الجماعة وأن لا يهتم بالشائعات التي في الغالب ما تُلبِسها الحكومات الحالية بكل مَن يحاول أن يخالف سياستها أو ينقلب عليها ووصمها بأنها جماعات ظالمة أو فاشلة أو خارجة عن القانون وغير ذلك.

أما الوسائل التي يمكننا استخدامها لتحقيق ما ذكرناه فهي عديدة وميسرة؛ كالكتابة في الصحف والمجلات التابعة لتلك الدولة، إن أمكن ذلك. وإن تعذر علينا الكتابة في الصحف فعلينا الكتابة في مواقع الإنترنت، كأن نذهب إلى المواقع الخاصَّة بتلك الدولة ونقوم بالمشاركة في الحوارات التي تجري فيها، وإن كانت تلك الدولة أجنبية لا نعرف لغتها فعلينا أن نبحث عن الأشخاص الذين يعرفون لغة تلك الدولة، وأن نوجههم للقيام بنشر مقالات نكتبها نحن ويقومون هم بترجمتها إلى لغة تلك

الدولة، ثم التحاور مع شعب تلك الدولة ومحاولة مناصرتهم، فهذا من واجبنا تجاههم، وهو حقٌّ قائم علينا لهم.

كذلك، فإن هناك أحداثًا كثيرة تجري بين الدول كشنٍّ للحروب أو اعتداءات أو اتفاقيات. فإذا علمنا بوقوع شيءٍ من ذلك، كقيام التكتلات الاقتصادية، مثل ما حدث في أوروبا أو في جنوب شرق آسيا، في هذه الأحوال علينا أن نعرف طبيعة تلك التكتلات ودورنا نحن- كمسلمين- في التعامل معها. علينا أن نعرف خلفيات تلك التكتلات وإيجابياتها وسلبياتها، ومن يقوم بدعمها ومناصرتها، والخطط المقترحة لها، والموقف الذي نتوقع منهم أن يقفوه حيال قضايانا، سواءً في القريب العاجل أو في المستقبل.

أيضًا، قد تقع أحداث ليست بالضرورة سياسية أو اقتصادية، وإنما قد تكون أحداثًا صحية، كأن يُكتَشَف مرض في دولة ما، وعندئذٍ علينا أن نعرف طبيعة ذلك المرض، والمعلومات المتوافرة عنه، وطبيعة المصابين به، وكيف يمكننا أن نجنِّب أبناء الأمة الإسلامية الإصابة به. ربما يؤدي بنا البحث عن طبيعة ذلك المرض إلى اكتشاف مصل جديد لمرض معين ينتشر عندنا في بلداننا. عندئذٍ، علينا أن نعرف كيفية الحصول على ذلك المصل، وكيفية إجراء عمليات للمرضى الذين عندنا، وكيف يمكن مساعدتهم للبرء منه. أيضًا، قد تقوم دولة معينة بعمل دراسة عن وضع التعليم في تلك الدولة، فعلينا- حينئذٍ- أن نستفيد من تلك الدراسة، ونتعرف على الجوانب التي تتطرق إليها، والكيفية التي يمكننا الاستفادة منها في بلادنا.

خلاصة القول، هي أننا- كأمة- بحاجة لأن نكون على تواصل مستمر مع الأحداث التي تجري في العالم، نأخذ منها العبر والعظات، ونأخذ من الدراسات التي تُجرى حيالها ما هو مفيد لنا، ونتحاشى ما يمكن أن يعود علينا وعلى أمتنا بالضرر. إنَّ شعورنا بأننا جزءٌ من كيان دولي، وأنَّ علينا نحوه واجبات كما نطالبه بحقوق، سيجعلنا على اتصال دائم بما يحدث في العالم، وبهذا نكون قد مَهَّدنا لأمتنا للاستفادة من تلك الأحداث. ومن أبرز وسائل متابعة أو معرفة ما يجري في العالم من أحداث هو متابعة ورصد وتحليل ما ينشر في وسائل الإعلام المختلفة، كما سنبينه في الفصل القادم بإذن الله.

أسئلة وتمارين

- اذكر بعض الأمثلة التي توضح أهمية التعرُّف على الأحداث العالمية والتفاعل معها.
- اذكر الخطوات العملية التي علينا القيام بها للتفاعل مع الأحداث العالمية.
- حاول مع بعض زملائك التركيز على إحدى القضايا الساخنة التي تثار في وسائل الإعلام، وقوموا بتجميع أكبر قدر من المعلومات عنها، ثم حاولوا تحليل تلك المعلومات والتعرُّف على حقائق عن تلك القضية قد تكون غائبة أو مُغيَّبة عن وسائل الإعلام.
- شارك بعض زملائك في إعداد دليل بالمنظمات والأحزاب السياسية الموجودة في دول العالم المختلفة. حاولوا أن تُضمِّنوا ذلك الدليل وسائل الاتصال بالشخصيات البارزة، وخاصة ذات التوجُّه الموالي- أو على الأقل المحايد- لقضايا المسلمين. قوموا بتصميم موقع على شبكة الإنترنت يحتوي على ذلك الدليل، ويوفر لمرتاديه خدمات أخرى، كمنتدى للحوارات، أو قائمة بالدراسات والنشرات المتعلقة بهذا الموضوع.

رصد وتحليل ما يُنشَر في وسائل الإعلام

أوضحنا في الفصل السابق- بما لا يدع مجالًا للشك- بأن معظم الأحداث التي تحدث في العالم- وإن كانت في منأى عنا بسبب بعدها المكاني- إلا أنها قد تمسنا نحن كأفراد وكأمة من قريب أو بعيد، ولذا فعلينا أن نتفاعل معها. بالإضافة إلى هذا فإن توجهات الأفراد والمؤسسات والمنظمات في الدول الأخرى قد يكون لها علاقة كبيرة بنا نحن المسلمين أو بأمتنا. إن علينا أن لا نكتفي فقط بمتابعة الأحداث وإنما علينا التعرُّف على ما يُنشَر في الدول الأخرى:

- علينا أن نتعرف على طبيعة الخطاب الموجَّه نحونا-كمسلمين- من قِبَل الأفراد والمؤسسات والمنظمات في الدول الأخرى، ونوعية ذلك الخطاب، وما إذا كان علينا التفاعل معه.
- علينا أن نعرف التكتلات الموجودة في البلدان الأخرى، وطبيعة الفكر الذي تحمله، وطبيعة الفكر الذي يتبناه الأفراد المعروفون في كل دولة.
- علينا أن نعرف العلماء المشهورين في الأبحاث الطبية، والتربويين المعروفين على مستوى العالم، وعلماء الاقتصاد الذين يمكن الاستفادة منهم إذا ألَمَّت بأمتنا ضائقة اقتصادية.

إن تعرفنا على مثل هذه الأمور قد يكون له إيجابيات ضخمة على واقعنا ومستقبلنا، سواءً تكلمنا عن أنفسنا كأفراد أو كأمة.

علينا أيضًا أن نتابع ما يُكتَب وما يقال في وسائل الإعلام المختلفة، حتى وإن كان الأمر لا يعنينا. مثلًا، إذا رأينا أن هناك كاتبًا يتبنى منهج العدل والمساواة ورفع الظلم في القضايا التي تتعلق بدولته أو القضايا التي تحدث في العالم، فعلينا أن نتعرف على هذا الشخص، وأن نكون على اتصال به، وأن ندعمه سواءً بنشر مقالاته أو بالدعم المعنوي.

مثلًا، عندما ينشر هذا الكاتب مقالًا معينًا فعلينا أن نقوم بإرسال رسالة شكر إليه، أو نتصل به هاتفيًّا إن أمكن، أو على الأقل أن نرسل إليه رسالة بالبريد الإلكتروني نشكره ونشجعه على مواصلة كتاباته. وبالمقابل، فإذا وجدنا كاتبًا يتبنى فكرًا منحرفًا، سواءً كان فكرًا سياسيًّا أو أخلاقيًّا أو

اقتصاديًّا، فعلينا أن نقوم بمهاجمة ذلك الشخص- إن صحَّ التعبير- أو على الأقل أن نقوم بتحسيسه بأن الفكر الذي يقوم بنشره هو فكرٌ معوج. ويمكننا القيام بذلك إما عن طريق الكتابة والمراسلة، أو باستخدام غيرها من وسائل الاتصال.

كذلك فإن علينا القيام بدعم الدراسات التي تقوم بها المنظمات والمؤسسات العلمية، وذلك إن تبين لنا أن ما تقوم به سيخدم الأمة الإسلامية، وليس بالضرورة من نواحٍ سياسية. وفي بعض الأحيان قد لا تكفي جهودنا –كأفراد- لإحراز تأثير على الطرف الآخر، وإنما نحتاج إلى دعمٍ من قِبَل زملائنا وإخواننا، وفي أحيان أخرى قد نحتاج إلى تهييج الرأي العام الإسلامي- أو ربما العالمي- لمناصرة كاتب معين أو منظمة معينة أو جماعة معينة في دولة ما.

أما عن الكيفية التي تعيننا على تهييج الرأي العام الإسلامي فإننا نلخصها كالتالي:

علينا أولًا جمع أكبر عدد من عناوين البريد الإلكتروني، مثل ما يقوم به اليهود في الولايات المتحدة وفي غيرها من الدول، حيث يقومون برصد كل ما يُكتَب وما يُنشَر عن اليهود أو إسرائيل أو عن العرب والفلسطينيين، ثم بعد ذلك يقومون بمناصرة وتأييد مَن هم موالين لهم ولدولتهم وبمهاجمة ومحاربة الطرف الآخر. ويقومون بذلك عن طريق المراسلة البريدية، فعندهم قوائم بريدية تشمل مئات الآلاف من المشتركين فيها، وعندما يريدون شنَّ حملة إعلامية على مؤسسة معينة أو شخص معين يقومون بإشعار الأشخاص المشتركين معهم في تلك القوائم البريدية، وفي بعض الأحيان يوفرون لمشتركيهم نماذج لرسائل ويطلبون منهم ملأها ببياناتهم الشخصية وإرسالها إلى المعنيين بالأمر. وتؤدي هذه الحملات الإعلامية نتائج إيجابية باهرة، حيث يقوم الشخص أو المؤسسة المستهدفة من الحملة- في الغالب- بالاعتذار، وذلك بنشر مقال يعتذر فيه عن المقال الذي سبق له نشره.

علينا نحن- كمسلمين- أن نقوم بأمور مشابهة لما يقوم به اليهود وغيرهم، فنقوم مثلًا بإعداد قوائم بريدية تتخصص في المجالات المختلفة، كأن نخصص مثلًا قائمة بريدية لدعم القضية الفلسطينية، وقائمة بريدية أخرى لمناصرة العراق، وقائمة بريدية ثالثة لمناصرة القضية الكشميرية، وقائمة بريدية رابعة لمناصرة أو متابعة ما يجري من أبحاث ودراسات عن مرض الإيدز، بالإضافة إلى قوائم أخرى غيرها.

وعندما نرى من الضروري توجيه الرأي العام لمناصرة قضية ما فما علينا إلا أن نرسل إلى المشتركين في القائمة التي تُعنى بتلك القضية ونشرح لهم وجهة نظرنا والخطوات التي نتصوَّرها ضرورية للتفاعل مع تلك القضية. وعلينا أن نكون واضحين في مخاطبتنا للمُسجَّلين في قوائمنا، بحيث لا نكتفي فقط بتزويدهم بالمعلومات عن تلك القضية وإنما نطلب منهم التفاعل معها، وتهييج الرأي العام في بلدانهم وتجمعاتهم لصالح القضية المعنية.

أسئلة وتمارين

- اذكر أمثلة لبعض الجوانب التي علينا التعرُّف عليها، والمتعلقة بما ينشر في وسائل الإعلام في الدول الأخرى.
- كيف يمكننا الانتقال من مجرد التعرُّف على ما يُكتَب أو يُنشَر في الدول الأخرى إلى التفاعل معه ومحاولة تسخيره لخدمة أهداف أمتنا؟
- ذُكر في هذا الفصل واحدة من الوسائل المقترحة لإثارة الرأي العام الإسلامي تجاه القضايا التي تهم المسلمين، وهي استخدام قوائم المراسلة. تحدَّث عن إيجابيات وسلبيات هذه الوسيلة، واذكر استخدامات أخرى لقوائم المراسلة في خدمة قضايا المسلمين.
- قم بإنشاء قائمة بعناوين البريد الإلكتروني لأهلك وزملائك. استخدم هذه القائمة أولًا في تبادل المقالات والمعلومات المفيدة. تدريجيًّا، ابدأ باستخدام القائمة لتوعية أهلك وزملائك بالقضايا والمواضيع التي تراها مهمة. اقترح على مَن هم في القائمة لتوسيع الدائرة لتشمل آخرين من معارف زملائك. عندما يزداد عدد المشاركين في القائمة يمكنكم استخدام خدمات الإنترنت المتوافرة لتسهيل إدارة مثل هذه القوائم، وأيضًا لتسهيل تبادل الرسائل بين المشتركين في القائمة.
- اذكر بعض الوسائل الأخرى التي يمكن استخدامها لتهييج الرأي العام الإسلامي والعالمي وقارن بين إيجابيات وسلبيات كل منها.
- أنتج الغرب العديد من الأفلام المسيئة إلى الإسلام وأمة الإسلام. شارك بعض زملائك في إجراء دراسة حول هذه الأفلام؛ بحيث تشمل نبذه عن كل فلم، والجوانب التي تتعرض فيها للإساءة إلى الإسلام والمسلمين، وموقف المسلمين من تلك الأفلام. بعد الانتهاء من الدراسة قوموا بنشرها في أحد مواقع الإنترنت لتعم الفائدة.
- اتفق مع بعض زملائك الذين يجيدون إحدى اللغات الأجنبية لمتابعة ما ينشر في واحدة أو أكثر

أسئلة وتمارين

من الصحف الأجنبية المشهورة الناطقة بتلك اللغة، ولمدة شهر كامل. وخلال هذا الشهر، قوموا برصد وتحليل أية مقالات تمسُّ الإسلام أو المسلمين. بعد انقضاء الشهر، قوموا بكتابة مقال حول النتائج التي توصلتم إليها، وقوموا بنشر المقال في إحدى الصحف المحلية أو مواقع الإنترنت.

- تطرق هذا الفصل لما ينشر في وسائل الإعلام الأجنبية فقط، مع أن بعض وسائل الإعلام العربية والإسلامية قد تكون أضرس حربًا وأشنع هجومًا على ما يتعلق بالإسلام والمسلمين. قم بدراسة للتعرف على بعض وسائل الإعلام في الدول الإسلامية التي تقوم بتشويه سمعة الإسلام والمسلمين، بقصد أو بدون قصد. ناقش مع بعض زملائك حول ما يمكن فعله للتصدي لما ينشر في وسائل الإعلام هذه.

دعم لجان الإغاثة والمؤسسات الخيرية

من الأمور الأخرى التي يمكننا القيام بها هي أن نكون على اتصال دائم بلجان الإغاثة والمؤسسات الخيرية الموجودة في الدول الأخرى، سواءً كانت لجانًا ومؤسسات إسلامية أو غير إسلامية. وقبل أن نقوم بالاتصال بأي لجنة أو مؤسسة خيرية، علينا أن نتحرى طبيعة عمل تلك اللجان والمؤسسات، حيث أن بعضها – رغم قيامها بدورها الإنساني– لها مخططات وأهدافًا أخرى، وقد تكون تلك المخططات والأهداف تسيء إلى الإسلام والمسلمين.

إن علينا أولًا أن نتعرَّف عن قرب على تلك المؤسسات ثم نتخير منها ما عُرِف بنزاهتها وجديتها وقيامها بمناصرة القضايا الإسلامية، حيث أن هناك من مؤسسات الإغاثة ما هي معروفة بدعمها لقضايا لا تتعلق بالمسلمين. لذا، علينا أن نتخير أولًا المؤسسات الإسلامية، وإن أردنا أن نوسع دائرة دعمنا، فعلينا أن نتخيَّر المؤسسات النزيهة التي عُرِف عنها دعمها لقضايا المسلمين، ثم بعد ذلك المؤسسات المحايدة، وهكذا.

ما هو دورنا في دعم هذه المؤسسات؟ بالطبع يمكننا القيام بأمور كثيرة؛ فمؤسسات الإغاثة تحتاج أولًا إلى الدعم المعنوي، وذلك عن طريق الدعاية والإعلان لها، وفتح مكاتب تمثيل لها في بلداننا، وتشجيع الناس على المشاركة في أنشطتها والاستفادة من الخدمات التي تقدمها.

كذلك، فعلينا القيام بدعمها ماديًّا، وذلك عن طريق جمع التبرعات لها، والتي قد تكون موادًّا عينية، كالبطانيات والخيام والأحذية والمواد الغذائية المعلبة التي يمكن لتلك المؤسسات أن تنقلها لبلدان أخرى، وقد تكون تبرعات مالية. علينا أن نقوم بجمع هذه التبرعات والمواد العينية ثم نوجِد طريقة لتوصيل تلك المواد والتبرعات إلى المؤسسة الخيرية أو لجنة الإغاثة.

يمكننا أيضًا المشاركة الفردية في تلك المؤسسات، حيث أن كثيرًا من مؤسسات الإغاثة لها فروع في كثيرٍ من الدول، وما يمكننا القيام به هو التعرُّف على مكاتب تلك اللجان أو المؤسسات، ثم الذهاب لزيارتها، ومَن ثَمَّ التعرُّف على المجالات التي يمكننا المساعدة بها. مثلًا، يمكننا العمل في

المكتب نفسه، أو يمكننا الذهاب مع فرق الإغاثة التابعة لتلك المؤسسات في فترات الإجازة السنوية مثلًا، والعمل على تقديم خدمات الإغاثة في البلدان الأخرى كالعراق أو كشمير أو أفغانستان.

أيضًا، فكثير من مؤسسات الإغاثة لها برامج تتيح للأفراد والمؤسسات المشاركة في الأعمال الخيرية كبرامج كفالة الأيتام، وإغاثة المنكوبين، وما يسمى بالحقائب المدرسية، وهو أن يقوم الشخص بدفع مبلغ من المال لتغطية نفقات أحد الطلاب في دولة ما كفلسطين أو أفغانستان، بحيث تقوم المؤسسة بشراء الحقيبة المدرسية لهذا الطالب مع مستلزمات الدراسة لشهر أو شهرين أو لسنة.

أما فيما يتعلق بكفالة الأيتام فإن الشخص يقوم بدفع مصاريف عدة أطفال أيتام لمدة معينة أو لحين أن يبلغ الطفل سِنًّا معينًّا، وتقوم المؤسسة الخيرية بتوصيل تلك الكفالة إلى أسرة الطفل كمبالغ نقدية أو مواد عينية، وأيضًا تقوم المؤسسة بمراسلة الشخص الكفيل وجعله على اطلاع بأحوال الأطفال الذين يقوم بكفالتهم.

هذه بعض الأمور التي من السهل على كل شخص القيام بها بشكل منفرد. كذلك، فهناك بعض الأعمال التي يمكن القيام بها على مستوى الأسرة وأيضًا على مستوى المجتمع؛ كإقامة معرض أو حفل عشاء خيري أو غير ذلك، بحيث يتم إرسال ما يمكن الحصول عليه من عائد تلك الفعاليات لخدمة المؤسسة الخيرية أو لجنة الإغاثة.

أسئلة وتمارين

- ما هي الضوابط التي علينا مراعاتها في اختيار مؤسسات ولجان الإغاثة التي نريد أن نتعامل معها؟
- اذكر نماذج لأوجه المساعدة التي يمكننا تقديمها لمؤسسات ولجان الإغاثة.
- ما هي البرامج التي يمكن المشاركة بها مع مؤسسات ولجان الإغاثة؟ اشرح كيف يمكنك تطبيق تلك البرامج في مجتمعك.
- ما هي الأنشطة والفعاليات الأخرى التي يمكنك القيام بها على مستوى الأسرة أو المجتمع، والتي من شأنها أن تعين مؤسسات ولجان الإغاثة على تسيير أمورها؟

أسئلة وتمارين

- قم بإعداد دراسة حول لجان ومؤسسات الإغاثة المنتشرة في القُطْر الذي تعيش فيه وحاول التعرُّف على طبيعة هذه المؤسسات واللجان والأنشطة التي تقوم بها وأوجه العَوْن التي يمكنك تقديمها إليها.

الدعوة إلى الله

أمرٌ آخر يمكننا القيام به على مستوى العالم وهو الدعوة إلى الله. بالطبع، الدعوة إلى الله لها شِقَّيْن: دعوة المسلمين إلى التمسك بدينهم وتطبيقه في واقعهم، ودعوة غير المسلمين لتعريفهم بالإسلام، وقد يكون لدى كل واحد منا معرفة- ولو كانت بسيطة- بطرق ووسائل وأهداف دعوة المسلمين، لكن قد يجهل الكثير منا كيفية دعوة غير المسلمين.

١- دعوة المسلمين

"إن في أنحاء العالم كله جماهيرَ تتحرق لتعرف كيف تدعو إلى الله تعالى، وكيف تنشئ مؤسسات إعلامية إسلامية، وكيف تنشئ أو تساهم في إنشاء أعمال اقتصادية قائمة على مبادئ الإسلام، وهي متعطشة للمعرفة والثقافة الإسلامية الصحيحة النافعة، وهلمَّ جراً، فكم إذًا يكون من المفيد أن تقدم لها البرامج التدريبية النافعة التي تساهم في تعميق الحس الإسلامي لديها، ومن ثم تحويله إلى قوة متمثلة في مؤسسات متعددة الأغراض تسهم في إنشاء المجتمع الإسلامي الصحيح؟"[١]

"وإذا نظرنا اليوم إلى تعطش الجمهور لما يعرض في القنوات الفضائية من بعض البرامج الناجحة، قرآنية كانت أو فكرية أو ثقافية، إذا نظرنا إلى هذا الأمر علمنا الحاجة الماسة إلى إلقاء برامج على الجمهور هي أمسُّ بحاجتهم وأقرب إلى واقعهم وآمالهم"[٢].

ويقترح د. محمد موسى الشريف إنشاء مؤسسات تُعنى بالتدريب الدعوي، "ويمكن إنشاؤها في الجامعات، ومراكز الدعوة، وهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ووزارة الشؤون الإسلامية، والمراكز التعاونية، ومراكز دعوة الجاليات، الخ ...

حيث يتولى التدريب في تلك المؤسسات علماء كبار جمعوا إلى جانب العلم الحنكة والتجربة الطويلة، فيقدمون عصارة جهدهم وخبرتهم الطويلة إلى الأجيال الجديدة.

---

(1) " التدريب وأهميته في العمل الإسلامي": محمد موسى الشريف، ص ٥٨.

(2) المصدر السابق، ص ٥٩.

وينبغي إلزام مَن يريد التصدي للدعوة- كُلٌّ في مجاله- بحضور دورات في تلك المؤسسات حتى تصقل مواهبه، وينضبط عند التلقي المقرون بالتدريب والتجربة، فيخرج إلى المجتمع وقد نضج، وارتقى العلم النظري الذي حازه إلى سُدة العمل التطبيقي الذي هو- في الحقيقة- ثمرة العلم"[1].

٢- دعوة غير المسلمين

إننا نعيش في كيان هذا العالم، ويجب علينا أن نكون على اتصال دائم بأفراده ومؤسساته، وعلى اتصال بما يجري فيه من أحداث، وكلنا يعي أن الأحداث التي تجري في دولٍ غير إسلامية أو تلك التي يقوم بها مسلمون أو غير مسلمين هي أحداث ناتجة عن تصورات أولئك الأفراد عن حياتهم هم، أو عن حياتنا نحن. لذلك، يمكننا تغيير ما يجري في العالم من أحداث عن طريق تغيير قناعات أولئك الأفراد وتلك المؤسسات، وهذا ما نعنيه بالدعوة.

قد يكون الهدف الأساس من دعوة غير المسلمين هو إقناع أولئك الناس للدخول في دين الله، ولكنه حتى وإن لم يتحقق لنا ذلك فإننا قد نكسب شيئًا آخر وهو أن يتحوَّل هؤلاء الناس من تصوراتهم ومعتقداتهم وتعاملاتهم المعادية للمسلمين ليكونوا محايدين- أو ربما مناصرين- لنا. مثلًا، قد لا ننجح في إقناع شخص غير مسلم في ترك دينه والدخول في الإسلام، لكن يمكننا تغيير فكره وجعله يناصر قضايا المسلمين. وعندما يكون ذلك الشخص يشغل أحد المراكز الحساسة المرموقة في الدولة التي يعيش فيها، فتكون مناصرته لقضايانا نصرًا عظيمًا للمسلمين.

أما عن وسائل دعوة غير المسلمين، فكلنا يعلم بأن الإنترنت قد أصبحت من أفضل الوسائل في جانب الدعوة إلى الله، ولكن هناك وسائل أخرى عديدة، كالقنوات الفضائية الإسلامية والثقافية الجادة، وقنوات الإذاعة المسموعة. لكن الإنترنت تميزت عن الوسائل الأخرى بأنها أصبحت في متناول معظم الناس، ووفرت لهم من وسائل التواصل والتعبير ما قد يكون مفقودًا في الوسائل الأخرى.

لذا، فإن ما علينا القيام به هو التعرُّف على وسائل الدعوة التي يمكننا استخدامها من خلال الإنترنت، والتي قد تكون من أبرزها المشاركة في مواقع الحوارات ومواقع الدردشة، التي يرتادها غير

(1) المصدر السابق، ص ٤١-٤٢.

المسلمين، وخاصة تلك التي تعنى بقضايا الدين أو القضايا السياسية. علينا أولًا الدخول إلى تلك المواقع والتعرف على طبيعة مَن يكتب فيها؛ هل هم كُتَّاب معروفون أم أنهم أفراد يأتي كل واحد منهم ويكتب كلمة ثم يذهب؟ وهل هم في موضع المسؤولية أم أن أسلوبهم وفكرهم ليس له أثر؟ علينا أولًا أن نقوم بتقييم الأسلوب والفكر الذي يحمله من يكتبون في تلك المواقع، ثم علينا بعد ذلك أن نبدأ الكتابة بأسلوب حسنٍ لبقٍ جذاب لا يُنفِّر.

لا أدخل هنا في تفاصيل دعوة غير المسلمين، حيث يمكن الحصول على تلك التفاصيل من الكتب والأشرطة أو من مواقع الإنترنت أو من سؤال المتخصصين في هذا المجال. لكن علينا أن نكون على دراية ببعض الأمور عندما نحاول المشاركة في تلك المواقع. أولًا، علينا أن ندرك بأن مجرد دخولنا في واحدٍ من تلك المواقع يحتم علينا الالتزام بالقواعد والأنظمة والضوابط التي وضعها أصحاب تلك المواقع لمرتاديها، وهذا يعني أن علينا أن لا نسيء إلى أصحاب تلك المواقع ولا إلى من يرتاد مواقعهم. يقول الشاعر:

إِنَّـا لَقَـوْمٌ أَبَـتْ أَخْلاقُنَـا شَـرَفًا أَنْ نَبْتَـدِي بِـالأَذَى مَـنْ لَـيْسَ يُؤْذِينَـا

كذلك، فعلينا أن نلاحظ طبيعة كل موقع، فإذا كان الموقع مثلًا يتكلم عن القضايا الدينية ويريد من زواره أن يُبدوا فقط آراءهم دون أن يقوموا بمهاجمة الآخرين أو بمحاولة نشر الأعمال أو الجرائم التي يقوم بها الآخرون ضد المسلمين، فعلينا أن نحترم تلك الضوابط. أيضًا، علينا أن نحترم آراء الآخرين، وأن نعلم أن محاولتنا لتغيير فكر شخص ما لا يعني بالضرورة أن نقوم بنقد أو محاربة الشخص نفسه.

ما ينبغي علينا القيام به هو أن نحترم الشخص ونحترم فكره ونقدر له ما يقوم به وإن كان فكرًا منحرفًا، ثم بعد ذلك علينا أن نقوم بتصحيح ذلك الفكر تدريجيًّا. أما إذا قمنا بمحاربة ذلك الشخص أو بمحاربة فكره من أول وهلة، فقد يسبب ذلك نفورًا من الشخص أو من مرتادي الموقع، وربما تكون له آثار سلبية على المسلمين الآخرين الذين يترددون على ذلك الموقع.

وأمرٌ آخر له من الأهمية بمكان؛ وهو أن نعي الصورة المنطبعة في أذهان الآخرين عنا- كمسلمين- وعن دولنا وشعوبنا، فمعظم الغربيين- وأعتقد بأن الأمر ينطبق تمامًا أيضًا على الشرقيين- لعدم

اكتراثهم بنا وبأحوالنا قد وقعوا "فريسة سهلة في شباك رغبات كُتَّاب وصُنَّاع الروايات والأفلام ووسائل الإعلام، التي رسمت صورة قاتمة للشرق عامة، فالشرقي ذو نزوات مفاجئة غير مألوفة، كما أنه أسير الغضب الأعمى، فظ غليظ قاسٍ، وهو قبل ذلك سادر في الملذات، أسير الشهوات، معربد بين القيان والحسان والألحان والكؤوس والندمان"[1].

أما عالمنا الإسلامي فهو "موطن السحر والخرافات والأوهام، وظلام المعابد، وتعاويذ الكُهَّان. وهو موطن النسل الوفير والكوارث الطبيعية من الفيضانات والزلازل التي تحصد الألوف. وهو لا يعرف حرية الأفراد، بل الظلم والجَوْر وأكل الحقوق. والبلدان الشرقية التي أحرزت بعض التقدم التقني، أحرزته بأموال الغرب ومنهجية الغرب وتقنية الغرب"[2].

وإذا كانت هذه هي الصورة المرتسمة في أذهان معظم غير المسلمين عنا وعن بلداننا، لذا فإن علينا أن نكون على دراية بالأساليب النافعة لمخاطبة الفئة التي نريد التأثير عليها. مثلًا، ما يصلح لمخاطبة الأمريكان قد لا يصلح لمخاطبة اليابانيين، وما يصلح لمخاطبة طلاب الجامعة في دولة ما قد لا يصلح لمخاطبة المفكرين في تلك الدولة. ومن هنا، فعلينا أن نتعرف على طبيعة مَن نخاطب والمركز الذي يشغله ذلك الشخص.

إن علينا أن نعي بأن دعوة غير المسلمين لها طبيعة خاصة؛ فكل مجتمع من المجتمعات الغربية أو الشرقية له من الخصوصيات ما يحتم علينا مخاطبته بأسلوب يتناسب وتلك الخصوصيات. مثلًا، عندما نتخاطب مع تلك الشعوب فعلينا أن ننتقي العبارات التي لا يمكن أن تُفهَم عندهم على أنها عبارات بذيئة أو عبارات تثير التهكم والسخرية.

كذلك، فعلينا أن نعي بعض القضايا التي يثيرها الآخرون حول ديننا ونعرف كيفية التحاور مع الآخرين حول تلك القضايا، وعلينا أن لا نركز على الجوانب التي تجعلنا دومًا في موقف الدفاع عن الإسلام وكأنه متهم ونحاول تبرير لماذا يأمر الإسلام بكذا أو ينهى عن كذا، بل الأفضل هو أن نظهر الوجه المشرق للإسلام، وذلك من خلال إيضاح الدور الذي قام به الإسلام والمسلمون في خدمة العالم، وفي خدمة الحضارة الإنسانية.

---

(1) " عصرنا والعيش في الزمان الصعب": عبد الكريم بكار، ص ١٥.

(2) المصدر سابق، ص ١٥.

وعلينا أيضًا أن نعرف تفاصيل بعض القضايا التي تثار من قِبَل غير المسلمين، فقد نتعرض لبعض الأسئلة المحرجة من خلال محاوراتنا مع غير المسلمين، والآخرون سينظرون إلينا بعين الاحتقار إذا لم نستطع الإجابة عليها، وخاصة أننا في نظرهم نمثل الإسلام.

محصلة القول هي أن علينا أن نعرف طبيعة من نخاطب وعلينا أن ندرك أننا رسلٌ للإسلام وللأمة الإسلامية، ولذلك فعلينا أن نُحسِن تمثيل ديننا وتمثيل أمتنا بما نقوله وبما نكتبه وبما نرسمه لغير المسلم من صورة عن الإسلام والمسلمين.

أسئلة وتمارين

- يمكن تقسيم الدعوة إلى الله إلى شطرين رئيسيين. تكلَّم عن خصائص وغايات كلٍّ منهما.
- اذكر بعض الضوابط التي سيقت في هذا الفصل للمشاركة في مواقع الحوارات التي يرتادها غير المسلمين.
- قم بدراسة مواقع الإنترنت التي يمكن المشاركة فيها لدعوة غير المسلمين وصنِّفها بحسب طبيعة مرتاديها (عامة الناس، متدينين، مفكرين، أدباء، ....)، ووسائل المشاركة فيها (حوارات، مقالات، مراسلات، بحوث). تعرَّف على بعض الشخصيات المهمة التي تشارك في تلك المواقع، وذلك من خلال أسماء المشاركين أو الأسلوب الذي يستخدمه المشارك في الكتابة أو في القيمة العلمية للمشاركات. حاول انتقاء بعض المواقع وقم بالاتصال ببعض الكُتَّاب المعروفين في القُطْر الذي تعيش فيه وحاول إقناعهم بالمشاركة في تلك المواقع، واعلم أنه قد يكون عليك ترجمة بعض المشاركات الموجودة في تلك المواقع للكُتَّاب الذين اتفقتَ معهم، وأيضًا ترجمة ما يكتبه هؤلاء الكُتَّاب قبل نشره في تلك المواقع.

الاهتمام بقضايا المسلمين المعاصرة

نقطة أخرى أريد أن أذكرها في قائمة الأعمال التطوعية التي يمكننا القيام بها وهي أن نقوم بإعداد دراسات وبحوث عن القضايا التي لها علاقة بالمسلمين. إن المسلم الواعي والداعية الناجح لا يكتفي بأن يكون صالحًا في نفسه، بل عليه أيضًا أن يكون مصلحًا لغيره. ومن الواجبات التي على كل واحد منا الاهتمام بها ما يلي[1]:

- تبصير الأمَّة بالحقوق والواجبات، وتسليحها بالعلم والمعرفة، ونشر الثقافة الإسلاميَّة بين المسلمين، والدعوة إليها، وتوعيتهم بما يجهلونه منها؛ فإنَّ أمَّة تعيش على الاهتراء الثقافي، والنسيان أو التناسي لعلمها وقِيَمها فضلًا عن التنكر لذلك، مصيرها محتوم بالفشل وتكون بذلك قد حجزت لنفسها مقعدًا بين الأمم المتخلفة وابتعدت عمَّا من شأنه أن يرقى بفكرها وثقافتها.
- أن يكون لنا وقعٌ وأثر فعَّال في إدارة الأزمة التي تمرَّ بها الأمَّة الإسلاميَّة، وعلينا أن نستشعر وجودنا في مجتمع الأزمة، ونحاول قدر المستطاع، أن نبذل قصارى جهدنا لبث الروح الفعَّالة؛ روح الأمل والعمل في قلوب الأمَّة، ورفع المعنويات للجماهير المسلمة، التي أصيب بعضها بروح اليأس والقنوط.
- الوقوف بجانب الحق، ومقاومة الظلم، ومصاولة الباطل. فعلينا أن نكون فاعلين في نصرة الحق، والمجاهرة بقوله، ولو على حساب أنفسنا. ومن العجب أن يكون أصحاب الباطل جريئين في قول باطلهم، وأهل الحق ضعفاء بالجهر بحقِّهم. فعلى كل واحد منا أن يحترم ذاته وعلمه، ولا يسمح بأن يكون أداة مؤجرة مهما كان الثمن.
- مناصرة ثقافة المقاومة، والمجاهرة بأهميَّة مواجهة المحتل الذي يضرب بأطنابه يومًا بعد يوم في ديار الإسلام، وفضح مخطَّطاتهم، وتبيين سبيلهم الإجرامي، ومكافحة كيدهم، والمجاهدة له جهادًا كبيرا، ﴿ فَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾[2].

---

(1) "دور المثقف.. جهود لا ركود": خباب الحمد، مع بعض التصرُّف.

(2) الآية ٥٢ من سورة الفرقان.

إن قضايا المسلمين في العصر الحاضر قد أصبحت من الكثرة بحيث يصعب حصرها؛ فهناك قضايا سياسية وأخرى اجتماعية وثالثة ثقافية ورابعة صحية، الخ. وما علينا القيام به هو أن نهتم بتلك القضايا، ونقوم بإجراء دراسات حولها، ونعمل جادين على توعية الناس بها من خلال ما نقوم به من دراسات وبحوث ومحاضرات وندوات.

مثلًا، في الجانب السياسي فقليلٌ من الناس من يعرف ما يجري في كشمير، وما هي طبيعة قضية كشمير. معظم ما نسمعه عنها هو أن الكشميريين اعتدوا على الجيش الهندي أو قاموا بقتل كذا أو أن الجيش الهندي قام بقتل كذا من الكشميريين، ولا نعرف مَن هم هؤلاء الكشميريون؟ ولماذا يحاربون الجيش الهندي؟ ولماذا الجيش الهندي هناك؟ وهل كشمير تابعة للهند أم ماذا؟

علينا كذلك أن ندرك أن غيرنا يستفيدون من ماضيهم، ولذلك فهم يعتبرون الأحداث التي مر بها العالم في الماضي نبراسًا ومدرسة لهم؛ يستفيدون منها في التخطيط لحاضرهم ومستقبلهم. لذا، فعلينا أن نقوم بمثل ما يقومون به من دراسات ومراجعات لما جرى في الماضي، فمَن يدري فقد نفاجأ يومًا بأحداث شبيهة بتلك التي وقعت في الماضي، وعندئذ نكون على بصيرة بأبعادها ووسائل توجيهها لتكون في صالحنا.

أيضًا، فهناك قضايا أخرى كثيرة غير سياسية، وعلينا أن لا نقف مكتوفي الأيدي حيالها، ونكتفي بمشاهدة غيرنا وهم يوجهونها لخدمة مصالحهم ومخططاتهم. كم من قضايا التعليم والثقافة والفكر والصحة والاجتماع والاقتصاد، وغيرها، التي ما سمعنا عنها إلا بعد أن شاهدنا الشرق والغرب يُجري تجاربه لتطبيقها علينا. إن هذا لا ينبغي لأمة أرادها الله أن يكون لها زمام القيادة بين الأمم.

لقد مرت أمتنا بفترات طويلة من التخلف عن ركب الحضارة، ولكن حان الوقت لها أن تتصدر أمم الأرض، لا تبجُّحًا وعجرفة، ولكن بما تقدمه للحضارة من إنتاجات متميزة في شتى فنون الحضارة.

إن من حسن حظنا وحظ أمتنا أننا نعيش في عالم أصبح على درجة من التقارب والشفافية؛ بحيث لا نحتاج إلى كبير عناء لمعرفة ما يجري بعيدًا عنا. كل ما علينا القيام به هو أن نبادر للعمل والعطاء، وسنجد أن كل ما استودعه الله في هذا الكون هو بين أيدينا وتحت تصرفنا، كما وعدنا الله- سبحانه- بذلك في محكم كتابه: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي

الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[1].

كذلك، فهناك مخططات تجري في العالم لنشر فكر معين، أو للهيمنة على جانب معين من جوانب حياة الأمة، أو لتغيير نهج الناس وتصوراتهم ومواقفهم تجاه قضية معينة. علينا أن نعرف وأن نستقصي تلك المخططات وأبعادها، وأن نقوم بتوعية المسلمين حيالها. إنه لا يكفي لنا نحن المسلمين أن نعيش منغلقين على أنفسنا، بل علينا أن نتفاعل مع ما يجري في العالم، سواءً كان ذا علاقة مباشرة بنا أو غير مباشرة، علينا أن نعيش في العالم الذي أرادنا الله- سبحانه- أن نعيش فيه وأن نحمل همومه ونتعايش مع مشاكله.

علينا أن نجعل لحياتنا متعة. ولكن ما هي متعة الحياة التي نعيشها إن كان الواحد منا يستيقظ في الصباح ولا يجد عنده وقت حتى لتنظيف أسنانه أو لتناول وجبة الفطور، بل يفر مسرعًا إلى عمله؟

إن تحصيل لقمة العيش لهو أمرٌ ضروري، وخاصة في ظروف الحياة المعاصرة. لكن هذه الظروف القاسية التي نعيشها لا تبرر لنا- بأيِّ حال- أن نهمل ديننا وأمتنا. صحيح أننا تعودنا على الكسل، وأصبحت أمم الأرض تتزاحم لتقدم لنا كل شيء، حتى لقمة العيش التي نمضغها، والخِرَق التي نلبسها، لكن لا إلى درجة أن نستسيغ هذه الحياة ونركَن إلى الدعة والراحة، وننسى أننا أمة قيادة وريادة، ومَن كان هذا وصفه فلا يحق له أن يكون في مؤخرة الركب.

إن شكايتنا من سوء أحوالنا ومن مكائد أعدائنا علينا لن يجدينا شيئًا، ولن يغير واقعنا. التغيير لن يتم إلا إن غيرنا نحن من سلوكياتنا وعاداتنا: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾[2].

هذا هو ديننا، وهذه هي رسالتنا، وهذا هو واقع أمتنا، فمَن سيغير لهذه الأمة واقعها، ويبني لها مجدها؟ إنها، قطعًا، ليست اليابان أو أمريكا، لكنه أنا وأنت، فهيا شمِّر عن ساعديك، وانفض غبار

(1) الآية ٥٥ من سورة النور.

(2) الآية ١١ من سورة الرعد.

النوم من عينيك، و ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[1]، وتذكر قول الشاعر:

قَـدْ رَشَّـحُوكَ لأمْـرٍ لَـوْ فَطَنْـتَ لَـهُ فَارْبَـأْ بِنَفْـسِكَ أَنْ تَرْعَـى مَـعَ الهَمَـلِ

وقول طرفة بن العبد:

فإن قِيل مَن فتى خِلتُ أنني عُنِيتُ فلم أكسل ولم أتَبَلَّدِ

ونلتقي معًا في القمة بإذن الله.

(1) الآية ٨ من سورة يوسف.

المبحث السابع:

أدوات للمتطوعين

تمويل المشروعات والفعاليات التطوُّعية

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[1]، و ((مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى))[2]. هكذا علمنا الخالق- سبحانه وتعالى- في كتابه الكريم، وهكذا أخبرنا رسولنا الكريم- عليه الصلاة والسلام-. من أجل ذلك، كان التكافل الاجتماعي أحد الأسس الرئيسية للمجتمع الإسلامي، ومن هنا تأتي أهمية الدور الذي تقوم به الجمعيات الأهلية الخيرية.

ولكن الواقع يشير إلى أنه بالرغم من وجود آلاف الجمعيات الخيرية المسجلة رسميًّا في الدول الإسلامية، إلا أن معظمها غير مسموح لها بجمع التبرعات لا من داخل الدولة ولا من خارجها. ومع موافقتنا لرفض الحكومات للتمويل الخارجي للجمعيات الأهلية، "لكي لا تكون هناك ثغرات تنفذ من خلالها بعض الجهات الخارجية التي قد تستغل حاجة الجمعيات إلى الدعم المالي مما يؤدي إلى نتائج سلبية"[3]، ولما يمكن أن تستغل بعض الجمعيات ذلك التمويل لأغراض قد لا تعود بالنفع لا على البلد ولا على الشعب، رغم كل ذلك، إلا أننا أيضًا نرى ضرورة استقلال الجمعيات الأهلية عن التمويل الرسمي.

إن التمويل الحكومي للجمعيات الخيرية قد يكون- في بعض الأحيان- المنفذ الوحيد لانتشال تلك الجمعيات من التلاشي المحتَّم. لكن علينا أن لا ننسى أيضًا أن ذلك قد يتيح الفرصة للحكومات لبسط أياديها على الجمعيات الأهلية، وبالتالي قد يعيق مسيرات تلك الجمعيات ويُحجِّم من أعمالها ومشاريعها.

---

(1) الآية ١٠ من سورة الحجرات.

(2) رواه مسلم عن النعمان بن بشير.

(3) "الجمعيات الأهلية في سورية بين ضعف التمويل الداخلي ومخاطر التمويل الخارجي": ميشال شماس.

إن الحل[1] هو البحث عن مؤسسات وطنية راغبة في تمويل أنشطة العمل المدني، وفتح قنوات للتواصل بينها وبين الجمعيات الأهلية؛ بما في ذلك الرقابة المالية المشتركة، وتنظيم اجتماعات سنوية بين الجمعيات والمانحين لتقييم المشاريع الجاري تنفيذها.

من هنا لزم علينا البحث عن بدائل. ولقد أشرنا في ثنايا هذا الكتاب إلى العشرات- إن لم تكن المئات- من الأنشطة والأعمال التي يمكننا التطوُّع للقيام بها، سواءً على مستوى الفرد أو الأسرة أو المحيط الذي نعيش فيها أو القُطْر الذي ننتمي إليه أو العالم بأَسْرِه. ومعظم تلك الأعمال تحتاج إلى مال وجهد وتخطيط. وفي هذا الفصل سنحاول- بإذن الله- أن نلخص للقارئ بعض الأنشطة والفعاليات التي أشرنا إليها في المباحث السابقة التي يمكن الاستفادة منها لتمويل الأعمال التطوعية المختلفة.

١- الاستفادة من صناديق التبرُّعات التي تتكون داخل كل أسرة

أشرنا في المبحث الثالث أن من الجوانب التي تزيد من فاعلية كل أسرة ومن ترابط أبنائها هو إنشاء صندوق للتبرعات. وقد ذكرنا هناك بأنه يمكن تصريف ما تتجمع في ذلك الصندوق من أموال لأعمال وأنشطة تخدم الأسرة. كذلك، فيمكن تصريف تلك المبالغ في أمور تعود بالنفع على المحيط الذي تعيش فيه الأسرة؛ كشراء مصاحف للمساجد أو كتب وأشرطة للمكتبات العامة، ويمكن أيضًا صرفها لمساعدة الأُسَر الفقيرة أو لغيرها من الأنشطة.

ورغم أن المبالغ التي عادة ما تتجمع في تلك الصناديق قد لا تفي باحتياجات المشاريع التي يُراد إقامتها في المجتمع إلا أن تلك الصناديق إذا انتشرت بين الأُسَر فإنها- بلا شك- سيكون لها دورٌ كبير في تنمية المجتمع. ويمكن أن تقوم مجموعة أو مؤسسة تطوُّعية بتجميع تلك الأموال من صناديق التبرعات الأُسَرية- طبعًا بموافقة أصحابها- وتوجيهها لإقامة مشاريع أكبر حجمًا وأعظم أثرًا من تلك التي يمكن للصناديق المفردة أن تهتم بها.

---

(1) "الجمعيات الأهلية والتمويل الذاتي": خالد الغنامي.

٢- الاستفادة من الأوقاف وأملاك بيت المال

ذكرتُ في المبحث الرابع بأن هناك الكثير من الأوقاف والأملاك التابعة لبيت المال التي تكاد لا تخلو منها قرية أو مدينة ولكنها مهملة ولا تُدِرُّ إنتاجًا يُذكَر. كذلك، فإن الأوقاف في كثير من الدول الإسلامية قد صارت بأيدي الدولة. ورغم أن هذا قد يكون في مصلحة تلك الأوقاف، حيث أن بإمكان الوزارة المعنية بالأوقاف في كل دولة رعاية الأوقاف وتفعيلها وتصريفها حسب شروط مَن أوقفوها، غير أنه- وللأسف الشديد- أصبحت الوزارات تُصرِّف تلك الأوقاف وكأنها ملك للدولة، وفي كثير من الأحيان تسمح ببيعها أو تحويلها إلى وجهات أخرى.

لذا، فإنه من الضروري القيام بحصر تلك الأوقاف والأملاك والتعاون مع القائمين عليها- سواءً كانوا من عامة الناس أو جهات حكومية- للاهتمام بها والوصول بها إلى مستوى الإنتاج. كذلك، فلا بُدَّ من محاولة إقناع القائمين عليها لتصريفها حسب رغبات مَن أوقفوها. مثل هذه الأوقاف- لو وجدت مَن يعتني بها- لكانت كفيلة بأن تفي ولو بجزء من احتياجات المشاريع والمؤسسات العامة التي أوقفت لأجلها، كالمساجد والمكتبات العامة وغيرها من المرافق.

٣- فرض رسوم على الفعاليات المختلفة

من الأمور التي يمكن القيام بها أثناء تجمُّع الناس في المحاضرات والفعاليات الأخرى، كالإفطار الجماعي، هو الدعوة لبناء مسجد أو مدرسة أو غيرها من الأماكن الخدمية في المجتمع. ويمكن إقامة حفلات خاصّة أو مصاحبة لهذه الفعاليات لجمع مثل هذه التبرعات. مثلًا، يمكن دعوة الناس لعشاء جماعي، ويتم أثناء أو بعد العشاء حضَّهم على المشاركة بالتبرع، ويمكن دعوة شخص متمرِّس في جمع التبرعات لحث الناس على التبرُّع.

من الوسائل الأخرى هي أن يُدعى الناس لفعالية معينة، كمهرجان إنشادي، ويتم فرض رسوم لحضور تلك الفعالية، من خلال بيع تذاكر لدخولها. وبعد الفعالية يتم صرف المبالغ المتجمعة لصالح بناء مسجد أو مدرسة أو شيء من الأماكن الخدمية المراد إقامتها.

٤- إقامة معارض لتمويل المشاريع الخيرية

يمكن بين كل حين وآخر الدعوة إلى إقامة معرض لبيع المشغولات اليدوية أو الأطباق الخيرية، بحيث يخصص العائد منه لتمويل مشروع معين. مثل هذه المعارض لا تكلف شيئًا في إقامتها، حيث أن معظم القائمين عليها سيكونون متطوعين، والمستلزمات التي تحتاج إليها من طاولات وكراسي وغيرها قد تأتي أيضًا تطوُّعًا، والمواد التي ستُعرَض وتباع فيها عبارة عن تبرعات من أصحابها.

كذلك، فيمكن إقامة معارض لبيع الأشرطة والكتب والحواسيب لصالح مؤسسات تجارية مقابل نسبة معينة تحصل عليها المؤسسة الخيرية التي عليها الترتيب للمعرض والدعاية له وتوفير احتياجاته.

٥- إنتاج مواد مطبوعة أو سمعية أو مرئية

يمكن للنشرات والمواد المطبوعة أو السمعية أو المرئية التي أشرتُ إليها في المبحث الرابع أن تشكل رافدًا للمؤسسات الخيرية، وذلك إما ببيعها بأسعار رمزية أو بتأجير مساحات في داخلها للدعاية لمؤسسات تجارية. ويجب مراعاة أن لا يطغى العائد المالي على الثمرة المرجوَّة من إنتاج تلك المواد، فلو تبيَّن أن بيع تلك المواد أو تضمينها دعايات تجارية قد يخل بمصداقيتها أو بجودتها فإنه يُترَك الجانب التجاري منها ويُكتَفى بتحصيل العائد العلمي والثقافي، والرزق على الله.

٦- إقامة دورات وورش عمل مدفوعة الثمن

من ضمن الأنشطة التي أشرنا إليها في المبحث الرابع والهادفة إلى رفع مستوى الإنتاجية بين الناس هي إقامة دورات وورش عمل لتنمية قدرات الناس وإنتاجياتهم. وأشرنا هناك إلى أنه يمكن فرض رسوم على تلك الدورات وورش العمل لتغطية نفقاتها أو لتغطية احتياجات مشاريع خيرية أخرى.

ولتوفير أكبر قدر من عائدات هذه الدورات للأعمال الخيرية، فيمكن التعاقد مع متطوعين لتقديم الدورات. كذلك، يمكن الحصول على الأجهزة والمواد اللازمة للدورة من خلال تبرعات يقدمها أفراد أو مؤسسات.

٧- فرض رسوم عضوية للنوادي المختلفة

يمكن أن يكون الانتساب للنوادي العلمية والثقافية والرياضية عن طريق العضوية، ويمكن تحصيل رسوم اشتراك- وربما تجديد- من الراغبين في الاشتراك في تلك النوادي. كذلك، فيمكن لهذه النوادي القيام بطرح أنشطة مدفوعة الثمن كالدورات أو المعسكرات أو الرحلات، ويكون العائد منها لصالح النادي. ويمكن الاستفادة من عائدات هذه العضويات والأنشطة لتغطية نفقات النوادي نفسها ولتطويرها وتحسين أدائها.

٨- فرض رسوم على رياض الأطفال

رغم حرصنا على نشر رياض الأطفال في كل الأحياء، وتشجيع الناس على أخذ أطفالهم إليها، إلا أنه لا يمنع ذلك من فرض رسوم رمزية على كل طفل أو أسرة لتلبية ولو جزء يسير من احتياجات تلك الروضات. كذلك، فقد أشرنا في المبحث الثالث إلى إمكانية فرض مبلغ رمزي شهري على كل فرد- وخاصة الموظفين منهم- أو كل أسرة لتغطية نفقات رياض الأطفال وغيرها من الأعمال التطوعية التي تخدم الحي أو القرية.

٩- إخراج ألبومات أو حقائب تعالج قضية معينة

يمكن تجميع مواد مطبوعة أو سمعية أو مرئية تتحدث عن قضية معينة، وإخراجها على شكل ألبومات أو حقائب، ثم بيعها من خلال المكتبات أو المؤسسات المتخصصة لهذا الغرض. ومن الألبومات أو الحقائب التي يمكن إخراجها تلك التي تُعنى بالحج والعمرة أو الزواج أو البطالة أو المهارات المختلفة.

١٠- تشجيع الناس على المشاركة في مشروع الصدقة الجارية

هناك من المؤسسات الخيرية، كالمكتبات والنوادي، التي لا تخلو منها بلد، وأنشطتها في الغالب معروفة لدى معظم الناس. لذا، ما يحتاجه القائمون على هذه المؤسسات هو فتح باب "الصدقة الجارية"، وذلك بأن يقوم المشارك بتحويل مبلغ معين من المال شهريًّا لصالح المؤسسة الخيرية. ويمكن للمؤسسة إعداد دفاتر شبيهة بدفاتر الشيكات البنكية، بحيث تحتوي كل ورقة منها على قسيمة

صغيرة لتحويل البنك لتحويل المبلغ من حساب الشخص إلى حساب المؤسسة، وتقوم المؤسسة بتوزيع هذه الدفاتر على المشاركين في برنامج "الصدقة الجارية".

١١- استمتع وادخر

هناك العديد ممن فتح الله عليهم باب الرزق حتى وصلوا إلى مراتب الأغنياء، لكنهم- للأسف الشديد- لم يَرْعَوا حق الله في المال الذي استأمنهم عليه، ولذا فإنك تراهم قد أوصلوا أنفسهم وأهليهم إلى مستويات من البذخ والإسراف لا يرتضيها الله سبحانه وتعالى. وقد حذرنا- سبحانه- في كثير من الآيات[1] من الترف، وأخبرنا أن تكذيب كثيرٍ من الأمم التي سبقتنا لرسلهم، وأيضًا دمارها، كان بسبب الترف الذي انغمسوا فيه.

من هنا، فإني أضع بين يدي القارئ هذا البرنامج الذي أسميته "استمتع وادخر" ليكون- بإذن الله- وسيلة لتجنب غضب الله- سبحانه-، وعونًا على تذكر إخواننا الذين لا يجدون ما يأكلون أو يلبسون.

برنامج "استمتع وادخر" يتيح لكم أخي وأختي أن تتنَّعموا بما امتنَّ به المولى عليكم من فضله وكرمه، ولكن في الوقت نفسه تتذكرون إخوانكم ممن ابتلاهم الله بالكُرَب والضائقات. كل ما أقترحه عليكم هو أن تضعوا جانبًا (أي تدَّخروه عند الله) نفس المبلغ الذي تدفعونه للوجبات السريعة والساندويشات والكماليات من الملابس وبطاقات الهاتف وغيرها.

بمعنى آخر، عندما تشتهي نفس أحدكم لوجبة سريعة، ولا يستطيع مقاومة نفسه، فلا أقل من أن ينفق لإخوانه الفقراء والمحتاجين، أو لأي عمل خيري، نفس المبلغ الذي ينفقه على الوجبة السريعة. بهذا يكون قد تلذذ بتلك الوجبة وحصل- بإذن الله- على أجر الصدقة.

---

(1) من هذه الآيات قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ (سبأ: ٣٤)، وقوله: ﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ ﴾ (الزخرف: ٢٣)، وقوله: ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾ (الإسراء: ١٦).

إذا قمنا بهذا الإجراء في كل مرة نشتهي أن ننفق على أنفسنا شيئًا فيما لا ضرورة له، فإننا سنلاحظ أننا سنقلل من إنفاقنا، ليس لتوفير المال، ولكن لأن النفس والشيطان سيتدخلان ليحاولا منعك من الإنفاق في سبيل الله، وذلك لما للمال من مكانة في نفس الإنسان.

هناك العديد من الطرق الأخرى التي يمكن استخدامها لتوفير ولو جزء يسير من المال، ويمكن أن تستخدم بجانب الطريقة التي شرحتها لك. ولكي تشعر بقيمة الاقتراحات التي سأسوقها لك بالنسبة للمؤسسات الخيرية، وعائدها من الأجر والمثوبة عند الله، فإني أقترح تجميع المبالغ التي ستقوم بتوفيرها- ولو كانت بسيطة في نظرك- في صندوق. ويمكنك في كل شهر، أو حتى ولو مرة واحدة في العام- كأن يكون في رمضان مثلًا-، فتح ذلك الصندوق وتوجيه ما تجمَّع فيه لإحدى المؤسسات الخيرية العاملة في بلدك. بعض الاقتراحات التي أسوقها هنا فقط كأمثلة هي كالتالي:

- التقليل من المكالمات الهاتفية والرسائل القصيرة، وتوفير المال الذي عادة ما تنفقه في كل شهر على تلك الأمور لصالح صندوق التوفير. إذا كنتَ لا تستطيع التقليل من المكالمات والرسائل فلا أقلَّ من أن تدفع لصندوق التوفير نفس المبلغ الذي تصرفه على هاتفك.
- صيام بعض أيام الاثنين والخميس من كل شهر وتوفير قيمة الطعام الذي عادة ما تتناوله لوجبتي الإفطار والغداء لصندوق التوفير.
- التقليل من استخدام سيارتك لتوفير استهلاك البنزين، ومن ثم استهلاك السيارة، على أن تدفع ما توفره لصندوق التوفير.
- توفير المبالغ التي تنفقها على الكماليات. بعض المسلمين- هدانا الله وإياهم- مولعون باقتناء الموضات الجديدة من الأحذية والملابس والعطورات وغير ذلك، وتجد الواحد منهم- وخاصة النساء- لديه خزانات ممتلئة من الأحذية والملابس التي قد لا يستخدمها إلا نادرًا. حاول أن تحافظ على أحذيتك وملابسك، وبدلًا من تغييرها كل عدة أشهر فأطِل تلك المدة ليتوفر شيءٌ من المال كل عام. كذلك، فهناك من الأسر التي تقوم بتغيير سياراتها أو أثاث منزلها كل عام أو عامين. لذا، فبدلًا من أن تغير سيارتك أو أثاث منزلك في كل عام أو عامين، فقم بتغييره كل ثلاثة أو أربعة أعوام، ووفر المبلغ لصندوق التوفير.
- توفير المبالغ التي عادة ما تنفقها الأسرة على الرحلات السنوية التي تقوم بها إلى دول أجنبية. حاول أن تقنع أسرتك للذهاب لرحلة خارج بلدك كل عامين، بدلًا من كل عام، ووفر قيمة

التذاكر ومصاريف الرحلة إلى صندوق التوفير. كذلك، يمكنكم القيام برحلة كل عام، ولكن بتغيير وجهة الرحلة؛ فبدلًا من أن تكون لدولة أخرى، فلماذا لا تكون في نفس البلد الذي تعيشون فيه، وبهذا تستطيعون توفير الفارق في المصاريف لصندوق التوفير؟

☒ وفي صدد الحديث عن الرحلات، فهناك من الناس- وحتى غير المستقيمين منهم- مَن يذهب لأداء العمرة في العام أكثر من مرة. إنه لا ينكر أحد ما لتتابع العمرات من أثرٍ في إيمان الشخص واستقامته. لكن علينا أيضًا أن نعلم أن هناك من الأعمال الخيرية التي قد تكون ألزم علينا أداؤها من العمرة، وفي الوقت نفسه نكسب منها الأجر العظيم. لذا، فيا حبَّذا لو اقتصر أمثال هؤلاء على عمرة واحدة كل عدة سنوات، ويوجهون ما يتوفر من مبالغ إلى الأعمال الخيرية الأخرى.

موارد معرفية للمتطوعين

في هذا الفصل سنلقي- بإذن الله- الضوء على بعض المراجع التي يمكن الاستفادة منها في جانب العمل التطوعي. كذلك، فسنقوم بسرد بعض مواقع الإنترنت التي تُعنى كثيرًا بموضوع التطوع. وهدفنا من توفير مثل هذه الموارد هو أن نرى من شبابنا وفتياتنا مَن يَهُبَّ لمعالجة قضايا التطوع بعمق وتوسُّع، وأن يحاولوا طرق جميع السُّبُل التي يمكن أن تؤدي إلى إنجاح العملية التطوعية؛ سواءً في بلدانهم خاصة، أو في العالم العربي والإسلامي بشكل عام.

١- كتب في العمل الخيري والتطوُّع

للأسف، فالكتب الصادرة باللغة العربية التي تتحدث خصيصًا في مجال العمل الخيري والتطوع نادرة جدًّا، ونأمل أن نرى قريبًا من البحوث والدراسات والكتب التي تهتم بقضايا التطوع بشكل يعين المهتمين بها على إتقان هذه الصنعة بحذاقة أكبر وفهم أوسع. أما الكتب المتوافرة باللغات الأخرى- وخاصة باللغة الإنجليزية- فأظنها أكثر من أن تحصى، وسأورد هنا بإذن الله قائمة لبعض منها، ومن أراد البحث عن أخريات فمكتبات الإنترنت تعج بها.

كتب باللغة العربية

- **جدِّد شبابَك بالتطوُّع**: لمحمد هشام أبو القمبز. عبارة عن كتاب إليكتروني صغير، ولكنه يعطي ملخصًا لا بأس به عن التطوع ومفاهيمه ومصطلحاته والقضايا المتعلقة به. رابط الكتاب: (http://www.saaid.net/book/8/1610.doc).
- **عزوف الشباب عن العمل التطوعي في الجهات الخيرية بمنطقة الباحة من وجهة نظر القائمين عليها**: لفايق سعيد علي الضرمان. عبارة عن دراسة تتكون من ٤٩ صفحة، تستهدف البحث عن أسباب عزوف الشباب في منطقة الباحة بالمملكة العربية السعودية عن المشاركة في العمل التطوُّعي، وتعطي بعض التوصيات المفيدة على ضوء النتائج التي توصلت إليه الدراسة. رابط الدراسة: (http://www.saaid.net/book/9/2633.zip).

- **التطوع والنهوض العلمي**: عبارة عن دراسة قام بها صالح محمد آل إبراهيم عن أثر العمل التطوعي في ازدهار الحياة العلمية الإسلامية. وقد تم طباعة الدراسة من قِبَل دار الوفاق العربي في بيروت.
- **دليل الأفكار للمؤسسات التطوعية – مراكز الأحياء أنموذجًا**: عبارة عن كتاب إليكتروني من ١٦٥ صفحة، يلقي فيه مؤلفه (رائد عبد العزيز المهيدب) عن دور مراكز الأحياء في خدمة المجتمع، ويطرح العديد من الأفكار والمقترحات لتفعيلها والرقيِّ بها.
- **البناء المؤسسي في المنظمات الخيرية – الواقع وآفاق التطوير**: عبارة عن دراسة ميدانية صغيرة قام بها محمد ناجي بن عطية عن المنظمات الخيرية في العاصمة اليمنية– صنعاء– في عام ٢٠٠٦م.
- **تفعيل العمل الخيري**: عبارة عن كتاب إليكتروني أساسه محاضرة ألقاها الدكتور يحيى بن إبراهيم اليحيى.
- **أبحاث مؤتمر العمل الخيري الخليجي الثالث**: توجد ثلاثة روابط في موقع "صيد الفوائد" للبحوث المقدمة في هذا المؤتمر، بمحاورها الثلاثة: الإدارية والشرعية والمالية. الروابط المباشرة: المحور الشرعي: (http://saaid.net/book/9/2970.rar)، المحور الإداري: (http://saaid.net/book/9/2971.rar)، المحور المالي: (http://saaid.net/book/9/2972.rar)، تجارب: (http://saaid.net/book/9/2973.rar).
- **أوراق عمل الملتقى الأول للجهات الخيرية بمنطقة القصيم**، والذي عُقِد في بريدة بالمملكة العربية السعودية في عام ١٤٢٨ هـ.

٢- مواقع تهتم بالعمل الخيري والتطوُّع

المواقع التي لها اهتمامات بموضوع العمل الخيري والتطوعي لا بأس بعددها، غير أنها تتفاوت في قيمة محتوياتها؛ فهناك من المواقع التي بها الكثير من البحوث والدراسات والمقالات، وبعضها لا يحتوي سوى ساحات للتحاور حول مجالات العمل التطوعي. ونظرًا لكثرة هذه المواقع، فإن ما سنورده هنا هو فقط نماذج للمواقع التي تسنى لنا الإطلاع عليها.

مواقع عربية

- **عالم التطوُّع العربي**: يعتبر هذا الموقع أحد المواقع المتخصصة والرائدة في العمل التطوعي. يحتوي على الكثير من المعلومات والدراسات والملتقيات التي تعزز مسيرة العمل التطوعي في العالم العربي. عنوان الموقع: (http://www.arabvolunteering.org).
- **مركز قطر للعمل التطوعي**: يهتم المركز بتسيير دفة العمل التطوُّعي داخل دولة قطر. وموقع الإنترنت لهذا المركز يعرض الكثير مما له ارتباط بالعمل التطوُّعي، سواءً كانت أخبارًا أم إعلانات عن فعاليات ودورات في مجال العمل التطوُّعي. عنوان الموقع: (http://www.qcfva.org).
- **موقع مشاريعي**: يعنى هذا الموقع بتشجيع مرتاديه على تقديم أفكار ومشاريع تطوُّعية يمكن "سرقتها" فيما بعد من قِبَل آخرين، وتطبيقها على أرض الواقع. عنوان الموقع: (http://myschemes.wordpress.com).
- **شبكة العون الإنسانية**: تهدف شبكة العون الإنسانية إلى مساعدة الجمعيات التي تقوم بالأعمال الغير ربحية، والتي تعمل لخدمة المجتمع، في الحصول على متطوعين يعملون على مساعدة هذه الجهات في إنجاز رسالتها، من خلال أعمال تطوعية غير ربحية يقومون بها في أوقات فراغهم. بهذا المعنى فشبكة العون الإنسانية عبارة عن جهة متخصصة في استقطاب وتوظيف الجهود التطوعية للشباب العربي. الموقع الرسمي للشبكة: (http://www.alown.org).
- **صفحة "تفعيل العمل الخيري" في موقع "صيد الفوائد"**: هذه الصفحة ثرية بالكتب والمقالات والبحوث التي تعنى بالعمل الخير والعمل التطوعي. رابط الصفحة: (http://saaid.net/Anshatah/dole/index.htm).
- صفحة "جدِّد شبابك بالتطوُّع" في موقع "إسلام أون لاين": تعتبر هذه الصفحة ملتقى للكثير من المؤسسات والأفراد المعنيين بالتطوُّع. وتشتمل الصفحة على مقالات وبحوث وأدوات ضرورية لتفعيل التطوُّع: رابط الصفحة: (http://www.islamonline.net/Arabic/In_Depth/Volunteer/index.shtml).
- **موقع بطالة**: يحتوي هذا الموقع على معلومات وكتب ومقالات لا بأس بها عن العمل التطوُّعي. عنوان الموقع: (http://www.b6alh.com).

مواقع باللغة الإنجليزية

- **متطوعون من أجل السلام**: (http://www.vfp.org).
- **التطوع في المملكة المتحدة**: (http://www.volunteering.org.uk).
- **التطوع في استراليا**: (http://www.volunteeringaustralia.org).
- **التطوع في الولايات المتحدة الأمريكية**: (http://www.1-800-volunteer.org).
- **التطوع في كندا**: (http://www.volunteer.ca).
- **موقع التطوع العالمي**: (http://www.worldvolunteerweb.org).
- **منظمة الخدمات التطوعية في لبنان**: (http://www.avs.org.lb).

المبحث الثامن:

ملاحق

حاولنا في هذا المبحث تجميع بعض البرامج التطبيقية والاستمارات التي أشرنا إليها في ثنايا هذا الكتاب، وقمنا بتنسيقها بحيث تكون جاهزة للنسخ والتوزيع لمن يرغب في ذلك. لمزيد من الإيضاحات حول المعلومات الواردة في هذه البرامج التطبيقية يُرجى الرجوع إلى المبحث الذي تم مناقشة ذلك البرنامج فيه.

برنامج يوم كامل

بين الاستيقاظ من النوم وصلاة الفجر

- تستيقظ قبل طلوع الفجر بنصف ساعة على الأقل، وتدعو بأدعية الاستيقاظ المأثورة والتي نذكر منها ما يلي:
  - **اللهم إني أصبحتُ أُشهِدُك وأُشهِدُ حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك أنك أنتَ الله لا إله إلا أنتَ وحدك لا شريك لك وأن محمدًا عبدُك ورسولُك.**
  - **الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النُّشور.**
  - **الحمد لله الذي عافاني في جسدي وردَّ عليَّ روحي وأَذِن لي بذِكره.**
- تدخل إلى الحمام، وعند دخولك تدعو بهذا الدعاء: **بسم الله، اللهم إني أعوذ بك من الخُبُث والخبائث.**
- تتوضأ وضوء الصلاة ثم تستاك.
- تخرج من الحمام وتقول بعد خروجك منه: **غفرانك.** ثم تقول: **أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين.**
- تصلي ركعتين أو أربعًا تدعو الله فيها في سجودك بما تشاء من الأدعية.
- تبقى في مجلسك وتحفظ خمس أو عشر آيات من القرآن (حسب الخطة التي وضعتها لنفسك).
- تصلي سنة الفجر في بيتك.
- تخرج من بيتك إلى المسجد لتأدية فريضة الفجر في الجماعة، وتقول عند خروجك من منزلك: **بسم الله، توكلتُ على الله لا حول ولا قوة إلا بالله. اللهم إني أعوذ بك من أن أَضِلَّ أو أُضَلَّ أو أَزِلَّ أو أُزَلَّ أو أَظْلِمَ أو أُظْلَمَ أو أجْهَلَ أو يُجْهَلَ عليَّ.** بعدها، تدعو بهذا الدعاء: **اللهم اجعل في قلبي نورا وفي لساني نورا واجعل في سمعي نورا واجعل في بصري نورا واجعل من خلفي نورا ومن أمامي نورا ومن فوقي نورا ومن تحتي نورا اللهم أعطني نورا.**
- إذا كانت المسافة بين بيتك والمسجد طويلة بعض الشيء فاقرأ في طريقك إلى المسجد سورة الواقعة ففيها منجاة لك من الفقر في ذلك اليوم– كما ورد عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم–. أما إذا كانت المسافة بين البيت والمسجد قصيرة فيمكنك أن تذكر الله بما تشاء من الأذكار والأدعية وتقرأ سورة الواقعة بعد دخولك المسجد أو بعد فراغك من صلاة الفجر.
- تدخل المسجد وتدعو بدعاء دخول المسجد: **باسم الله والسلام على رسول الله، اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك،** وتجلس إلى أن تُقام صلاة الفجر وتذكر الله بما تشاء إن كان هناك مُتَّسع.

بعد صلاة الفجر إلى طلوع الشمس

- بعد صلاة الفجر تبقى في مجلسك وتدعو بأذكار الصباح التالية:
  - **سبحان الله** (مائة مرة)، ثم **الحمد لله** (مائة مرة) ثم **الله أكبر** (مائة مرة)
  - **لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير** (مائة مرة)
  - **اللهم أعِنِّي على ذِكرِكَ وشُكرِكَ وحُسْنِ عبادَتك** (مائة مرة)
  - **لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم** (مائة مرة)
  - **سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم** (مائة مرة)

- **أستغفر الله العلي العظيم من جميع الذنوب والخطايا وأتوب إليه** (مائة مرة)
- الصلاة على النبي (مائة مرة)
- **بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيءٌ في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم** (ثلاث مرات)
- **أعوذ بكلمات الله التامَّات من شر ما خلق** (ثلاث مرات)
- **آمنتُ بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد– صلى الله عليه وسلم– نبيًّا ورسولا** (ثلاث مرات)
- **حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلتُ وهو رب العرش العظيم** (سبع مرات)

- بعد أن تنتهي من هذه الأذكار، تبدأ في قراءة وِردك من القرآن، وتستمر في قراءة القرآن إلى أن تطلع الشمس. وبعد طلوع الشمس تواصل القراءة لحوالي ربع ساعة لكي تتأكد من أن الشمس قد صارت قدر قوس أو يزيد.

صلاة الضحى

- بعد طلوع الشمس بحوالي ربع ساعة، تصلي سنة الضحى، وهي ركعتان أو أربع.

بعد صلاة الضحى

- بعد فراغك من صلاة الضحى، اخرج من المسجد ولا تنس دعاء الخروج من المسجد: **باسم الله والسلام على رسول الله، اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك.**
- بعد خروجك من المسجد، يحسن بك أن تمشي ربع ساعة على الأقل، وإن استطعت نصف ساعة أو أكثر فذلك أفضل، على أن يكون مشيًا سريعًا.
- في أثناء مشيك عليك أن تتفكَّر فيما تشاهده من مبانٍ وشوارع وسيارات ومارة. ويمكنك أن تُشغِل نفسَك بمراجعة ما تحفظه من القرآن، أو باسترجاع بعض القضايا والمواضيع الفكرية أو الاجتماعية أو غيرها وتحاول مناقشتها مع نفسك، وإن حَضَرَتْكَ بعضُ الأفكار المفيدة فلا تنس أن تدوِّنها عند وصولك إلى منزلك. إذا لم يكن في بالك ما تستحضره، فاشغل نفسك بذكر الله.

عند وصولك المنزل

- عند دخولك المنزل تقول: **باسم الله**، وتسلم على أهلك.
- تستحم وتتناول طعام الإفطار، وتقول في بدايته: **اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وقنا عذاب النار، باسم الله.** وتقول بعد الفراغ من الأكل: **الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين.**
- أَخرِج دفتر المهام والمواعيد الخاص بك وألق نظرة على المواعيد التي عليك الوفاء بها في ذلك اليوم، والأعمال التي عليك القيام بها.
- تلبس ملابس العمل أو الدراسة وتخرج من بيتك وتدعو بدعاء الخروج من المنزل.
- تركب سيارتك وتدعو بهذا الدعاء: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِيْنَ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُوْنَ ﴾.

في طريقك إلى العمل أو الدراسة

- عليك أن تتفكَّر فيما تقع عليه عيناك من مخلوقات الله ومن مشاهد وأحداث وأن تربطها دومًا برسالتك في هذه الحياة ومبدئك ومصيرك.

- إذا كنتَ سائقًا للسيارة فعليك أن تتقيَّد بقوانين المرور وأن لا تنشغل بالحديث في الهاتف أو مع الأشخاص الذين معك في السيارة فتتسبب في وقوع حوادث لك أو لغيرك.
- يمكن أن تُشغِل نفسك بسماع محاضرة أو درس أو نشرة أخبار الصباح، وفي الأوقات الأخرى ابق بين الذكر والدعاء.

بعد وصولك إلى العمل أو الدراسة

- كن حريصًا على القيام بعملك على أكمل وجه. إياك وتضييع أوقاتك فيما لا يعود عليك أو على عملك بالنفع. كن حريصًا على تقديم ما يتطلَّبه منك العمل من وقت وجهد على أمورك الخاصة، وإن كنتَ مضطرًّا لتقضية بعض أمورك الخاصة التي ليس فيها إضرار بالعمل، فقم بها في أوقات الاستراحة فقط. عليك التقليل من التحدُّث في الهاتف لأمورك الخاصة، والتقليل كذلك من زياراتك لزملائك وأصدقائك، إلا بما يتطلَّبه منك العمل. كن حريصًا كل الحرص على **عدم** استخدام الأجهزة والوسائل المتاحة لك في العمل لأمورك الشخصية، وإن كنتَ مضطرًّا لذلك فاستأذن المسؤولين في استخدامها.
- إن كنتَ طالبًا، فاحرص كل الحرص على الذهاب للمحاضرات وعدم التغيُّب أو التأخر عنها. كن منتبهًا لما يقوله الأستاذ، دوِّن كل ما تسمعه أو يخطر ببالك أثناء الدرس، شارك في النقاش والمحاورة، احترم وقت الأستاذ واحترم أوقات زملائك. إياك والعبث بالأدوات والأجهزة أو محاولة إتلافها أو إساءة استخدامها. استغل أوقات الفراغ والاستراحات لمراجعة ما دوَّنتَه في ذلك اليوم.
- إذا حضر وقتُ صلاة الظهر، فاستأذن للذهاب للمسجد (إن كان قريبًا من مقر عملك أو دراستك) أو للمصلى. توضأ للصلاة وادخل المسجد وصلِّ تحية المسجد ثم أتبعها بركعتين أو أربعٍ (حسبما يتَّسع الوقت). بعد تأدية فريضة الظهر مع الجماعة، اجلس قليلًا للدعاء والذِّكر ثم صلِّ ركعتين أو أربعًا تنفُّلًا.

بعد الانتهاء من العمل أو الدراسة

- بعد انتهاء عملك أو دراستك، اركب سيارتك وقل دعاء الركوب. إذا كنتَ تشارك آخرين في السيارة فاحترم من يركبون معك. يمكنك أن تقضي وقتك في السيارة في سماع الأناشيد الإسلامية أو في التحدُّث مع زملائك، ولكن مع مراعاة أن لا تنشغل عن السياقة إن كنتَ سائقًا للسيارة.
- بعد وصولك المنزل، قل: **بسم الله**، وسلِّم على أهلك ثم قم بتغيير ملابسك، وتناول وجبة الغداء مع أهلك.
- بعد الانتهاء من الغداء، خذ قسطًا من الراحة إلى وقت أذان العصر.
- بعد استيقاظك من قيلولتك، توضأ واتجه إلى المسجد لتأدية صلاة العصر.
- بعد دخولك المسجد، صلِّ ركعتي تحية المسجد ثم أتبعها بركعتين أو أربع (حسبما يتَّسع الوقت)، وإن كان قد بقي متَّسع من الوقت فأشغله إما بالذكر أو بقراءة القرآن.

بين العصر والمغرب

- بعد تأديتك لفريضة العصر في الجماعة، يمكنك القيام بواحد أو أكثر من الأعمال التالية:
  - حضور شيء من الدروس التي تقام في ذلك المسجد أو في المساجد المجاورة.
  - البقاء في المسجد لحفظ القرآن أو مراجعة ما قمتَ بحفظه في ذلك اليوم والأيام السابقة.
  - الرجوع إلى المنزل والانشغال بمطالعة كتاب أو سماع محاضرة أو كتابة بحث أو تصفُّح موقع مفيد في الإنترنت.
  - الذهاب لزيارة أحد الجيران أو الأقارب.
  - الذهاب لزيارة أحد المرضى في المستشفى.

- أخذ الأهل والأولاد للنزهة أو لتقضية حاجيات الأسرة، مع مراعاة الآداب الإسلامية منذ الخروج من المنزل وإلى العودة إليه. كذلك فيجب مراعاة وقت صلاة المغرب وأن تحرص على أدائها جماعة في مسجد، وحبَّذا لو كان في مسجد به مصلى للنساء ليقوم الجميع بتأدية الصلاة في الجماعة.
- ممارسة شيء من الرياضات مع مراعاة التقيُّد بآداب الإسلام في اللباس وأثناء الاختلاط بالآخرين أو أثناء مزاولة الرياضة نفسها. كذلك يجب مراعاة أن يتم الانتهاء من الرياضة قبل المغرب بفترة كافية للاستحمام والوضوء والوصول إلى المسجد.
- أية أعمال أخرى ترى فيها طاعة لله ومنفعة لك أو لغيرك.

بين المغرب والعشاء

- حاول أن تصل إلى المسجد قبيل المغرب فذلك من الأوقات المباركة التي عليك أن تشغلها بذكر الله والدعاء.
- إذا كان وصولك إلى المسجد بعد أذان المغرب وكان هناك متَّسعٌ من الوقت لحين إقامة الصلاة، فصلِّ ركعتي تحية المسجد، ثم اشغل نفسك بذكر الله.
- بعد فريضة المغرب، ابق في مجلسك للذكر والدعاء قليلًا، ثم صلِّ سنة المغرب وأتبعها بما تشاء من ركعات التنفُّل.
- بعد صلاة النافلة يمكنك القيام بواحد أو أكثر من الأعمال التالية:
  - البقاء في المسجد ومعاودة أذكار الصباح التي ذكرناها سابقًا.
  - حضور أحد الدروس أو المحاضرات التي تقام في ذلك المسجد أو في المساجد الأخرى.
  - البقاء في المسجد لحفظ القرآن أو مراجعة ما قمتَ بحفظه في ذلك اليوم والأيام السابقة.
  - الرجوع إلى المنزل وإلقاء درس للأسرة.
  - الرجوع إلى المنزل والانشغال بمطالعة كتاب أو سماع محاضرة أو كتابة بحث أو تصفُّح موقع مفيد في الإنترنت.
  - حلِّ الواجبات أو مذاكرة الدروس (بالنسبة للطلاب).
  - زيارة أحد الجيران أو الأقارب أو الأصدقاء.
  - الاستماع إلى نشرة أخبار أو برنامج مفيد في الإذاعة أو التلفاز أو تصفح مجلة أو جريدة.
  - المشي أو الجري سواءً خارج البيت أو داخله إن كان لديك جهاز للجري.
  - أية أعمال أخرى ترى فيها طاعة لله ومنفعة لك أو لغيرك.
- عندما يحين أذان العشاء فيجب الاستعداد للصلاة وذلك بالتبكير للمسجد- إن كنتَ قد خرجتَ منه- وصلاة تحية المسجد بعد الدخول إليه ثم إتباعها بركعتين أو أربع (حسبما يتَّسع الوقت). إن كان في الوقت متَّسع فيمكن الانشغال بقراءة القرآن.
- بعد صلاة الفريضة، يُحبَّذ لك البقاء في مجلسك للذكر والدعاء، ثم بعدها تصلي ركعتين أو أكثر تنفُّلًا. حاول أن تؤخر صلاة الوتر لحين موعد نومك.

بعد صلاة العشاء وإلى أن يحين وقت النوم

- بعد فراغك من صلاة العشاء يمكنك القيام بواحد أو أكثر من الأعمال التالية:
  - حضور أحد الدروس أو المحاضرات التي تقام في ذلك المسجد أو في المساجد الأخرى.
  - البقاء في المسجد لحفظ القرآن أو مراجعة ما قمتَ بحفظه في ذلك اليوم والأيام السابقة.
  - الرجوع إلى المنزل وإلقاء درس للأسرة.
  - الرجوع إلى المنزل والانشغال بمطالعة كتاب أو سماع محاضرة أو كتابة بحث أو تصفُّح موقع مفيد في الإنترنت.

- حلُّ الواجبات أو مذاكرة الدروس (بالنسبة للطلاب).
- زيارة أحد الجيران أو الأقارب أو الأصدقاء.
- الاستماع إلى نشرة أخبار أو برنامج مفيد في الإذاعة أو التلفاز أو تصفح مجلة أو جريدة.
- المشي أو الجري سواءً خارج البيت أو داخله إن كان لديك جهاز للجري.
- استرجاع وتقييم الأعمال التي قمتَ بها في ذلك اليوم، وتهنئة نفسك على ما قمتَ به من إنجازات، ومحاسبتها على ما قصَّرَتْ فيه.
- مراجعة جدول الأعمال لليوم التالي.
- أية أعمال أخرى ترى فيها طاعة لله ومنفعة لك أو لغيرك.

عندما يحين وقت النوم

- قم أولًا بالوضوء للصلاة والاستياك.
- بعدها صلِّ صلاة الوِتر ويمكن أن تسبقها بواحد أو أكثر من الأعمال التالية:
  - تأدية بعض الركعات نافلة.
  - الإتيان بأذكار المساء (نفس أذكار الصباح التي ذكرناها سابقًا).
  - قراءة وِردٍ من القرآن.
  - الجلوس للدعاء لك ولأهلك وإخوانك ولعامة المسلمين.
- بعد الفراغ من صلاة الوِتر توجَّه إلى فراشك واجمع كفَّيك ثم انفث فيهما قليلًا واقرأ سورة الإخلاص والفلق والناس، وامسح بيديك وجهَك وسائر جسدك. عاود فعل ذلك ثلاث مرات كما ورد عنه- عليه أفضل الصلاة والسلام-.
- بعد ذلك نم على جنبك الأيمن وتلفَّظ بالأدعية التالية:
  - تقول: **باسمك ربِّي وضعتُ جنبي وبك أرفعه. إن أمسكتَ نفسي فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادَك الصالحين.**
  - تقرأ آية الكرسي.
  - تقول: "سبحان الله"، ٣٣ مرة، وبعدها تقول: "الحمد لله"، ٣٣ مرة، وبعدها تقول: "الله أكبر"، ٣٤ مرة.
  - (إن استطعتَ) تقرأ أواخر سورة البقرة ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ... ﴾ إلى آخر السورة.
  - (إن استطعتَ) تقرأ سورة السَّجدة.
  - (إن استطعتَ) تقرأ أواخر سورة الحشر ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ إلى آخر السورة.
  - (إن استطعت) تقرأ سورة تبارك.
  - تقول: **اللهم أسلمتُ وجهي إليك، وفوَّضتُ أمري إليك، وألجأتُ ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمنتُ بكتابك الذي أنزلتَ ونبيك الذي أرسلتَ.**
- بعد ذلك تُسلِم نفسك لبارئها ونومًا هنيئًا بإذن الله.

إعداد مستلزمات رحلة خلوية

أولًا: مستلزمات الرحلة:

١- **مستلزمات عامة** (صابون، محارم، ماء للشرب، ماء للغسيل، صحون، جوائز للفائزين في المسابقات الثقافية والرياضية).

٢- **مستلزمات الطوارئ والإسعافات الأولية** (مصباح كهربائي، وصلة لسحب السيارة، وصلة تحفيز البطارية، أدوات فك وتوصيل، مسكِّن للأوجاع، ضمادات للجروح).

٣- **مستلزمات الفقرات الثقافية والترفيهية** (مصاحف، كتيبات وقصص للقراءة، أشرطة أناشيد ومحاضرات، كتب وبطاقات سين/جيم للمسابقة الثقافية، دفاتر وأقلام).

٤- **مستلزمات الفقرات الرياضية** (كرات للعب، ملابس رياضية، أحذية رياضية، أدوات وملابس للسباحة، مستلزمات المسابقة الرياضية).

٥- **مستلزمات الطهي والشواء.**

٦- **مستلزمات فقرات التغذية والغداء.**

ثانيًا: برنامج الرحلة:

قبل الإقلاع:

المهمة	الوقت	الأشخاص المسؤولون عنها
وصول الحافلة التي ستقل المشاركين في الرحلة		
فحص الحافلة للتأكد من صلاحيتها للرحلة		
تجمُّع المشاركين في الرحلة في مكان الإقلاع		
تحميل وترتيب مستلزمات الرحلة داخل الحافلة		
ركوب المشاركين في الحافلة		

بعد الإقلاع مباشرة:

المهمة	الوقت	الأشخاص المسؤولون عنها
الإقلاع		
دعاء الركوب		

من مكان الإقلاع إلى مكان الرحلة:

المهمة	الوقت	الأشخاص المسؤولون عنها
الافتتاح بالقرآن الكريم		
كلمة أمير الرحلة		

المهمة	الوقت	الأشخاص المسؤولون عنها
فقرة ترفيهية		
فقرة ثقافية		
فقرة تغذية		
فقرات إضافية		

من الوصول إلى المغادرة:

المهمة	الوقت	الأشخاص المسؤولون عنها
تنظيف المكان		
حمل الأمتعة من السيارة إلى مكان التجمُّع		
كلمة أمير الرحلة		
تقسيم الأشخاص إلى مجموعات		
فقرة ثقافية		
فقرة ترفيهية		
فقرة تغذية		
فقرات أخرى		
فقرة إعداد الغداء		
فقرة الصلاة		
فقرة تناول الغداء والنظافة		
فقرة استراحة وترفيه		
صلاة العصر		
فقرة رياضية		
فقرات أخرى		

قبل مغادرة مكان الرحلة:

المهمة	الوقت	الأشخاص المسؤولون عنها
حمل الأمتعة إلى الحافلة		
تنظيف مكان الرحلة		
ركوب الحافلة		

من مكان الرحلة إلى مكان الإقلاع:

المهمة	الوقت	الأشخاص المسؤولون عنها
دعاء الركوب		

المهمة	الوقت	الأشخاص المسؤولون عنها
كلمة أمير الرحلة		
استطلاع رأي المشاركين في الرحلة		
فقرة ترفيهية		

بعد الوصول إلى مكان الإقلاع:

المهمة	الوقت	الأشخاص المسؤولون عنها
نزول المشاركين من الحافلة		
تنزيل المواد المصطحبة في الرحلة وتوزيعها على أصحابها		
تنظيف الحافلة		

استبانة لدراسة أحوال الأُسَر الفقيرة

تاريخ جمع المعلومات: _____

اسم الشخص الذي قام بتعبئة البيانات: _____

بيانات عامة:

رقم الأسرة	_____
اسم الأسرة	_____ البلدة: _____ المنطقة: _____
اسم رب الأسرة	_____
رقم الهاتف	_____
العنوان البريدي	
مصادر دخل الأسرة (اذكر المبلغ الإجمالي من كل مصدر دخل)	راتب وظيفي: _____ عمل حر: _____ ضمان اجتماعي: _____ إيجار عقار: _____ زراعة: _____ تجارة: _____ أخرى: _____
حالة المنزل	هل المنزل مبني على الطراز الحديث؟ ___ نعم ___ لا عمر المنزل: _____ سنة مكونات المنزل: ____ غرف نوم ____ مجلس رجال ____ مجلس نساء ____ مطبخ ____ دورات مياه تمويل بناء المنزل: ___ الوزارة [1] ___ بنك الإسكان ___ قرض حكومي ___ قرض بنكي ___ تمويل شخصي
ممتلكات أفراد الأسرة	___ بستان زراعي ___ محل تجاري ___ أرض فضاء
السيارات التي تمتلكها الأسرة	عدد السيارات: _____ حالتها: _____
ديون الأسرة	___ قرض بنكي: المبلغ المتبقي: _____ قيمة القسط الشهري: _____ ___ قرض شخصي: المبلغ المتبقي: _____ قيمة القسط الشهري: _____

بيانات الأسرة الرئيسية:

	العمر	الحالة الصحية	المستوى الدراسي	الوظيفة	جهة العمل	الدخل الشهري
الزوج						
الزوجة						

الأولاد (يذكر جميع أولاد رب الأسرة ما عدا المتزوجون منهم والذين سيتم ذكرهم في الأُسَر الفرعية[2]):

م	الاسم	الجنس	العمر	الحالة الاجتماعية	الحالة الصحية	المستوى الدراسي	الوظيفة	جهة العمل	الدخل الشهري
١									
٢									
٣									
٤									
٥									
٦									
٧									

(1) يُقصَد بالوزارة هنا تلك المعنية بالضمان الاجتماعي.

(2) يُقصَد بالأُسَر الفرعية أُسَر الأولاد والإخوة التي تعيش في نفس المنزل.

م	الاسم	الجنس	العمر	الحالة الاجتماعية	الحالة الصحية	المستوى الدراسي	الوظيفة	جهة العمل	الدخل الشهري
٨									
٩									
١٠									
١١									
١٢									
١٣									
١٤									
١٥									

بيانات الأسرة الفرعية الأولى: (اسم رب الأسرة: _____ علاقته برب الأسرة الرئيسية: _____)

	العمر	الحالة الصحية	المستوى الدراسي	الوظيفة	جهة العمل	الدخل الشهري
الزوج						
الزوجة						

الأولاد:

م	الاسم	الجنس	العمر	الحالة الاجتماعية	الحالة الصحية	المستوى الدراسي	الوظيفة	جهة العمل	الدخل الشهري
١									
٢									
٣									
٤									
٥									
٦									
٧									
٨									
٩									
١٠									

بيانات الأسرة الفرعية الثانية: (اسم رب الأسرة: _____ علاقته برب الأسرة الرئيسية: _____)

	العمر	الحالة الصحية	المستوى الدراسي	الوظيفة	جهة العمل	الدخل الشهري
الزوج						
الزوجة						

الأولاد:

م	الاسم	الجنس	العمر	الحالة الاجتماعية	الحالة الصحية	المستوى الدراسي	الوظيفة	جهة العمل	الدخل الشهري
١									
٢									
٣									
٤									
٥									
٦									
٧									
٨									
٩									
١٠									

بيانات الأسرة الفرعية الثالثة: (اسم رب الأسرة: _____ علاقته برب الأسرة الرئيسية: _____)

	العمر	الحالة الصحية	المستوى الدراسي	الوظيفة	جهة العمل	الدخل الشهري
الزوج						
الزوجة						

الأولاد:

م	الاسم	الجنس	العمر	الحالة الاجتماعية	الحالة الصحية	المستوى الدراسي	الوظيفة	جهة العمل	الدخل الشهري
١									
٢									
٣									
٤									
٥									
٦									
٧									
٨									
٩									
١٠									

المراجع

كتب ودراسات

١- "العولمة: مقاومة واستثمار": د. إبراهيم ناصر النَّاصر. مجلة البيان، ١٤٢٦ هـ.

٢- "الفوائد": ابن قيم الجوزية. مطبوعات مَجْمَع الفقه الإسلامي – جدة. دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع.

٣- "المدهش": أبو الفرج ابن الجوزي. دار الكتب العلمية - بيروت. الطبعة الثانية، ١٩٨٥.

٤- "فقه اللغة وأسرار العربية": أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي. المكتبة العصرية – بيروت. تحقيق الدكتور ياسين الأيوبي. الطبعة الثانية: ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م.

٥- "حلية الأولياء": أبو نعيم الأصفهاني. دار الكتب العلمية – بيروت. الطبعة الأولى: ١٤٠٩ – ١٩٨٨.

٦- "مختصر قيام الليل لأبي نصر المروزي": أحمد بن علي المقريزي. الدار الذهبية للطباعة والنشر والتوزيع.

٧- "حالة العالم الإسلامي - أرقام ومؤشرات": أسماء ملكاوي. كتاب إليكتروني متوفر على كثير من مواقع الإنترنت.

٨- "الإسعاف في أحكام الأوقاف": برهان الدين إبراهيم بن موسى بن أبي بكر. دار الرائد العربي، بيروت.

٩- "ديوان حافظ إبراهيم": حافظ إبراهيم بك. الهيئة المصرية العامة للكتاب. الطبعة الثالثة: ١٩٨٧م.

١٠- "في ظلال القرآن": سيد قطب. دار الشروق – بيروت. الطبعة التاسعة: ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.

١١- "لماذا تأخر المسلمون؟ ولماذا تقدم غيرهم": الأمير شكيب أرسلان. دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان. الطبعة الثانية.

١٢- "دور مشروع الأُسَر المنتجة في مكافحة الفقر - دراسة تطبيقية على معتمدية غرب كردفان / السودان": د. الطيب لحيلح، جامعة غرب كردفان، السودان.

١٣- "العيش في الزمان الصعب"، أ.د. عبد الكريم بكار. دار القلم، دمشق. الطبعة الخامسة: ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠م.

١٤- "حول التربية والتعليم": أ.د. عبد الكريم بكار. دار القلم، دمشق. الطبعة الثانية: ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

١٥- "الإسلام والاقتصاد": عبد الهادي علي النجار. سلسلة كتب عالم المعرفة (٦٣). المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت.

١٦- "مشكلة الثقافة": مالك بن نبي. دار الفكر المعاصر، بيروت. الطبعة الرابعة: ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م.

١٧- "صناعة الحياة": محمد أحمد الراشد. دار المنطلق، دبي، الإمارات العربية المتحدة. الطبعة الثانية: ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م.

١٨- "كيف تتحمس لقيام الليل؟": محمد بن صالح آل عبد الله. الطبعة الأولى، جمادى الأولى ١٤١٩ هـ.

١٩- "قيام الليل": محمد بن نصر المروزي. حديث أكادمي للطباعة والنشر والتوزيع، باكستان. الطبعة الأولى: ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٢٠- "إحياء ثقافة التطوع وبذل الجهد": محمد سالم إنجيه.

٢١- "الإسلام والسياسة": الدكتور محمد عمارة. مركز الراية للتنمية الفكرية، السعودية، الطبعة الأولى: ٢٠٠٤ - ٢٠٠٥م.

٢٢- "التدريب وأهميته في العمل الإسلامي": د. محمد موسى الشريف. دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع. جدة. الطبعة الأولى: ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

٢٣- "جدِّد شبابَك بالتطوُّع": محمد هشام أبو القمبز. يمكن الحصول عليه من الكثير من مواقع الإنترنت.

٢٤- "وحي القلم": مصطفى صادق الرافعي. المكتبة العصرية – بيروت. الطبعة الأولى: ٢٠٠٢م.

٢٥- "ديوان فارس الأحلام القديمة": الدكتور وليد قصاب. ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م.

٢٦- "إنفاق العفو في الإسلام": يوسف إبراهيم يوسف. كتاب الأمة رقم ٣٦، قطر. محرم ١٤١٤.

٢٧- "دور الزكاة في علاج المشكلات الاقتصادية وشروط نجاحها": يوسف القرضاوي. دار الشروق - القاهرة. الطبعة الأولى: ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

بحوث وتقارير

١- "المؤسسات التربوية في المجتمع": بحث قدمه أبو النوف بإشراف الدكتور فايز شلدان، كلية التربية (قسم التعليم الأساسي)، الجامعة الإسلامية بغزة.

٢- "الوقف: مشروعيته وأهميته الحضارية": أحمد بن يوسف الدريويش. ندوة مكانة الوقف وأثره في الدعوة والتنمية.

٣- "السنة الدولية للمتطوعين.. النتائج ومنظورات المستقبل": تقرير للأمم المتحدة عن السنة الدولية للتطوع، رقم A/57/352، تاريخ ٢٠٠٢/٩/٢٤.

٤- "الجمعيات النسائية الخيرية والمساهمة في التنمية الاجتماعية": ورقة عمل للأستاذة الجازي بنت محمد بن فهد الشبيكي، المحاضرة بقسم الدراسات الاجتماعية بجامعة الملك سعود، مقدمة إلى جمعية الملك عبد العزيز الخيرية بالقصيم في أسبوعها الثقافي عام ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٥- "حان الوقت لردم الفجوة المائية الهائلة": جريدة النهار اللبنانية، ٢٣ مارس ٢٠٠٦.

٦- "حزام الفقر.. هاجس الأمن": حمدي سليم. نشر في جريدة الشرق الأوسط، العدد ١٠٣٢١، بتاريخ ١٣ صفر ١٤٢٨هـ - ٢ مارس ٢٠٠٧م.

٧- "قضايا التطوع ونظام العمل في الجمعيات: د. سامي عصر. بحث مقدم إلى مؤتمر "التنظيمات الأهلية العربية — مشاركة، عطاء، إنماء". القاهرة. ٣١ أكتوبر — ٣ نوفمبر ١٩٨٩م.

٨- "مستوى إدراك الشباب الجامعي الفلسطيني لمفهوم العولمة وعلاقته بالهوية الثقافية والانتماء": الدكتور شريف علي حماد. ورقة عمل مقدمة إلى مؤتمر "الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر". الجامعة الإسلامية بغزة. ٧-٨ ربيع الأول ١٤٢٦ هـ ، ١٦-١٧ إبريل ٢٠٠٥م.

٩- "تفعيل العمل التطوُّعي": ورقة عمل للدكتور صالح حمد التويجري من جمعية الهلال الأحمر السعودي، مقدمة إلى المؤتمر الدولي السابع: "إدارة المؤسسات الأهلية والتطوُّعية في المجتمعات المعاصرة" والذي عقد في الشارقة بدولة الإمارات العربية المتحدة بين ١٧-١٨ ديسمبر ٢٠٠٢. وقد نشرت ورقة العمل هذه في موقع "صيد الفوائد".

١٠- "دور الوقف في النمو الاقتصادي": صالح كامل. أبحاث ندوة "نحو دورٍ تنمويٍّ للوقف" أقامتها مركز أبحاث الوقف والدراسات الاقتصادية بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت. الطبعة الأولى: ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م.

١١- "وقف النقود - حكمه، تاريخه وأغراضه، أهميته المعاصرة، استثماره": عبد الله بن مصلح الثمالي.

١٢- "الدور الأمني لمراكز الأحياء": المهندس يحيى بن سيف صالح. ورقة عمل مقدمة لندوة "المجتمع والأمن"، المنعقدة بكلية الملك فهد الأمنية بالرياض من ٢/٢١ حتى ٢/٢٤ من عام ١٤٢٥هـ.

مقالات

١- "البحث عن ثقافة التطوع في مجتمعاتنا": إبراهيم البيومي غانم. نشر في موقع "إسلام أون لاين" بتاريخ ٢٠٠١/١٠/٩ على الرابط التالي:

(http://www.islamonline.net/arabic/adam/2001/10/article4.shtml)

٢- "محاربة اللغة العربية": إبراهيم بن محمد الحقيل. نشر في موقع "الألوكة" بتاريخ ١٤٢٨/٣/٦هـ - ٢٠٠٧/٣/٢٥م على الرابط التالي:

(http://www.alukah.net/articles/1/539.aspx)

٣- "الأموالُ العربية المهاجرة.. عندما تُخاصِم أوطانَها": أحمد أبو زيد. نشر في موقع "الألوكة" على الرابط التالي:

(http://www.alukah.net/articles/1/2276.aspx)

٤- "العمل التطوُّعي: رغبة أم ضرورة؟": أسماء الرويشد. نشر في موقع "آسية الإلكتروني" (http://www.asyeh.com).

٥- "العالم العربي في القرن الحادي والعشرين: هل أصبح حرا أخيرا؟": برنارد لويس. نشر في مجلة العصر بتاريخ ٢٠٠٩/٣/٢٦ على الرابط التالي:

(http://www.alasr.ws/index.cfm?method=home.con&contentid=10764)

٦- "جامعة الأزهر تنظم مؤتمر التنمية المستدامة في العالم الإسلامي": بشر محمد موفق. نشر على موقع "الموقع العالمي للاقتصاد الإسلامي" بتاريخ ٢٠٠٩/١/٢٠ على الرابط التالي:

(http://isegs.com/forum/showthread.php?t=3007)

٧- "دور العمل التطوُّعي في تنمية المجتمع": الدكتور بلال عرابي. مجلة النبأ (عدد ٦٣). شعبان ١٤٢٢هـ - تشرين الثاني ٢٠٠١م.

٨- "مهارات التحفيز على العمل التطوُّعي": الأستاذ توفيق عسيران- رئيس جمعية تنظيم الأسرة في لبنان. نشر في موقع "صيد الفوائد" على الرابط التالي:

(http://www.saaid.net/Anshatah/dole/39.htm)

٩- "دور المؤسسات الأهلية في رفع مستوى العمل التطوعي": جعفر محمد العيد. نشر في موقع "صيد الفوائد" على الرابط التالي:

(http://www.saaid.net/Anshatah/dole/34.htm)

١٠- "قراءة معاصرة لفروض الكفاية": جمال الدين عطية. مجلة المسلم المعاصر، عدد ٤٩، السنة ١٣، محرم صفر ربيع الأول ١٤٠٨.

١١- "مدى إمكانية إلغاء مشكلة الفقر في العالم الإسلامي": حسن محمد الرفاعي. مقال نشر في مجلة الوعي الإسلامي (عدد ٥٢٣) بتاريخ ٢٠٠٩/٢/٧م على الرابط التالي:

(http://alwaei.com/topics/view/article_new.php?sdd=954&issue=478)

١٢- "تطوُّع الشباب.. شجرة يرويها الانتماء": الصحفي المصري خالد أبو بكر. نشر في موقع "إسلام أون لاين" بتاريخ ٢٠٠٣/٦/٢٣ على الرابط التالي:

(http://www.islamonline.net/Arabic/In_Depth/summer/2003/06/article03.shtml)

١٣- "الجمعيات الأهلية والتمويل الذاتي": خالد الغنامي. نشر في موقع "منبر الحوار والإبداع" على الرابط التالي:

(http://menber-alionline.info/pdf/show.php?id=17)

١٤- "دور المثقف.. جهود لا ركود": خباب الحمد. نشر في موقع "المسلم" بتاريخ ١٤٢٧/١٠/١٧ هـ على الروابط التالي:

الحلقة الأولى: http://almoslim.net/node/83605

الحلقة الثانية: http://almoslim.net/node/83610

١٥- "جولة في عقل النحوي": صالح عبد الله. نقلًا عن جريدة "العرب اليوم"، عمان - الأردن، العدد (٨٥١)، السنة الثالثة. تاريخ ١٤٢٠/٦/٦ هـ الموافق ١٩٩٩/٩/١٦م.

(http://www.alnahwi.com/portal/default.asp?action=article&ID=282)

١٦- "ضرورة التأليف بالعربية في العلوم التجريبية والتقنية": عبد الرحمن الباني. نشر في موقع "الألوكة" بتاريخ ١٤٢٩/١٢/٢٩ هـ - ٢٠٠٨/١٢/٢٨م على الرابط التالي:

(http://www.alukah.net/articles/1/4662.aspx)

١٧- "لماذا لا ندرس البطالة المقنعة في القطاع العام": عبد الرحمن تيشوري. نشر في موقع "الحوار المتمدِّن" بتاريخ ٢٠٠٦/٤/١١م على الرابط التالي:

(http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=61899)

١٨- "اللغة العربية أمانة ومسؤولية": عدنان علي رضا النحوي. نشر في موقع "لقاء المؤمنين وبناء الجيل المؤمن" على الرابط التالي:

(http://www.alnahwi.com/portal/default.asp?action=article&ID=830)

١٩- "زُخْرف الحضارة الغربيّة": عدنان علي رضا النحوي. نشر في موقع "المسلم" بتاريخ ١٤٢٥/٨/٥ هـ على الرابط التالي:

(http://almoslim.net/node/82407)

٢٠- "لغتي الجميلة": قصيدة بعنوان للدكتور عدنان علي رضا النحوي. نشرت في موقع "لقاء المؤمنين وبناء الجيل المؤمن" على الرابط التالي:

(http://www.alnahwi.com/portal/default.asp?action=article&ID=831)

٢١- "مشروع الشرق الأوسط الكبير": عدنان علي رضا النحوي. نشر في موقع "المسلم" بتاريخ ١٤٢٥/٢/٢٧ هـ على الرابط التالي:

(http://almoslim.net/node/82304)

٢٢- "قد رشحوك لأمر لو فطنت له": عز الدين فرحات. نشر في موقع "صيد الفوائد" على الرابط التالي:

(http://www.saaid.net/afkar/school/106.htm)

٢٣- "دراسة حكومية حديثة: ارتفاع نسبة البطالة في السعودية إلى ٣١.٧٪": علي القحطاني. جريدة الوطن السعودية، ٢٠٠٣/٣/٤م.

٢٤- "إحصاءات تطوعية": فهد الزهراني. نشر في موقع "عالم التطوُّع العربي" بتاريخ ٢٠٠٨/٢/٤م على الرابط التالي:

(http://www.arabvolunteering.org/corner/avt10196.html)

٢٥- "ثقافة العمل التطوُّعي لدى الجمعيات الخيرية النسائية": حلقة من برنامج "للنساء فقط" بُثَّت في قناة الجزيرة بتاريخ ١٧ شباط ٢٠٠٥م.

٢٦- "تجربة مصرف الفقراء في بنجلاديش": د. مجدي سعيد. نشر في موقع "إسلام أون لاين" بتاريخ ١٩٩٩/١٠/١ على الرابط التالي:

(http://www.islamonline.net/Arabic/contemporary/Economy/2001/article2.shtml)

٢٧- "محمد يونس.. لو كان الفقر رجلًا لقتلته": د. مجدي سعيد. نشر في موقع "إسلام أون لاين" بتاريخ ٢٠٠٢/٢/٢٧ على الرابط التالي:

(http://www.islamonline.net/arabic/famous/2002/02/article09.shtml)

٢٨- "مفهوم ثقافة التطوُّع وإشكاليته": مجلة المجتمع الكويتية (عدد ١٤٧٤).

٢٩- "نحو يوم عربي لرعايتهم: الأيتام واللقطاء.. من يرعاهم؟": حوار مع الحاج محمد الكاسي- مدير الجمعية الخيرية الإسلامية بالدار البيضاء. نشر في موقع "إسلام أون لاين" بتاريخ ٢٠٠٥/٣/٢٤.

٣٠- "العربية لغة العلم": محمد حسان الطيان. نشر في موقع "الألوكة" بتاريخ ١٤٢٩/٣/١١ هـ - ٢٠٠٨/٣/١٩م على الرابط التالي:

(http://www.alukah.net/articles/1/2238.aspx)

٣١- "دور الوقف الإسلامي في التنمية وحماية البيئة": محمد عبد القادر الفقي. مجلة الوعي الإسلامي (عدد ٥٢٢)، بتاريخ ٢٠٠٩/٢/٧م.

٣٢- "الرحلات العائلية": نشر في موقع "جنة السعودية" بتاريخ ٢٠٠٧/٩/٢١م على الرابط التالي:

(http://jna1.com/vb/showthread.php?s=f897ec829f865a91efbf16b519ffb769&t=1465)

٣٣- "الدكتور السميط": موقع "لبيك أفريقيا" (http://www.labaik-africa.org).

٣٤- "الجمعيات الأهلية في سورية بين ضعف التمويل الداخلي ومخاطر التمويل الخارجي": المحامي ميشال شماس. نشر في جريدة "شفاف الشرق الأوسط" السورية بتاريخ ٢٠٠٦/٩/٢٤م.

٣٥- "نظرات في العمل التطوُّعي": نوري بشير مبارك. نشر في موقع "صيد الفوائد" على الرابط التالي:

(http://www.saaid.net/Anshatah/dole/17.htm)

٣٦ "الطباع يدعو العرب لطرح أدوات مالية جديدة": وكالة الأنباء الأردنية. نشر في موقع "معلومات مباشر" بتاريخ ٢٠٠٨/١٠/٢٠ على الرابط التالي:

(http://www.mubasher.info/ase/news/newsdetails.aspx?newsid=261605&src=g)